

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

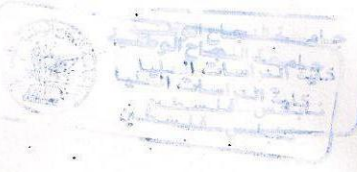
الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية
في الأدب الشعبي في محافظة رام الله

إعداد
نضال فخري طه

إشراف الدكتور
إحسان الديك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين

2009م



أ.م.س. د. نضال فكري طه

الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية
في الأدب الشعبي في محافظة رام الله

إعداد

الطالبة: نضال فكري طه

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: (11/17/2009م)، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:

التوقيع:

.....

1- الدكتور إحسان الديك/ مشرفاً ورئيساً

.....

2- الأستاذ الدكتور يحيى جبر/ ممتحناً خارجياً

.....

3- الدكتور نادر قاسم/ ممتحناً داخلياً

..... وحبوب

سنبله تموت

..... ستملاً

الوادي سنابل

محمود درويش

لا تغرق في اليأس....

إعط البسمة للدنيا

فالدنيا بخير وسلام.

أبواب الحرية مشرعة

والناس المكبوتة.....

من بشرها في عرس

وخيوط الفجر تطل

على أفق القدس

أهزج للمصبح الآتي

أكتب أغنية للشمس

فخري صرداوي

الإهداء

إلى..... عائلتي الكريمة

إلى الأب..... السماء...

إلى الأم..... الأرض.....

إلى النُّبْل والشَّهامة.....

إلى المجد.....

إلى ضوء القمر.....

إلى أصدقائي.....

إقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية

في الأدب الشعبي في محافظة رام الله

Social & Popular Rituals & Beliefs in the Palestinian Literature in Ramallah District

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالبة: نضال فخري طه

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

الشكر والتقدير

بعد حمد الله والثناء عليه، أتقدم بالشكر الجزيل
للدكتور إحسان الديك

الذي أحفني بعناية علمية إرشادية تقويمية خاصة في جميع مراحل البحث، منذ كان
فكرة أو بذرة في فلاة حتى استوى على سوقه.

شكر خاص للدكتور شريفه كناعنه

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل الذين أجريت معهم مقابلات شخصية،
واستقبلوني في بيوتهم بصدور رحبة ولم يبخلوا عليّ بشيء.

شكر وتقدير لنبال وأمجد ودارة وبثينة طه وعبير قاسم ودولت ووسيم عبوشي.

شكر وتقدير إلى (عيسى، السائق على خط عين يبرود)

إلى محمد (السائق على خط سنجل)

إلى جاد (معلم المدرسة من بيت ريما)

إلى محمد (من بيت دقو)

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الغلاف
ب	عنوان الرسالة
ث	الإهداء
ج	إقرار
ح	شكر وتقدير
خ	فهرس المحتويات
ش	الملخص
1	المقدمة
7	تمهيد
8	الطقس في اللغة
9	العلاقة بين طَسَقَ وطقَسَ
9	الطقس والدين
10	أولاً: المكون الأول (الأسطورة)
11	ثانياً: المكون الثاني (الطقس)
13	ثالثاً: المكون الثالث (المعتقد)
13	الطقس والأسطورة
14	الطقس والمعتقد
15	الطقس في المعتقد والمأثور الشعبي
15	أهمية دراسة الطقس في المعتقد والمأثور الشعبي
18	أنواع الطقوس
19	الفصل الأول/ طقوس ما قبل الولادة

20	ما قبل الولادة
20	المرأة والعقم في الموروث الشعبي
21	طقوس المرأة العاقر
24	طقس طبق الرحم عند الدايات في قرى محافظة رام الله
25	طقس علاج التهابات الرحم
26	طقس بيت النار لعلاج الالتهابات
27	دور الأولياء وأصحاب الكرامات في الطب الشعبي
28	طقس الوقوف أمام الولي والنطق بالتعاويذ والندور
29	أنواع الندور
32	الطقوس السحرية التي تلجأ لها المرأة العاقر
32	طقس إغراء الآلهة
35	طقس تقليد عملية الولادة
35	طقس الدعاء عند قبر (قتيل) قُتِلَ ظُلماً
37	طقس بلع الجلد (القفلة) (بقايا عملية الختان)
39	طقوس الكشف عن القدرة على الحمل
41	طقوس الكشف عن جنس المولود
45	مكانة المرأة الحامل
51	طقس إعلان الحمل
51	القرينة وطقوسها
56	طقس التمايم والأحجية للتخلص من القرينة
58	طقس تقديم القرابين للتخلص من القرينة
59	طقس تمويه القرينة للتخلص منها
60	طقس العفريت (أبو الربوص)
62	الفصل الثاني/ طقس الولادة

63	طقوس عسر الولادة
65	طقس الدحرجة
66	الطقوس المصاحبة لعملية الولادة
70	الأقوال المأثورة والأدعية عند الولادة
72	طقوس الاستعانة بالأنبياء والأولياء
75	طقوس تابعة لعملية الولادة
77	الطقوس المصاحبة لقطع الحبل السري
79	طقوس عيش المولود
85	الأبناء في المعتقد الشعبي الفلسطيني
98	طقوس ما بعد الولادة
98	طقس حمام الطفل
116	طقس العين الحاسدة أو الكبسة
141	طقس الوشم
142	طقس استخدام الحبوب
143	طقس استخدام التعاويذ أو الرقى
145	طقس الأسبوع لحماية الولد
148	طقس حلق الشعر
152	طقس التسنين
153	طقس قلع سن الطفل
154	طقس الخشخشة
155	طقوس متنوعة يدخل فيها رغيف الخبز (العيش) والبيضة
162	طقس الأكيتو
164	طقس العقيقة أو الذبيحة فداءً للطفل الصغير
170	طقس الختان (الطهور)

173	الختان الطهور قديماً (الشامانية)
177	الفصل الثالث/ طقس الزواج
184	سن الزواج
191	من الطقوس التي تربط المرأة بالخصوبة حديثاً
192	صفات العروس اليوم المتعلقة بالجمال
195	طقوس عقد القران
199	من طقوس قراءة الفاتحة الطلب الشفاهي
201	طقس المنديل عند قراءة الفاتحة
202	المهر وطقس عقد القران (الإملاك)
202	مراسم طقوس الخطبة
214	"المطلية" وفترة ما بعد الخطوبة
220	من طقوس الخطبة
221	طقس الكسوة (جهاز العروس)
229	من طقوس العرس المشاعل
233	طقس الحناء
238	من طقوس ملابس العروس
241	حزام المرأة الفلسطينية
242	من طقوس يوم الزفاف الزينة
245	طقس الوشم
247	طقس الوشم على شكل صليب
248	طقس الحللي
253	طقس حمام العريس
255	طقس الصمدة على اللوج
256	طقس وليمة العرس

258	الزفة وطلعة العروس
261	طقوس الزفة
261	طقس نثر الشعير والملح
263	طقس المذراة
263	طقس موكب العرس
265	طقس لصق العجينة على باب الدار
266	طقس رش الماء
268	طقس طقس البيض في الزفة
269	طقس تطيير الحمام
270	طقس كشف الطرحة
272	طقس فك الكندرة
273	طقس فض البكارة (ليلة الدخلة)
275	طقس صباحية العروس
276	من الطقوس التي تتعلق بالبيضة بعد الزواج
276	طقس النفاس وطقس الحيض (الدم)
279	طقس الرضاعة
284	الفصل الرابع/ طقس الموت
285	فكرة الموت
287	ظاهرة الموت حديثاً
288	طقس الموت عند الفلسطينيين
291	طقس الاحتضار (النزاع الأخير)
292	طقس تحول المحتضر إلى نجم من نجوم السماء
293	طقس الزفة في اللحظات الأخيرة (النزاع الأخير)
295	طقس الوداع الأخير وإرسال الرسائل مع المحتضر لعالم الموتى

296	طقس إعلان الوفاة
298	طقس النواح والبكاء والرقص الجنائزي
307	من صور الندب
318	طقس غسيل الميت وتكفينه
320	طقس دق العدة
323	طقس دفن الجسد عارياً
324	طقس الكفن الأبيض
324	طقس وضع الأشياء الثمينة مع الميت
327	طقس سير الجنازة والصلاة على المتوفى
329	طقس مكان الدفن
329	طقس اتجاه الدفن
331	طقس التذكير بالاسم (التفنين)
332	طقس الأربعين
332	طقس حناء الميت
333	طقس فك الوحدة
334	طقس زواج الأخ من زوجة أخيه المتوفى
335	طقس سقاية الميت
335	طقس الشاهد على القبر
336	طقس تقديم القرابين
337	طقوس الشؤم من الميت
339	طقس النواح على الطاحونة
341	الخاتمة
343	قائمة المصادر والمراجع
b	الملخص بالإنجليزية

الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله

إعداد

نضال فخري طه

إشراف

الدكتور حسين الديك

الملخص

تمثل الطقوس الاجتماعية جزءاً هاماً من التراث والأدب الشعبي الفلسطيني، وقد شكل الأدب الشفاهي المحفوظ في صدور أبناء الشعب ووجدانه دعامة أساسية لبقاء هذه الطقوس، كان الأمر أكيداً لوقت ليس بعيداً، أما اليوم فخطر ضياع هذا الإرث أو هذا الكنز يتهدد فلكلورنا الشعبي، إذ نستطيع الحفاظ على الأدب الشعبي بتدوينه، وتصاحب هذه الطقوس والممارسات إيماءات وحركات يصعب تسجيلها، محفوظة في صدور الجذات ومعرضة للموت مع موتهن، وهي تتلاشى شيئاً فشيئاً مع مرور الأيام.

من هنا كانت أهمية هذه الدراسة للمحافظة على هذا الموروث، وتدوينه وتوثيقه ودراسته، فتناولت في التمهيد الطقس والسلوك الإنساني، فأزلت الغموض عن هذا المصطلح، ثم بينت ارتباطه بقوة خارجية غيبية أساسها الخوف وطلب الحماية من الخالق، لقد تتبعت الطقوس منذ اللحظة التي يتمنى الإنسان الإنجاب، فكان هذا مدار بحثي في الفصل الأول (طقس ما قبل الولادة)، حيث تطرقت إلى الطقوس السحرية التي تلجأ المرأة إليها كي تنجب أو تحافظ على حملها إذا ما حملت، ومنها طقس الوقوف أمام الولي وتقديم النذور والدعاء عند قبر القاتل قَتْلَ ظلماً، وطقس بلع (القطعة) مخلفات عملية الختان، ثم بينت ما تتعرض له الحامل من محاولات لقتلها أو إجهاضها من القرينة، وأوردت الطقوس السحرية لطرد هذه القرينة وإبعاد أذاها ومنها استخدام التمام والأحبة والتعاويذ والتمويه.

وفي الفصل الثاني (طقس الولادة)، تحدثت عن طقوس الولادة ومنها ما تقوم به المرأة لتسهيل هذه العملية والتعاويذ السحرية التي ترافقها، ورأيت أن الماء المستخدم في حمّام الطفل يشبه الماء المقدس، ماء التعميد في الديانات أو ماء الطوفان الذي يعمد الأرض تمهيداً للميلاد وبعث

جديد، ثم مررت على مراحل حياة الطفل وما تحويها من طقوس مثل قص الشعر، وتقديم الفدو والعقيقة، وأوردت الرقى والتعاويذ التي تطرد العين الحاسدة، والقرينة التي تسبب للطفل المرض والأذى، ثم انتقلت للطقوس في مرحلة ظهور الأسنان، ومرحلة المشي وأخيراً تحدثت عن مرحلة الختان، مؤيدة كل ذلك بالأمثلة والأغاني الشعبية.

أما الفصل الثالث (طقس الزواج)، فقد تتبعت فيه الطقوس التي تصاحب عملية البحث عن العروس ثم طلبها، وخطبتها، وكسوتها، وحنّاها إلى أن وصلت للزفة ورش الماء والشعير، وكنت أورد الطقس مدعوماً بالأدب الشعبي، ثم أعود إلى جذوره الأسطورية القديمة التي تبدأ من الإنسان النندارلي أحياناً، أي قبل مئتي ألف سنة قبل الميلاد، وحتى العصر الروماني ثم الجاهلي في كثير من الأحيان، أما الفصل الرابع (طقس الموت) فأوردت مراحلها منذ لحظة النزاع الأخير وانتقال المحتضر ما بين عالم الأحياء وعالم الأموات إلى لحظة إعلان الوفاة فغسل الميت وتكفينه ثم خروج النعش، والصلاة عليه ثم دفنه باتجاه معين وتلقينه ما سيقول استعداداً لبعث جديد، وذكرت تقديم القرابين للميت والحرص على سقايته، ثم تشاؤم الأحياء منه وخوفهم من أذاه، وفي كل هذا أوردت الطقوس الحديثة متزامنة مع وجودها في الأدب الشعبي ثم قارنتها مع الطقوس القديمة، وقد توصلت إلى استنتاجات كثيرة تؤكد أن إنسان اليوم ما يزال يمارس طقوساً قديمة تمتد إلى مئات الآلاف من السنين، وأن الإنسان الحديث في جزء كبير من لا شعوره يعود إلى بداياته ونموذجه الأول.

المقدمة

تتناول هذه الدراسة الطقوس والمعتقدات الاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله. وتأتي أهمية هذه الدراسة كون الشعب الفلسطيني في الحاضر يقف على أعتاب مرحلة هامة، احتل فيها ما يُسمى بـ (الدي-جي)، وهو الآلات الموسيقية الحديثة محل الغناء الشعبي التراثي الجماهيري، وأخذت فيه الملابس الحديثة والأطعمة السريعة مكان الثوب المطرز والأطعمة التقليدية، حيث يندر اليوم أن نجدَ صبية صغيرة ترتدي الزيَّ المطرز الذي يُعد تقليداً متوارثاً، رغم أهميته التي تكشفها لنا هذه الدراسة.

من هنا نكاد نلمس تلك الفجوة الآخذة في الاتساع يوماً بعد يوم، بين ما هو قديم يعمق أصالتنا وما هو حديث يجردنا منها.

إن فلسطين حالة خاصة، فتراثها الشعبي هو هويتها، ولهذا استحوذت بجدارة أن تكون أرضاً مقدسة، وهي التي تضم قبور عديد من الأنبياء والرسل، لهذا فهي تتعرض الآن، ومنذ زمن بعيد لعملية سلبٍ واغتصاب يقوم بها الاحتلال وفق أسلوب ممنهج ومنظم، غرضه تزييف الحقائق، واذكر هنا تلك القصة التي سمعتها في قرية عين قينيا عن أحد الصهاينة المحتلين، الذي كان يأتي إلى حقول القمح الذهبية هو وعائلته ليلتقط فيها بعض الصور وبأوضاع مختلفة، لينشرها في اليوم التالي ضمن تقارير صحفية تتحدث عن حبه لأرضه وعمله.

إنهم في سباق مع الزمن لاغتصاب الأرض والسماء والهواء والهوية؛ حتى إذا أردنا أن نستيقظ لا نجد شيئاً لنا.

إن هذه الدراسة لا تبحث عن أحقية من كان أولاً في هذه الأرض، فهذا جدال يطول الحديث فيه ضمن آراء متناقضة وأدلة لكلا الطرفين.

ولكنها تحاول الإجابة عن سؤال محدد يقول من أين أتت هذه الطقوس التي لا تمت للدين الإسلامي والمسيحي واليهودي بصلة؟ هذه الطقوس التي ما نزال نمارسها ونتمسك بها دون وعي أو إدراك في كثير من الأحيان.

أعرض في هذه الدراسة لحضارتنا التي لم نكتشفها بعد ولا أعني بهذا حضارة ما بعد الإسلام، بل حضارة ما قبله عندما كنا أيضاً أمة عريقة تضرب جذورها في عمق التاريخ بل بداياته.

لذا يقف الإنسان مشدوهاً أمام تلك المرأة التي ما تزال تكشف عن صدرها وتصد على سطح منزلها تطلب من الخالق المساعدة ولا تعرف لماذا تفعل ذلك.

وننظر إلى المرأة العاقر التي تلجأ لكافة الأساليب السحرية - التي كانت منذ كان الإنسان يعيش على هذه الأرض - دون وعي أو إدراك منها أيضاً.

ثم نجد الطفل الصغير لا يزال يلتقط قطعة الخبز عن الأرض وقد تعلم من أهله، فيقبلها ثم يضعها على جبينه في حركة لا إرادية وكأنها القرآن الكريم.

وقد نجد كذلك الجدة تغني طلاسماً تتحدث فيها مع الماء وهي تحمم حفيدها، دون وعي منها بهذه الطلاسماً.

ولأن هذه الطقوس بدأت تختفي من تراثنا بفعل موت الأجداد، لتظهر عند محتلين الذين يعكفون منذ زمن على دراسة الأساليب التي تجعلنا نصيغ ماضيها وحاضرنا؛ لأن أحداً منا لم يقف حتى الآن على حجم هذه القضية، مع علمنا بمقدرة هذا الاحتلال الرهيب، وقد نجدهم في مدينة رام الله يحاولون شراء الألحان الفلسطينية التراثية، ليزوروا الكلام بكلامهم، فتبدو هذه الألحان وكأنها لهم، إنهم يسيطرون على كافة الصعد، ونحن لا نزال نراوح مكاننا، ليس أمامنا طريقة أو أفق لما يمكن أن تؤول إليه الأمور، فكيف لنا بأفق لحظتها؟

لقد حاولت جاهدة جمع ما يمكن من الطقوس الاجتماعية والأدب الشعبي في محافظة رام الله، وهي كثيرة بحيث يصعب الإحاطة بها جميعها، وقد اخترت هذه المحافظة لأنها تزخر بهذه الطقوس حتى الآن لسبب غفل عنه الاحتلال ولم يكن بحسبانها، نحن نعلم أن أهل هذه المحافظة معظمهم مغتربون ويحملون جنسيات أجنبية.

إلا أن هذا المغترب عندما سافر - وهو ربما الجد الآن - ظل يتحدث في الغربة بلهجته (الفلاحية) الأصلية مع أبنائه ثم أحفاده، اللهجة الفلسطينية الأولى نفسها، وعندما عاد للوطن كان أبنائه وأحفاده يحفظونها كما كانت (أصلية)، رغم تحولها في الوطن نفسه، كما حافظ أيضاً على نظرتهم الأولى، التي غادر بها، لأرضه وللعادات والتقاليد فيها، وعندما عاد أحيائها هي ذاتها التي كانت قد توقفت عند لحظة مغادرته.

لذا نجد الشبان الصغار يتحدثون بلهجة الأجداد في دير دبوان وسردا وعين يبرود، ويحملون كثيراً من الكلمات التي لولاهم لاندثرت منذ زمن، فنجد "عالية" ذات الأربعة والعشرين ربيعاً، والتي جاءت مع والدها من أمريكا تعرف كل مسميات الوقاه والشطوة والملابس الفلاحية المطرزة؛ حتى إنها تردد هذا المثل: (مثل البصل و الكشك⁽¹⁾) بلهجتها البيراوية المميزة، والتي تتفخر بها وتحضن في خزانها مجموعة من الثياب المطرزة التي تستخدمها في المناسبات العامة.

كما أن مدينة رام الله مهد أولى الحضارات القديمة تشهد على ذلك قرية شقبا التي تحوي آثار الحضارة النطوفية⁽²⁾ القديمة.

وحتى أقف على مدى حضور هذه الطقوس في محافظة رام الله، قسمتها إلى أربع مناطق شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، واستخدمت البحث الميداني، وجمعت هذه الطقوس وما يصحبها من ألوان الأدب الشعبي، وحرصت على أن تكون مشافهة من أفواه الناس، بعد أن قرأت نقداً وُجه لعالم الآثار والعلوم الإنسانية المشهور جيمس فريزر صاحب كتاب الغصن الذهبي، مفاده (أنه كان عليه أن يجمع ما أورده في كتبه شفاهة من أفواه الناس وكان عليه أن ينزل إليهم لا أن يأخذ من مصادر مطبوعة)⁽³⁾ وهذا مع علمي بمكانة هذا العالم الرفيعة.

ولكي أجذر هذه الطقوس قرأت عدداً من الكتب التي تتناول الأساطير القديمة، وقد اعتمدت في ذلك نصوصاً أدبية شعبية فلسطينية ونصوصاً قديمة أسطورية، واتبعت بهذا المنهج الأسطوري ولم أكن أتوصل لما توصلت إليه إلا باستخدامي للمنهج التحليلي في إمطة اللثام عن هذه الجذور القابعة بأمان في عمق التاريخ البشري.

وقبيل البدء بالبحث كان لدي مجموعة من الأهداف أهمها:

إغفال الجدل حول أولوية وجود الفلسطينيين أم اليهود على هذه الأرض والاكتفاء بالدلائل الواضحة التي تُظهر ذلك، فهذه الطاحونة التي نجدها في البيوت حتى اليوم وفي الجمعيات

(1) الكشك: هو لَبَن مُجَمَّد لمدة طويلة جداً، يستخدم في العديد من الأكلات الفلسطينية الشعبية المشهورة، خاصة المنسف.

(2) الثقافة النطوفية: نسبة إلى (وادي النطوف) شمال غربي القدس في كهف اسمه الشقية، 12000-8000 ق.م. انظر: الماجدي، خزعل، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين، ط1، 1997، ص63.

(3) فريزر، جيمس، الفلكلور في العهد القديم، ترجمة نبيلة غبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص17.

التراثية، والتي هي علامة مميزة تمثل الفلسطينيين تعود للعصور الحجرية الأولى إلى جذور أبعد بكثير مما يتم النقاش حوله، إلى جذور تضرب في عمق التاريخ الإنساني. ولكن هذا لا يكفي، فعلينا إعلام الأجيال القادمة عن أصول الطاحونة، ولماذا نستخدمها؟ وقد كانت في تلك العصور القديمة البدائية تعني الخصب والحياة عندما تعمل، والموت والدمار عندما تصمت، ومما لا يدع مجالاً للشك في هذا الكلام ما تقوم به اليوم عشتار الفلسطينية من نواح وبكاء على شهدائها فوق الطاحونة ذاتها التي ناحت عليها عشتار الأولى عندما كانت تقدم أبناءها قرابين لآلهة الخصب كي تدور الطاحونة من جديد؟

وقد تكون هذا البحث من تمهيدٍ وأربعة فُصول:

تناولت في التمهيد مصطلح الطقس وبحثت في معناه ودلالاته في المعاجم العربية والإنجليزية، كما ذهبت إلى معاجم علم الاجتماع، وعلم الأرصاد، ثم تلمست علاقة الطقس بالطسق لأجد بينهما علاقة واضحة لأن كل منهما يعني دفع ضريبة بشكل ما مقابل شيء معين، وبعد ذلك حددت علاقة الطقس بالدين والأسطورة والمعتقد، والمأثور الشعبي، ثم قسمت الطقوس إلى ثلاثة أنواع هي: السحرية، والدينية الروتينية والدورية الكبرى ثم أدرجتها ضمن مجال أوسع يحتويها، ويضم مراحل العبور الثلاثة في دورة وجود الإنسان هي طقس الميلاد وطقس الزواج وطقس الموت.

الفصل الأول، طقس ما قبل الولادة، ارتأيت أن أجعله طقساً منفرداً؛ لكونه يندرج ولا يندرج في طقوس الميلاد والزواج فهو يأتي قبل الميلاد وبعد الزواج، وقد اتبعت في هذا الفصل وباقي الفصول منهجاً يوازن بين الحديث والقديم فكنت أذكر الطقس حديثاً ثم أعود لجذوره الأسطورية القديمة.

في هذا الفصل تناولت بداية علاقة المرأة بالعقم في الموروث الشعبي فبينت أهمية الإنجاب عند الفلسطينيين وفي الأساطير القديمة، ثم وصلت إلى لجوء المرأة للأساليب العلمية كافة والقابلات والسحرة والمشعوذين كي تحمل، وبينت خلال ذلك الطقوس التي تمارسها (الداية) القابلة لعلاج المرأة من العقم، ثم بينت بعد ذلك الطقوس السحرية التي تلجأ لها المرأة إذا فشلت القابلة.

ثم انتقلت بعد ذلك لطقس الحمل، ومكانة الحامل حديثاً وقديماً، ومدة الحمل، وطرق الكشف عن جنس الجنين، وتحدثت عن القرينة التي تلاحق المرأة الحامل لإجهاضها ثم طرق التخلص منها، ومن أذاها، واستخدام الأساليب السحرية كالتعاويذ والأحجية والتمويه لذلك.

أما الفصل الثاني، فصل الولادة، فقد تناولت فيه عسر الولادة ومهاجمة القرينة للمرأة ساعة الولادة، ثم استخدام المرأة الطقوس السحرية العديدة لتبعد عنها شر القرينة، انتقلت بعد ذلك للحديث عن الطقوس المصاحبة لعملية الولادة، كالحديث عن غرفة الولادة حديثاً وقديماً، والمرافقين لهذه العملية، ثم تحدثت عن لحظة الولادة والتكهن بجنس الجنين القادم من الحبل السري، ثم طرق التخلص من هذا الحبل، ومن مخلفات عملية الولادة، وبعد ذلك تطرقت لموضوع تفضيل الذكر على الأنثى، ودعت ذلك بأمثال شعبية كثيرة، ثم تدرجت بعد ذلك من لحظة وصول الطفل ووضعه في صينية القش إلى حمّامه بالماء المقدس، ثم تملّحه ودهنه بزيت الزيتون، وأهمية ذلك حديثاً وقديماً، وبعد ذلك انتقلت لطقس تكحيل الطفل وتسميته، وتناولت بعد ذلك طقس العين الحاسدة وأهمية الرقية والتعاويذ والأحجية والخرز والملح والبخور والفأس والمفتاح للتخلص منها، وبعد ذلك انتقلت إلى طقس قص الشعر، والتسنين، وطقس المشي، وطقس الخوفة، ثم بينت بعد ذلك أهمية الخبز والبيض في المعتقدات الشعبية وجورها الأسطورية، وانتقلت إلى طقس العقيقة، ثم طقس الختان، وقد ربطت كل هذه الطقوس بأصولها القديمة ومثيلاتها في الأساطير القديمة.

أما الفصل الثالث، وهو فصل الزواج، فتناولت فيه أهمية الزواج والإنجاب من خلال الأمثال الشعبية ومقارباتها في الأساطير السومرية والبابلية، وتحدثت عن سن الزواج ومواصفات عروس المستقبل، وبعض الطرق السحرية للتخلص من العنوسة، ومراسم الزواج من بدايتها كالطلبة والإعلان الرسمي لها وقراءة الفاتحة وكتب الكتاب (الإملاك)، والاتفاق على المهر والذهب، وأمور أخرى، كخاتم الذبلة، وحلقة الحياة، ومراسم الخطبة والكسوة التي تتضمن صندوق العروس، وتحدثت عن طلعة العروس والزفة وطقس حمام العريس والزفة ورش الشعير والملح وتوزيع (ملبس بيض الحمام)، ثم طقوس المشاعل والذبح في أيام السهرات والعرس، ووقفت على زينة العروس وكحلّتها ووشمها وملابسها يومي الحنة والعرس، ثم انتقلت

بعد ذلك لطقس زفة العروس والعريس على ظهور الخيل أو في (التكسي)، يتبع ذلك طقس العجينة أمام منزل العريس ورش الماء، ثم رفع الطرحة وليلة الدخلة وفكاك الكندرة وفض البكارة وأخيراً طقسي النفاس والرضاعة.

أما الفصل الأخير، فكان عن الموت مرحلة العبور الأخيرة، تناولت فيه فكرة الموت عند القدماء والمحدثين، وقد عرضت طقوساً متلاحقة تبدأ من طقس الاحتضار ثم طقس بعث الرسائل للموتى، وطقس زفة الموتى للميت القادم من بعيد، ثم انتقلت لطقس إعلان الوفاة وطقس البكاء والنواح والرقص الجنائزي، وطرق التعبير عن الحزن والحداد، وقد قدمت أغاني تضمنت ندب الرجل والمرأة والطفل والقتيل والغريب، ثم انتقلت بعد ذلك لطقس الدفن واتجاهه وطقس التلقين ثم وضع الشاهد على القبر، وتقديم القرايين للموتى، ثم طقس الأربعين ووقفت أخيراً على طقوس الشؤم من الميت، وطقس كسر الفخار خلفه وطقس الطاحونة والنواح قربه. ورصدت في الخاتمة النتائج التي توصلت إليها، وركزت فيها على أهمية هذه الطقوس، وضرورة تجذيرها والعودة بها إلى منابعها الأولى لتأصيل وجود أصحابها على هذه الأرض.

تمهید

الطقس في اللغة

يجد الباحث في قواميس اللغة وغيرها، أن هذه الكلمة تبدو بشكلين، أحدهما بمعنى الجذر طسق، وهذا ما يوجد في معاجم اللغة القديمة، والآخر بمعنى طقس، وغالباً ما نجده في القواميس والمعاجم اللغوية الحديثة.

أما الطَّسَقُ: فهو عند بطرس البستاني في "محيط المحيط"، بالفتح، يلحنه البغاددة فيكسرون، وهو مكيال، أو ما يوضع من الخراج على الجربان، أو شبه ضريبة معلومة، وكأنه مولّد، أو معرّب⁽¹⁾.

وقد كرر هذا التفسير الفيروزآبادي في "القاموس المحيط"⁽²⁾، وجاء هذا التفسير في "لسان العرب"⁽³⁾ لابن منظور الذي ذهب إلى أنه فارسي، وقال: كتب عمر إلى عثمان بن حنيف في رجلين من أهل الذمة أسلما: إرفع الجزية عن رؤوسهما، وخذ الطسق من أراضيها، وفي التهذيب، الطسق شبه الخراج، له مقدار معلوم، وليس بعربي خالص، والطسق: مكيال معروف. أما الطَّقسُ، عند الجوهري في صحاحه حالة الجو من ضغط وحرارة ورطوبة ورياح وتساقط، ودرجة سطوع الشمس في يوم أو أيام قليلة⁽⁴⁾.

ونجده في "المعجم الوسيط"، بمعنى النظام أو الترتيب⁽⁵⁾، وتكرر هذا في "القاموس المحيط" للفيروزآبادي⁽⁶⁾، وجاء عند البستاني في قاموسه "محيط المحيط"، أنه عند النصاري يطلق على شعائر الديانة واحتفالاتها، وهو معرب لكلمة "تكسيس" باليونانية، ومعناها نظام وترتيب، والجمع طقوس، والطقساء، والطقيسة مكان صغير خارج دار الحريم، يُستقبل فيه الأضياف⁽⁷⁾.

(1) البستاني، بطرس المعلم، **محيط المحيط**، مطبعة تبيويرس، لبنان، ط2، 1987، ص258.

(2) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، دار الجليل، لبنان، ج3، ص267. مادة طَّسَقَ.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994، ص225.

(4) الجوهري، **الصاحح في اللغة والعلوم**، تحقيق نديم مرعشلي، دار النقاش، بيروت، ط1، ص675، مادة طقس.

(5) أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط2، ص587.

(6) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج3، ص256.

(7) البستاني، **محيط المحيط**، ص553.

والطقس في اللغة الإنجليزية (ritual) بمعنى شعائر⁽¹⁾، ولربما تشابهت كلمة طقس مع (tax) في الإنجليزية وهي بمعنى: فرض ضريبة، أو تقاضي ضريبة⁽²⁾.

أما مصطلح الطقوس الدينية (Liturgy)⁽³⁾، فله في الكنائس الغربية، الكاثوليكية والبروتستانتية معنيان: الأول كل ما تفرضه الكنيسة من طقوس العبادة الجماعية، والفردية عدا الصلوات الشخصية التي يقوم بها المتعبد من تلقاء نفسه، والثاني: القداس الذي يعتبر أهم الطقوس الدينية التي يشترك فيها الكاهن والمصلون.

العلاقة بين طَسَقَ وطقَسَ

يبدو للوهلة الأولى أن هناك اختلافاً واضحاً بين المعنيين، ولربما يقول الباحث شتان بين هذا وذاك، ولكن المتأمل يجد أن المعنيين يلتقيان في أنهما نوعٌ من الضريبة أو الفرض، لقاء مقابل معين، فالطسُق نوع من الضريبة كما مر معنا لقاء الحماية وتقديم بعض الخدمات كالجزية. والطقس نوع من الممارسة المفروضة أيضاً لقاء الحماية العليا، فالإنسان يمارس الطقس بحذافيره خوفاً من غضب الآلهة، و كسب محبتها، ومحاولة استرضائها. لذا فكلا المعنيين يجمع نوعاً من التقديم والدفع، مقابل مطلب محدد هو الحماية، بحيث يكون المقدم أو المضحي أضعف من المقدم له، أو المضحي إليه بشكل بيّن واضح.

ولعل المقدم له في حالة طسُق واضح فهو الدولة، أما في حالة طقس فهو غير واضح لأنه غيبي خفي.

الطقس والدين

يعرف فراس السواح الدين: بأنه التعبير الجمعي عن الخبرة الدينية الفردية، وقد تم ترشيدها في قالب فكرية وطقسية وأدبية ثابتة⁽⁴⁾.

ويرتكز الدين على ثلاث مقومات رئيسية هي: الأسطورة، والطقس، والمعتقد، "والتي لا نستطيع التعرف على الظاهرة الدينية في تديدها المجتمعي، بدون التعرف عليها مجتمعة ومتعاونة"⁽⁵⁾.

(1) كرامي، حسان، المغني الأكبر، مطبعة لبنان، بيروت، ط1، 1988، ص1167.

(2) المرجع السابق، ص1435.

(3) وهبة، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984، ص237.

(4) السواح، فراس، دين الإنسان، دار علاء، دمشق، ط1، 1994، ص43.

(5) المرجع السابق، ص69.

جهد الإنسان منذ القدم في كشف حقيقة الكون، وفي التعرف على تفاصيل البدايات، فحاول السيطرة على الطبيعة من حوله، وكان هدفه في كل مرحلة مر بها إخضاعها لرغباته، لكنه فشل في ذلك، وكانت الطبيعة تتمرد عليه في كثير من حالاتها، فكان لا بد أن يؤمن "بوجود قوى خارقة تقف وراء المظاهر المتبدية لهذا العالم، قوى إلهية، معارضة له، فعالة فيه، ولا بد أن يكون الكون تدياً مادياً لتلك الطاقات الإلهية، ومظهراً لفعاليتها وقواها المستمرة، وبذلك ابتدأت مرحلة جديدة تتميز بالتقرب لتلك القوى، واجتذاب عطفها، ومحاولة تفهم رغائبها، وآلية فعلها وشروطه. فظهر الدين، وتطور بشقيه: الشق الأول: اعتقاديّ يستخدم الأسطورة أداة للمعرفة، والكشف والفهم، والثاني: طقسي، يستهدف استرضاء الآلهة، والتعبد لها⁽¹⁾.

فهناك أولاً، التفكير في القوى البدائية (الأسطورة) والاعتقاد بقوى عليا (المعتقد)، ثم محاولة استرضائها بشكل التعبد والممارسة (الطقس).

أولاً: المكون الأول (الأسطورة)

(ليست الأسطورة من الكلمات المستحدثة في اللغة العربية، والمضامين التي استوعبتها هذه الكلمة في الاستخدامات الحديثة، تستند إلى مضامينها القديمة، تفيدنا المعاجم العربية، بأن كلمة اساطير قد جاءت من السطر، وهو الخط والكتابة، وجمعه أسطار، وجمع الجمع أساطير، ونعثر على أول استخ

ام للكلمة في القرآن الكريم، حيث جاءت في قوله تعالى "وقالوا أساطير الأولين، اكتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلاً"⁽²⁾⁽³⁾.

واشتقاق كلمة "أسطورة" في العربية يقارب اشتقاقها في اللغات الأوروبية، فكلمة Myth في الإنجليزية والفرنسية وغيرها مشتقة من الأصل اليوناني Muthas وتعني قصة أو حكاية⁽⁴⁾. "والأساطير في الواقع، علم قديم، إنه أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية"⁽⁵⁾.

(1) السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، مطابع العجلوني، دمشق، ط10، 1993، ص11.

(2) سورة الفرقان، آية5.

(3) السواح، فراس، دين الإنسان، ص56.

(4) المرجع السابق، ص56.

(5) زكي، أحمد كمال، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، ص44.

"وتتحول الأسطورة إلى دين، أو يتم امتصاصها من خلال السيطرة الدينية المثالية"⁽¹⁾. والأسطورة، معتقد إنساني متكامل بمضامينه وأشكاله البدائية الساذجة، نقلت المجتمع المشاعي فيما قبل التاريخ، تدريجياً وضمن عناصر تكاملها الاعتقادي من ظاهرة السكون الموعلة في القدم إلى عدة ظواهر نشطة جديدة، هي أيضاً خاضعة لتفسيرات ذلك القدم التاريخي⁽²⁾. وهكذا نجد أن الأسطورة وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضيف على تجربته طابعاً تركيبياً، وأن يخلع على حقائق الحياة العادية معنى فلسفياً، ويمكن القول إن الأسطورة عملية إخراج لدوافع داخلية بشكل موضوعي⁽³⁾.

ويعتقد أن الأساطير قصص حقيقية تدرس وقائع وأحداث حصلت بالفعل في يوم من الأيام الماضية، وما زالت هناك شعوب كثيرة من سائر أنحاء العالم تذكر هذه الأساطير، وتؤمن بها. أما الغرض من هذه الأساطير فهو حماية الإنسان من دوافع القلق والخوف، "فهي استجابة للنوازع الداخلية التي يعيشها الإنسان نتيجة إحساسه بالخوف، ورغبته في التعرف على الحقيقية المؤكدة"⁽⁴⁾.

"وينبع سلطان الأسطورة وسطوتها على النفس، حتى في دولة العلم العالمية التي نعيشها اليوم، ذلك أن الأسطورة تعطينا الإحساس بالوحدة بين المنظور والغيبي، بين الحي والجامد، بين الإنسان وبقية مظاهر الحياة"⁽⁵⁾.

ثانياً: المكون الثاني (الطقس)

أحاطت بالإنسان البدائي مظاهر كونية كثيرة لم يستطع تفسيرها، فعزاها إلى الآلهة بوصفها المصدر الأول لهذه الظواهر الكونية والمنظم لها.

وتساءل الإنسان البدائي عن مصدر المطر والبرق والرعد والنباتات وغيرها من المظاهر الطبيعية، فكان لا بد له أن يربط وجود هذه الأشياء بالقوى الغيبية، التي آمن بسيطرتها عليها،

(1) انظر: خان، محمد عبد المعيد، الأساطير العربية قبل الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937، ص3.
(2) فرانكفورت، هـ، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، منشورات دار مكتبة الحياة، بغداد، ط4، 1960، ص14.

(3) إبراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، ص21.

(4) ابن حمادي، صالح، دراسات في الأساطير، المعتقدات الغيبية، بوسلامة للطبع، تونس، ط1983، ص5، 10.

(5) السواح، فراس، الأسطورة والمعنى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1997، ص21.

ورأى أنه من الأفضل له استرضاء هذه الآلهة، وأن يكون في صلح دائم معها، كي يأمن غدرها، عن طريق العبادة والتضحية.

ومن هنا نشأت الطقوس الدينية التي كان الإنسان يحييها في مواسم معينة، والأسطورة بمعناها المحدد وصف لهذه الطقوس، أو هي الحكاية التي ترتبط بها⁽¹⁾.

والطقس: "هو الحالة الانفعالية التي تصاحب الأسطورة حيث تولد الخبرة الدينية المباشرة حالة انفعالية، قد تصل في شدتها حداً يستدعي القيام بسلوك ما، من أجل إعادة التوازن إلى النفس والجسد، اللذين عبرت التجربة عن حالتها الاعتيادية، ولعل الإيقاع الموسيقي والرقص الحر كانا أول أشكال هذا السلوك الاندفاعي الذي تحول تدريجياً إلى طقس مقنن، وبترافق تقنين الطقس وتنظيمه في أطر محددة ثابتة مع تنظيم التجربة الدينية وضبتها في معتقدات واضحة يؤمن بها الجميع، ويرون فيها تعبيراً عن تجاربهم الفردية والخاصة وبذلك يتحول الطقس من أداء فردي حر إلى جمعي ذي قواعد وأصول مرسومة بدقة⁽²⁾.

وقد يقوم الطقس الحر الفردي جنباً إلى جنب مع الطقس الجمعي المنظم، وقد كانت الصلاة في المعابد وإنشاد التراتيل، أبرز مظاهر الطقس المنظم قديماً، وبشكل عام يمكن القول بأن أية صورة ذهنية لا تخرج من عالم الفكر إلى عالم الفعل، هي صورة معرضة للتحجر أو التلاشي والزوال"⁽³⁾.

"وتعتمد الأسطورة في جانبها إلى خلق نظامها الخاص، وهو نظام قواه الآلهة والقوة الماورائية، وقد كانت في المجتمعات القديمة والتقليدية تلعب نفس الدور الذي تلعبه الميتافيزيقيا في الثقافات المتطورة التي أعلنت من شأن الفلسفة"⁽⁴⁾، وهو يعبر عن هذا الإحساس بطريقتين: "الأولى سلوكية تتبدى بالطقس، والثانية ذهنية تتبدى بالأسطورة"⁽⁵⁾.

وبالرغم من ارتباط الطقس بالأسطورة، فإننا نجد أن كلاً منهما يقوم بمعزل عن الآخر، فهناك طقوس تمارس دون مرجعية مثولوجية، وهناك أساطير دون طقوس، لكن هذا لا ينفي وجود

(1) إبراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 21.

(2) السواح، دين الإحسان، ص 53.

(3) المرجع السابق، ص 54.

(4) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 21.

(5) المرجع السابق، ص 147.

أساطير نشأت من أنواع من الطقوس، ووجود طقوس نشأت عن أساطير، ويعبر الكلام في الطقس عن الفكرة كما يعبر السلوك والحركة عن الصورة الذهنية التي تنشأ أثناء التفكير.⁽¹⁾ ويرى دوركهائم⁽²⁾ "ضرورة وضع معايير للتمييز بين ما هو مقدس، وما هو دنيوي، في معتقدات الجماعة وممارساتها، وبين المجردات والغيبيات، وأنه يجب العزل الدائم بينهما ومنع اختلاطهما، ومع ذلك فإن العبور بين العالمين مستطاع وممكن، ويتم ذلك بنوع من الطقوس التي تسمى في الانثربولوجيا طقوس العبور أو الطقوس الإدخالية، والتي يمتزج فيها المقدس بالدنيوي"⁽³⁾.

ثالثاً: المكون الثالث (المعتقد)

"يعرف المعتقد بأنه أول أشكال التعبيرات الجمعية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني، ويبدو أن توصل الخبرة الدينية إلى تكوين معتقد هو حاجة سيكولوجية ماسة، لأن المعتقد هو الذي يعطي للخبرة الدينية شكلها المعقول، الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها"⁽⁴⁾. وتحدث هناك فترة صراع بين ما يراه الفرد غيبياً صعب التفسير، فيصنّفه في عقله على أنه قدسي، خارج حدود السيطرة وبين ما يثيره هذا المقدس من انفعالات تُحاول التأمل والتفسير والكشف والتوصل إلى حقائق معينة، إلى حين يتولد عن هذا المخاض ما يدعى بالمعتقد الذي تشترك الجماعة في صياغته، وهو محاولة دمج أو تصالح الداخل الإنسانية مع الخارج المقدس بالإحساسات والانفعالات، وهنا يتم فرز موضوعات معينة، أو خلق شخصيات وقوى معنوية، تستقطب الإحساس بالمقدس، وتجذب به إلى خارج النفس وبذلك تتكون الصيغ الأولية للمعتقدات، وتدلّف إلى ذلك الهيكل السامق الذي ندعوه الدين⁽⁵⁾. والمعتقد الديني شأن جمعي بالضرورة، وهو يوضح العلاقة والصلة بين عالم المقدسات، وعالم الإنسان الدنيوي المادي، ويرسم صوراً ذهنية لعالم المقدسات والذهنيات والأفكار التي غالباً ما تصاغ في شكل

(1) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 146.

(2) إميل دوركهائم، فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي 1858-1917، السواح، دين الإنسان، ص 25.

(3) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 146.

(4) السواح، دين الإنسان، ص 47.

(5) المرجع السابق، ص 48.

صلوات وتراتيل⁽¹⁾.

الطقس والأسطورة:

في مطلع القرن العشرين نشأت نظرية الأصل الطقسي للأسطورة، ساهم فيها عدد من الباحثين المهتمين بعلم الانثربولوجيا الحديث، وقد ظهرت بذور هذه النظرية لأول مرة في كتاب دين الساميين عام 1899 لمؤلفه روبرت سميث، ثم قامت مجموعة من الباحثين بعد ذلك تسمى جماعة كامبرج بتطوير هذه النظرية، ودراسة الأسطورة على أساسها، وترى هذه النظرية أن الأسطورة هي ناتج من نواتج الطقس، فالطقوس المؤسسة منذ زمن مخرقة في القدم، تفقد بمرور الأيام معناها، وغايتها، وتتحول إلى إجراءات غامضة لا يعرف ممارسوها والقيمون عليها مدلولاتها ومضامينها، وهنا تأتي الأسطورة لكي توضح أصل الطقس ومعناه، وتقدم تفسيراً مقنعاً لتلك الإجراءات التي تناقلتها الأجيال⁽²⁾.

"وسواء كان الطقس أولاً أم الأسطورة، فإن كليهما ناتج عن إحساسات داخلية بدائية بوجود عالم غيبي، أدى إلى ظهور مظاهر بدائية لفكرة تكون الكون، مما جعل الإنسان البدائي يحاول استكشاف هذا العالم الماورائي الغامض، وتفسيره"⁽³⁾.

الطقس والمعتقد:

استناداً إلى ما تقدم يقول السواح: "إن الطقس ليس فقط نظاماً من الإيماءات التي تترجم إلى الخارج ما نشعر به من إيمان داخلي، بل هو أيضاً مجموعة من الأسباب والوسائل التي تعيد خلق الإيمان بشكل دوري، ذلك أن الطقس والمعتقد يتبادلان الاعتماد على بعضهما بعضاً، فرغم أن الطقس يأتي كناتج لمعتقد معين فيعمل على خدمته، إلا أن الطقس نفسه ما يلبث حتى يعود إلى التأثير على المعتقد فيزيد من قوته وتماسكه"⁽⁴⁾.

ويمكن القول: إن الدين من أعقد المظاهر التي ترتبط بحياة الإنسان، بوعيه وفكره وأحاسيسه. "إن الإحساس الديني هو الذي يُنتج المعتقد، وإن الطقوس الدينية تقوم على المعتقد، الذي يعطيها

(1) السواح، دين الإنسان، ص49.

(2) السواح، الأسطورة والمعنى، ص145.

(3) المرجع السابق، ص146.

(4) المرجع السابق، ص55.

المعنى والدلالة، والأساطير تُنتج من أجل توضيح المعتقد وترسيخه⁽¹⁾. هي إذن حلقة متصلة ينتج بعضها بعضاً، ولا تكون مترابطة إلا إذا اتصلت وتداخلت وامتزجت.

الطقس في المعتقد والمأثور الشعبي:

المعتقد الشعبي ظاهرة اجتماعية تنتج من تفاعل الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية، وتصوراتهم حول الحياة والوجود، وقوى الطبيعة المخيفة، والمسيطرة أو المتحكمة في تسيير الحياة الكونية لأسباب عديدة أهمها: التراكم الاجتماعي للعادات والتقاليد والأفكار، فيصبح المعتقد ذا قوة أمره قاهرة، فهو يأمر في حالة الإيجاب، ويقهر في حالة السلب⁽²⁾.

"يختلط مفهوم المعتقد الشعبي بمفهومه الأسطوري، بحيث لا يمكن دراسة المأثور الشعبي بمعزل عن جذوره ودلالاته، ولا يسمى المعتقد شعبياً إلا إذا ارتبط بأصله الأسطوري أو الميثولوجي. وتدل صفة الشعبية على المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي، والعالم فوق الطبيعي"⁽³⁾.

وأكثر العناصر الاعتقادية الشعبية انتشاراً في الماضي وفي الحاضر، في العالم القديم والعالم الحديث عند الشعوب البدائية أو الحضارية المتقدمة، أسلوب التكهن بالمستقبل ومحاولة استطلاع الغيب.

ويتوسل الإنسان إلى القوى العليا عن طريق الصلاة، كما يسترضيها بالقرابين والأضاحي، ويتوسل إليها بالنذور والحج والزيارة، ويستعين بها للحصول على البركة، ولتحقيق أغراض من العمليات السحرية التي يمارسها، ويعرف التراث السحري آلاف الصيغ والدعوات لكف القوى الشريرة أو استرضاء القوى الخيرة، واستعدادها على الشر.

وتستخدم الأحجار، والنباتات والحيوانات والنجوم والأشكال والصور والكلمات والتراتيل والأفعال، في هذا الصدد للتأثير فوق الطبيعي، على تلك القوى فوق الطبيعية، وإخضاعها لإرادة

(1) السواح، الأسطورة والمعنى، ص111.

(2) الباش، حسن السهلي، محمد توفيق، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، دار الجليل، ط1، ص6.

(3) الجوهري، محمد، الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط3، 1993، ص49.

الإنسان، أو انتقاء شرها⁽¹⁾. وتتطلب كل هذه الأمور طقوساً معينة ترافقها في كل مراحلها وتتزامن معها.

أهمية دراسة الطقوس في المعتقد والمأثور الشعبي:

اهتم الأوروبيون بهذه المسألة وأفردوا لها كتباً ومقالات قيمة، نشرت في صحف مختصة ومتفردة⁽²⁾.

"تأخذ أهمية دراسة المعتقد والطقس على المستوى الحضاري في أبعاد كثيرة، ويرتبط الأمر هنا بالموروثات الدينية وبما خلفته حضارات الشعوب ودياناتها وثقافتها وأساطيرها، وما يتداخل معها من صراعات تراثية في المنطقة بين العرب واليهود، الذين يحاولون بكل الوسائل نسب كل ثقافة رسمية أو دينية أو شعبية إلى التوراة"⁽³⁾.

يمكن جمع المعتقدات والطقوس الشعبية والاجتماعية من خلال الأدب الشعبي الذي يعرف أيضاً باسم الفلكلور⁽⁴⁾، أو الأدب الشفاهي، وذكرونا توفيق زياد بأهمية ذلك نتيجة خطر الضياع الذي يتهدد دائماً الكنوز الفلكلورية مع مرور الوقت، فيقول: "إن مرور الزمن الذي هو مصدر قوة وثراء لفلكلورنا هو في نفس الوقت، العدو اللدود، ولكن هذا الخطر يمكن قهره والقضاء عليه، وذلك عن طريق جمع وتسجيل الأدب الشعبي، وهذا هو الطريق الوحيد للمحافظة على عدد هائل من الكنوز الفلكلورية، حتى لا تضيع كما ضاع غيرها"⁽⁵⁾.

ويلاحظ أن المعتقدات الشعبية تتغلغل في جوانب الحياة الشعبية، المادي منها والروحي، فالمعتقدات هي المحرك وراء كل الطقوس والممارسات الاجتماعية التي يقوم بها الفرد سواء أكان منفرداً، أم مع جماعة، ويمكننا تعريف الأدب الشعبي "بأنه مجمل الفنون القولية التلقائية، وهذه الفنون هي على رأس قائمة فروع التراث، ونقلت هذه الفنون بلهجة دراجة من جيل لجيل،

(1) الجوهري، محمد، علم الفلكلور، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1988، ص64.

(2) الباش، المعتقدات الشعبية، ص12.

(3) المرجع السابق، ص12.

(4) يعود أصل الكلمة إلى عام 1846 عندما بعث د. وليم جون برسالة إلى صحيفة بريطانية لتخصص مساحة فيها، لتسجيل الملاحظات التي ترد حول العادات والمعتقدات التي ما زالت حية موجودة في بريطانيا، والفلكلور هو العلم الذي يدرس التراث الروحي اللامادي للشعب وخاصة التراث الشفاهي. انظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص7.

وانظر: العنتيل، فوزي، الفلكلور ما هو؟ المطبعة العربية الحديثة، ط1، القاهرة، 1977، ص3، 33.

(5) زياد، توفيق، صور من الأدب الشعبي، مطبعة (أبو رحمون)، الناصرة، ط1، 1994، ص12.

وهي تعبير عن تفاعل الإنسان مع الطبيعة والإنسان، والأدب الشعبي بهذا المفهوم "عبارة عن تنويع لخبرات الإنسان ومعارفه وأحاسيسه ومشاعره"⁽¹⁾. والمعتقد قوة، والإيمان بقوة هذا المعتقد قوة لها تأثيرها في تحول التصور الفردي إلى جماعي، وقد يؤثر المعتقد بشكل كبير في العلاقات الاجتماعية الفردية والجماعية"⁽²⁾.

ويقوم الطقس بدور مميز في صراعنا مع الاحتلال الإسرائيلي على مستوى الصراع التراثي فيحاول الصهاينة، وما يزالون، نسب كل شيء في تراثنا إليهم، وهم يدعون أن تراث المنطقة كله يعود إلى تراثهم التوراتي، ويحاولون جاهدين جعل التصورات الدينية والأسطورية والاعتقادية تبدو وكأنها تنبع من التوراة، فينسبون إليهم كل اكتشاف تم أو يتم في الوطن العربي، والطقس الذي هو جزء من هذا التراث، والذي يصل الأمة العربية بجذور عميقة تضرب في عمق التاريخ، يصل بجذوره إلى ما قبل العبرانيين على ساحة الوجود، ولذلك يحاول الإدعاء الصهيوني خلق هوة تقطع حاضرتنا بماضيها، وتكون فاصلة بين ما في هذا الماضي وحاضره، مما يشكل خطراً داهماً يهدد جذورنا الحضارية ويزرع كياننا الأصيل"⁽³⁾.

من ناحية أخرى يجد الباحث صلة قوية بين الطقس والمعتقد وطبيعة الأرض التي توحى بكثير من المعتقدات حيث يتناسب المعتقد على الدوام مع طبيعة الأرض، والبيئة الجغرافية والتاريخية، لذلك يحاول الصهاينة فك هذا الرباط من خلال إرجاعهم المعتقدات الشعبية بطقوسها إلى التراث التوراتي القديم، وقد حاولوا مراراً تزيف الحقائق تزيفاً قوياً، لكن إدعاءاتهم لا تصمد أمام حقائق أثبتتها أبحاث مستشرقين، وباحثين عرب آخرين، أثبتت زيف هذه الإدعاءات وبطلانها، ودعمت حقائق أخرى، تصل الماضي العربي بالحاضر"⁽⁴⁾.

ويلعب المعتقد والطقس دورهما النفسي في حياة كل إنسان، يبرز هذا من خلال السلوك الاجتماعي، حيث توجد المعتقدات الشعبية خبيئة في صدور الناس، وهي لا تلقن من الآخرين ولكنها "تختنم وتتشكل بصعوبة مبالغ فيها، أو مخفية، يلعب الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعاً

(1) نمر، عمر، الملحة الشعبية الفلسطينية، نابلس، منشورات الدار الوطنية للطباعة، نابلس، 2000، ص20.

(2) الباش، المعتقدات الشعبية، ص17.

(3) المرجع السابق، ص14.

(4) المرجع السابق، ص15.

خاصاً، وهي مع تمكنها في أعماق النفس الإنسانية، موجودة في كل مكان، سواء عند الريفيين أو الحضر، عند غير المثقفين، كما عند الذين بلغوا مراتب عالية من العلم والثقافة وصاروا يخضعون في حياتهم وفكرهم للأسلوب العلمي⁽¹⁾.

أنواع الطقوس:

يمكن تقسيم الممارسات الطقسية في ثقافة الشرق القديم إلى ثلاث زمر رئيسية هي:

(1) الطقوس السحرية.

(2) الطقوس الدينية الروتينية.

(3) الطقوس الدورية⁽²⁾.

وهي تتدرج في إطار طقوس كبرى تلخص حياة الإنسان هي:

(1) طقوس الميلاد.

(2) طقوس الزواج.

(3) طقوس الموت.

سنتوسع في الحديث عنها ودراستها في الصفحات القادمة.

(1) الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، ص50.

(2) السواح، الأسطورة والمعنى، ص130.

الفصل الأول

طقوس ما قبل الولادة

ما قبل الولادة

المرأة والعقم في الموروث الشعبي:

ينظر الفلسطينيون للعقم باعتباره مرضاً وابتلاء من الله، وهم يؤمنون أن لكل داء دواء، كما جاء في القرآن الكريم⁽¹⁾، لكنهم في أحيان كثيرة أخرى يفسرونه على أنه عقاب من الله و(لعنة سماوية)⁽²⁾ للبشر، وتتعدد القصص التي تدور حول هذا، حتى إن الباحث يكاد يجد في كل قرية قصة شائعة، ومعظم هذه القصص يدور حول الأولياء وقصاص الله من الذين يحاولون إيذاء أهل المقامات أو الاعتداء على ممتلكاتهم، ففي قرية اللين الغربي⁽³⁾، تحدثنا ليلي⁽⁴⁾، "كانوا الناس ولَّيُوم يَروا في الليل زلْمة شيخ ولبس دِشداشة"⁽⁵⁾ بيطة قاعد على الطريق لوحده، وبيقولوا إنه هذا الشيخ (مجاهد) ومقامه على فوق الجبل، في عنده شجرة سريّس وتُنبّعة، ومَرّه إجو ناس على الشجرة وقرطوها⁽⁶⁾، وماتوا جميعهم مَظْلُش إلا واحد وما خَلَف (لم ينجب) اسمهم (دار اعمر) كلهم ماتوا". وتحدثنا الحاجة زينب من عين يبرود⁽⁷⁾ "عند الولي (عبد الله) في بلوطة مسموح توكلي واتروحي (بس)⁽⁸⁾، أما توخدي معك فحالا بتنبّين، كانوا الحرائثن ايخبو العدة عند الولي بيقولوا محمية - الله بحميها - في واحد بيكره الثاني، قال: أروح أسرق الشرعة"⁽⁹⁾

(1) "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين". سورة الإسراء آية 82

(2) انظر كنعان، توفيق، *الكتابات الفلكلورية*، ترجمة موسى علوش، دار علوش للنشر، بيرزيت، ط1، 1998، ص170-172.

(3) اللين الغربي، قرية تقع غربي رام الله.

(4) مقابلة شخصية، ليلي جميل عبد الرحمن، اللين الغربي، 52 سنة. 2007/1/6.

(5) الدشداشة: من الأزياء الفلسطينية عبارة عن ثوب طويل فضفاض غالباً ما يكون أبيض.

(6) قرطوها: قرط، قطع. انظر: المنجد، ص620. تنتشر فكرة تقديس الأشجار في فلسطين بشكل واسع وسوف نتطرق لهذا الموضوع أثناء الدراسة.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة، 2007/7/29. عين يبرود: قرية تقع شمال شرق مدينة رام الله، عدد سكانها 5000 نسمة أكثرهم مغتربون www.moktobblog.com

(8) بس: عامية: فقط.

(9) الشرعة: من أدوات الحرائث، وهي قطعة تؤخذ من جلد العجل بعد ذبحه توضع في الماء لعدة أيام، ثم تنظف وتجفف، يربط أحد أطرافها بالسكة والطرف الآخر بريقة الحيوان الذي يقوم بالحرائث، وهي تعود للسحر الاتصالي الذي كان معروفاً عند الشعوب القديمة البدائية. أنظر: الماجدي، خزعل، *بخور الآلهة، الأهلوية للنشر والتوزيع*، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص40-42.

تَبَعْتَهُ⁽¹⁾، حَطَّ يَدُهُ تَبَطُّولَ الشَّرْعَةِ فَوَقَّعَتْ يَدُهُ، صار يسحب في يده ويقول لا إله إلا الله، أنا صرت اعتقد بالولي".

"مرة واحد نَشَرَ شَجَرَةَ الْوَلِيِّ، وَقَطَعَهَا حَطَبٌ، اللهُ حَطَّ الْعَقَمَ فِي مَرَّتِهِ وَمَخْلَقَتِشِ وَالْبَغْلَةَ مَاتَتْ وَصَارُوا النَّاسُ يَقُولُوهَ هَذَا لِأَنَّكَ عَمِلْتَ هَيْكَ اللهُ جَازَاكَ، رَاخُ رَجَعَ الْحَطَبُ وَحَطَّ مَصَارِي لِلْأَوَاقِفِ (قَدْ مَا أَيْجُوزُ وَلَدْ) عَشَانُ يَتَسَامَحُ وَهَيَّهْ خَلْفُ وَ شَرَى دَارَ فِي بَلَدْنَا بُنُصْ مَلِيُونٌ". وفي قرية سنجل تخبرنا الحاجة جديّة⁽²⁾: "رَحْمَةُ عَيْسَى رَاخُ أَيْصِيدُ شُنَّارِهِ بِتَقَاقِي عَلَى وَلِيِّ بِيقُولُوهَ الشَّيْخُ عُمَرُ غَرَبَهُ، قَالَتْ لَهُ عَمَّتَهُ وَين رَايِحْ، قَالَتْهَا: "قُلْتُ لَأَمِي تُطْبُخُ فُولَ اخْطَرُ وَهَيَّي رَايِحْ، بِدِّي أَشُوفُ هَالشُّنَّارَةَ الَّتِي بِتَقَاقِي، مَا طَاخَ اللَّهُ دَبَّ الْبَارُودِ فِي بَطْنِهِ، وَزَمَّوهُ عَلَى الْمُسْتَشْفَى قَعْدَ أُسْبُوعٍ وَمَاتَ أُمُّهُ مَلْهَاشْ غَيْرَهُ — انْقَطَعَ خَلْفُهُمْ — وَقَالَ وَهُوَ يَمُوتُ وَكَانَ نَابِغَةً:

"قُمْتُ مِنْ دِيرَتِي وَأَصْبَحْتُ عُمَرَايَ

وَاطْلَعْتُ اصْطَادَ الْحَجَلِ عَنْ الشَّيْخِ عُمَرَايَ

وَقَرَبْتُ مِنْيَتِي وَقَصَرَ عُمَرَايَ

وَدَبَ الْبَارُودُ فِي قَلْبِي أَنَا"

وتكمل الحاجة ما سمعتيش المثل اللي بيقول: "جَمِدُ الْحَصِينِي عَلَى قُطْفِ الْعَنِيبِ".

ولا يزال الفلسطينيون يقولون عند الشتم: (الله يلعنك، ويلعن اللي خلفك)، (يا الله قطيعه توخذ أهلك ما اتخلي حدا)⁽³⁾.

طقوس المرأة العاقر:

يضع الفلسطينيون اللوم الأول على المرأة في عدم الإنجاب، ورغم تقدم الطب والعلم إلا أن الرجل ما زال يرفض الذهاب للفحص، ونادراً ما يقتنع بضرورته.

وتعاني المرأة الفلسطينية (خاصة في القرى) كثيراً عند تأخر الإنجاب، وتلاحقها النظرات والهمسات أينما حلت، وتنقسم النساء إلى قسمين في هذا الموضوع، الأول: يتعاطف معها، فيقال

(1) تبعته: أي التابعة له، التابع والتابعة: الشيء سار في أثره. المنجد، ص 59.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة جبر حنون عصفور، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(3) انظر: كنعان، توفيق، الكتابات الفلكلورية، ص 130-131.

لها في أي مناسبة تشارك فيها: (الله يعوض (يَعَوِظُ)⁽¹⁾ عليك)، (الله يطعمك) (الله لا يَضَيِّعُكَ (تَعَبُ) (إنشالله بنردّه عليكي في عَوَظْكَ)، (إنشالله بتحبلي وبتعمري دارك ودار جوزك)⁽²⁾، وتهتم القريبات، كالأُم والعمة والخالة بالدعاء لها، وخصوصاً في مناسبات وأوقات لها قدسية، أو كرامة خاصة، مثل ليالي رمضان، وليلة القدر، وليلتي الأضحى والفطر، وليلة الوقوف على جبل عرفات "الوقفه الكبيرة" ومن هذه الأدعية: "يا ربي وانت ربي إنك تطعم خديجة الصبي. يا ربي إنك تعوظ على خديجة وتعطيها اللي في خاطرها. انخاك (اترجاك) يا سيدي فلان كراماتك إنها خديجة تحبل، والله يَعَوِظُ عليها"⁽³⁾.

وقد يكون الدعاء نذراً من إحدى القريبات، كما في هذه الأغنية:⁽⁴⁾

"طيحي ارقصي يا بنية بيظه يم اعيون السود

من عوظ الله عليكي اذبيحه للنبي داوود

طيحي ارقصي يا بنية بيظه يم اعيون ملاح

من عوظ الله عليكي اذبيحه للنبي جراح"⁽⁵⁾.

وقد تشارك المرأة في الأعياد الدينية، وتستدعي كما تخبرنا الحاجة تمام⁽⁶⁾ من بيت دقو⁽⁷⁾:

"يزوروا في القدس يقولوا بده يطلع السوادي يوخذوا رايات بيظه، وبعدين ايزفوا من

باب الصخرة وحتى ستنا مريم، واتصير الوحدة تستدعي الله يَعَوِظُ عليها، واتروح على النبي

موسى ما اتخلي ولي إلا ما تروح عليه. واللي الله عَوَظَ عليها اتقول:

يا نبي موسى جيتك ابنيّة واليوم هيوتته الولد ع ايديه

(1) في القرى تَقْلِبُ الـ (ض) إلى (ظ) يعوظ بدل يعوض.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم يونس، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) كناعنه، شريف وآخرين، **الإيجاب والطفولة**، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، ط1، 1984، ص80.

(4) مقابلة شخصية الحاجة إنشراح لطفي قاسم، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/8.

(5) النبي جراح: نسبة إلى الشيخ جراح، قرية مقدسية فلسطينية تتبع محافظة القدس وهي في الجانب الشرقي للمدينة، وقد أخذ حي الشيخ جراح اسمه من الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي، طبيب صلاح الدين الأيوبي. انظر: عراف، د. شكري، **طبقات الأنبياء والأولياء والصالحين في الأرض المقدسة**، مطبعة إخوان مخول، ترشيحة، ج2، ط1، 1993، ص564.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة تمام حسن، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/6.

(7) بيت دقو: تقع شمال غرب القدس عدد سكانها الموجودين 2000 نسمة والمغتربون 500 نسمة. اتصال هاتفي، مع علي سرحان سليمان جرار، المجلس القروي، 79 سنة.

يا نبي صالح وجينا انزورك هَي الحَمام مَهدي عَ اصْدورك.

وقد تغني الأم في خلوتها عن ابنتها التي لا تتجب، هذه الترويدة:

يا حين الصبايا واردة الواد	يا حين عليّا تمشي بلا اولاد
يا حين الصبايا واردة العين	يا حين عليّا تمشي بلا بنين
يا حين الصبايا واردة الميّه	يا حين عليّا تمشي بلا ذُرِيّة ⁽¹⁾ .

ثانياً: قسم يقوم باللوم والهزاء والسخرية والتفريع، وإيذاء المشاعر عند حدوث أية مشادة، فقد تُعيرها حماتها فتقول لها: الشجرة بلا ثمرة قطعها حلال⁽²⁾، وقد تُلَمِّح لها سلفتها (التي خَلَفَتْ) بأن زوجها لا بد أن يتزوج عليها فتقول لها: (الضرة مرة، ولو كانت ذان جره)⁽³⁾. وتكثر الأمثال الشعبية في هذا المجال فيقال عن كَيْد النساء والضرة: (كيد النساء بالنساء، ولا تكيدهن بالعصا)⁽⁴⁾، و(الضرة اتغور ولو كانت في أقصور)⁽⁵⁾، و(ابن الضرة مالوش مَسَرَّة)⁽⁶⁾، وأكثر ما يهدد المرأة أن يتزوج زوجها⁽⁷⁾، ويقول المثل (اللي بيوكل العُصي مشِ مِثلُ اللي بيعدها، واللي إيده في الميه مشِ مِثلُ اللي إيده في النار)⁽⁸⁾، (ولي جوزها معها بيدور الفلّك بإصبعها)⁽⁹⁾، لذا فهي تلجأ لكل الوسائل، بدءاً بعدد كبير من الأطباء، ثم (الدايات) القابلات ف (الصُّلاح) الأولياء وإذا (لم يبقَ في حيلتها حيلة)⁽¹⁰⁾، كما يقول المثل فهي تلجأ للسحرة والمشعوذين والفتّاحات، ولعدد كبير من

(1) كناعنة، شريف، الإحجاب والطفولة، ص35-36.

(2) المرجع السابق، ص36، شبهت المرأة قديماً بالشجرة، وكانت عبادتها أقدم عقيدة دينية في آسيا. انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1، م1، القاهرة، ط3، 1965، ص104.

(3) خلف: الولد، الذرية، المنجد، ص192.

(4) كناعنة، الإحجاب والطفولة، ص36.

(5) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، دار الجبل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ط1، 1998، ص187.

(6) المرجع السابق، ص147.

(7) تعدد الزوجات، وجد منذ أقدم الحضارات، أنظر: ديورانت، قصة الحضارة ج1، ص70-71.

(8) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص64.

(9) المرجع السابق، ص164.

(10) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، ص70.

الطقوس سنأتي على ذكرها جميعها في الصفحات القادمة. قبل ذلك نتذكر معاً أقدم نص جاء على ذكر المرأة العاقر، في الأنوما إيليش أسطورة خلق الإنسان السومرية 4500 ق.م⁽¹⁾. "قبعد أن أخذ الكون شكله واستقرت السماء في موضعها وكذلك الأرض، وكل شيء أصبح في مكانه. جاءت الآلهة (الأنوناكي)⁽²⁾ بعد الجهد الذي بذلته في تنظيم الكون، تشتكي للإله إنكي⁽³⁾ وتطلب منه أن يخلق لهم من يحمل عبء العمل، ويقوم على خدمتهم. فكان أن خلق عدة نماذج جاءت جميعها تعاني من الضعف أو المرض من بينها المرأة العاقر"⁽⁴⁾. تعتمد الفلسفة الدينية في الطب السومري على مسألة أساسية مهمة، وهي أن سبب نشوء الأمراض ومن بينها العقم إنما هو غضب إلهي يحل على الإنسان بسبب خطأ ارتكبه، ولذلك كانت الآلهة تأمر بإحلال لعنة المرض ولعنة العقم عليه⁽⁵⁾.

طقس طبق الرحم عند الدايات في قرى محافظة رام الله:

تلجأ المرأة للداية بعد تردها على الأطباء، وتقول الحاجة زينب⁽⁶⁾: "اليوم بتخطّ الوحدة حجر⁽⁷⁾ مصاري للدكتور تتعالج بدون فايده" وهكذا فكّنة ليلي⁽⁸⁾ التي تبلغ من العمر أربعاً وعشرين سنة لم تحمل إلا بعد أن طبقت لها ظهرها وعدلت لها رحمها الداية (أم صبحي اللي من رافات)⁽⁹⁾. وتخبّرنا الحاجة سبعة⁽¹⁰⁾، وهي داية معروفة من قرية بيت ريما⁽¹¹⁾ (بعد ما تتجوز المرة بتتعوّق

(1) أنظر: مظهر، سليمان، قصة الديانات، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، ط 2، 2002، ص 58-62.

(2) الأنوناكي: مجمع الآلهة التي في السماء والأرض، أنظر: الماجدي، أنجيل سومر، ص 113.

(3) إنكي: إله السماء الذي حل مكان أبيه (آن)، وإله الحكمة السومري.

(4) أنظر: السواح، فراس، الأسطورة والمعنى، ص 110-112.

(5) الماجدي، بخور الآلهة، ص 143-144.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة زينب شحادة ازحاق، 69 سنة. 2007/7/29.

(7) كناية عن مبلغ كبير من المال.

(8) مقابلة شخصية، ليلي جميل عبد الرحمن، اللين الغربي، 52 سنة. 2007/1/6.

(9) أم صبحي: داية معروفة جداً من بلدة رافات غربي رام الله، وما تزال تمارس عملها حتى اليوم.

(10) مقابلة شخصية، الحاجة سبعة طه (قابلة)، بيت ريما 84 سنة، 2007/8/2. ما تزال تعطي نصائح حتى اليوم.

(11) بيت ريما: قرية تقع إلى الشمال الغربي من مدينة رام الله، تبعد مسافة 27 كيلومتراً عدد سكانها الموجودين حالياً 4500 نسمة، والمغتربون 4000 نسمة، مساحتها 35000 دونم. اتصال هاتفي مع مدير العلاقات العامة في مجلس قروي بني زيد، السيد موسى ارحيمة.

إما بتكون إم الولاد جاية في قُرْنَة بطنها أو أشياء أخرى، بَحْضِر زيت ومية سُخْنَه، وَبَعَجِن عَجينة، بَرَقْها مثل اللبن⁽¹⁾ وَبَحْطْها أول شيء بين حد الطَّلِق والمَخْرَق⁽²⁾، بين العُقْدَتين على العمود الفَقْرِي على ثلاث أيام بَعْدِين على بُطْنْها، بَمَلَّسْها من عند السُرَّة بدور من اليمين إلى اليسار، بَظَلْ أَمَلَّس وَبَحْطَلَّها ثلاث مَرْتَبانات على ثلاث أيام، كل يوم سِتَّة مرتبانات على الظهر وثلاثة على البطن وبقول:

"يا الله يا سيادي"

يا سيادي يا سياد دار الراي⁽³⁾

خَلِّي هَلْمَرَة تَحْمِلْ

وَبْتِجِي من الله، وَبْتَحْمِلْ"

وتخبرنا الداية فاطمة⁽⁴⁾، من قرية اللّبن الغربي، "كانت إمي داية اتملّس الظهر، وأنا اتعلمت منها، كانت اتجيب بَقْلولة⁽⁵⁾ صغيرة، واتحط نار وعجينة⁽⁶⁾ واتطبق ظهر الوحدة واتحط إصبعها على السُرَّة وتَنَقَّر، إذا مَلْيُوْحه⁽⁷⁾ مَبْتَنَقَّرْش بتكون إم الولاد على الجَنَبْ فبتيجي بتملّسها وبتردها مكانها."

كان المصريون القدماء يعتقدون أن أعضاء الحوض عائمة متجولة في التجويف الباطني، وقد ترتب على هذا الاعتقاد حرصهم على إعادة الرحم إلى مكانه الطبيعي ومساعدته، وقد وصفوا سقوط الرحم وعالجوه⁽⁸⁾، وكانت القابلة (ساب-آسي) أي العارف بأمر الرحم، هي التي ظلت منفردة بهذا الاختصاص، ثم شاركتها الآسية الطبية في العمل، ولا شك في أن هذه التخصصات

(1) اللبن، وهو ما يعرف بالعلكة، أو اللين في بعض القرى، gum بالإنجليزية.

(2) حد الطلق: المنطقة في أسفل الظهر، والمخرق في نهاية أسفل الظهر وهي منطقة رقيقة جداً سريعة التأثر، وإذا لمست بشدة تُخْدَش.

(3) المقصود بسيادي: الأولياء وهم من عائلة الراي في قرية دير غسانة ولجدهم مقام يسمى "المجذوب" في جبل غرب القرية.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، قرية اللّبن الغربي، 67 سنة. 2007/1/11.

(5) بقْلولة: عامية بمعنى فخارة صغيرة.

(6) العجينة: لها دور يعود إلى أصل الكون وخلق الإنسان في الأساطير سنتحدث عنه في طقس العبور الثاني الزواج.

(7) مليوْحه: بعيدة عن مكانها، مما يجعل مكانها فجوة (فراغ).

(8) انظر: غليونجي، بول، الطب عند قدماء المصريين، مؤسسة المعارف للنشر، بيروت، ط2، ص154. وانظر:

غربال، محمد شفيق وآخرين، تاريخ الحضارة المصرية، مكتبة النهضة المصرية، م1، القاهرة، ص555.

الدقيقة اتضحت أكثر ومورست في الفترة الآشورية (ألفي سنة قبل الميلاد)، وقد أطلق البابليون على هذا النوع من الأمراض (الأمراض النسائية وأمراض الولادة)⁽¹⁾.

طقس علاج التهابات الرحم:

تقوم الداية بفحص المرأة، فإذا تبين أن التهابات الرحم تعوقها عن الحمل فإنها تقوم بما يلي:

1. عمل (لبوس الثومة)، وهي عبارة عن تحاميل مهبلية مكونة من الثوم المدقوق.
 2. بعد أن تعالج الالتهابات تعمل لها ما يسمى (بالهبوة)، وهي عبارة عن تعريض جسم المرأة وبخاصة الأعضاء التناسلية إلى البخار الخالص أحياناً، أو إلى بخار ناتج عن غلي أنواع معينة من النباتات⁽²⁾.
- وتخبرنا الحاجة فاطمة⁽³⁾، من قرية أبو قش⁽⁴⁾، "كانت الداية ولليوم بتوصف للمرة المعوقة تحاميل ثومة، أنا تَعَوَّقت قبل ما خَلَفْتُ ابني البكر محمد، وَرُحْتُ على الداية واعطتني تحاميل ثومه وبقدرة الله ظَلَيْت حامل"

طقس بيت النار لعلاج الالتهابات:

تخبرنا عبير⁽⁵⁾ "في قرية الجديرة والقرى التي حولها تذهب الفتاة قبل زواجها إلى حمام في القدس القديمة، وتجلس على (بلاطة بيت النار)، (أنا رحت وكل خواتي) يقولوا هذا يَشِيل الرطوبة والبرودة من الجسم، وهذه عادة متبعة في ضواحي القدس".

وتؤكد لنا على هذه العادة رشا⁽⁶⁾ من بيت لقياً⁽⁷⁾ "في بلدتنا تذهب الفتيات قبل الزواج إلى حَمَام القدس للجلوس على بلاطة بيت النار وهي عبارة عن هبوة، وتبخير للفتاة وعملية تحضير لها للزواج، كي تسهل عليه الحمل بعد ذلك".

(1) أنظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص 163-164.

(2) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 66-82.

(3) مقابلة شخصية، فاطمة محيسن، أبو قش 77 سنة. 2007/1/20.

(4) أبو قش: تقع شمال رام الله، تبعد 7 كيلومترات، عدد سكانها 1600 وعدد المغتربين 1500 مساحتها 4500 دونم، اتصال هاتفي مع خليفة محمد قاد رئيس مجلس قرية أبو قش.

(5) مقابلة شخصية، عبير علي قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/8.

(6) مقابلة شخصية، رشا مفارجة، بيت لقياً، 23 سنة. 2007/8/5.

(7) بيت لقياً: تقع غرب مدينة رام الله عدد سكانها 8500 نسمة، والمغتربون 2000 نسمة مساحتها 14000 دونم، فيها داية تسمى جديه مصطفى لا تزال موجودة. اتصال هاتفي مع خالد بدر، 33 سنة، من أعضاء المجلس القروي.

أما الداية سبعية⁽¹⁾ أم إبراهيم فتقول: "إجاني ناس (امعّين)⁽²⁾ الطب والدوا، كنت أحملهن تحاميل، وأعملهن هَبْوة تُطْرُد البرودة منهن، ولما اتروح الوحدة تتحمم بميه سُخنه وتتام مع جوزها وتحمل ليلتها".

كان للزواج المبكر، والولادات المتكررة في سن حديثة، والأعمال المرهقة التي تقوم بها المرأة قبل الولادة، وكذلك الإشراف على هذه الولادات بواسطة القابلات، كل هذا أسهم في مضاعفة عدد الأمراض التي كانت تصيب المرأة في مصر القديمة.

وصف المصريون لعلاج التهابات الرحم، أنواعاً مختلفة من اللبوس، وتبخيرات مهبلية بالشمع والغائط المجفف والترينتين، كما وصفوا الحقن المهبلية بعصير بعض النباتات كالشوم، لعلاج انتفاخ عنق الرحم، أما المرض الذي سموه تآكل الرحم -قد يكون السرطان- فكان علاجه موضعياً، حيث وجدت آلات تشبه القرن المجوف على شكل منقرة أو منقار الطير، وقيل إنها كانت تستعمل للحقن المهبلية والشرجية⁽³⁾.

دور الأولياء وأصحاب الكرامات في الطب الشعبي:

تنتشر مقامات الأولياء والصالحين في معظم أنحاء فلسطين، ولا تخلو قرية من ولي أو شيخ أو ما يسمى بالصُّلاح أو العُمّار، ويقسم الأولياء إلى قسمين الأحمدى: أقرب إلى الله والأعجمي أقرب إلى العفاريت⁽⁴⁾.

يؤمن الفلسطينيون بالله الواحد الأحد، وهم يقولون (الله واحد مالمو ثاني) كما أن هناك اعتقاداً شائعاً بأن الطيور تُوحّد ربّها من خلال تغريدها، ويقال إن بعض أنواع الحمام يكرر باستمرار وهو يشدو (وحدوا ربكم). وهم يقولون أيضاً (الشكوى لغير الله مذلة) ويؤمنون بالقضاء والقدر فيقال: (عند التقادير راحت التدابير، وعمر أعطيني والبحر ارميني، المكتوب ما منه مهروب، رمح صايبك إن تورابت ما يخطيك، وما بيحي الفنا لا لى عمرو دنا)⁽⁵⁾، إلا أنهم يؤمنون

(1) مقابلة شخصية، سبعية طه، بيت ريماء، 84 سنة. 2007/8/2.

(2) امعّين: أي جربوا كل أنواع العلاج.

(3) انظر: غربال، محمد شفيق، تاريخ الحضارة المصرية، ص155. وانظر: غليونجي، بول، الطب عند قدماء المصريين، ص 157-158.

(4) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص224.

(5) المرجع السابق، ص221.

بالأولياء كوسطاء بينهم وبين الله، لذا فهم يلجأون إليهم في كثير من المناسبات، ويعتقدون أن لهم خوارق ومعجزات، ولا يختلف المقام عن المسجد في القدسية كونه بيت الله على الأرض إلا أن بعض المقامات أنثوية بأسماء سيدات جليات. ولا تكاد تخلو قرية من قصص الأولياء ومعجزاتهم، ويكون التقرب إليهم واسترضائهم بالوفاء بالنذور التي أخذها الناس على عاتقهم. تقول الحاجة تمام⁽¹⁾ من بيت دقو "شايقة الحمام اللي على السطح عندي أنا بمنع الولاد يصيبوا الحمامة المَعْشُشَة، ما يصيبوهاش لأنها بتظل اتقول (أذكروا ربكم)، حرام إنه حدا يصيبها". وتحكي لنا الحاجة سميحة⁽²⁾، "مرّة اختي مريم راحت على ساعد واسعيد⁽³⁾ ألّمت الورق اللي تحت الشجرة اليابس⁽⁴⁾، وجابتهم وزبلت الطبون، في نفس الليلة ما شافت حالها إلا انحشرت في جواه، وتروح من هناك يكون امسيّج، قالت: نذرني علي يا سيدي ساعد واسعيد افتح لي اطلع، ولا أطبخ طبخة لوجه الله، والله قالت ما شفت إلا هو الباب انفتح وظليت طالع وطبخت ووزعتها الصبح".

طقس الوقوف أمام الولي والنطق بالتعاويذ والنذور:

"تقف الواحدة، إلّي ما خلّفت أمام المقام وتقول: "يا سيدي وأنا ناخيك وانت تتخي جدودك، يا سيدي الشيخ ياسين إنك تعطيني واظويك بسراج وفتيلة"⁽⁵⁾.
 "لما أوجهت على سيدي أبو العنين-عليه نور وبخور- قلت تراني مطنّب عليك يا سيدي يابو العنين وكرامتك عند الله قوية، واقبل مني يا سيدي يابو العنين، أنا جاي مطنّب عليك وانت اطنّب على الله"⁽⁶⁾.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام حسن، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/6.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، اللين الغربي، 56 سنة. 2007/1/6.

(3) ساعد واسعيد: اسم ولي له مقام عبارة عن غرفة صغيرة ما يزال يضاء بالشموع ويكنس وينظف، ويوضع فيه زيت للمارة، موجود في اللين الغربي.

(4) يابس: ببس، كان رطباً مجففاً، المنجد، ص 923.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2007/1/16.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة صفية أم وجيه، عين قينيا، 84 سنة. 2007/1/17.

اتروح الوحدة واتقول: "يا سيدي شبان أنا متوكل عليك إنك اتخليني أحبل، والله يعوِّظ علي وأحبل، وأجيبك خلعة⁽¹⁾ وأذبح ذبيحه عندك وأعزم كل القرايب، والخلعة شققة قماش خظرا ايتلبسوها إلو⁽²⁾ للمقام (زي القبر) كان يجي عليه خلع كثير، كنا نظويه بشمع نروح الصبح نظويه وكل يوم خميس، ويوم جمعة كانوا يجيبوا الذبايح ويطبخوا ويوكلوا عنده"⁽³⁾.

"ربي يشهد علي إذا أنا بخلف، إلا غير ألبس الشيخ عبد الله، وإذا الله بطعمني الخلعة الصالحة إلا أروح أصلي في الصخرة والحرم... وإذا الله أعطاها الوحده، تعمل النذر.. اتكنس الولي وتلبسه خلعه واتروح تطوي، هانظا لما تنقل⁽⁴⁾ واتظل تطويه على حد⁽⁵⁾ ما نذرت⁽⁶⁾.

أنواع النذور:

1. طعام نباتي: أنواع من الطبخات كالمجدرة، والمفروكة، والتمر.
 2. ملابس: خلعة خضراء أو بيضاء لكسوة المكان، حصير وبسط.
 3. زيت زيتون للأكل وزيت زيتون للسراج.
 4. شموع.
 5. ذبائح (قرايب).
- "كان المرض والعقم قديماً لعنات الآلهة، لكن الآلهة لا تقوم بنفسها بإحداث المرض، بل تأمر به، وتسخر كائنات العالم الأسفل للقيام به، وكان الشفاء كذلك يحدث بأمر يصدر عن الآلهة العليا الكبيرة، وكان كائن والمعزم يقوم بدور الوساطة بين المريض والآلهة، ويتعهد نيابة عن المريض أنه سيقوم بوجباته نحو الآلهة كما يجب، ويتم ذلك بالصلاة والقرايب والأدعية في المعابد"⁽⁷⁾.

(1) الخلعة: عامية، وهي الخلعة بالفصحى: ما تخلعه من الثياب، ويقال: خلع عليه خلعة: أي ألبسه إياها. أنظر: مصطفى، إبراهيم وآخرين، المعجم الوسيط، مطبعة مصر، ج1، ط1، 1960، ص250.

(2) إلو أو إله: أي له.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية محمد صرصور، البيرة، 86 سنة. 2008/1/9.

(4) تنقل: أي تحمل.

(5) لحد أو قد: أي بقدر بحسب.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة زينب شحادة، عين بيروت، 69 سنة. 2008/7/29.

(7) انظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص143، 144، 233.

"ولا يزال شعار الطب الذي وضعه السومريون، والمتمثل بثعبانين يلتقان على عصا منذ أواسط القرن الثالث قبل الميلاد هو نفسه شعار الطب في العصر الحديث، حيث تكون الحية ملتفة على عصا، وهو الشعار الذي نجده اليوم على أبواب الصيدليات ولافتاتها، وهو في الهند لا يزال يَعْتَبَرُ (نفسه) قادراً على إعطاء الخصوبة للنساء العاقرات، والحية تشير بين ما تشير إليه، إلى الشفاء والخلود، فقد امتازت منذ أقدم الأزمنة في الأساطير السومرية والأكدية (ملحمة جلجامش)⁽¹⁾ مثلاً بقدرتها على الاحتفاظ في جسدها بقوة الشفاء، فهي رمز الإلهة الكونية الهيبولية الأم رمز الماء الأولى التي لا تنتهي فهي تضع ذيلها في فمها رمزاً للاستمرارية واللانهاية"⁽²⁾.

... كانت الأمراض غضباً إلهياً يحل على الإنسان بسبب خطأ ارتكبه أو تقصير في أداء واجباته، لذا كان عليه أن يبدأ بتطهير نفسه من جديد حتى ترضى عنه الآلهة، وكان عليه أن يفعل ما يلي:

أولاً: تطهير الجسد بالاغتسال والصلاة والأدعية⁽³⁾: وقد كانت المعابد في وادي الرافدين، المراكز الأولى التي نشأت فيها العلوم والمعارف الدينية والدينية، وكان الكهنة يمارسون الطب فيها، ويبدو أن حقيقة وجود مكان لتطبيب المرضى في المعبد ينبع من اعتقاد العراقيين القدماء بأن الآلهة كانت صاحبة القرار الأخير في شفاء المرضى، وأن التوسط عندها والتضرع إليها كان جزءاً من العلاج في نظرهم⁽⁴⁾.

ثانياً: التكفير بتقديم الأضاحي من القرابين بأنواعها الحيوانية والنباتية والنذور كطقس غسل فم الإله وكسوته، فقد كان تمثال الإله يغسل، ثم تخلع الثياب التي ارتداها في الليلة السابقة ويلبس ثياباً جديدة⁽⁵⁾.

(1) أسطورة جلجامش 2700 ق.م. انظر: السواح، فراس، ملحمة جلجامش، سومر للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1987، ص 26.

(2) الماجدي، بخور الآلهة، ص144-145. انظر: الماجدي، إنجيل سومر، ص13.

(3) المرجع السابق، ص144.

(4) المرجع السابق، ص362.

(5) سونيرون، سريج ترجمة عيسى طنوس، الكهان في مصر القديمة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1994، ص112.

ثالثاً: طرد الأرواح الشريرة باستخدام الشموع والتبخير، وتلاوة التعاويذ وعمل التمام واستخدام التماثيل والدمى في البيت والمعبد لاسترضاء الأرواح الطيبة، وقد كان التطهير يمارس بواسطة كهنة مختصين في دور العبادة⁽¹⁾.

"اتخذت المعابد في حقبة⁽²⁾ العبيد طابعاً واحداً، حيث تم تثبيت بعض مبادئ البناء، التي أصبحت تقليدية تقريباً للعمار، حيث كانت في مكان واحد يعني أن جميع البنايات الحديثة ضمت الأماكن القديمة، بحيث نحد ثلاثة أو خمسة أو سبعة معابد فوق بعضها بعضاً، ويسمى المعبد الموجود في الأعلى بالزاقورة⁽³⁾، مما أظهر طموحاً إلى تشييد معابد مرتفعة، تبرز إشادة القدماء بالأصل القديم والرغبة في تقريب المعبد للسماء حيث تسكن الآلهة⁽⁴⁾.

وكانت مثل هذه المعابد بزاقوراتها المرتفعة عند السومريين تسمى (بيت ايل) أي بيت الإله⁽⁵⁾، وقد سميت عند البابليين بـ (ايتامنتكي) ويعني هذا الاسم (أساس معبد السماء والأرض) وقد وصفت بأنها صلة الوصل بين الأرض والسماء فكانت مرتفعة جداً⁽⁶⁾.

تسمى الخطيئة بالسومرية "نك -كك" (Nig-gig) وبالأكديه "أكبو" (ikkbu) أي كبوة، وكذلك "إنزالو" النازلة، كما يستعمل المصطلح السومري كلمة (SE.BA.DA) التي ترادفها بالأكدية خطو (Khitu) وخطيتو (Khititu) وهي الخطيئة⁽⁷⁾.

والأمر الأساسي الذي يقف في وجه وقوعها هو الصلاة والتضرع إلى الآلهة، وربما الاعتراف لكي يهدأ قلب الآلهة⁽⁸⁾ يقول المتضرع:

"أيتها الآلهة، انتهاكي لأوامرك كثير وخطاياي كثيرة أيتها الآلهة، انتهاكي لأوامرك كثير، وخطاياي عظيمة، أيها الإله المعلوم، والمجهول، ذنوبي كثيرة، وخطاياي فظيعة، الآثام التي

(1) انظر: الماجدي، *بخور الآلهة*، ص 144-146.

(2) الحقبة بين 4500 ق.م إلى 3500 ق.م اطلق عليها التاريخ اسم الفترة العبيدية نسبة إلى بلدة العبيد الواقعة على بعد 85 كم من أور. انظر: دياكونوف، *تاريخ الشرق القديم*، ص 92.

(3) الزاقورة: هي المعبد العالي. انظر: الماجدي، *خزل، أديان ومعتقدات*، ص 139.

(4) دياكونوف، *تاريخ الشرق القديم*، ص 92.

(5) ديورانت، *قصة الحضارة*، ص 164.

(6) كونتينو، *الحياة اليومية في بلاد آشور*، ص 459.

(7) الماجدي، *بخور الآلهة*، ص 344.

(8) المرجع السابق، ص 344. وانظر: جورج كونتينو، *الحياة اليومية*، ص 447-448.

ارتكبتها لا أعرفها.... الشيء غير الطاهر الذي أكلته لا أعرفه، الشيء النجس الذي لمسته لا أعرفه"⁽¹⁾. وقد يقول المتضرع وهو هنا الملك "آشور بانيبال"⁽²⁾، الذي يرفع صلاته إلى الإله أدد⁽³⁾... "أيها الإله أدد... ارفع اليك صلاتي وألهج بمدحك، لأن الشر الذي يرافق خسوف القمر وعداء قوى السماء والأرض وطلائع النجس موجودة في قصري، وفي بلدي، ولأن الفتنة الشريرة والمرض النجس، وخرق قوانينك والظلم والخطيئة موجودة في جسدي ولأن شبحاً شريراً يلتصق بي"⁽⁴⁾.

وفي أسطورة إيتانا:

وهي "أسطورة الملك إيتانا الذي يُحرم من الإنجاب، فيصعد إلى السماء بمساعدة الحية، رمز الطب، والنسر ليحصل على نبات من السماء له خاصية الإخصاب، لأن امرأته كانت عاقراً، أي على دواء لعلاج العقم، وحيث بلغ السماء السابعة -لا نعرف ما الذي حصل بالضبط-، لكنه حصل على عشبة الإنجاب ويبدو أنه قد قام بفعل يرضي الآلهة عندما أنقذ النسر من وقوعه في حفرة، أي أنه كوفئ بالصحة، وهذا يعني أن الإنسان الذي يرضي الآلهة، يشفى من مرضه، أو علقته، وقد حصل إيتانا على عشبة الإنجاب من الإله عشتار"⁽⁵⁾.

الطقوس السحرية التي تلجأ لها المرأة العاقر:

تعزى العوقة⁽⁶⁾ لأسباب غيبية خارقة، خاصة إذا لم يكن عند المرأة مرض جسماني⁽⁷⁾، فتلجأ في كثير من الأحيان إلى الشيوخ الذي يعالجون بالقرآن على شكل أحجبة وغيرها، وقد تلجأ إلى السحرة والمشعوذين وإلى طقوس سحرية عديدة منها:

1- طقس إغراء الآلهة:

تذهب المرأة لأحد المقامات، فتركع أمامه أو تحت شجرة الولي، تضرع صدرها وتخرج أحد

(1) شمار، جورج بوييه، المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية، ترجمة سليم الصوصي، دار الرشد للنشر، بغداد، 1981، ص 50. وانظر: الحياة اليومية، ص 447-449.

(2) آشور بانيبال، ملك آشوري عاش في القرن السابع ق.م (668-626 ق.م).

(3) أدد: إله البرق عند الأراميين وهو حدد ومردوخ عند البابليين. انظر: الماجدي، المعتقدات الآرامية، ص 54.

(4) بوييه: المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية، ص 50-51.

(5) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 50-56.

(6) العوقة: المرأة التي تتأخر في الحمل.

(7) انظر: كناعنة، الإنجاب الطفولة، ص 73.

تديبها وكثيراً ما تجلب معها قطعة قماش كشيء من أثرها أو أثر زوجها أو حجاب⁽¹⁾، وتميمه⁽²⁾، وتقوم بربطه⁽³⁾ بأحد أغصان الشجرة، تركع تحتها، وترفع يديها طالبة حاجتها وقد تقف على رأس الجبل أو على ظهر منزلها، حيث يفضل أن يكون الوقت فجراً كي يستجاب طلبها. وما تزال الحاجة زهرة قاسم مهنا⁽⁴⁾ تقوم بهذا الطقس وتعلمه لحفيداتها. ويعتقد الفلسطينيون أن الصلاة إذا كانت في منتصف الليل، وعن ظهر بيت فإنها تحمل رأساً إلى العرش الإلهي خاصة إذا كان الشخص مكشوف الرأس، وإذا قلب ثيابه، ويحمل البعض طفلاً ويقول: بحياة هالطفل⁽⁵⁾.

تقول الحاجة أم فهد من كوبر⁽⁶⁾ "ظليت أروح على سيدي الشيخ ياسين هناك تحت الشجرة كنت أدلع أو أضرع⁽⁷⁾ صدري وأطلب من الله أن يعطيني تمنه⁽⁸⁾ أعطاني". ويؤدي هذا الطقس لأمر عديدة أخرى، ويعتقد الكثيرون أن له مفعولاً فورياً حيث لا بد أن يستجاب الدعاء، وهو يعود إلى أمور سحرية سنتحدث عنها لاحقاً.

"كانت الفتاة عند قدماء المصريين خاصة العذراء ويفضل أن تكون حديثة العهد بالحيض تقوم بطقوس مشابهة، يسمى حلب النجوم، حيث تركع كاشفة عن صدرها أو عارية تماماً بعد أن تدهن تديبها بلبن، ثم تمثل بيديها حركات حلب النجوم وكلما استدرت لبناً وهمياً، مرت بيديها على موضع أنثوتها وهي بهذا تأخذ قوى الطبيعة لتضعه في جسدها، وهي تحاول هنا التأثير على الآلهة وقوى الطبيعة لتسخيرها لما تريد"⁽⁹⁾.

ونجد في الأساطير اليابانية القديمة طقساً مشابهاً، "حيث تعتكف إلهة الشمس، فيترك النور الدنيا

(1) الحجاب، حرز يكتب فيه شيء ويلبس حماية لصاحبه، المنجد، ص118.

(2) التميمة: خرزة أو ما يشبهها توضع للوقاية من العين. المنجد، ص64.

(3) ربط خرقة في شباك أو شجرة الولي من أنواع السحر الاتصالي حيث تأخذ الخرقة مع الوقت شيئاً من قوة الولي. انظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص100.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة زهرة، قرية الجديرة، 82 سنة. 2007/1/9.

(5) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص164.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.

(7) أدلع صدري: عامية، بمعنى أخرج تديي، والضرع هو مدرّ اللبن. أنظر: المعجم الوسيط، ص541.

(8) تمنه: عامية بمعنى حتى.

(9) صالح، رشدي أحمد، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1971، ص177-178.

ويتوقف تعاقب الليل والنهار، وإذا بمئات الآلاف من الآلهة تضطرب اضطراباً عميقاً لهذه الأحداث فتجتمع في مجرى نهر السماء تتشاور فيما بينها عن أنجع الوسائل لاستدراج الإلهة من مخبئها، فيضعون طيوراً ليلية لها القدرة على الغناء الطويل (ديكة) قرب مدخل الكهف ويحملونها على الصياح ويعلقون من شجرة خيطاً⁽¹⁾ من جواهر مقدسة ومرآة وقرابين وثياب بيضاء وينشدون أجمعين شعائر رسمية غير أن الذي يثبت آخر الأمر كفاءته إنما كان رقصاً شهوانياً أرعن تؤديه الإلهة إيزانامي⁽²⁾ التي طفقت تدق الأرض بصوت عال تجذب حلمات ثدييها وتنزل ثوبها، فإذا بها بذلك تدهش الآلهة فيعجبون بما فعلت، وإذا بالإلهة الشمس وقد استأعت بفضول غير مفهوم تطل خارج الكهف حيث دفعت المرأة إلى الباب، وإذا بالإلهة التي أغوتها صورتها تخطو رويداً رويداً، وإذا بحبل يمد وراءها حيث منعت من العودة من ورائه، فكان بظهور الشمس أن عاد النور مرة أخرى إلى العالم واستأنف تعاقب الليل والنهار"⁽³⁾.

ويبدو لنا جلياً أن هناك علاقة بين طقس الكشف عن الصدر والمفاتيح لدى الأنثى وبين استجابة الدعوات للمحتاج ولربما يعود هذا الأمر لسببين الأول أن الآلهة تستجيب الدعوات بسبب الإغراء، أي تغريها مفاتيح المرأة فتستجيب لها أو أن المسألة برمتها تعود إلى أمور غيبية خارقة وعقائد سحرية قديمة جداً، تربط الأمر بالعودة إلى الحياة الكونية الأولى فعندما تتعري المرأة أو تكشف عن جزء من جسدها، فهي إنما تمثل الوضع الجنيني الأول عندما خلق الإنسان عارياً محاكياً البدايات والأصول في الوضع الهولي البدئي الأول عندما خلق العالم من البيضة الكونية الأولى⁽⁴⁾ وفي هذا ما يوحد الاتصال بين هذه الطالبة المحتاجة والكون فيسهل أمر الوصول للآلهة وبهذا التداخل بين العالم والإنسان الذي في ولادته تشابه ومحاكاة لولادة الكون تصل الدعوات بقوى سحرية حيث يسيطر الإنسان على ظواهر الطبيعة ويحقق رغباته.

(1) تشبه ما يفعله الناس اليوم عندما يربطون قطعاً من الملابس على شجرة الولي.

(2) إلهة يابانية، انظر: كريم، صموئيل نوح، أساطير العالم القديم، ترجمة د. أحمد عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ص 381.

(3) المرجع السابق، ص 380-381.

(4) انظر: السواح، الأسطورة والمعنى، ص 206.

2- طقس تقليد عملية الولادة:

تمثل المرأة نفسها وكأنها تحمل طفلاً ثم تضعه داخل ملابسها وتُخرِجُه وكأنها تقوم بعملية الولادة، "كانت الوحدة اللي ما بتخلف اتجيب شريطة تعملها زي ولد صغير واتصير اتحطها في أواعيها وكأنها حامل وبعدين اتنزله من بين إجرىها كأنها بتولد، هذا لما تشتهي الخلفة ومرات الله يحن عليها ويعطيها"⁽¹⁾.

"أنا تعوّقت تحمّلت قالن لي الختّيارات أجيب شرايط وألبسهن من أواعي ابن سلفتي، وأعملهن زي الولد، والله وكنت اتصوره زي الولد وأحطه في حُصني وأصير أزغونله زي ما بيزغون الواحد (يلطف، يداعب) لابنه، تمنه الله أطمعني"⁽²⁾.

وقديماً جداً في الأساطير الإغريقية عندما أقنع زوس⁽³⁾ زوجته الغيورة هيرا أن تتبنى هرقل دخلت الآلهة إلى التخت ثم جذبت هرقل إلى حُصنها ودفعته وجعلته يسقط على الأرض من خلال ردائها في إحياء وتقليد لعملية الولادة⁽⁴⁾.

ويبدو أن هذا الطقس يعود إلى طقوس سحرية، وهي ما يقوم به الساحر من تقليد ومحاكاة بحسب قانون التشابه بمعنى: أن الشبيه ينتج الشبيه، وهو ما يسمى بالسحر التشاكلي أو سحر المحاكاة⁽⁵⁾.

3- طقس الدعاء عند قبر (قتيل) قُتلَ ظلماً:

هناك اعتقاد شائع في قرى رام الله أن من قتل ظلماً تبقى روحه قلقه مضطربة تتوح في نفس المكان الذي قتل فيه، ومن الجدير بالذكر أن هناك عدداً لا بأس به من القبور التي قتل أصحابها أيام الإنجليز ولم تعرف أسماؤهم، فقد كانوا غرباء، تصادف وجودهم في المنطقة أثناء دفاعهم عن فلسطين في ذلك الوقت ومن هذه القبور، قبر يقع شمالي قرية سردا، قرب عين معروفة تسمى عين الليمون، ويذكر كبار السن في هذه القرية أنهم كانوا يسمعون صوته ينوح في الليل

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(2) المصدر السابق، 2007/1/11.

(3) زوس، وهو كرونوس، إله الهواء القديم، ثم أصبح إله الزمان، ابن أورانوس إله السماء، يلتقي مع الإله إيل في الميثولوجيا الكنعانية. انظر: الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص 198، 205.

(4) Frazer, The golden pough, pp17.

(5) انظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص 167.

ولا يزال حتى اليوم، حيث تخرج روحه الشابة لتقول: (حسبي الله ونعم الوكيل).⁽¹⁾ ويوجد قبر آخر في قرية بيت ريماء أطلق عليه اسم (قبر الغريب)، وآخر في قرية بيت دقو وفي بيت عور حيث لا يزال الناس يسمعون أصواتهم النائحة التي تتنادي على من يساعدها ويريحها.

تخبرنا الحاجة سبعية: "لما كانت الوحدة تتعوق كانت تذهب إلى قبر قتيل مقتول بغير حق. والله أنا أخذت مرت أخوي، مرت العبد (شمعة)، رُحنا على قبر ناس انقتلوا سنة التراك والإنجليز (ناس انقتلوا ظلم). وقفنا قدامه، وقالت أكثر من مرة: "يا قَبْرُ يا مَقْتول بغير حَقْ خُذْ مِنِّي دَمَ الكَباس⁽²⁾، وأعطيني دَمَ زي الناس. وبعدين فَشَقَّتْ عنه ثلاث مرات"⁽³⁾.

تذكر العقائد القديمة ومنها الأرواحية⁽⁴⁾ أحوال ما بعد الموت، ويبدو أن أرواح الموتى تحصل على الراحة بنسب متفاوتة بقدر حجم الشعائر الجنائزية التي تقام لها، والقرايين التي تقدم إليها، أما روح القتيل فتظل قلقه مضطربة، ونجد هذا في حديث أنكيديو وجلجامش⁽⁵⁾، فبعد أن توسَّل جلجامش لـ (أوتوا)⁽⁶⁾ إله الشمس البابلي أن يفتح له ثقباً في العالم الأسفل ليخرج شبح أنكيديو كي يتحدث معه، أمر (أنكي) الإله (أوتو) بأن يفتح ثقباً في العالم الأسفل ففعل، خرج شبح أنكيديو منه أمام جلجامش، فعانق السيد خادمه ورحب به ثم قال: جلجامش لأنكيديو:

أخبرني يا صديقي عن أحوال العالم الأسفل الذي رأيت
... لن أقص عليك أخباره يا صديقي وإذا كان لا بد

من ذلك فسأجلس، وأبدأ البكاء

... سأجلس واستمع إليك تنوح

... إن جسمي الذي كنت تلمسه عندما

تكون سعيداً يلتهمه الدود الآن، كما لو كان خرقة.

(1) مقابلة شخصية، الحاج أحمد علي طه 87 سنة، والحاج حسين أبو درويش 90 سنة، سردا. 2008/8/7.

(2) كباس: أي من الدم الفاسد الذي تم حسُّه من الغير فلم يعد صالحاً.

(3) الحاجة سبعية طه، بيت ريماء، 84. 2007/8/2.

(4) هي عقيدة قديمة بدائية تُؤمن بأن هناك قوة حية تسكن الأشياء غير الحية، وهي واحدة في الكون. انظر: فريدلش. رج. س، ديانات الأرواح الوثنية في أفريقيا السوداء، ترجمة يوسف شلب، دار المنار للدراسات والترجمة والنشر، الشام، ط1، 1988، ص67.

(5) جلجامش: حكم فترة ما بين 2700 و2500 ق.م مدينة أوروك في العراق. انظر: السواح، جلجامش، ص26.

(6) أوتو إله الشمس عند البابليين.

فصرخ جلعامش صرخة مدوية وانطرح يتمرغ في التراب،
وصاح يا ويلتاه... يا ويلتاه، ثم استعاد أنفاسه وقال لأنكىدو:

هل رأيت الذي قتل في المعركة؟

نعم لقد رأيت، أمه وأبوه يرفعان رأسه
وتتوح عليه زوجته.

فهل رأيت جثمان الذي ترك في البرية؟

نعم رأيته، وكانت روحه قلقة لا تجد الراحة في العالم الأسفل⁽¹⁾

4- طقس بلع الجلدة (القلقة) (بقايا عملية الختان):

وهو بلع الجلدة أو القطعة التي كان الحلاق قديماً والطبيب حديثاً يقوم ببتريها، فيما يعرف بعملية الختان أو (الطهور)⁽²⁾ فبعد أن تلجأ السيدة إلى كل الوسائل كي تحمل، فهي أيضاً تلجأ لهذا الطقس الذي يكاد يكون شائعاً في قرى رام الله، فهذه الحاجة انشراح من الجديرة تحدثنا فتقول: "هي (وحدة) حرمها الله من الخلفة، وكل ما يبيطهر ولد بتزلطها"⁽³⁾، أي تبلع الجلدة التي يقطعها المطهر، أملاً في أن تحمل بولد، وفي بعض المناطق تحرقها المرأة، وتضعها في صرة ثم تنثرها في مجرى ماء وقد تحتفظ بها محروقة، في صرة تعلقها فوق الباب في صدر البيت، واعتقد أن هذا الطقس إنما يعود للعقائد القديمة الثلاثة الفيتيشية والأرواحية والطوطمية⁽⁴⁾. والتي تقول (أن الجزء لا بد أن يؤثر على الكل)، وبالتالي فإن قوة الذكورة سوف تنتقل للمرأة وكذلك فإن الروح التي تكمن في كل الأشياء بشكل الطاقة الكونية الأولى التي خلقت العالم، سوف تنتقل للمرأة العاقر كما نجد أن للطوطمية دوراً كبيراً في هذا الطقس.

فقدماً " شَهِدَتْ ثقافة نقاده⁽⁵⁾ الأولى في مصر ظاهرة عدم وجود الهياكل العظيمة الكاملة في

(1) انظر: الماجدي، إنجيل سومر، ص230. انظر: السواح، جلعامش، ص234-235.

(2) ختن: ختن الشيء، قَطَعَهُ، و الختان: عملية قطع قلقة الصبي. انظر: المعجم الوسيط، ص1217

(3) كانت هذه العادة جارية في العديد من قرى رام الله ومنها اللين، مقابلة شخصية، فاطمة عبد الرحمن، اللين، 67 سنة. 2007/8/2.

(4) هي عقائد سحرية قديمة. انظر: الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص103 - 114.

(5) ثقافة نقادة الأولى، نسبة إلى نقادة، وهي إحدى مدن محافظة قنا في مصر، تعود إلى 4500 عام قبل الميلاد. انظر: غربال، شفيق، تاريخ الحضارة المصرية، ص51، 58.

المقابر، بل وجود بعض أجزائها، وهناك آراء تفيد بتناول الأحياء أجزاء معينة من أجساد الموتى تبركا وقدسية"⁽¹⁾، كما كانت الأعضاء التناسلية للرجل إذا مات (عند قبائل الزولو⁽²⁾ البدائية) تُشوى ثم تطحن وتسحق رماداً يُذَرُّ فوق الحقول لإخصاب التربة⁽³⁾.

ولما كانت عبادة الجنس من أقدم العبادات " حيث اعتبرت رمز الخصوبة وانبعثت الحياة، عندما شاكل الإنسان البدائي بين إثمار الطبيعة وإثمار⁽⁴⁾ المرأة، ظهر هذا في فن الرسم والنحت لديه، فرسم وشكل التماثيل التي تظهر أعضاء المرأة التناسلية، متناسياً وجهها في كثير من الأحيان فقد كان المجتمع البدائي القديم مجتمعاً أمومياً عبد المرأة أم الكون وأصل الحياة، وتركز المنظر على الثديين والبطن أو الرحم والحوض وأعلى الفخذين، مركز الخصوبة في تماثيل العبادة"⁽⁵⁾.

"وتظهر المعابد التي كُرسَت للأم السورية الكبرى نظرة الإنسان القديم للجنس باعتباره فعلاً دينياً مقدساً فبعض هذه المعابد صُمِّمَ بطريقة توحى بالعضو التناسلي للمرأة كما هو الحال في معابد تل العبيد وخفاجة وأوقير في بلاد الرافدين"⁽⁶⁾.

"ثم خلقت عشتار⁽⁷⁾ من نفسها زوجها واتحدت به، فأظهرت الأعمال التشكيلية قيمة الجنس، حيث وصلتنا تماثيل من العصر النطوفي تعود للآلاف التاسع ق.م تظهر تماثيل متعانفة في وضع جنسي"⁽⁸⁾. "وعندما أدرك الإنسان أن المطر هو السبب في الأخصاب فهم دور الرجل، فعقدت العلاقة بين المطر ومني الرجل، وانعكس ذلك على عقيدته فظهرت أولى الديانات الذكرية، فرسم الإنسان البدائي رأس العضو التناسلي الذكري في فلسطين في الآلف السادسة ق.م"⁽⁹⁾.

(1) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 163.

(2) قبائل إفريقية بدائية.

(3) ديورانت، قصة الحضارة، ج 1، م 1، ص 111.

(4) ما تزال هذه الكلمة تستعمل بنفس المعنى فيقال للمرأة التي لا تنجب "الشجرة إلى بلا ثمرة قطعها حلال".

(5) انظر: الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 122. وانظر دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ج 1، ص 129. انظر السواح، مأساة عشتار، ص 43-46.

(6) انظر: السواح، مأساة عشتار، ص 179.

(7) عشتار: إلهة الحب والخصب لدى البابليين. انظر: السواح، مغامرة العقل الأولى، ص 383.

(8) المرجع السابق، ص 178، وانظر: الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 161.

(9) تعود الثقافة النطوفية (نسبة إلى وادي النطوف)، شمال غربي القدس في كهف اسمه الشقبة، دين المزولينية الأعلى، 8000 - 12000 ق.م، المرجع السابق، ص 63.

وقد عُثر على الكثير من التماثيل النسائية، وتماثيل الثيران في العصر النيولتي، في جرمو في بلاد الرافدين⁽¹⁾، في أماكن حفظ الحبوب، وفي المواقد، حيث جسدت في الغالب مفهوم الخصوبة⁽²⁾، التي تشير إلى محاولات سحرية جبارة للتحكم في الطبيعة وتؤثر على تكاثر الحبوب بواسطة نماذج الأمومة البشرية، وهو ما يعود إلى القانون التشابهي⁽³⁾.

هناك الكثير من الطقوس السحرية الأخرى التي تمارس في وقتنا الحاضر سنوّل البحث فيها كطقس الاستحمام على قطع الذهب والحجارة، وطقوس أخرى تتناول المرأة التي تنجب أطفالاً يموتون فور ولادتهم أو يعيش الإناث منهم فقط، ويعود هذا بالطبع (للكبسة) الحسد، وللقرنية أو التابعة التي تجهض المرأة وتقتل الرضع وتلاحقهم بالمرض على أن نفرد بحثاً مطولاً عنها في مواضعها.

طقوس الكشف عن القدرة على الحمل:

1. لبوس الثومة:

تخبرنا القابلة سبعية طه⁽⁴⁾: "كُنْتُ أُعْطِي الْوَحْدَةَ لِبُوسِ ثُومَةٍ مِثْلَ (صَرَّصُورِ صَغِيرٍ) تُحْطِئُ زِي تَحْمِيلَةٍ، إِذَا كَانَتْ بِتَحْمَلٍ بَيَّطَلَّعَ الرِّيحَةُ ثَانِي يَوْمٍ مِنْ ثِمِّهَا (فَمَهَا)، وَإِذَا لَأَ مَعْنَاهَا مَا رَحَ اتَّخَلَّفَ، بِذِهَا أَتَطُولُ شَوِيَّ تَتَّعَالَجَ".

"كانت كل الإشارات الخاصة بمعرفة العقم والكشف عن الحمل مبنية على نظرية أن هنالك اتصالاً بين المهبل وبقية الجسم في الخصب، هذه النظرية هي التي أوحى بهذه الوصفة من بردية كارلسرج⁽⁵⁾: (رطب بصلة أو ثومة... واتركها)⁽⁶⁾ طوال الليل على فرجها حتى الفجر، فإذا خرجت الرائحة من فمها فإنها ستلد وإذا... فسوف لا تلد، وتعتبر هذه الطريقة من الطرق

(1) العصر النيولتي 8000 قبل الميلاد، الماجدي، أديان ومعتقدات، ص79.

(2) انظر: دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص128.

(3) المرجع السابق، ص183.

(4) مقابلة شخصية، القابلة سبعية طه، بيت ريماء، 84 سنة. 2007/8/2.

(5) بردية كالسرج: هي قصاصات مهلهلة عليها نصوص ترجع إلى تاريخ الأسرتين 19-20 في مصر القديمة، وتحتوي

بيانات عن إنذار الوضع ونوع الجنين .

(6) تشير النقاط (...) إلى أن النص مفقود من المصدر.

العلمية السليمة كما يقول د. محمد فياض، بدليل أن (أبو قراط) قد ورثها عن المصريين⁽¹⁾.

2. الاختلاف في شكل الجسم:

تقول الحاجة فاطمة من اللّبن: "كنت أخط على صدرها زيت فإذا نفرَ فَمَعْنَاهَا حامل. الوحدة الحامل بتكون حلمات صدرها بارزات وأحياناً يَبْنُفُخُ منخارها ووجْهها يَبْيَع (بيكلف)"⁽²⁾. ويقول المثل كل شيء بخرى ما عدا الحب والحبل والركوب عالجمل⁽³⁾.

3. القيء:

وقد تكتشف المرأة أنها حامل إذا تقيأت وشعرت بدوخة وهو ما يعرف بالوحام⁽⁴⁾، لذا فهي تكره بعض أنواع الطعام وتحب بعضها الآخر، وتخبّرنا الحاجة زينب من عين بيرود: "لَمَّا تَحْمِلُ الوَحْدَةَ فِيهِنَّ ما توكل إلا لِيَّة الخاروف، اللحمة المِدْهَنَة وفيهن بَتُحِبُّ المِلْح والليمون الحامض، لما تنام اتحطها تَحْتُ الوِسَادَة، فِشْ إشي في الكون بيوقف مِعْدَتِهَا إلا غير المِلْح وليمون حامض، واتقوم تُقْرُش⁽⁵⁾ في الليل بَقْلَهَا جُوزَهَا: هذا بِيَنْشِفُ الدَّم، تَقْرَفُ الخُبْزُ واللَّحْمُ في الطَّبِيخ، ولما تولد بيحبني ابنها ضَعِيف، ويقول المثل "وَحْمَانَة وَطَلَبْتَ رُمَانَه"⁽⁶⁾.

كانت هذه الطقوس حديثة تُستخدم حتى يومنا هذا، وقد يندهش القارئ عندما يجد أنها تكاد تكون نفسها منذ أقدم العصور، فهذا نصٌّ من بردية برلين 1350 ق.م⁽⁷⁾ يقول: "ضع زيتاً..."⁽⁸⁾ ثم لاحظ المرأة بعد ذلك، فإذا ما وجدت أوعية صدرها متوترة فقل إنها تحمل، وإذا وجدت مسترخية فقل إنها ستبطن في الحمل"⁽⁹⁾.

وإذا كانت أوعيتها تهرب مثل الجلد الملتصق فهي لن تلد وإذا وجدت أوعيتها نضرة فهي

(1) www.google.net. وانظر: غليوجي، الطب عند قدماء المصريين، ص64.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللّبن، 67 سنة. 1/11. 2007.

(3) كناعنة، الإنجاب، الطفولة، ص155.

(4) الوحام: اشتها الطعام.

(5) تقرش: قرش، قطع. المنجد، ص619.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(7) إحدى أهم البرديات (اللفائف) الطبية التي اكتشفت في مصر وهي ثمانية سميت بأسماء مكتشفها.

(8) تشير النقاط (...) إلى أن النص مفقود من المصدر.

(9) www.google.net

ستلد⁽¹⁾.

"... أعطها بطيخ يُدْهَكُ بلبن المرأة التي ولدت ذكراً فإذا تقيأت فستلد، وإذا صرفته ريحاً فهي لا تلد... تجلس السيدة فوق جعة⁽²⁾... فإذا تقيأت فهي خصبة".⁽³⁾

طقوس الكشف عن جنس الجنين:

"... يمكن التكهن بجنس الجنين منذ الوقت الذي تشعر فيه المرأة بالحركة، إذ يعتقد أن الجنين الذكر أحكم وأقوى من الجنين الأنثى، ولذا فإن حركته تسبق حركتها، فهو يتحرك في نهاية الشهر الرابع، بينما تتأخر حركة الأنثى حتى منتصف الشهر الخامس أو نهايته، كما أن حركة البنت "تنظّل تدق دق، الولد بيظل هادي رايع جاي بهوادة، وإن الجنين الولد يتحرك في الجهة الشمال، أما الأنثى فتتحرك في الجهة اليمين وبيقولوا: "اليمين مسكن الحريم والشمال مسكن الرجال". كذلك يقال: "إلي حبلها حلو بتجيب صبي، وإلي حبلها كبير بتجيب بنت"⁽⁴⁾.
... "وإذا كان ظهر الحامل

أي قفاها) عريض فإن الناس يقولون إنها حامل بأنثى، وإذا كان عادياً فإن الجنين ذكر، وإذا بطن الوحدة (معرّس) أي مرتفع لأعلى فهو ولد، أما إذا كان لتحت متهدل فهي بنت"⁽⁵⁾.

وإذا كان أنف الأم متورماً بارزاً فإن الجنين الذي تحمله ولد⁽⁶⁾، وقد تضع المرأة عدة نقاط من الحليب على خيط حرير، ثم ترميه باب بيت نمل، فإذا جر النمل الخيط، يكون الجنين ذكراً وإذا لم يقترب منه فالجنين أنثى⁽⁷⁾.

وقد تُحمي المرأة سكيناً وتُقط عليه نقطة من حليبها فإذا انبسطت فهي أنثى وإذا بقيت كما هي فالجنين ذكر، وكذلك إذا دبقت⁽⁸⁾ البقعة يبقى ذكر أما إذا بقت مثل المية فالجنين أنثى⁽¹⁾.

(1) www.google.net، من بردية كارلسرج.

(2) الجعة: هي نبيذ الشعير والقمح. انظر: المعجم الوسيط، ص126.

(3) غليونجي، الطب عند قدماء المصريين، ص64.

(4) كناعنة: الإجاب والطفولة، ص109.

(5) انظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص128. وانظر: كناعنة، الإجاب والطفولة، ص109.

(6) الماجدي، بخور الآلهة، ص157.

(7) كناعنة، الطفولة والإجاب، ص111. انظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص128.

(8) دبقت: أي التصقت، كانت لزجة.

وتُجمَعُ العديد من النساء اللواتي تحدثت إليهن على صدق هذا التشخيص ودقته، والذي هو على لسان القابلة سبعية، كما يلي: "إذا كان أول بطن للوحدة، بتشوفي جبينها فإذا كان عليه بقعة مدوّرة بيضة بس مش كبيرة فالمولود ذكر، أما إذا كانت البقعة مَبْسَلَطَة يعني زي البيضة ولونها بيضة بتلمع فالمولود أنثى، وبعدين كنت أشوف رأس المولود إذا كان في وسط راسه هالبقعة الصغيرة بيكون البطن الجاي ذكر وإذا كانت البقعة هي الكبيرة إلي بتلمع، بيكون البطن الجاي أنثى" (2).

اهتم الطب الأكدي قديماً بالتشخيصات الخاصة بالحمل والولادة، وقد أطلقَ على المرأة الحامل لقب "ام المستقبل" (3)، وتكاد تكون تلك التشخيصات هي نفسها المتبعة حالياً في قرى محافظة رام الله وكانت كما يلي "إذا وجدت في جبين أم المستقبل بقعة لامعة بيضاء فإن الجنين الذي تحمله سيكون بنتاً وستكون غنية" (4)، وإذا كان أنف أم المستقبل متورماً بارزاً فإن الجنس الذي تحمله ولد (5).

... وجاء في بردية برلين 1350 ق. م "إذا تبولت المرأة على كيسين أحدهما قمح والآخر شعير فإن نبت القمح فالمولود سيكون ذكراً، أما إذا نبت الشعير أكثر فالمولود سيكون بنتاً، وقد يعود هذا لكون القمح مذكراً في اللغة المصرية، أما الشعير فهو مؤنث" (6).

... يستطيع المتابع لما ورد في طقوس وتشخيصات الحمل لمعرفة جنس الجنين أن يرى بكل وضوح مدى التشابه بين هذه الطقوس قديمها وحديثها.

"شاكل الإنسان في العصر النبولتي 1000 - 800 ق.م - دين الخصوبة- فربط بين الزراعة والمرأة، فلما أصبحت الزراعة هي الصورة السائدة في الحياة الإنسانية، اعتبرت الأشجار أيام الإزهار حوامل أجنة، فلا يجوز في جوارها ارتفاع الصوت أو إشعال النار، وإلا لجاز أن تسقط ثمارها قبل نضجها، كما تجهض المرأة، فعبدت لذلك الأشجار، فكان تقديس الأشجار ويناابيع

(1) انظر: كناعنة، الإجاب والطفولة، ص110. وانظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص128.

(2) هو تقليد متوارث في معظم قرى رام الله، وتعتقد النساء أنه دقيق ولا يزال يستخدم حتى اليوم.

(3) الماجدي، بخور الآلهة، ص156.

(4) المرجع السابق، ص156.

(5) المرجع السابق، ص157.

(6) www.google.net

الماء، أقدم عقيدة دينية في أسيا⁽¹⁾.

... لقد وجد الإنسان في المرأة البدنية المعافاة الخصيية الحامل رديفاً للأرض الخصبة المثمرة، والمرأة كما هو معروف مكتشفة الزراعة وحافظة البذور، ولذلك رفعها إلى مرتبة الألوهية، وأصبحت الإلهة الأم تبدو وكأنها سبب إخصاب الأرض في العقيدة الدينية⁽²⁾.
... وكما رأى العقل البدائي سراً عميقاً إلهياً في نمو الشجرة، رأى كذلك يداً إلهية في حمل الجنين وولادته، فقد كان يرى الأعضاء الظاهرة أمام عينه فاللهها⁽³⁾.

وقد حافظت تماثيل عشتار في سوريا والأردن، وتركيا وفلسطين على كثير من خصائص عشتار البابليونية من حيث التركيز على مناطق الخصوبة، إلا أنها ظهرت بشكل الأم الكبرى⁽⁴⁾ السيدة الولود كما في الإلهة الأم الأناضولية في شتال حيوك 6000 ق.م، حيث صورت جالسة في وضع ولادة على عرش، وتمسك لبؤتين بيديها كأنهما مسندتين لهذا العرش ويظهر ثدياها متهدلين⁽⁵⁾.

ثم رحل الإنسان من مواطن الزراعة الأولى التي كانت في الغالب كثيرة المطر نحو أماكن شحيحة المطر من جرمو إلى سامراء فأدرك الإنسان أن الأرض ليست العامل الوحيد لإن المطر هو السبب الأهم في الزراعة، وترافق ذلك مع فهم دور الرجل في الإخصاب، وربط الإنسان البدائي بين المطر ومني الرجل وكان هذا التحول فاتحة الانقلاب الذكوري، وانعكس ذلك على العقيدة الدينية⁽⁶⁾، وسنجد آثار ذلك في العبادة البابلية بشكل واضح عندما أطاح مردوخ⁽⁷⁾ بتيامت أو تعامة⁽⁸⁾، وحاربها ثم قضى عليها ومزقها.

مما سبق يمكن استنتاج ما يلي:

(1) ديورانت، قصة الحضارة، ص 104-105.

(2) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 82.

(3) ديورانت، قصة الحضارة، ص 105.

(4) السواح، لغز عشتار، ص 44، 45.

(5) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 87.

(6) المرجع السابق، ص 122.

(7) إله البابليين الأعظم المرادف لإنكي عند السومريين.

(8) تعامة: ننخرساج الإله الأم الإلهة الهيولية الأولى والأم الكونية. وهي تيامت أو تيامة (البحر). انظر: السواح: مغامرة

العقل الأولى، ص 382.

أعتقد أن تلك الطقوس التي تحدثنا عنها، وتشخيصات الحمل والولادة، قديمها وحديثها إنما تعود للحالة الكونية الأولى بعد الانقلاب الذكوري، وهي تنقسم إلى قسمين: الأول يشاكل حالة الماء الأولى، فالمرأة هي الماء السفلي في الوضع الهيولي الأول أي المالح، لذلك نجد أن الحليب الذي يكون دبقاً، كما دلت عليه التشخيصات الحديثة إنما هو الماء العذب أي ماء المطر الأعلى، الماء الذكوري (المني)، وقد عبدت الشعوب السامية (الماء)، وخصصت إلهاً للمطر هو (حَدَدُ) وعند البابليين يرمز الإله (أبسو) إلى الماء الهادئ، حيث تعوم الأرض، فيما تمثل (تيامة) البحر المالح⁽¹⁾ والمرأة، لذلك نجد المولود الذكر يتحرك بهدوء فهو (أبسو) وهو (إنكي) المحيط (بيت الحكمة)، أما الأنثى فهي (تعامة)، هي الماء المالح الكدر الهائج.

وما زال يقال في الأمثال الشعبية (أرض مالحة وسما قاذية)⁽²⁾، كما نجد أن بطن المرأة التي تحمل ذكراً يكون (معربساً) مرتفعاً لأعلى (لأنه إله السماء إله المطر)، أما التي تحمل أنثى، فيكون متهدلاً للأسفل كما هي الأرض هي السفلى، وكذلك تبقى بقعة أو نقطة الحليب من صدر المرأة الحامل بذكر، متكتلة إذا ما وضعناها على سكين (حامية)، ساخنة، أما التي تحمل أنثى فإن هذه النقطة تنبسط كالأرض، وكذلك لو وضعنا هذه النقطة في كأس ماء فإن حليب الحامل بالذكر، يبقى في الأعلى، يطفو (كما السماء) مرتفعة، أما نقطة الحامل بالأنثى فإنها ترسب في القعر كما (الماء العكر).

وكذلك فإن (قفا) أي مؤخرة الأم الحامل بالذكر يكون (ملفوفاً لفاً)⁽³⁾، منتظماً (أنيقاً)، وقفا الحامل بالأنثى يكون متضخماً، منتقخاً كما هي الأرض التي تحمل البذور.

كذلك نجد على جبين المرأة التي تحمل ذكراً بقعة صغيرة جداً، لا تكاد تُرى، أما التي تحمل أنثى فنجد على جبينها بقعة بيضاوية الشكل واسعة (مفلطحة) كما هي الأرض الأم الأولى، وغالباً ما تبشع المرأة إذا كان جنينها ذكراً، أما إذا كان أنثى فنجدها جميلة مكتنزة محمرة الخدين، لشدة النضارة، كما هي الأرض التي تستعد للإزهار، حاملة البذور والثمار، ولا يزال المثل يقول: البطن بستان⁽¹⁾، وبكره بتجيبى الصبيان وهذي بذور الرمان⁽²⁾.

(1) صدقه، جان، رموز وطقوس، رياض الريس للنشر، بريطانيا، ط1، 1989. ص18-19.

(2) عباس، إبراهيم، مجمع الأمثال الشعبية، ص57.

(3) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص109.

مكانة المرأة الحامل:

تهتم الأسرة الفلسطينية بالحامل، وتعاملها بعناية ودلال، وتحقق لها كل رغباتها ويحق لها ما لا يحق لغيرها، وهناك اعتقاد واسع الانتشار بأن المرأة التي تتوحم إذا اشتتهت طعاماً ولم تأكل منه، وصدف أن حكت جزءاً من جسمها في أثناء ذلك، فإن زائدة لحمية أو بقعة قاتمة اللون تظهر على جلد الطفل عند ولادته، وتكون بشكل الطعام الذي اشتتهته وهو ما يسمى (الوحمة)⁽³⁾. وتعتبر هذه الأغنية عن ذلك:

عَلَى بَيَّاعِينَ الْعَنْبِ	حَبْلَى بَتَتْ وَحَمَّ عَ الْعَنْبِ
جَابَ لِي اللَّبَّةَ مِيَّهَ وَحَبَّةَ	بِيعَ اللَّبَّةَ وَاشْتَرِيَ الْعَنْبِ
جَابَ لِي الْحَلَقَ مَلْفُوفَ بُورَقَ	بِيعَ الْحَلَقَ وَاشْتَرِيَ الْعَنْبِ
جَابَ لِي الطَّرْبُوشَ بَعْضُ وَبِيبُوسَ	بِيعَ الطَّرْبُوشَ وَاشْتَرِيَ الْعَنْبِ ⁽⁴⁾

ويغنى لها أيضاً:

حَبِّلْتُ الْبِنْتَ مِنْ ثَلَاثَ تُشْهُرَ	حَبَلَهَا لَا يِقُ يَا رَبِّ تُسْتُرُ
لَيْلَةَ مِيلَادِهَا يَا رَبِّ أَنَا احْظُرُ	أُكَلِّ مِنْ قَطْعِ السُّرَّةِ حَلْقُومًا ⁽⁵⁾

وتتساءل النساء في مهاهاتهن عن نوع الطعام الذي توحمت عليه الأم، حتى انجبت البنت الحلو:

هي بي قولِي لي بيش اتَوَحَّمَتْ إِمَكْ تَ جَابِتْكَ حِلْوَه	هي بي اتَوَحَّمَتْ بُرَاسِ الْقَلْبِ وَالْمِعْلَاقِ وَالْكَلْوَه
هي بي ويش طَلَبْتِي مِنْ خَطِيْبِكَ لَيْلَةَ الْجِلْوَه	هي بي طَلَبْتِ سِنْسَالِ لَرَقَبْتِي الْجِلْوَه
هي بي شو اشْتَهَتْ إِمَكْ تَ جَابِتْكَ حِلْوَه	هي بي اشْتَهَتْ مُصْرَانِ جَاغَةَ وَالْفَنَاصَةَ وَالْكَلْوَه

(1) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص 57.

(2) المرجع السابق، ص 94.

(3) انظر: كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 92. واعتقد أن هذا نوع من السحر سنبحث فيه في الصفحة التالية.

(4) المرجع السابق، ص 94.

(5) المرجع السابق، ص 99.

هي بي ويش قالِكْ عَرِيْسُكَ لَيْلَةُ الْجِلْوَةِ قَلَّكَ خَاتَمَ ذَهَبٍ يَلِيْقُ لَقَامَتِكَ الْجِلْوَةِ⁽¹⁾

وتتظر المرأة الحامل للأطفال الحلوين حتى تتجب أطفالاً مثلهم ويقال: "بعض النسوان عينيهن نقولات مثل المغناطيس"⁽²⁾، ويبدو جلياً هنا أن الوحمة ونقل العين هو نوع من السحر، فبعد أن تشتهي طعاماً ولا تأكله تستخدم أظافرها ويدها فتحك جسدها، وكأنما تطبع في نفس المكان على جسد جنينها ما اشتتهت، وبعد أن تلاعب المرأة الحامل الطفل الجميل فإنها تشتهي أن يكون جنينها كذلك فيكون، وقد تنظرُ إلى طفل بشع فيأتي ابنها كذلك. تقول سيدة حبلى "وانا حبله في فلان لاقاني ابن دار أبو فطيمه، الولد الخامم، وقلت ما أحم هالولد، وأروح وأنا جاييه الولد اللي أحم منه"⁽³⁾.

واعتقد أن تفسير الأمر يكون كما يلي:

عندما تكون المرأة حاملاً تكون أقرب إلى بدايات الكون، والأم الهيولية الأولى المقدسة، لذلك تمتلك الحامل قدرات خارقة لا تمتلكها غيرها، فرغم أن الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين يؤمنون بأن كل شيء بقدرة الله، إلا الحامل هنا تستطيع - كما يستطيع خنوم أو بتاح⁽⁴⁾ - أن تتدخل في شكل مولودها، وقد يكون هذا أقرب إلى السحر الخارق، فبعد أن تخرج التعويذة من فم المعزم لا يستطيع ردها، وهذا ما نجده في نقل الأم الحامل لصورة طفلها، فهي إن نظرت للطفل الجميل يأتي مولودها جميلاً وإن نظرت للبشع لا تستطيع منع عينيها من نقل صورة البشاعة لوجه طفلها، ويكون أحياناً بشكل لحمية أو بقعة على جلد طفلها بعد حك جسدها، وهذا النوع من السحر له أدواته كالعين والأظافر أو اليد، وهي الأجزاء الفاعلة في الجسم والتي تقوم بعمليات السحر، وخاصة العين، هذا الجزء الذي ما يزال يُعتبر، غامضاً يتميز بقدرات رهيبة، كما سنرى عند الحديث عن الحسد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وحينما لا تريد نقل صورة الطفل البشع، عليها أن تبصق على الأرض، وكأنها تبصق روحه التي دخلت فيها، ومن

(1) كناعنة، الإتياب والطفولة، ص 97.

(2) المرجع السابق، ص 97.

(3) المرجع السابق، ص 34.

(4) خنوم وبتاح إلهتا خلق مصريان. انظر: الدين المصري، ص 75، 79. وانظر: بدج، والس، آلهة المصريين، ترجمة حسين يونس، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 1998، ص 233.

المعروف أن إحدى أساطير خلق الإنسان كانت من الطين وبصاق الآلهة، التي يعتقد هنا أنها الروح⁽¹⁾. ويبتعد الفلسطينيون عن إخافة الحامل أو إغضابها، لأن هذا ربما يؤدي إلى إجهاضها⁽²⁾. وتأخذ المرأة الحامل مكانة مقدسة عند الرجل فهي التي تحمل في رحمها أملاً يُنتظر زمناً، وقد تؤدي هذه القدسية إلى خلق تصورات واعتقادات من شأنها تقديس المرأة ومعاملتها معاملة خاصة⁽³⁾. لهذا فقد ربط بينها وبين الشجرة خاصة (النخلة) التي كانت " شجرة عشتروت المقدسة، وشجرة الحياة عند السومريين والمصريين، وشجرة الإنجاب ورمز الخصوبة عن الصينيين والهندوس غيرهم"⁽⁴⁾

"ومما يجدر ذكره أن هناك علاقة بين النخيل، وبين الموت ثم القيامة، أو توالي الولادة والاستمرار"⁽⁵⁾ "لذا كانت عقيدة تقديس الأشجار هي أقدم عقيدة في آسيا"⁽⁶⁾، " وقد وحدَ الفنيقيون بين النخلة، التي اعتبرها الساميون بعامة شجرة الحياة في جنة عدن، وبين إلهة الإخصاب الجنسي والتعشير عشتروت أو عشتار، فالنخلة كانت شجرة الميلاد أو شجرة العائلة عند كل شعوب غرب آسيا، في مصر وبابل"⁽⁷⁾، كما عبدها العرب في الجاهلية حيث " عُبِدَت نخلة طويلة في نجران، كانوا يقيمون لها عيداً كل سنة، فيعلقون عليها الأثواب الحسنة والحلي وغير ذلك"⁽⁸⁾، لذا قدس الأنبياء بعض الأشجار وبخاصة شجرة البلوط، وقد بارك القرآن الكريم بعضها (كالزيتون والتين) حيث أقسم الله عز وجل بهما في قوله تعالى: "والتين والزيتون وطور سنين"⁽⁹⁾. وكذلك كانت الطاولة التي أرسلها إلى المسيح من السماء تحتوي على خمسة أصناف من تمر الجنة⁽¹⁰⁾، كما ارتبطت أشجار النخيل بولادة عدد من الآلهة والأشخاص، منهم "أبولو"،

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص330.

(2) انظر: كناعنة، الإيجاب والطفولة، ص105.

(3) الباش، المعتقدات الشعبية، ص125.

(4) المرجع السابق، ص 335.

(5) كونتينو، الحياة اليومية، ص 139. وانظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص 335.

(6) ديورانت، قصة الحضارة، ص 104.

(7) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 335.

(8) المرجع السابق، ص 334.

(9) سورة التين، آية 1-2.

(10) كنعان، كتابات الفلكلورية، ص100.

"ونبتون"، "وذيلين" في الأساطير الإغريقية⁽¹⁾، وارتبط المسيح بالنخلة، حيث جاء المخاض مريم العذراء تحت شجرة نخيل "فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة"⁽²⁾، وفي مصر القديمة أوصى الحكيم بتاح حب ابنه قائلاً: "أحب زوجتك داخل بيتك أطعمها واكسها، وأسعد قلبها طوال حياتها فهي حقل مثمر لصاحبها"⁽³⁾.

ويحدثنا الدكتور محمد فياض عن عناية المصريين القدماء بالحامل، فيقول: "نحن أمام أول مشفى في تاريخ الطب لرعاية الحوامل فمنذ أكثر من 4000 ق.م شيد المصريون معبداً خاصاً باسم الإلهة نيت التي كانت تستعين بها الحوامل والتي نسب لها المصريون أنها إلهة التناسل، وأنها عظيمة وقد كان هذا المعبد يقوم بوظائف عديدة منها:

أولاً: تعليم القابلات فن تمريض الحوامل.

ثانياً: العناية بالحوامل أنفسهن، فتقيم فيه الحوامل أو تتردد عليه، فيُعنَى براحتهن وتقدم لهن الأدوية حتى ينلن الشفاء، ويضعن حملهن⁽⁴⁾.

وفي القضاء المصري قديماً كان لها استثناء فإذا حدثت جريمة فيها حامل، لا يتسرع القاضي في تنفيذ العقاب، بل يؤجله حتى تضع، وكان لها حصانة قانونية ومراعاة من المجتمع⁽⁵⁾.

وترى بعض التصورات الكنعانية أنه يجب الامتناع عند مشاجرة الحامل، وأنه يجب التهيب ساعة الولادة، وعلى الذين أربو المرأة أن يهربوا، فإن المرأة تتعذب في أثناء الحمل، ويمكن أن تلد قبل الأوان، وأن تتأخر ساعة الخلاص، فمن أحس بأنه ارتكب مثل هذا المعصيات يكون غير جدير بالعودة إلى بيته⁽⁶⁾.

وفي أسطورة ولادة أدونيس وهو إله مدينة جبيل اللبنانية، أن مورا ابنة الإله بعل إله الكنعانيين

(1) عبد الحكيم، شوقي، مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير، دار ابن خلدون، ط1، 1978، ص59.

(2) سورة مريم، آية 23.

(3) حكيم مصر القديمة 2181-2686، www.google.net.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق.

(6) انظر: ميديكو، هـ. ي، اللآلئ من النصوص الكنعانية، تعريف مفيد عرفت، دار أمواج للنشر، ط2، 1988.

ص226-227.

الأقدم، تفاخرت يوماً بشعرها، فحقدت عليها فينوس زوجته، وانتقاماً منها حكمت عليها أن تقع في حب أبيها، وهكذا مارست مورا الحب مع أبيها فحملت منه، ولما قرب شهرها التاسع هربت في القفار، وتضرعت للآلهة بأن تصبح بين الحياة والموت وتتحول إلى شجرة⁽¹⁾.

مدة الحمل:

من المعلوم أن مدة الحمل الطبيعية لا تزيد عن تسعة أشهر، إما أن تكملها المرأة الحامل كلها، وإما أن تلد في أول التاسع، وتبدأ المرأة عادة بحساب تاريخ حملها من وقت (الفوتة)⁽²⁾، أي الشهر الذي فانتها العادة الشهرية فيه، وفي أغلب الأحيان لا تحسب شهر العادة لذلك فهي تخطيء في الحساب ويقال: "عد البيض المقلي ولا تعد شهور الحبل"⁽³⁾، وإذا دخلت المرأة الشهر التاسع تقول: (أَكَلْتُ شهري)، ومفهوم شهر المرأة هو شهر الولادة، أما إذا تأخرت الولادة عن الشهر التاسع، فيعتقد أن المولود غير طبيعي، واحتمال معيشتة ضعيفة فيقال: "من عَشَرْتُ"⁽⁴⁾ ما بَشَرْتُ" وتعتقد النساء أنه إذا تقدمت الولادة عن الشهر التاسع فلا يعيش المولود إلا في حالة الولادة في الشهر السابع ويسمى الطفل في هذه الحالة سباعوي أو سبعوية، سبعة⁽⁵⁾.

وقديماً جاء في بردية وستكار⁽⁶⁾: أن خوفو⁽⁷⁾ سأل ساحراً يسمى ديجيدي: متى ستتم ولادة ريديجت زوجته؟ فأجاب الساحر قائلاً: سوف تلد في الخامس عشر من أول شهر الشتاء، وتلك فترة تتراوح بين 275 و294 يوماً، هذه المدة تقول عنها الأساطير مدة حمل إيزيس⁽⁸⁾ بحورس، ونقرأ على التوابيت في بردية برلين 1350 ق.م العبارة التالية: أمك احتفظت بك حتى اليوم

(1) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 161.

(2) الفوتة: هي عدم مجيء العادة الشهرية للمرأة في موعدها الطبيعي، انظر، كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 88.

(3) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص 145.

(4) عَشَرْتُ: أي بلغ الحمل عندها عشرة أشهر، وفي بعض الحالات يقولون عَشَرْتُ بمعنى حملت. انظر: كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص 120.

(5) انظر: المرجع السابق، ص 119-121.

(6) من أضخم البرديات المصرية، 550 ق.م. www.google.net.

(7) أحد فراعنة مصر، ابن سنفرو والملكة حتب حرس، 2650 ق.م.

(8) إلهة مصرية وابنها حورس هو (رع) أعظم آلهة المصريين. انظر، بدج، آلهة المصريين، ص 242، 440.

الأول من الشهر العاشر⁽¹⁾. وجاء في الأنوما إيش:
وحده إنكي⁽²⁾ الفطن وأمام ننتو⁽³⁾ (أم البلاد)
إنكي الحاذق أمام نيتنو (أم البلاد)
ملاً بماء قضيبه المجاري جمعاء
وبماء مينه الغزير أغرق منابت القصب
ممزقاً بقضيبه الكساء الذي يستر اخضرار الأرض
(انه هنا يشاكل تماماً عملية الزواج وكيف يفيض الرجل بكارة المرأة)
خصص إنكي منيه
وسكبها في رحم ننخرساج⁽⁴⁾
وبتلقيها في رحمها المني، مني إنكي
عند ذلك ومن أجلها عد اليوم الأول شهراً
واليومان شهران
والأيام الثلاثة عدت ثلاثة أشهر
والأربعة عدت أربعة أشهر
والخمسة عدت خمسة أشهر
والسنة ستة أشهر
والأيام السبعة سبعة أشهر
والسنة عدت تسعة أشهر
أشهر الحمل تسعة
وبعد ذلك كالزيت الناعم (لزوجة)
وُلِدَتْ نِنَسار سيدة الخضرة والنباتات⁽⁵⁾

(1) www.google.net.

(2) إنكي إله السماء.

(3) ننتو: اسم آخر لننخرساج، انظر: السواح، مغامرة العقل الأولى، ص 385.

(4) ننخرساج: إلهة الماء الأولى السومرية. المصدر السابق، ص 385.

(5) الشواف، قاسم، ديوان الأساطير، دار الساقى، بيروت، ط1، 1996، ص22.

طقس إعلان الحمل:

تقوم المرأة الفلسطينية بالإعلان عن حملها، نظراً لظروفها الخاصة، وهذا ما تخبرنا به القابلة سبعية: "كنت أعرف إذا فاتتني إني حبله، إذا ما إجتيش اليوم الظهر، أعرف فوراً، لما مشى الختار على أمريكا كنت حامل بابني مُرسي رسلان، وهو ما بعرفش، كانت فايّنتي إلها ثلاث أيام، كانوا جابين أيودعوا الختار والبيت كبير ملان نسوان وزلام، صبيت القهوة وفُتت عليهم وقُلت يا ناس أنا إلي ثلاث أيام ما إجتيش العادة لأن الختار بدّه يسافر والله بعلم شو بيصير⁽¹⁾. وقد كان الإعلان عن الحمل أو عدمه يتم منذ أقدم العصور، ففي مصر القديمة عقد زواج تجريبيّ نصّ على فترة تجريبية هي 275 يوماً حيث تقسم العروس على أنها كانت في وقت الزواج بدون طفل (أي غير حامل)⁽²⁾.

القرينة وطقوسها:

يقول المثل في فلسطين "ابليس ما بخرب بيته"⁽³⁾، ويقول أيضاً: "راس الكسلان معمل الشيطان"⁽⁴⁾.

تهاجم النساء الحوامل في فلسطين شياطين، أو عفاريت متخصصة في إجهاض الحوامل وقتل الأجنة والأطفال والرضع، وهي تستطيع أن تنتقمص عدة شخصيات، وتأتي في الأحلام⁽⁵⁾. ويُطلق عليها أهل فلسطين التابعة أو القرينة، ولهذه الشيطانة طقوس معينة تهاجم فيها الأم الحامل، تتذكر الحاجة فاطمة فتقول: "لما كنت أول حملي كنت أحلم، إني أرى حالي في خلا كُفريا⁽⁶⁾، أنط عن سنسلة... وهي عن سنسلة، ثلاث مرات نزلت في السبع شهور في كل مرة أحلم فيها. راح لي ولدين وبنت".

(1) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية طه، بيت ريماء، 84 سنة. 2008/8/2.

(2) www.google.net.

(3) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص244.

(4) المرجع السابق، ص244.

(5) بدران، سلوى إبراهيم خمّاش، دراسات في العقلية العربية، الخرافة، دار الحقيقة، بيروت، 1979، ص31.

(6) منطقة خلاء، تقع شرق قرية سرداء، قضاء رام الله.

وتقول الحاجة أم سليمان من اللين⁽¹⁾: "كنت متجوزة جديد تصورتلي في صورة عمتي إم سَمعان وقالت لي، والله لاقلع عينك بإصبعي هذا، قُمْتُ أَنْطُ عن الفرشة، وصار جوزي يقرأ على راسي آيات قرآن، وثاني ليلة كُنت حامل، وطلعتُ على دار عَزِيز على الأُوَظَة فوق على البلكونة من غَرْبِه ولا في وَحَدَه قاعدة بهالْمَنْدِيل مَلْفَلَفَه، وَشَفْتُهَا وَقُمْتُ أَنْطُ عن الراوية⁽²⁾ آجي في الجنان اللي تحت، اصحيت إلاني واقفه، بيقولوا ابتجي للحوامل والوالدات، بتخنقها وابتخنقُ ابنها، ومرة إجت عليّ قالتلي اطعميني (بيني)⁽³⁾ وَرِكَ، قُلْتُهَا لَمَرَّةً عمي هَذول لذكريا خليهين، وكان على إِيْدِيّ، والله قِمْتُ وَرِكَ وَأَعْطَيْتُهَا نَصَّه، وَخَلَيْتُ نَصَّه إصْحيت من النوم. والله بَقَى ثلاث أيام ومات. فقط ثلاث أيام". وتقول الحاجة مريم⁽⁴⁾ من سردا: "طلعت لي وَحَدَه من البير⁽⁵⁾ وَقُلْتُهَا تُقْتَلِينِش حرام عليكي أنا ولادتي⁽⁶⁾ صغار، قالت لي بتعاهديني... في عهد الله يوم الأحد تلاقيني؟ قتلها بعاهدك (في المنام)، ويوم الأحد اوقعت وبطل يتحرك قلبي رحت ما أموت". وتحدثنا الحاجة جديّة⁽⁷⁾ من سنجل: "مَرَّتْ عَلَيَّ قَصَادَة⁽⁸⁾، وكنت والدَة إلي ثلاث أيام، قُلْتُهَا إِنْت يا خالتي مش صايمه؟ قالوا لي يقشليك يا خايّيه والله ما بنتجي لَحْدَا في المنام إلا بِضُرَّة إذا نَوَتْ".

أما السيدة عزيزة⁽⁹⁾ من بيت دقو فتقول: "الله يعلم إنها شيطانه بنتصور للإنسان عَهِيَّة وحش أو حيه، والله أنا صارت معي أَوَّلُ بَطْنُ خَلْفَتَه، كنت أشوف حيّه كبيرة غليظة، أشوف حالي عند دار أبوي وأشوفها جاية من عِنْدَ جيرانا وَقَتَلْتَهَا، إِلَيَّ بُقْتُهَا بِتُروح عَنْهُ وإذا اتغَلَبَتْ هي بيروح الولد. في تابعة بَتُقْتَلِ الولاد وَبِتُعَيِّشُ البنات، وفي تابعة بَتُقْتَلِ الجنين، في جارتنا جَابَتْ اولاد

(1) مقابلة شخصية، الحاجة سلمى (أم سليمان)، اللّبن الغربي، 59 سنة. 2007/1/6.

(2) الراوية: مكان لحفظ الطعام يوجد في البيوت القديمة..

(3) بَينِي أو يانينة: عامية تستخدم للتعبير والتدليل.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة 2007/8/7.

(5) البير: عامية بمعنى البئر.

(6) ولادتي: عامية بمعنى أولادي.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2008/8/3.

(8) قصادة: عامية بمعنى متسولة.

(9) مقابلة شخصية، السيدة عزيزة، بيت دقو، 52 سنة. 2007/8/5م

واليوم فش عندها غير ثلاث بنات، جَابَت توم ولد وبنت، مات الولد، وظلت البنت. وخمس اولاد راحوا ما عاش ولا وَلَدَ. إذا الْوَحْدَه ما بِيْتَغَلَبُ عليها بِيْتَزَلْ رَاكِتْهَا أَبَدًا وَعُمُرُهَا ما بِيْتَخَلَفْ".

أما قديماً فتنقسم شياطين العالم الأسفل في معتقدات بلاد الرافديين إلى أربعة أنواع: (1)

(1) الشياطين المنحدرين من أصل سماوي وهم (ذرية الإله أنو)، وذرية الإله أنليل وأمههم هي أرشيكال.

(2) الشياطين المنحدرين من أصل بشري، وهم أشباح الموتى ويسمون الأطيمو ويمثلون الناس الذين كانوا في حياتهم تعساء.

(3) الشياطين المركبة من تزاوج البشر والشياطين، مثل الليلو الذي يطارد الحوامل ويفزعهن، و(اردات ليلي)، هن النساء اللواتي يُلاحقهن الرجال ويشبعن رغباتهن منهم ويسببن الأمراض.

(4) الشياطين المنحدرين من الالم الأسفل، وهم عفاريت وجن عالم الأموات وجنوده، والذين يشكلون معظم شياطين الأمراض، يعيننا منهم:

- الأوتوكو "وهم الأشرار المعروفون بالسبعة، الذين يعيشون في المقابر إنهم سبعة موضوعون في الأعماق لا يعرفون الرحمة والشفقة ولا يسمعون التماساً ولا دعاء إنهم خيول رُبيت في الجبال... معادون لـ(ايا)⁽²⁾ إنهم حاملو عرش الأرباب، ولعرقلة الطريق يرمون أنفسهم في الطريق. إنهم أشرار إنهم سبعة عددهم سبعة مرتين سبعة، وهم يمنعون الأطفال من الولادة ويقتلون الطفل الحديث الولادة"⁽³⁾.

- لاباشو، المخرب أو الداحر، يهاجم الأطفال ويسبب لهم الأمراض.

- الكالا، جنود وجيوش العالم الأسفل، السبعة الأشرار، الذين يقتلون الأطفال الرضع ويؤخرون ولادة النساء.

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص 215.

(2) إيا: إله الشفاء (إله الطب الأعلى) انظر: المرجع السابق، ص 320.

(3) المرجع السابق، ص 215. انظر: الماجدي، متون سومر، ص 344.

- ليارتو، شيطان متخصص يهاجم الأطفال ويسبب لهم أمراضاً في أجزاء محددة من الجسم.
- ليلو وزوجته ليلتو، أو ليليت شياطنة الليل أو روح الليل.
- بازوز، يهاجم النساء أثناء الولادة.
- لامشتو⁽¹⁾، تهاجم النساء أثناء الحمل والرضاعة، وتهاجم الرجال ولها رأس أسد وجسد امرأة تقف على حمار وترضع حيوانين⁽²⁾.
- وهناك شياطين أخرى سنأتي على ذكرها لاحقاً.
- وللشياطين والعفاريت صفات واحدة تقريباً تتضح في التعويذة البابلية التالية:
- "إنهم ليسو ذكوراً أو إناثاً
- إنهم الرياح الهابة المهلكة
- ليست لهم زوجات ولا ذرية
- ولا يعرفون شفقة أو رحمة
- ولا يستجيبون لتضرع ولا دعاء
- إنهم كالخيول الجامحة في الجبال، يناصرون الإله إيا العداء"⁽³⁾
- وفي الأنيمواليش جاء عن الكالا "وهم مرده وشياطين العالم الأسفل الذين رافقوا إنانا⁽⁴⁾ في رحلتها أثناء عودتها من العالم الأسفل إلى العالم الأعلى:
- "الشياطين والمرده الذين حفوا موكب
- إنانا، لم يكن لهم قلب ولا يعرفون الطعام
- أو الشراب، الذين يسلبون المرأة من
- حضن الرجل ويبعدون الطفل عن ثدي

(1) لامشتو بالأكدية تقابلها دمة بالسومرية، انظر: الماجدي، إنجيل بابل، ص 281، وهي لامستو من اللمس، يقال: فلان ملموس، أي فقد عقله، أذهبت عقله التابعة، أو القرينة، أو الشيطان.

(2) الماجدي، بخور الآلهة، ص 216.

(3) حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 215.

(4) إلهة الخصب والجمال.

أمه وكان اسم هؤلاء الـ كالـا..⁽¹⁾.

... بدا العالم القديم من وجهة نظر السومري والبابلي "مكون من عالَمين أساسيين: الأعلى (عالم الآلهة) الذي يحتوي على آلهة قاسية تأمر بالمرض وآلهة شافية تأمر بالشفاء، والأسفل (عالم الشياطين) الذي يحتوي على شياطين تُحدثُ المرض، والإنسان بين هذين العالَمين عالم ثالث يسير وفق ضوابط وموازين وشرائع وسنن، فإذا أُخِلَ بها شعرت الطبيعة أن نواميسها اخترقت، عندئذ تقوم الآلهة بعقاب الإنسان وتقوم آلهة العالم الأسفل باستلام أمر العقاب فتُسَخِّرُ الشياطين لتنفيذه⁽²⁾.

وكانت العفريتة لاماشتو (Lamachtu) التي تقتل النساء الحوامل والأطفال، قد قبلت رشوة تضمنت تقديم ما يلزمها من مؤونة في رحلتها إلى العالم السفلي، وأُعطيَتْ هذه العفريتة حليَّ وحماراً تقطع به الصحراء، وزورقاً لعبور المياه الموجودة تحت الأرض⁽³⁾، وكان طقس الولادة عند السومريين يحمل شعائره منذ بداية الحمل، حيث تقدم المرأة منذ بداية حملها تقدمات للعفريتة الشريرة لاماشتو طيلة فترة حملها، التي ترغب في تقديمات اللحوم والهدايا والدمى التي تجعلها تهرب بها دون أن تتربص بالحامل وتوقع طفلها⁽⁴⁾.

كان للشياطين أسماء دالة على أفعالهم مثل الماسك والرابض، والقابض، وكانت ليليت شيطانة سومرية، وصفها الماجدي⁽⁵⁾ بأنها متخصصة بإغواء الرجال، في حين أشار الباش⁽⁶⁾ أنها متخصصة في قتل الأولاد حديثي الولادة، والتي جاء ذكرها في قصة جلجامش وإنانا وشجرة الحلبو⁽⁷⁾.

"قرأت التعاويذ والرقى لتكسرهما فلم

تستطع وأرادت معرفة الأمر فوجدت أن

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص118.

(2) المرجع السابق، ص320.

(3) كونتينو، الحياة اليومية، ص488.

(4) الماجدي، الدين السومري، ص157.

(5) الماجدي، متون سومر، ص344.

(6) الباش، المعتقدات الشعبية، ص135.

(7) هي شجرة إنانا وهي شجرة الصفصاف غرستها إنانا على ضفة الفرات. انظر الماجدي، انجيل سومر، ص223.

طائر الصاعقة (زو) قد بنى عشه ووضع

فراخه في أعلاها وأن عذراء الأرض

المقفرة (ليليت) التي تهيم في

البراري ليلاً قد نخرت وسطها وسكنت فيه" (1)

طقس التمام والأحبة للتخلص من القرينة:

قد تذهب المرأة الحامل للشيخ أو الفتاح حتى يعطيها حجاباً أو خرزة زرقاء، تقول الحاجة فاطمة عبد الفتاح⁽²⁾، من عين يبرود: "بتكون الوحدة حامل أول مرة وبتنزل، بتروح عند الفتاحين، بفنحولها وبيقولوها عندها قرينة تابعة، بتخليهاش اتظل متبته، بيعملوها تحويطة (حجاب) بتخطه تحت راسها في الوسادة أو بتحمليها في رقبته، بتنام عليه وفي النهار بتظل حاملتها، ولما بتحب الوحدة بتمتنع من الروحة على الفرخ أو الكرّة أو عالقبور، ممنوع تمرق عن دم اذبيحة أو عن مية جارية، لازم تحفظ حالها". والحجاب هو الستر في اللغة وغالباً ما يكون مكتوباً بكلمات وتراكيب غير مفهومة ومسجوعة⁽³⁾.

وقد تلبس المرأة الحامل مسبحة "يسر" وتضعها في رقبته حيث تتدلى على بطنها فوق منطقة الرحم، وتحرص على أن تكون مسبحة لأحد المشايخ أو الصالحين وهي هنا تستخدم كتميمة⁽⁴⁾. ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى أصل الرقية، والتعويدة، والتميمة، والحجاب، أو بداياتها لأنها أقدم الآثار التي خلفها الإنسان، وهي مرتبطة بالسحر، والسحر كما هو معروف مغرق في القدم⁽⁵⁾، ولا بد أن نذكر هنا أن الرقية هي العوذة، وأن الرقي والتعاويذ هما شيء واحد، ونجد كذلك أن التميمة أيضاً تعني التعويدة، تعلق على الإنسان، وفي الحديث الشريف: "من علق تميمة فلا أتم الله عليه"⁽¹⁾ وقيل هي خرزة، إذن نجد هنا أن الرقية والتعويدة والتميمة والحجاب،

(1) الماجدي، إنجيل سومر، ص 223-224.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود، 63 سنة، 2007/7/29

(3) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 169-170.

(4) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 141.

(5) المرجع السابق، ص 169.

(1) الحاكم، الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، م 4، رقم الحديث 7501، ط 1، دار الكتب

العلمية، بيروت، 1995، ص 240.

جميعها بمعنى واحد تقريباً، وتستخدم لنفس الأغراض، والغايات، كما أنها جميعاً تعتمد على قوة الكلمة وفعاليتها⁽¹⁾، وكانت الرقي والتعاويذ السحرية قديماً "تحتل المكانة الأولى، ويحتل الطب ومشرب الجراح، المكانتين الثانية والثالثة"⁽²⁾.

تتحدّر التمايم والتعاويذ والأحبة التي تعتبر وسائل المعزم (الوسيط) أو الساحر، إلى أقدم ديانة سحرية عرفها الإنسان، وهي الديانة الفيتيشية (Fetchisme) التي تسمى أيضاً التمايمية⁽³⁾، ونستطيع اختصار مبدئها في أنها "أشياء تكون مشحونة بقوة كونية عالية جداً، مثل العصي والقرون، والأكياس، والأحجار والخرز، والعظام، وقطع الحديد والأحبة وغير ذلك، وقد تكتسب قوتها من الكلمة فالخرزة التي يحملها بعض الناس أو الخاتم أو القلادة أو الأيقونة التي تحمل اسماً أو كتابة كلها تمايم سحرية اختلطت مع أغراض دينية أخرى، وحتى الأعلام والشعارات المصورة تعتبر فيتيشات"⁽⁴⁾.

وفي مصر القديمة، كان السحرة يصنعون للنساء تمايم خاصة لنجاح الحمل على هيئة إناث الحيوانات التي تمتاز بقوة النسل كالضفادع، وأخرى على هيئة إناث الحيوانات التي تمتاز بضخامة البطن والثدي كأفراس النهر⁽⁵⁾، ويبدو أن هذه التمايم كانت تعود لنوع من أنواع العبادات السحرية، مثل الطموظمية وتقديس الحيوان.

ومن التعاويذ المعروفة تعويذة لاماشتو، كان الشيطان لاماتشو وحشاً غريب الشكل، ذا رأس أسد وجسد امرأة، وكانت تهاجم النساء الحوامل ساعات الولادة، والأمهات المرضعات، لذلك كانت توضع لهن تميمة على شكل وحش برأس أسد، ويظهر الوحش على شكل حمار يركب قارباً في النهر ويُرضع حيوانين، ولعل الوحش هو لاماتشو نفسها، وقد طُرِدَتْ بهذا الأسلوب السحري،

(1) انظر الباش، **المعتقدات الشعبية**، ص 169-170.

(2) كراب، الكزاندر هجرتي، **علم الفلكلور**، ترجمة رشدي صالح، وزارة الثقافة، مؤسس التأليف والنشر، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967، ص 308.

(3) من الكلمة البرتغالية Feitico، سحر، تعويذة، تميمة تصورات تسبغ على الأشياء صفات غريبة عنها، غالباً ما تكون صفات غريبة خارقة وهي أقدم عقيدة مادية آمن بها وجاءت من خلال تصور سحري للكون. انظر: الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 47-48. وانظر: سليم، سلوى علي، **السحر والدين**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1988، ص 40 - 41.

(4) الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 48. وانظر: ديورانت، **قصة الحضارة**، ص 107.

(5) الماجدي، **الدين المصري**، ص 233.

وترافق تعويذة لاماتشو طقوس خاصة⁽¹⁾.

طقس تقديم القرابين للتخلص من القرينة:

تشكل القرابين والأضاحي التي تذبح، طريقة ناجعة للتخلص من القرينة، وتخبرنا القابلة سبعة⁽²⁾ من بيت ريما، طقس طرد القرنية المتبع في قرى قضاء رام الله، والذي تقوم به القابلة (الداية): "جاءت أختي هالولد صار يصيح ومات، قلت لأختي هاذي قرينة يا فريده، هذا شغل قرينة مشلوقته⁽³⁾ بالمطارق، المطرق بالمطرق⁽⁴⁾، وثاني بطن بيدي رحت على واد (بوزنب)⁽⁵⁾ القيت حمارة ميتة، سلخت عنها بالحشاشة، طلت لحمه وصريتها، وأعطيتها إلهها وقليتها خذي قسَميها، وملحيتها وحطيتها حولين الدار، أو وين ما بدك، والله وعاش الولد.

وقد ينسب كل ما يتعلق بالحامل أو الطفل من أمراض إلى القرينة، حيث يقال للمرأة التي بحاجة إلى تعديل في (إم ولادها)⁽⁶⁾ رحمها: قرينتها بتغار منها، لوقلتها⁽⁷⁾ إم أولادها⁽⁸⁾.

"اجتني هالوحده من دير السودان⁽⁹⁾، كل ما بتولد، القرينة بتخلع إيده، وكل إلي بيولدوا بيموتوا، (من واد الشاعر)⁽¹⁰⁾ إلي تحتنا، كل ساعة يموت فيه حماره أو جحش، بتنزّل اختياريه أو اختياري بيسلخ عن هالظا الجحش ويبطول لحمه لازم (بصرصروها)⁽¹¹⁾ في باب الدار، وحوالي الدار، وفي سرير الولد، في باب العتبة، وقليتها اتملحهن واتعلقهن وراحت وعاشولها بنات وبعدها نوم أولاد".

قدّم القدماء قرابين متنوعة للشياطين والكائنات الغريبة والقرنية، تماماً كما نفعل نحن في أيامنا هذه، ويحمل طقس الولادة عند السومريين شعائر بداية الحمل، حيث تقدم المرأة تقدمات للعفريّة

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص 223.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة سبعة طه، بيت ريما، 84 سنة. 2007/8/2.

(3) مشلوقته: شلق، شلقاً: شق أو خرقه طولاً. بالسوط: ضربه. المنجد، ص 400.

(4) المطرق: أي العصا.

(5) اسم وادي في قرية بيت ريما (قرية من قرى رام الله).

(6) إم ولادها: كلمة عامية وهي تعني الرحم.

(7) لوقلتها: كلمة عامية، وتعني قلبته لها، اعوجته، وضعته في غير مكانه الصحيح. المنجد: ص 740.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(9) دير السودان: من قرى قضاء رام الله.

(10) اسم وادي يقع في قرية بيت ريما.

(11) بصرصروها: بالعامية وتعني يصروها يجعلوها في صرر جمع صرة.

الشريرة (لاماشتو) ⁽¹⁾ طيلة فترة حملها، وكانت هذه العفريتة ترغب بتقديمات اللحم والهدايا والدمى التي تجعلها تهرب بها دون أن تتربص بالحامل وتوقع طفلها ⁽²⁾.

إذن يبدو واضحاً هنا أن الطقس نفسه ما يزال يمارس. ولكن ما يثير الدهشة حقاً أن (لاماشتو) التي تقتل النساء الحوامل والأطفال، وصفت قديماً أنها تركب حماراً، وقد قبلت رشوة وحماراً تقطع به الصحراء ⁽³⁾، وقد يبدو واضحاً أن هذا الطقس الحديث له علاقة وثيقة، وجذوره ضاربة في عمق التاريخ، فهذا الحمار الذي تسلخ منه الداية حالياً، يبدو على علاقة مباشرة بالحمار الذي قبلته لاماشتو رشوة، وارتبط بها بعد ذلك، فهي تركبه وتقطع به الصحراء، وقد وجدت الطقس نفسه في معظم قرى رام الله إن لم تكن كل القرى التي زرتها كاللبن، والجديرة، وسردا، وأبو قش، وسنجل، وبيت عور، وبيت ريما، وعين يبرود... الخ، إذ يبدو أنه تراث شعبي متوارث عند القابلات أينما كن ⁽⁴⁾.

طقس تمويه القرينة للتخلص منها:

في هذا الطقس يلبس الأطفال الأغنياء ملابس قديمة، لأن الجمال والنظافة يجلبان القرينة، كما ويلبس الصبيان ثياب البنات، لأن القرينة تفضل قتل الذكور على الإناث ⁽⁵⁾، وقد يسمى الطفل خميساً، لأنه يرمز إلى الرقم خمسة، وهو تعويذة قوية وكنية شائعة للخنزير، ذلك الحيوان الذي تكرهه الأشباح والجن لأنه أفذر منها ⁽⁶⁾.

كان الإله إيل يحفظ الناس من الشقاء بتمويههم بالدهان ⁽¹⁾، كما كان إنسان الكهوف منذ العصر الحجري القديم يرسم الوحوش مطعونة بالسهم والحراب، أو يرسمها وأرجلها مثبتة في المصايد التي دأب على نصبها، وكان أحياناً يرسم قلب الحيوان، وكأنه يحدد موضعه للصائد الحديث الخبرة، لكنه كان يستخدم مع ذلك أغراضاً سحرية لتمويه الفريسة التي قد تسعى بعد موت

(1) صورها القدماء على شكل شيطانة تركب حماراً. انظر: الماجدي، *بخور الآلهة*، ص 219.

(2) الماجدي، *الدين السومري*، ص 157.

(3) انظر: كونتينو، *الحياة اليومية*، ص 489. وانظر الماجدي، *الدين السومري*، ص 157. وانظر: الماجدي، *بخور الآلهة*، ص 222. وانظر الباش، *المعتقدات الشعبية*، ص 135.

(4) أجمعت كل النساء اللواتي تحدثت إليهن على الطقس نفسه وعلى كون الحيوان يجب أن يكون حماراً.

(5) كنعان، *الكتابات الفلكلورية*، ص 77.

(6) المرجع السابق، ص 75.

(1) الباش، *المعتقدات الشعبية*، ص 161.

الحيوان إلى تقمص روحه للانتقام من الصائد، وإلحاق الضرر به، أو قد تُسلط عليه أنواعاً أخرى من الحيوانات المفترسة، أو قد تصيبه بالأمراض والعقم، لذلك فعند تصوير الحيوان يتم التدقيق في إظهار تفاصيل أعضائه والتعبير بصدق عن حركته، وحين يُصوّر الإنسان نراه يخشى إظهار تقاطيع وجهه ومعالم شخصيته، كي لا تتعرف عليه قرينة الفريسة، فيرسم الإنسان بشكل رمزي مجرد للغاية، كأنه أشكال هندسية، أو رسوم بسيطة صادرة عن طفل صغير غير قادر على الرسم⁽¹⁾، ويسمى هذا مبدأ الإيهام عند السومريين⁽²⁾.

طقس العفريت (أبو الربوص):

من أنواع العفاريت أو الشياطين المشهورة في فلسطين ما يسمى بأبي رابوص وهو عفريت مشهور جداً، يهاجم الإنسان وهو نائم ويحاول خنقه، فيستيقظ مذعوراً، تقول الحاجة جديّة⁽³⁾، من سنجل: "أبو رابوص هازا شيطان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بخلق الواحد وهو نايم بصحى يقول إجانني أبو رابوص بيحي للولاد الصغار بخنقهم، وللكبار".

تقول الحاجة مريم⁽⁴⁾ من سردا: "بطلع للواحد في المنام -بسم الله الرحمن الرحيم- يحاول يُخنق الواحد بقولوا دمه وقف. يحاول إيقوم، بقدرش. لازم إيطل إيحاول تيصحى اسمه أبو رابوص إشي إثقل على صدر الواحد بخنقه وهو نايم".

يبدو أن لهذا الشيطان أو الشيطانة جذوراً مغرقة في القدم، إنه نفسه "الراييصو" السومري والبابلي، المتربص الذي يخرج في الليل ويختفي في النهار، يخنق الصغار والكبار⁽¹⁾. ومن التعاويذ المضادة لهذا الشيطان في تراث وادي الرافدين هذه التعويذة: "بماء طاهر نظيف، وبماء صاف لامع سبع مرات وسبع مرات، رش وطهر ونظف، هلا ترحل الراييصو الشريرة

(1) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، مصر، ط1، 1977، ص10-11.

(2) انظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص205.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/1.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص216.

هلا ينتحي جانباً... " (1). وفي هذه التعويذة: "يقوم الساحر بحرق شكل معين يمثل أحد الشياطين، ويقرأ: أنا أحمل الشعلة وأحرق أشكالهم، أشكال الاتوكو والشيد والرابيصو... " (2).

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص224.

(2) المرجع السابق، ص225.

الفصل الثاني

طقس الولادة

طقس الولادة

قد تنذر المرأة، أو أمها أو حماتها، أو زوجها، أو جميعهم بنذر الله تعالى حيث يقولون: "إذا قامت فلانة سألما لأذبح ذبيحة لوجه الله أو أفرق كذا، أو أضوي الولي الفلاني، أو أشعل شمعة في المهد (خاص بالمسيحيين)، ويتركز الاهتمام على سلامة المرأة أولاً فيقال المهم سلامة الوالدة ويقال "إن ظل العود⁽¹⁾ اللحم بيعود"⁽²⁾.

طقوس عسر الولادة:

"يعزى عسر الولادة في كثير من الأحيان إلى (استثارة القرينة)، وذلك لوجود النجاسة⁽³⁾، أو غضب الجن، أو غضب الزوج على الزوجة، ولأسباب أخرى كثيرة. وتقاسي المرأة آلام المخاض، فتطلب النسوة حولها من الله رفع (الشدة) عنها، وأبعاد القرينة"⁽⁴⁾، ويصاحب الدعاء عادةً الطقوس التالية:

صلوات عدد من القديسين⁽⁵⁾، أو مسبحة أحدهم، تُسرّع عملية الولادة فما أن تضع المرأة المتعسرة المسبحة حول رقبتها وبطنها ورحمها حتى تبدأ الانقباضات الطبيعية للرحم، وتخف كل الاضطرابات والأوجاع، ومن هذه المسابح: مسبحة البكري، ومسبحة الشيخ أبو يمين وبنفس الطريقة تقدم المساعدة بوساطة أغطية قبر الشيخ الخليلي⁽⁶⁾. وتستخدم المسبحة كتميمة، فهي تتكون من الخرز الذي له قدرة على شفاء الحالات المستعصية، وهو أنواع: فهناك خرزة الكباس لحماية الطفل والأم، وخرزة الرضاعة، وخرزة النفاس، وخرزة المحبة.... الخ⁽⁷⁾.

ولا يزال الفلسطينيون يجلبون معهم من الحج أنواعاً من المسابح التي تستخدم توائم وأحذية مع أن الحديث الشريف نهى عن استخدامها "من علق تميمة فلا أتم الله عليه"⁽⁸⁾.

(1) العود: الغصن وهنا بمعنى الهيكل العظمي للجسم. انظر: كناعنة، الإجاب والطفولة، ص145.

(2) المرجع السابق، ص145.

(3) النجاسة: وجود إحدى النساء "غير طاهرة" عليها العادة الشهرية.

(4) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 142.

(5) القديسون عند المسيحيين، والشيوخ عند المسلمين.

(6) كنعان، كتابات فلكلورية، ص58.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة أم زياد، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/6.

(8) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط 1، 1922 ص 79 و 128.

كما يبدو أن في استخدامها نوعاً من السحر الاتصالي⁽¹⁾، فبمجرد أن تعلق المرأة المتعسرة الولادة مسبحة قديس أو شيخ، ستنقل إليها قوة هذا الشيخ، إذ يعتبر الأولياء والمشايخ وأصحاب الكرامات أقرب إلى الله من الناس العاديين، ووسطاء بين الله والبشر، فهم يمتلكون قوى خارقة ومعجزات، ولهذا فقد تحمل مسبحة الشيخ أو الولي للمرأة قوته الخارقة.

ويعود استخدام تعاويذ الخرز والعقود والتمايم إلى العصر الحجري القديم، 500000 إلى 200000 عام قبل الميلاد، حيث عثر في قبور الكهوف على قطع كثيرة من المحار التي يعتقد أنها كانت توضع وفق أشكال تعاويذية خاصة، ففي أحد الملاجئ الصخرية في (لي إيزيس) في فرنسا عثر على مجموعة مكونة من ثلاثمائة قطعة من المحار البحري كانت مثقوبة يبدو أنها كانت منظومة في الأصل بشكل عقود⁽²⁾.

وهو يعود كذلك إلى العبادات السحرية وبخاصة الفيتيشية أقدم عبادة في التاريخ، والتي تقوم على الاعتقاد بقوة الأشياء، وكانت مادتها التمايم والخرز والأحجار، وكان الإنسان يعتقد أن قوة الكون كله تكمن فيها، وأنها تؤثر في ما حولها، ولهذا كان الإنسان يرتديها وهو يخوض عمليات الصيد أو الرعي لتحافظ على حياته⁽³⁾.

كما عثر في مقابر النياتدرال⁽⁴⁾، على حصة بيضوية محززة باثني عشر جزءاً كنوع من التقويم القمري، والتعاويذ في شمال وادي الرافدين⁽⁵⁾. وفي مصر القديمة اهتم الإنسان المصري النيولتي بعد الألف الخامسة قبل الميلاد⁽⁶⁾، باستخدام الحلي ومنها أقراط النساء والأساور والخرز والقلائد لجلب الحظ ومنع أذى الأرواح الشريرة⁽⁷⁾.

ورد في كتاب الموتى: "أن القلادات كانت تخبأ بين ثنايا المومياء، أو تعلق حول رقبة المتوفى كتعاويذ تحميه من الشرور والتحلل والسرقة، وهذا ما جاء عن قلادة تيت من اليشب الأحمر⁽¹⁾.

(1) السحر الاتصالي. انظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص 166.

(2) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 49.

(3) المرجع السابق، ص 64.

(4) إنسان النياتدرال 500000 - 200000 ق.م. السواح، جلجامش، ص 215.

(5) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 40.

(6) في مصر تأخر العصر النيولتي عن العراق. انظر المرجع السابق، ص 118.

(7) علي، ثريا، (العروس)، ص 94.

(1) اليشب: حجر كريم يشبه الزبرجد، لكنه أصفى منه. انظر: المنجد، ص 926.

وهناك طقس أخذ أثر من رجل مبارك أو شيخ لتسهيل عملية الولادة ففي دير غسانة يعتقد أن أخذ خيط (المُغيط)⁽¹⁾، المأخوذ من بنطلون رجل شريف وظاهر يمكن أن يخفف آلام الولادة أثناء الطلق، إذا لف حول بطن المرأة الوالدة⁽²⁾.

وتذكر لنا الحاجة فاطمة من قرية (اللبن) طقساً مشابهاً فتقول: "إليّ بِنْتَعوق عند الولادة، بيروحن على شيخ وبِيجِبِن الدَكَّة⁽³⁾ تَبْعَتَه وبِيشدين ظَهرها فيها وبِاذن الله بتولد"⁽⁴⁾. تقوم دكة بنطال الشيخ بالدور السحري للمسبحة.

طقس الدحرجة

تقول أم فهد⁽⁵⁾: "لَفْتَنِي وَحَطْتَنِي الدَايَةِ فِي حَصِيرِهِ وَصَارَتْ اتَّحْدَل فَيِّي، غَادِي جَاي، جَاي غَادِي مَا قَمْتُ وَلَآئِي وَالدَّة".

كان الساحر أو الكاهن قديماً يُدحرج أحياناً حجراً على بطنه ثم يسقطه على الأرض، آملاً أن يقلده الجنين المستعصي فتسهل ولادته، وقد يقوم الساحر إذا أراد أن يخفف آلام امرأة تضع، بحركات الوضع نفسها على سبيل التمثيل، لعله يوحي إلى الجنين بقوة سحرية كي يظهر⁽⁶⁾. ولربما كان للحصير علاقة بالسحر والطوفان والعبور إلى العالم الآخر والميلاد الجديد، فالحصير يشبه في مبدئه النسيج المكون من الخيوط والحبال المتقاطعة، التي تدخل في عالم، السحر.

فقد كانت المقبرة عند إنسان العصر الحجري الحديث عبارة عن حفرة بيضوية الشكل ذات أركان ملفوفة، يكفن فيها المتوفى بلفائف من الحصير أو الكتان، ويوضع رأسه فوق وسادة بحيث تتخذ الجثة شكل القرفصاء بوضع يمثل الجنين في بطن أمه، وأحياناً أخرى كان الطفل المتوفى يوضع في سلة شبه مستطيلة من البوص يغطيها الحصير⁽¹⁾.

(1) المغيط: مادة صمغية تصنع منها خيوط تتسج مع خيوط قطن أو حرير، عامية فصيحها المطاط. المنجد، ص 769.

(2) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص 58.

(3) دكة: كلمة مُحرفه صوابها النكة، وهي رباط السراويل الأعلى، فارسية معربة. المنجد، ص 220.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.

(6) ديورانت، قصة الحضارة، ص 111.

(1) صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط4، 1987، ص 47.

واهتم الإنسان المصري النيولتي بعد الألف الخامسة ق.م كثيراً بعقيدة الخلود، وقد ربط نفسه بهذا التقليد الديني بتغطية جسم المتوفى بالحصير آملاً في تحقيق عقيدة الأبدية⁽¹⁾، ويبدو أن الإنسان البدائي ربط بين القبر والحصير في تمثيل لعملية الطوفان التي تشبه المخاض، والتي تشبه كوخ القصب (سفينة) نوح أوتنابشتيم⁽²⁾، وبنجاته مولد جديد في عملية عبوره إلى العالم الآخر، حيث شهدت الآلهة عملية البعث التي تمت في ستة أيام واستقرت في السابع، في تشاكل مع خلود الكون البدئي الأول.

الطقوس المصاحبة لعملية الولادة:

في غرفة الولادة:

يتواجد مع المرأة الولادة، ثلاثة نساء، الداية وسيدتان. وتخبرنا الحاجة مريم⁽³⁾ من سردا: "بنتجي الداية ومعها ثنتين نسوان، بِنَقْعَدُ الداية المَرَّةَ على حَجَرٍ أو خشبة واحيان وهي نائمة، وَبِحُطْلَها عصابة على راسها وبتشدها".

ويعتقد الفلسطينيون أن السماء تكون مفتوحة لحظة الولادة، وأن الملائكة تحيط بالمرأة الولادة⁽⁴⁾. تقول القابلة سبعية طه⁽⁵⁾: "والمرّة تَطلِقُ بِحُكْمِ الملائكة نازلين طالعين مثل اللي بدهم يموتوا وفي خطر".

وتذكر لنا الحاجة فاطمة⁽⁶⁾ من اللبن: "كانن النسوان الحاضرات يصيرن يستدعين عند الميلاد، باب السماء ب يكون مفتوح".

وتقول الحاجة مريم⁽¹⁾: "بِنَقْعُدُ الوَحْدَةَ على خَشْبَةٍ أو حَجَرٍ بيمسكنها واحدة بتغلقلها من (وره)⁽²⁾، لخوف المولود يجرب ينزل وحتى ينزل، من قدام بتستنى الداية، وإذا اتعسرت

(1) انظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص118.

(2) أوتنابشتيم: بطل أسطورة الطوفان البابلية، وهو نوح عليه السلام جاء ذكره في الكتب السماوية. انظر: السواح، ملحمة جلجامش، ص57، 205، 214.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(4) كناعنة، الإتياب والطفولة، ص145-146.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريم، 84 سنة. 2007/8/2.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(1) مقابلة شخصية مع الحاجة مريم، سردا، 71 سنة، 2007/8/8.

(2) وره: أي من وراء (الخلف) أي منطقة الشرج.

ونزل نص الراس بَتَحُطْ ايدها وبتسحبه، بَتَلَفْ وَجْهَهُ لَتَحِتْ تَمَنَّهُ⁽¹⁾ يُصِيح وحتى ينزل أي إشي من ثمه⁽²⁾ بعدين بَتَقَطْعُ الداية السرة وبتلغه.

وتقول الداية فاطمة⁽³⁾ من اللين: "لما بَتَفَجَمْ وَبَتَفَخْ وابطُلْ راس المولود، الداية الشاطره بَتَمَذْ ايدها وَبَتَسَحَبَهُ" وهي تُرَدِّدُ:

"مَدِيت اِيْدِي الِيْمِين وَاتَكَلَّتْ عَلَيْكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِين
مَدِيت اِيْدِي الشِّمَال وَاتَكَلَّتْ عَلَيْكَ يَا رَبَّ يَا رَحْمَن⁽⁴⁾."

شبه الإنسان البدائي قديماً الأرض بالمرأة، وقد رأى أن المقدس، أو القوة العظمى للوجود تكمن في صفات الإخصاب والولادة، التي هي خصائص المرأة، ثم حاكى هذه القوة العظمى بالأنثى (الأرض والمرأة) ذات الطبيعة الإلهية فعبد خصوبتها⁽⁵⁾.

وفي جاتال هويوك⁽⁶⁾ شغلت خصوبة المرأة الأم المكانة الرئيسة في عباداتهم، وغالباً ما صورت بتمثال دائري مع فهد بالقرب من الثديين. وتجلس الربة على العرش يساندها فهدان، وصورت بعض التماثيل الربة الأم وهي تلد طفلاً⁽⁷⁾.

وأعجب البدائي بقوى الخصوبة الخلاقة العجيبة، ورأى يداً إلهية في حمل الجنين أو ولادته، فعبد الجنس وأجلَّه⁽¹⁾، كما عبد الجنين (المولود) بعد أن شاكله بالكون الوليد من ننخرساج⁽²⁾ (أم كل شيء حي)⁽³⁾.

وتبدو لنا الولادة عند السومريين أقرب إلى الصحة والشفاء، أما الموت فكان اقرب إلى المرض،

(1) تمنه: كلمة عامية بمعنى حتى.

(2) ثمه: عامية بمعنى فمه.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللين، 67 سنة. 2007/1/11.

(4) كناعنة، الإحتجاب والطفولة، ص144.

(5) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص82-83.

(6) جاتال-هويوك في الأناضول في العصر النيولتي، 8000 ق.م.

(7) دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص67.

(1) ديورانت، قصة الحضارة، ص105-106.

(2) ننخرساج، إلهة الماء. انظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص296.

(3) دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص186-187.

لذا كان الإنسان وما يزال يعيش بين حدين قاطعين، اسمهما الولادة والموت وتدل شجرة الحياة السومرية على أن ما تخرجه الأرض من نباتات، سيكون كفيلاً بإدامة حياة الإنسان، وربما خلوده، وهذا ما يظهره ختم سومري لشجرة الحياة التي تتدلى منها ثمرتان، حيث يجلس عن يمينها ويسارها رجل وامرأة يمدان أيديهما لقطفهما⁽¹⁾.

ويبدو أن المرأة الحامل كانت تلد وهي راکعة على حجرين بينهما فراغ، وقد صورت عند المصريين القدماء وخلفها ثلاث نساء هن المولدة (الداية)، والمرضعة، والخادمة. أما في الحجران فجاء عنهما في قرطاسية تورينو: "مكثت الوالدة على القرميد، (الحجر الأحمر)، وجاء في التوراة قول فرعون: "وانظروا إلى الحجرين فإذا كان الطفل ذكراً فاقتلوه"⁽²⁾.

أما بيت الولادة، وهو (مبنى ضئيل الحجم يلحق عادة بالمعابد المصرية الرئيسية، كانت تتم فيه عمليات الولادة الإلهية تحت رعاية وحماية الإله القزم "بس". وبصفه رمزية تفيد كلمة بيت معنى (إلهة)، تقوم بدور المأوى، وتضم بداخلها الحياة، لذا فإن حتحور⁽³⁾ (تعتبر إيزيس إحدى تجلياتها، وقد لقيت "بيت حورس"⁽⁴⁾⁽⁵⁾). ويتواجد الآلهة وربات الولادة مع المرأة التي على وشك الوضع في غرفة الولادة، وهن: سبع إلهات ثانويات مخصصات ليساعدن ننماخ⁽⁶⁾ ساعة الولادة، ويبدو أن لكل واحدة فيهن دوراً خاصاً: نن إماء، نن ماداء، نن باراء، نن مكك، نن كوناء، سوزي أنار، موسار غابا⁽¹⁾. وقد حافظت ننماخ على دورها في الخلق فهي إلهة الولادة التي صنعت الإنسان من الطين مع إيا⁽²⁾.

"إيا: أمي إن المخلوق الذي نطقت باسمه موجود، اربطي عليه صورة الآلهة

اخلطي قلب الصلصال الذي فوق الغمر

(1) انظر: الماجدي، *بخور الآلهة*، ص 147.

(2) غربال، *تاريخ الحضارة*، ص 553. شكل 24 صورة توثق ذلك.

(3) حتحور: إحدى ربات السماء الأوليات في مصر القديمة. انظر: *آلهة المصريين*، ص 127.

(4) حورس، أي الوجه إله سماوي بدئي وهو أحد تجليات رع. انظر: المرجع السابق، ص 130.

(5) المرجع السابق، ص 78.

(6) الآلهة الأولى السومرية.

(1) الماجدي، *متون سومر*، ص 159، 165.

(2) الماجدي، *بخور الآلهة*، ص 314.

إن الخالقين الطيبين الأجلاء سوف يكتفون بالصلصال

أنت، تُخرج الأعضاء إلى الوجود

إن ننماخ إلهة الأرض الأم سوف تكون من فوقك

وإلهة الولادة... سوف تقف من خلفك⁽¹⁾.

تعتبر الإلهة إنانا إلهة الحب والجنس والإخصاب والولادة أشهر وألمع إلهة سومرية⁽²⁾، وكانت

الإلهة باست سيدة برأس قطة، ربة النساء الحوامل⁽³⁾، وكان الإله خنوم يصوغ شكل الجنين حين

يحضر ساعة الولادة، وتساعدته الإلهات الأربع (إيزيس، نفتيس، حقت، مسخت)⁽⁴⁾.

جاء في الأساطير الحثية (650 ق.م):

"القابلات جنن به إلى الولادة

وربات المصير والإلهات والأمهات رفعن الطفل"⁽⁵⁾.

كان حمل المرأة حدثاً مهماً في بلاد سومر، وكان يحظر عليها إسقاط الجنين لأي سبب كان.

وهناك عدد من التعاويذ والصلوات التي كانت تُقال للمرأة الحامل (اريتو Eritu) والتي كانت

تقدم خلال أشهر حملها للعفريته (لاماشتو) كي تضمن ولادة سهلة وطفلاً كاملاً.

وكانت عملية الولادة تجري في البيت، وتقوم بها القابلة (sha-zu) والتي غالباً ما كانت تأتي

حين تحين الولادة (Aladu) وهي تردد الصلوات والتعاويذ لتسهيلها، ويبدو أن الولادة كانت

تجري على مصطبة⁽¹⁾ من اللبن تحضرها القابلة التي أخذت هنا دور كاهنة أو دور الإلهة ننتو

إلهة الولادة والمساعدة في الإنجاب وربما أورورو، وهما صورتان من صور الإلهة السومرية

الأم ننخرساج⁽²⁾. كانت القابلة تعصب رأس الأم، أثناء عملية الولادة بقطع حبل السرة، وتثبت

الولادة وتأييد نسب الطفل إلى الأم⁽³⁾.

(1) كريم، أساطير العالم القديم، ص 84.

(2) الماجدي، بخور الآلهة، ص 294.

(3) بدج، والس، آلهة المصريين، ص 532.

(4) انظر: الماجدي، الدين المصري، ص 233.

(5) روست، صلوات وحكايات حثية، ص 12.

(1) المصطبة، مكان مهمد، قليل الارتفاع عن الأرض يُجَلَسُ عليه، (من الحجر) انظر: المنجد، ص 424.

(2) انظر: الماجدي، متون سومر، ص 322.

(3) انظر: المرجع السابق، ص 322.

وفي مصر القديمة كان الإله خنوم يقرر الشكل النهائي للجنين، أما ساعة الولادة فتقوم الإلهة إيزيس وكاهنتها القابلة بعملية الولادة، تساعد الإلهات الباقيات فتسندنها (نفتيس) وتسرعها (حقت) وتشجعها (مسخت)، ثم تغسل القابلة الوليد وتقطع حبله السري⁽¹⁾.
جاء في الاينو ما إيش:

"تلقت (مامي)⁽²⁾

من إلهات النسل نصائح الحمل
فشهور الحمل بعد الجماع، تسعة، ثم ينفخ الرحم،
فتقوم الآلهة بوجه مشرق ورأس معصوب
بإجراء الولادة ثم تشمر عن ساعديها وهي تردد
التبريكات لتخط صورة المولود بالطحين ثم تقول:
لقد خلقتة... لقد صنعتة يداي"⁽³⁾.

الأقوال الماثورة والأدعية عند الولادة:

تقول القابلة أثناء عملية الولادة بعض الأدعية والأقوال كما تخبرنا الحاجة مريم⁽¹⁾ من سردا:
"لما تقرب الوحدة بتصيح الداية:

نوح⁽²⁾ على راسكُ بِنْدَه بِخَلَاصِكَ
نوح على راسكُ بِنْدَه بِخَلَاصِكَ "
يا نوح يا نوح يا مخلصُ روح من روح"
"يا الله يا الخطر

(1) انظر: الماجدي، الدين المصري، ص233.

(2) مامي: الإلهة الأم هي نحر ساج تظهر هنا أشكالها الأمومية والخالقة مامي = الأم. انظر: الماجدي، إنجيل بابل، ص106.

(3) الماجدي، إنجيل بابل. ص111-115.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) نوح: نبي ورد ذكره في القرآن الكريم في قصة الطوفان، وفي التوراة، وهو نفسه أونباتشيم بطل أسطورة الطوفان البابلية. انظر: السواح، جلامش، ص 57.

يا سيدي يا خَظَر⁽¹⁾ أبو العباس، تَطْلُعُ الراس

هيه يا ربي با بو خيمة زِرْقَه تَنْشِلْ هَلُولِيَه

وعندما يطل الرأس، تصرخ الداية فاطمة⁽²⁾ من اللبن:

عيني⁽³⁾ وَلَدِكْ، عيني وَلَدِكْ

ولا تزال الجدة أو الأم الفلسطينية تقف في غرفة الانتظار في المشفى قائلة هذه الأدعية بصوت منخفض فهي تؤمن بمدى أهميتها في إعانة المرأة أثناء الطلق.

وقد تقول الداية: "إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت، وإذا الأرض مدت، وألقت ما فيها وتخلت" تُكْرَّرُ أَلْقَتْ ما فيها وتخلت ثلاث مرات، وقد تقول: "حَنَّة جابت مريم، ومريم جابت عيسى، أخرج أيها الملود بحق الرب المعبود"، وأحياناً تكون هذه العبارات مكتوبة على صحن من شيخ، وبعد ترديدها تغسل الداية الصحن وتشرب المرأة التي في حالة الولادة الماء⁽⁴⁾.

أعتقد أننا هنا أمام طقس سحري ينطلق من اعتقاد الإنسان القديم أن الألم علامة من علامات الاختلال في الطبيعة، بحيث يمكن شفاؤه عن طريق انتزاع الشخص المتألم أو المريض من سياق زمنه الحالي والعودة به إلى الخلف، وفي اتجاه معاكس نحو كمال البدايات عن طريق استحضار القوة الإلهية الخالقة التي أبدعت الكون في الزمان الأول، والمعنى العميق للطقس هنا، تكرار أحداث الأصول والبدايات وتصحيح "الاختلال في حياة الإنسان"⁽⁵⁾.

فعندما أرادت ننخرساج (الأرض) أن تشفي إنكي وَضَعَتْهُ في فرجها، أي أعادته إلى البدايات والأصول:

"ننخرساج أجلس أنكي في فرجها

ما الذي يوجعك يا أخي...⁽⁶⁾.

(1) الخضر: أحد الأنبياء في رأي بعض رجال الدين وعند البعض الآخر صاحب النبي موسى في رحلته المشهورة في سورة الكهف، وبهذا وضعه القرآن في مرتبة الأنبياء. انظر الباش، *المعتقدات الشعبية*، ص 182.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، اللّبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(3) عيني: عامية بمعنى أعيني أو ساعدي.

(4) كناعنة، *الإجاب والطفولة*، ص 144.

(5) السواح، *الأسطورة والمعنى*، ص 77.

(6) المرجع السابق، ص 70. وانظر: الماجدي، *بخور الآلهة*، ص 301.

كانت أسطورة الخلق السومرية تتلى في العديد من المناسبات كنوع من القوى الشفائية:

في الأيام الأولى، في مطلع الأيام الأولى
في الليالي الأولى، في مطلع الليالي الأولى
في الأيام الأولى، عندما جرى خلق كل ما يلزم
في الأيام الأولى، عندما جاءت المشيئة بكل ما يلزم
عندما تم فصل السماء عن الأرض
عندما تم تعيين اسم الإنسان... (1).

كل شيء كان في نمو، ونمو كانت الأشياء في النوم، ونمو كانت البحر الذي يغمر الكون ومثل
نبض كان الجنين، الكون (آن - كي) يتكون في (نمو) مثل بذره كان يشقها ويزرع (2).

طقوس الاستعانة بالأنبياء

والأولياء:

تخبرنا الحاجة جديّة (3) من سنجل: "لما تَقَرَّبَ الوحدة توضع (4)، وهي تَطْلُقُ، بُنْقَرُ قرآن، سيكون
جبرائيل (5) على اليمين بنقول:
الله يُجْبِرُكَ، الله يَقيْمُكَ سالمة، جبرائيل وعزرائيل (6) يَكونوا واقفين للنفاس، بِطَلْبِ مَنْ من الله،
جبرائيل يساعدها".

إنها فكرة العود الأبدي السومرية وطقس استحضار زمن الأصول، حيث يربط التراث الفلسطيني
هنا بين قصة نوح أونباشتم البابلي والطوفان ثم البعث، الذي يشبه مخاض المرأة، ثم الخلق
والميلاد، والمشاكله بين الحالتين، وبين العودة إلى الأصول والبدايات، واستحضار هذا الزمن
البدئي الأول (العناء الأول، وميلاد الكون)، لكن الجدة أو الأم الفلسطينية تقوم بهذا دون إدراك
وفهم واضح لهذه المقارنات، وإنما باعتبارها تراثاً شعبياً وتقليداً مورثاً منذ أقدم العصور.

(1) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 81.

(2) الماجدي، إنجيل سومر، ص 13.

(3) مقابلة شخصية الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(4) توضع: عامية بمعنى تضع..

(5) جبرائيل: عامية أي جبرائيل عليه السلام.

(6) عزرائيل: عامية أي عزرائيل عليه السلام.

ومن الصلوات التي كانت تقال لتسهيل عملية الولادة قديماً هذه الصلاة: "عسى أن تلد هذه المرأة التي تعاني آلام المخاض بسهولة، كما ولدت البقرة السماوية (كيمي سن)، وعسى أن لا تؤخر عمل القابلة"⁽¹⁾.

وكانت تستعمل تعويذة بازوزو ضد القلق والريح، ثم أصبحت تستعمل لحماية النساء وقت الولادة، وكانت تبدو مثل طائر وعليها كتابة، تقول: "أنا الذي يثور بقوة في جبل العالم السفلي حتى يرتفعوا أما بالنسبة للرياح التي ترافقهم، فقد وضعتُ الريح الغربية أمامهم، الرياح كسرت جناحها"⁽²⁾.

وهناك طقس كانت تقوم به (أورورو)، (ماما)، أو (نخرساج) الأم الكونية الأولى، وهي نسخة آشورية من أصل بابلي أصبحت تستعمل تعويذة لولادة الإنسان، وفيها تُخرج مامي ذكوراً سبعة وإناثاً سبعة، تقول: " من الأربع عشرة رحماً الولودات، سبع ولدت ذكوراً وسبع ولدن إناثاً.

الرحم الولود، خالقه المصير

أتمتهم أزواجاً أزواجاً

(مامي) تكون أشكال الناس

في بيت المرأة الحامل التي في المخاض

ستبقى الأجرة ⁽³⁾ سبعة أيام...." ⁽⁴⁾

ترعى عشتار حياة النساء الحوامل وتكون فوق سرير الولادة، لتسهيل عملية الوضع، وكانت نساء بابل يدعين عشتار وهن على فراش الوضع، وهذه ترتيلة بابلية إلى عشتار:

تعين النساء، فتاة أو امرأة أو أمة

نافذة شرائعها سامية محكمة⁽⁵⁾

وهذه ترتيلة من عصر المملكة المصرية الحديثة⁽⁶⁾

(1) الماجدي، متون سومر، ص322.

(2) الماجدي، بخور الآلهة، ص220.

(3) أجره: ما يبني به من الطين المشوي. المنجد، ص5.

(4) الماجدي، بخور الآلهة، ص328.

(5) السواح، لغز عشتار، ص84.

(6) الدولة المصرية الحديثة، 1575-950 ق.م. انظر: صالح، عبد العزيز، تاريخ الشرق الأدنى، ص205.

سيدة حجرة الولادة، البقرة التي أنجبت كل شيء
سيدة الحياة، واهبة الحياة خالقة كل شيء أخضر
سيدة الرقي والتعاويز، النساجة الحائكة للأقدار⁽¹⁾

وهذا نص بابلي طقسي كان يتلى لتخفيف آلام الحوامل عند الوضع:
"أنت عون الآلهة، يا مامي⁽²⁾ الحكيمة،
أنت الرحيم أيتها الخالقة، اخلقي الإنسان،
فقلت ننتو⁽³⁾ للآلهة الكبار: لن يكون لي أن أنجز ذلك وحدي،
ولكن بمعونة إنكي سوف يخلق الانسان"⁽⁴⁾.

وتقول ترتيلة مرفوعة لعشتار:

"لك الحمد يا أرباب الإلهات، لك الإجلال يا سيدة البشر وأعظم الآلهة،
عشتار ما لها في عظمتها قرين، بيدها مصائر الموجودات جميعا،
لها الدعاء، واسمها الأول بين الأسماء نافذة شرائعها سامية محكمة..."⁽⁵⁾

وتقول ترتيلة إغريقية:

"غنو لجيا، أم الكون، وأقدم الآلهة..."⁽⁶⁾.

وتقول ترتيلة مسيحية:

"السلام عليك يا مريم، يا أم الله، يا كنزاً يمجده العالم"⁽⁷⁾

وتقول ترتيلة هندية:

"سيدة الأناشيد، أم النسل البشري،

حملت بنا منذ البدء، أم الأجناس جميعاً وأم القبائل المختلفة،

(1) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 195.

(2) مامي، هي ننخرساج، الأم الأولى.

(3) ننتو: هي ننخرساج، الأم الأولى. انظر: السواح، مغامرة العقل الأولى، ص 385.

(4) السواح، لغز عشتار، ص 55.

(5) المرجع السابق، ص 52-53.

(6) المرجع السابق، ص 58.

(7) المرجع السابق، ص 59.

سيدة الرعود والأمطار،
أم الأنهار والأشجار سيدة الصخور والأحجار،
أم الحبوب، وكل شيء حي...⁽¹⁾.

طقوس أخرى تابعة لعملية الولادة منها:

طقس التخلص من المشيمة، الخلاصة أو الأخت في المعتقد الشعبي:

"بعد أن ينزل المولود، تقول الحاجة مريم⁽²⁾ من سردا: بَيَّيَقَى الْخَلَاصَة (الأخت)، بربطوها في طرف إصبع إجرٍ المرّه إلّ يَبْوَلَد، بربطوا الحبل لحد ما تطلع الخلاصة، وإذا ما نزلت بتحت الوحده طرف جديلتها⁽³⁾ في ثَمها وبتلوكةا وبس اتقول "إع"⁽⁴⁾ بتزل الخلاصة على طول، بيخافوا ترجع على قلبها".

يُطلق اسم الخلاص على المشيمة، وكثير من الناس يعتقدون أن المشيمة كائن إنساني، وهي الأخت التوأم أو الأخ التوأم للطفل الذي يولد قبل نزولها بفترة قصيرة، وإذا ظلت الخلاصة داخل الرحم، فإن المرأة ستموت بالتأكيد، وتبقى المرأة معلقة بين الحياة والموت حتى تنزل المشيمة، كما يُعتقد أن الخلاص يحوي روح الطفل الوليد، أو يضم روحه الحارسة، والتصرف فيه سوف يحدد مهارات الطفل وحظه، ومصيره في الحياة⁽⁵⁾، تضاف التاء المربوطة لها في العامية فتسمى (خلاصة)، وكلمة الأخت هي الشائعة.

تذكر الحاجة تمام⁽⁶⁾، من بيرزيت: "بِطُوهَا فِي شَقَقَة، بِحَفَرُولَهَا حَفْرَة عَشَانِ الْمَرَة اتَظَل اتَوَلَد وتبقى الوارثة مِسْتَمِرَّة، وَعَشَانِ مَا يَصِيبُهَا إِشِي".

وعند أهل اللين "يحفرون لها جورة غويطة، وإذا خَرَجَتِ الْأَخْت بَرَّه، ثاني مرّه ما بتحمل"⁽⁷⁾.

(1) السواح، لغز عشتار، ص 60.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(3) الجديلة، الشعر له قوة سحرية سنتحدث عنها لاحقاً.

(4) إع: عامية، نوع من التقير.

(5) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 129-130.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيرزيت، 63 سنة. 2007/1/6.

(7) مقابلة شخصية الحاجة فاطمة، اللين، 67 سنة. 2007/1/11.

وفي بيت ريماء "بديها في بير أو بيقبروها من خوف الكلاب والبساس يطولوها، إذا أكلها بس أو كلب بموت الولد"⁽¹⁾.

وفي سنجل "بتحطها في كوز"⁽²⁾ فُخار واتطيتة⁽³⁾ واتعلقه من الباب وجوه، أو بدفنوها في قاع البيت"⁽⁴⁾.

اعتقد الإغريق أن لكل روح كائناً خاصاً مرافقاً (Genius) ومعناه روح طيبة أو خبيثة تسيطر عليه وتملي عليه كل أعماله منذ ولادته⁽⁵⁾.

كما اعتقد المصريون القدماء قبلهم بوجود طاقات وأرواح يخلق بعضها مع الإنسان منذ مولده، وبعضها الآخر يأتي بعد ذلك ومنها:

1. الباء: إنها الروح، الطاقة النفسية في الكائن الحي "روح خالدة في الظاهر والباطن"⁽⁶⁾.
2. الكاء: وهي طاقة حيوية لدى الكائن الحي، وبعد الموت ترجعه إلى منبته الإلهي الأول، والانصهار في بوتقة الأبدية "قم وانطلق إلى الحياة، فإنك لم تمت أبداً، هذا ما يقوله المتوفى في النص الجنائزي الخاص به"⁽⁷⁾.
3. آخ: أما الآخ فهي روح أو نور إلهي يحظى الإنسان به منذ بداية تكوينه كجنين، وتبقى معه بعد الموت والبعث⁽⁸⁾. ويبدو أن هذه الروح تحمي صاحبها كما جاء في كتاب الموتى: "لتخرج الروح المقدسة (آخ) لأوزير"⁽⁹⁾ - الكاهن نس باسفي -⁽¹⁰⁾ معك إلى السماء".

"دعيني أخرج روحاً نورانية (آخو) وسط موكبك"

(1) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريماء، 84 سنة. 2007/8/2.

(2) الكوز: إناء كالإبريق، لكنها أصغر منه. انظر: المنجد، ص 702.

(3) اتطيتة: أي تضع عليه الطين حتى تُحكم إغلاقه. والطين رمل وكلس يجبلان بالماء. انظر: المرجع السابق، ص 478.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2008/8/3.

(5) انظر: الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص 167.

(6) تيبو، موسوعة الأساطير، ص 65. انظر: صالح، عبد العزيز، تاريخ الشرق الأدنى، ص 339.

(7) المرجع السابق، ص 266. انظر: المرجع السابق، ص 339.

(8) المرجعان السابقان بالترتيب، ص 15 و ص 339.

(9) أوزير: إله مصري قديم رب الخصوبة والخير. انظر: تيبو، موسوعة الأساطير، ص 57.

(10) كاهن عاش في عصر الملك بسماتيك حوالي 650 ق.م. انظر: الصيفي، كتاب الموتى، ص 456.

افتح لي، دعني أخرج في النهار

اجعني روحاً نورانية آخو (آخ)⁽¹⁾

واعتقد هنا أن الأخت، لها جذور قديمة وعلاقة بالروح الإغريقية، وبالأخ المصرية القديمة التي تكاد تكون نفسها، وبالروح السومرية، التي أطلقوا عليها اسم (كدم GIDIM)، أو (آدم IDIM)⁽²⁾.

و"يلاحظ أن الخلاص"⁽³⁾ يرتبط عند كافة شعوب الأرض تقريباً ارتباطاً وثيقاً، بروح الشخص الذي يولد فيه وحياته وموته وصحته وطباعه ونجاحه أو فشله، ولذلك نجده يرتبط بالاعتقاد الإنساني الراسخ الجذور، "أن الروح لا تنفصل عن الجسد"⁽⁴⁾، كما يعتقد أيضاً "أن الخلاص يحوي روح الطفل الوليد، أو يضم روحه الحارس، وهو أخوه أو توأمه أو نظيره الحقيقي أو أنه مرتبط به ارتباطاً غامضاً ووثيقاً، فالتصرف فيه أو بمصيره سوف يحددان مهارات الطفل وحظه، ومصيره في الحياة"⁽⁵⁾.

الطقوس المصاحبة لقطع الحبل السري:

الحبل السري: "هو قطعة لحمية تصل بين الجنين (عن طريق سرتة) وجسد أمه في أثناء الحمل، ويسقط بعد الولادة ببضعة أيام"⁽⁶⁾. وتشرح لنا القابلة سبعية طه⁽⁷⁾ عملية قطع السرة كما تجريها هي فتقول: بجيب هالزيتات وهالملاحات بواجي حد السرة، الدكاتره اليوم بعرفوش بقطعوها بزيادة، بقطعها وبربطها وبحط عليها زيت وملح وبخليها حتى تسقط".

أما القابلة فاطمة⁽⁸⁾ من اللبن، فتقول: "بقيس للسرة ثلاث قراريط -تُرَني على إصبعها الثلاث قراريط - وبربط المولود، وبقطع، وبشوية ملح وزيت على قطنه بدنهها وبحطها على المصّران المقطوع وبلفها بخيط، اثنين لثلاث أيام بيتنزل".

(1) الصيفي، كتاب الموتى، ص 155.

(2) الماجدي، متون سومر، ص 299.

(3) الخلاص: عامية تسمى الخلاصة أو الأخت. وبالفصحى المشيمة التي نادراً ما تستعمل في منطقة رام الله.

(4) الجوهري، محمد، علم الفلكلور، ج2، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980. ص 563.

(5) المرجع السابق، ج2، ص 563.

(6) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 131.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريماء، 74 سنة. 2007/8/2.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

وللحبل السري أسرار غامضة تتعلق بالمولود، لذا يعتقد الفلسطينيون أنه إذا ضاع أو أخذته إحدى النساء فإن مصير المولود الممرض ثم الموت⁽¹⁾. لذا تضعه المرأة في خُرج⁽²⁾ البَيْاع (حرز)⁽³⁾ للمولود، كما في سنجل⁽⁴⁾، أو قد تضعه المرأة في كيس، (صرة) بتعلّقها باب الدار من جِوّه كما في اللّبن⁽⁵⁾. وتقول القابلة أو الأم أثناء التصرّف في الحبل السري هذا الدعاء: "بسم الله الرحمن الرحيم، الله يجعل وجهك علينا خير، الله يا ربّي يطوّل عُمرَكَ ويرزقك، وتشوف السعد والهنا".⁽⁶⁾

"لما كنا انخلف، تقطّع الداية سرّة الولد، انحطها في خُرج البَيْاع عشان يلاقى، والبنّت في المجاري مش املح اتلاقي"⁽⁷⁾، هذا ما اخبرتني به الحاجة زينب اسحاق من عين بيرود، وعندما سألتها ما معنى مش املح اتلاقي؟ لم أعر على إجابة واضحة فقد قالت: "إن (خُرج) البَيْاع يجيب الرزقه".

وهذه الحاجة تمام⁽⁸⁾ من بيت دقو تقول: "لما تقطّع الداية السرة بيصرروها حتى تقع من المولود، إما يحطوها في خُرج البَيْاع أو بيصرروها ويحطوها عالباب، جبت أنا ثلاث اولاد وخبيتين لليوم في محل محفوظ". وتستطيع القابلة أو المرأة الكبيرة السن التعرف على جنس الجنين القادم وربما عدد الأولاد والبنات الذين سوف ترزق بهم المرأة، من سرّة الولد، وهو تقليد شائع في منطقة رام الله تصفه لنا الحاجة جديّة⁽⁹⁾ من سنجل فتقول: "فيه إشي بيكون مثل العود أو عجم الزيتون، وإشي مثل حب الطرمس طري، إذا كان حب الطرمس بقولن هذي بنت، وعجم الزيتون بقولن ولد بحسين أكم معها ولد ولا بنت".

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 131.

(2) الخرج: وعاء يوضع على ظهر الدابة. المنجد، ص 173.

(3) الحرز: الحصن المنيع. انظر: المعجم الوسيط، ص 666. وانظر: مختار الصحاح، ص 130.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(5) مقابلة شخصية الحاجة فاطمة، اللّبن، 67 سنة. 2007/1/11. نجد هذا الطقس في معظم قرى رام الله وهذا ما أجمعت عليه السيدات اللواتي التقيتهن جميعاً.

(6) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 173.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيرود 67 سنة. 2007/7/29.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(9) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

وتعود هذه الطقوس جميعها إلى العبادات السحرية البدئية الأولى (الفيتيشية والأرواحية، والطوطمية) وهي هنا ترجع لقانوني السحر التمثيلي والاتصالي معاً، فقطعة اللحم هذه التي سوف تُلف مع النِّبَاع وتستقبل الأموال طالما هي في الخُرَج، سيصبح صاحبها غنياً وثرياً لأنها ستؤثر عليه، فالشبيه ينتج الشبيه حسب قانون السحر التمثيلي أو التشابهي، وهذه القطعة بحسب قانون السحر الاتصالي العدواني ستؤثر على الشخص كله، فالجزء يؤثر في الكل، كما أنها تحمل روح الرجل أو المرأة كما جاء في الديانات القديمة الأولى لذا فهي هنا حرز أو تعويذة، أو تميمة، أو طوطم مقدس، يحمي هذا الشخص ويرعاه ما دام في أيدٍ طيبة.

أما التكهن بجنس الجنين فيرتبط بصفات الرجل والمرأة، فنواة (عجمة) الزيتون الصلبة أقرب إلى صفات الرجل من حيث القوة والخشونة، وحبّة الطرمس الدائرية المنتفخة الطرية أقرب للأنثى (الأرض)، الحياة الأولى البدئية، وهي الأفعى التي تضع ذيلها في فمها، الحلقة، دورة الطبيعة التي لا بداية لها ولا نهاية، كما أن هذه السرة، هي التي عبدها الإنسان النيولتي 8000ق.م. وهي سُرّة عشتار المقدسة، فكانت ذات قيمة رمزية كبيرة، لأنها مثلت مركز الكون، وكان معبدها سُرّة الأرض⁽¹⁾.

طقوس عيش المولود:

ذكرنا سابقاً أن القرنية أو التابعة تهاجم الأم الحامل وتحاول قتل الجنين، فإذا لم يسقط، تلاحقه فور ولادته، فقد تخنقه وقد تصيبه بمرض يموت على أثره، لذلك كله تمارس الأم الفلسطينية بعض الطقوس الخاصة كي تحمي مولودها:

الطقس الأول: المشيمة (الروح):

تقول الحاجة مريم⁽²⁾، "كانت مرت أخوي تولد ويموتو إولادها، فقالوها: ما رَحْ إيعيشلك ولد إلا إذا طُلّتي خلاصته وحطيتها في كوز فخار، وسكرتها، وطلّتي حجر من الدار، من البُنَى⁽¹⁾ وحطيتها محل الحجر وطَيّنتي عليها لأن أولادك بموتو بسبب القرينة، وبعدها بقدرة الله جابت أولاد وعاشو.

(1) انظر: السواح، لغز عشتار، ص48.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) طُلّتي: تناولت. البُنَى: البناء.

جذور هذا الطقس:

ذكرنا سابقاً أن الوسط الشعبي الفلسطيني اعتبر الخلاصة أو الأخت روح الطفل، أخاه توأمه أو حارسه، وبحسب قانون السحر الاتصالي فإنه يفترض وجود علاقة بين الإنسان وأي جزء ينفصل عنه أو يبتز من جسده مثل الأظافر والشعر والمشيمة أو الأخت⁽¹⁾، لذلك تبذل المرأة قصارى جهدها لتخبئة الخلاصة حتى تضمن عدم العبث بها. وهي هنا تستخدم الفخار الذي يعتبر وسيلة سحرية أيضاً، "فمنذ أن تعلم الإنسان النيولتي⁽²⁾ صناعة الجرار الفخارية، انضم الإناء الفخاري إلى رموز الأم الكبرى، ذلك أن الجسد الأنثوي هو أشبه بالوعاء السحري الذي تختمر في ظلماته بذور الحياة، لتتطلق من بوابة الرحم، وجسد الأنثى الكونية هو الجرة الفخارية الذي يحتوي على نعم الحياة، وأسبابها، وقد أظهرت الجرة المقدسة الأثداء التي هي مركز العطاء في جسد المرأة، فكانت على هيئة جسم كروي ذي عنق قصير يليه ثديان أو عدة أثداء، وسرة واضحة"⁽³⁾، "وفي صناعة الفخار، تشبه ليونة الطين في أثناء تشكيله ليونة الجسم الحي، وفي الوقت نفسه يدل على أنه جزء من جسد إلهة الخصوبة، التي تعيش في رطوبة دائمة في جوف الأرض أو في قاع النهر، وهكذا تكتسب طينة الفخار أهمية خارقة"⁽⁴⁾.

"وقد كان للقيمة الرمزية للجرة الفخارية أثر في تكوين بعض عادات الدفن، ففي فلسطين، تم العثور على جرار فخارية استعملت كتوابيت للموتى منذ الألف الخامسة قبل الميلاد، وفيها تكورت الهياكل العظيمة على نفسها متخذة وضعية الجنين في رحم أمه"⁽⁵⁾. وفي نص بابلي "لقبت نخرساج الإلهة الأم الأولى التي تظهر هنا بإسمها الآخر مامي بالرحم الأم:

"أنت عون الآلهة، مامي، أيتها الحكيمة

أنت الرحم الأم"⁽⁶⁾

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص 41-42.

(2) العصر النيولتي 10000 - 8000 ق.م.

(3) السواح، لغز عشتار، ص 48-49.

(4) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 39.

(5) السواح، لغز عشتار، ص 48-49.

(6) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 80.

"وفي ثقافة العبيد⁽¹⁾ 4000 ق.م. عثر على جرار قُبِرَ فيها أطفال، ويعود هذا إلى بدايات ظهور فكرة الخلود"⁽²⁾.

كما "وجد لعشتار نفسها العديد من رسوماتها ومنحوتاتها، تحمل جرة فخارية يميل عنقها قليلاً إلى الأمام ومن ذلك، التمثال المعروف باسم (ربة الينبوع) المحفوظ في متحف مدينة حلب بسوريا، والذي يعتبر من أجمل الأعمال الفنية التي تركتها الحضارات القديمة"⁽³⁾.

"وفي العصور الفرعونية، كانت عادة إلقاء الأنية الفخارية المسحورة في حفر وآبار قريبة من القبور فكرة شائعة، حتى تكون أرصاداً⁽⁴⁾، تضر من تحدثه نفسه بسرقة المقابر"⁽⁵⁾.

وقديماً قيل عن العذراء في إحدى مدائحها: "السلام عليك يا جرة تحوي المن المحلى حواس الأتقياء، السلام عليك يا غذاء يقدم بدل المن"⁽⁶⁾.

بعد هذا التقديم عن الفخار اعتقد أن هذا الاستخدام الحديث للجرة لم يكن وليد الصدفة بل هونوع من السحر يشبه التعويذة أو التميمة، فطالما ظلت الجرة المحتوية على الأخت، الروح، آمنة، بعيدة عن عبث الأشرار والقرينة، بقي الطفل المولود في آمان وسلام وعاش...

الطقس الثاني: الذبح

تقول الحاجة عديلة⁽⁷⁾ من سنجل: "محمد موسى ذَبَحَ على طرف خَلَقَ مرته (زوجته) حربية⁽⁸⁾، حتى يعيشوا أولادها، تسع شهور والدم على طرف خَلَقَها، وعاشوا، وراها ولدين وأربع بنات". والذبح هنا قربان يقدم للقرينة كي تفك قبضتها عن الجنين، إنها الرشوة التي قبلت بها لاماشتو⁽¹⁾.

(1) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 161-162.

(2) السواح، لغز عشتار، ص 49.

(3) المرجع السابق، ص 262.

(4) أرصاد: حَرَسَ، جمع رَصَدَ. انظر: المنجد، ص 262.

(5) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 50.

(6) السواح، لغز عشتار، ص 50.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة عديلة، سنجل، 52 سنة. 2007/8/3.

(8) حربية: كلمة عامية، وهي الحبراء بلفصحي، ضرب من الزواحف تتلون في الشمس ألواناً مختلفة. انظر: المنجد، ص 125.

(1) هي لاماشتو السومرية والبابلية قديماً وهي القرينة أو التابعة في أيامنا هذه.

أما الحرباء فهي "حيوان له قوة سحرية، وهي لا تحظى بأي تعاطف لدى الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، ويرون وجوب قتلها لاعتقادهم أنها تبخ⁽¹⁾ السم، وبالتالي فهي ضارة، ومن الأقوال الدارجة "فلان مثل الحرباية"⁽²⁾. وأرجح الاعتقاد التالي: إن الخوف من الحرباء يكمن في أنها تتلون ويعود هذا إلى استطاعة الشياطين تقمص أشكالها، وألوانها، وهناك أغنية شائعة عن الحرباء، على لسان الحاجة عديلة⁽³⁾.

"حرباية يا بنت اختي وريني سـختي بختي
إن كان إحمر، وإن كان إخطر وإن كان معفر بالسكن"⁽⁴⁾.

وتعلق الحاجة عديلة، إذا البخت⁽⁵⁾ إخطر، امليح، أما إذا سكاني مش مليح.

الطقس الثالث: الالتجاء للجنين المتوفى:

تذكر الحاجة مريم⁽⁶⁾ من سردا: "كانت أختي حامل وجابت ولد سبعة شهور ومات، وحطوه في مغارة، ومَسْكَنِي أبوي وأخذني معه على المغارة، ورفع الكفن وطال تراب، وحطه في صرة، وقال خذي اعطيه لاختك، لأنها فتحت عند الفتاحين وقالوها بِتَحْبَلِيش إلا تَجْبِي تراب من تحت ابنك، ولليوم بيرحن النسوان عند الفتاحين وبيعملن زي ما بيقولولهن مهما كان".

ويعود هذا الطقس إلى السحر التشابهي أولاً، وإلى فكرة أن الميت يعود إلى رحم أمه الأرض، وإلى بيضته التي ستبعثه من جديد ثانياً، فهذا التراب الذي يحوي جسد المولود، يضم أيضاً روحه، ولأن الشبيه ينتج الشبيه، والتقليد يؤدي إلى نفس النتيجة، فإن احتفاظ الأم بتراب يضم روح ابنها سيعيد لها ابناً في أحشائها من جديد. "وقد كان هذا النوع من السحر البدائي أول الطرائق التي كسب بها الإنسان معونة الأرواح أولاً والآلهة ثانياً، إذ يقوم الإنسان بأداء أشباه الأفعال التي يريد من الآلهة أن تقدمها له، وكأنه يغريها بتقليده، فقد تضع المرأة العقيم صورة

(1) تبخ: عامية بمعنى تنفث.

(2) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 291.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة عديلة، 52 سنة. 2007/8/3.

(4) السكن: كلمة عامية تعني الرماد.

(5) البخت: الحظ والسعد (فارسية). المنجد، ص 27.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

طفل في حجرها⁽¹⁾ راحية أن يأتيها الجنين⁽²⁾. إضافة إلى أن التراب نفسه هو الذي خلق منه الإنسان واحتفاظها بتراب ابنها، كأنما تحتفظ بشكل الجبل الأولى التي خلق منها ابنها المتوفى.

الطقس الرابع: الوقف:

تذكر الحاجة جديّة⁽³⁾ من سنجل: "بنت عمتي جابت ثمن صبيان، والثمن صبيان الله يوخذ وداعتهم، آخر مرة كانت بنت، خلّتها وقف⁽⁴⁾ لأبونا الخليل، راح رحمة أبوها كتب اسمها وزّت⁽⁵⁾ الورقة في البير إلي في الخليل ومشى ثلاث خطوات، طلعت الورقة من البير، إلي بقبّيش ورقته بيعيش، وقبل ما كانت انتص⁽⁶⁾ (بنت عمتي) كانت اتقول هي يا خليل في كل إشي حتى في الغناني وعاشت بنتها وجابت بعدها اولاد وعاشوا⁽⁷⁾".

تعني كلمة وقف هنا: أي احتسبها في سبيل الله. أي جعلها فداء، "وقد كانت فكرة البديل استمراراً لفكرة الأضاحي البشرية الموغلة في القدم، وهي تذكرنا بقصة النبي إبراهيم وابنه اسماعيل، ويبدو هذا واضحاً من التجاء الأب إلى الخليل سيدنا إبراهيم، وقد كان (طقس الفوهو، البديل) شائعاً في بلاد الرافدين⁽⁸⁾. وسوف نبحت هذا الموضوع لوحده في (طقس الطهور). أما إذا مات المولود فتقوم المرأة بطقس الإبرة: حيث لا تلمس المرأة الإبرة طول فترة العيد، وليلة العيد خاصة، وإذا أرادت أن تخط شيئاً، طلبت من البنات الصغار أن يخطنَ عنها، وتعطينهن التعليمات كيف يغرزن الإبرة، لكنها لا تلمس الإبرة أبداً، إذ يقال: "إن الطفل الذي مات للمرأة، سيأتي يوم القيامة حاملاً قربة ماء، فإذا لمست الأم الإبرة قبل العيد وفي أيامه فإنها تخرمها ويسيل ماؤها"⁽¹⁾.

يختلط هذا الطقس مع جذور دينية إسلامية إذ يعتقد الفلسطينيون "أن الأطفال الموتى هم طيور

(1) حجرها: عامية بمعنى حُضنها.

(2) انظر: ديورانت، قصة الحضارة، ج 1 م 1، ص 111-115.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(4) وقف: أي احتسبها في سبيل الله. المنجد، ص 914.

(5) زّت: عامية بمعنى رمى.

(6) انتص: أي تنص: تتكلم من نص ونصوص، الكلام. انظر: المنجد، ص 811.

(7) الماجدي، متون سومر، ص 319-329.

(8) الماجدي، بخور الآلهة، ص 232.

(1) اعتقاد شائع في منطقة رام الله.

الجنة في العالم الآخر، وهم المستقبلون الأوائل لأهلهم، حيث يقدمون لهم ماء الجنة، لذلك يقولون: "نيال من إله قطعة لحم في التراب" يقصدون الأطفال⁽¹⁾، ويُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من مات وله ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحدث"⁽²⁾، كان له حجاباً من النار، أو دخل الجنة"⁽³⁾.

وارتبطت فكرة الغزل والنول واشغال الإبرة والتطريز، وفكرة العقد التي يعقدها الرجل في العصر الحجري القديم لنصب الشباك والمصايد لايقاع الحيوان بالعقائد السحرية التي اختلطت بشكل النول البسيط الأول المصيده وبأفعال سحرية قديمة، وأصبح غزل الخيوط وجدل الحبال، واستخدام كافة أدوات النسيج والغزل والتطريز تقتزن في أذهان الناس بعوامل تسخير للخير أو لإحداث الأذى في الآخرين، واعتبر التطريز و الزخارف نوعاً من التعاويذ والطلاسم السحرية⁽⁴⁾، لكن ما يهمنا هنا هو الأبرة المصنوعة من الحديد، وتحريم لمسها في أيام مقدسة كأيام العيد، حيث تتواجد الملائكة ومعها أرواح الأطفال التي تشبه الطائر الشبحي⁽⁵⁾. يقول فريزر: "إن من بين المناسبات ذات الطابع السحري والديني التي يحرم فيها استخدام الحديد، مناسبة الختان والولادة وبناء الأضرحة، كما يحرم حمل الحديد لمن يمس أحد الملوك والكهنة وذلك في كثير من المجتمعات البدائية"⁽⁶⁾. وكان إله الحدادة هيفاستيوس قبيحاً جداً⁽⁷⁾، "كما كانت مكانة الحداد في المجتمعات البدائية محاطة في كثير من الأحيان بنوع من الغموض أو القدسية، كأنه شخصية خارقة"⁽¹⁾.

ويبدو أن الماء الذي في قرية الطفل هو الماء المقدس⁽²⁾، الذي أحيا عشتار في أسطورتها

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص147.

(2) الحدث: الإدراك. انظر: المعجم الوسيط، ص160.

(3) أبو عبدالله، أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي الوائلي، مسنده، ج2، دار الفكر، بيروت، ص276.

(4) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص49-50.

(5) الماجدي، الدين السومري، ص47. الشبحي: من الشبح: وهو ما بدا لك شخصه غير جلي من بعد، وشبح الشيء:

ظله وخیاله. انظر: المعجم الوسيط، ص473.

(6) الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص315.

(7) Frizer. The golden pough. Pp. 270-272.

(1) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص77.

(2) الماء المقدس، هو ماء البعث في العالم الآخر، وقد كان عنصراً جوهرياً في التعاويذ إذ ينقذ الناس من الأمراض

والشياطين. انظر الماجدي، بخور الآلهة، ص315، 332.

المعروفة، فهو ماء من العالم الآخر عالم الخلود، ولأن الوقت هنا مقدس وهو ليلة العيد حيث تختفي الشياطين، بسبب التعبد والصلاة، فإن استخدام الأبرة والخياطة تعتبر طلاسماً أو رموزاً ستعيد الشياطين مرة أخرى، وقد نجد هنا اختلاط العوالم مع بعضها بعضاً في هذه الليلة التي عادة ما تكون مباركة، ويذكرني هذا الطقس بحلم دموزي، و(مشكاته) الذي فسرت له اخته كما يلي:

"أي أخي إن حلمك غير حميد، إن تفسير اليراع الذي يرتفع حولك يعني أن مجرمين يقومون ويهاجمونك، وأن القصة التي تقوم وحدها تحني رأسها لك تعني أمك التي ولدتك، أما القصب القائم مزدوجاً وتنتزع منه واحداً، فواحد منّا سوف ينتزع من الحياة، أما الأشجار فتعني الظلام الذي ستغرق فيه، وستسقط كأسك وتموت طيورك وعزاتك وشياحك، وحظائرك، سيعم الخراب وستمزق شكوتك⁽¹⁾. وسيندلق لبنها ويحطم كوبك"⁽²⁾. فالقربة إذن هي شكوة دموزي. وربما كانت عين الأبرة ووضع الخيط فيها هو طقس عبور للعالم الآخر في هذه الليلة.

الأبناء في المعتقد الشعبي الفلسطيني:

... يعتبر إنجاب الأطفال أحد معايير نجاح الأسرة الفلسطينية، فمن المهم أن يكون للعائلة الفلسطينية أطفال، لأنهم يمنحونها السعادة⁽³⁾، يقول المثل: "وليدانكم سعادتكم"⁽⁴⁾، كما يعتبر الإنجاب شكلاً من أشكال الصراع ضد البقاء، ورمزاً للاستمرارية. فيقال: "اللي خلف ما مات"⁽¹⁾، ويقال أيضاً: "هم زينة الحياة الدنيا"⁽²⁾.

وتقول ترويدة على لسان المرأة التي يهاجر أو يموت ابنها وتبقى دون خلف:

"دارهم يا ناس ما فيها حدا

سافروا منها كما طير الندّا

دارهم يا ناس ما فيها صغار

(1) الشكوة هي وعاء من الجلد للماء أو للّبن. المنجد، ص399.

(2) الماجدي، إنجيل سومر، ص124-125.

(3) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص19.

(4) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص221.

(1) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص70.

(2) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص19، والقول هنا مجتزأ من الآية الكريمة "المال والبنون زينة الحياة الدنيا".

سافروا منها كما طير الحمام⁽¹⁾

كذلك يقال بعد موت الأب الذي لديه أولاد: "سلامة أولادته الله يُحطُ البركة فيهم"⁽²⁾، كما أن الأطفال مهمون لأنهم يشكلون عزوة لأهلهم وأقاربهم "ما بسند الأحجار إلا صرارها، وما بسند الرجال إلا صغارها"⁽³⁾، وتفتخر النساء بكثرة شباب الحمولة، وإليها يلجأ الآخرون.

واحنا الورْد والنَّخْل حولا نايف
واحنا الورْد والنَّخْل حولا مَرْمِي
واحنا الحَمُولَة إِلَي اتجِير الخَايف
واحنا الحَمُولَة إِلَي اتجِير المَدْمِي⁽⁵⁾
وتغني نساء دير دبوان⁽⁴⁾:

يا عليّة العاووده ومعلق فيها جوز جراس
هذي عليّة العاووده واتفضلوا يا ناس⁽⁶⁾
ومن أغاني العتابا:

مسما الخير مسيكم رجالي
ليوم الضيق وانخاكم، رجالي
وانتو عزوتي وانتوا رجالي
عندما تصيح لَيْلِي يا عرب⁽¹⁾
وتسعى المرأة إلى إنجاب مزيد من الأطفال، فيقال "حبلى ومرضعة وقدامها أربعة وطالعة الجبل اتجيب دوا للحبل"⁽²⁾.

وقد تغار المرأة فتحمل فيقال: "لولا الغيرة ما حبلى النسوان"⁽³⁾.

(1) المرجع السابق، ص20.

(2) المرجع السابق، ص22.

(3) المرجع السابق، ص20.

(4) دير دبوان: تقع شرق رام الله مساحتها 77 ألف دونم، عدد السكان فيها 7500 وعدد المغتربين 7000. اتصال هاتفي مع وجيه عبد الكريم، 58 سنة. من أعضاء المجلس القروي.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(6) مقابلة شخصية السيدة ربحية، دير دبوان، 54، 2007/8/16. عيلة العاوودة: ديوان حامولة العاوودة في دير دبوان. والعلية: عامية بمعنى الغرفة العالية.

(1) كناعنة، الاتجاب والطفولة، ص24.

(2) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص107.

(3) المرجع السابق، ص193.

وينفع الأولاد أهلهم، فيقال: "ربي ابنك الصغير ينفك في مكبرك". والولد هو أعز ما يملك الإنسان، ويقال: "فؤادي ولا ولادي"، ويقال "ربيك يا ولدي كل شبر بنذر"⁽¹⁾.

وعندما تزف العروس يأمل لها المدعوون الإنجاب:

يا ريتك مباركاً... عالينا، عالينا
يا ريتك امباركاً عالينا يا ربّي
يا ريتك امباركاً عاجار وعالجار
يا ريتك امباركاً عَ مُحَمَّدَ لَحَالِه
وتبكرى بالصبي يلعبُ حاولينا.
وتبكرى بالصبي ويتزدي المحبي
وتبكرى بالصبي ويتعمري الحارة
وتبكرى بالصبي ويتعمري داره⁽²⁾
ويقال في الزفة أيضاً:

ديري ارجالك قدامك يمّ الدبوس
ديري ارجالك قدامك يا نشمية
هي ارجالي قدامي بعز وناموس
هي ارجالي قدامي في العلية⁽³⁾
ويغنى للابن الوحيد:

يا حب اللولو عالدرب مدينا محمد وحّداني ربي يعمر بيتنا⁽⁴⁾

وعندما تتجب المرأة بعد أن تمر بمعاناة طويلة، حيث عايرتها سلفتها وحمايتها وقريبات زوجها.
لذلك فهي تزغرد:

هي وياما قعدت على الدرج ودموعى زي البـرـر
هي والحمد لله يا ربي ما بعد الضيق⁽⁵⁾ إلا الفرج

لـوـلـوـلـوـلـوـي

هي والحمد لله صبرنا وما صبرناشي هي وصبر الطريق على الخيال والماشي

(1) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص168

(2) مقابلة شخصية الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) المصدر السابق، 2007/8/7.

(4) المصدر السابق، 2007/8/7.

(5) الضيق: أي الضيق.

هَيَّ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ يَا رَبِّي هَيَّ صَبْرْنَا وَمَا أَفْشَلُنَا شَيِّ

لـولـولـولـولـوي

هَيَّ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ صَبْرَ قَلْبِي وَمَاقَصَّر هَيَّ وَأَنْحَلُ حَبْلَ الْجَفَا مِنْ بَعْدِ مَا اتْعَسَرَ
هَيَّ وَحَيَاةٍ مِنْ خَلَا أَنْجُومَ اللَّيْلِ تَنْفَسَرُ هَيَّ وَإِلَيَّ زَمَانٌ عَهَاظَا الْيَوْمَ بَتَّحَسَّرُ⁽¹⁾

لـولـولـولـولـوي

وتخبرنا الحاجة جدية⁽²⁾ من سنجل: "كنا نَمَلِّي من النبعة، تَعْمَلُهَا حَمَاتُهَا عَسَلِيَّة⁽³⁾، صغيرة (للعرّوس)، اتروح على العين اسمها (عين الجب) وكان ثوبها اتخلّيه ينسل، ما يُطَرَّقُولُهَا ش⁽⁴⁾ إيهاء، تُخْبِطُ فِيهِ وَيَنْسِلُ عَشَانُ اتْخَلَفَ".

ويُظْهِرُ هَذَا الطُّقْسُ حُبَّ الْفِلَسْطِينِيِّينَ لِلْإِنْجَابِ وَفِيهِ نَوْعٌ مِنَ السَّحَرِ، فَتَنْسِلُ الثَّوْبَ سَيُؤَدِّي إِلَى كَثْرَةِ الْأَوْلَادِ.

وتظهر ملحمة جلجامش⁽⁵⁾ أهمية الأبناء:

فبعد أن ذهب أنكيكو⁽⁶⁾ صديق جلجامش إلى العالم الأسفل طلب جلجامش من (أوتو)⁽⁷⁾ أن يخرج له شبح صديقه، ففتح أوتو ثقباً في العالم الأسفل، تسَلَّلت منه روح أنكيكو فأخذ الصديقان يتحاوران، قال جلجامش لأنكيكو:

أخبرني يا صديقي عن أحوال العالم الأسفل الذي رأيت

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا 71 سنة. 2007/8/7.

(2) مقابلة شخصية الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(3) عَسَلِيَّة: جرة صغيرة

(4) يطرقولها: يَخِيطُوهَ لَهَا

(5) ملحمة جلجامش: لها نصوص سومرية كثيرة، ولكنها وضعت في رواية متماسكة في مطلع الفترة البابلية القديمة، ووجدت ضمن أنقاض مكتبة الملك "أشور بانيبال" توفي عام 626 ق.م. وهو النص الذي يعزى إلى كاهن بابلي عاش حوالي سنة 1100 ق.م. انظر السواح، ملحمة جلجامش، ص 47-48.
وجلجامش بطل الأسطورة، يعتقد المؤرخون أنه حكم في فترة بين عام 2500 و 2700 ق.م. انظر المرجع السابق، ص 26.

(6) أنكيكو، خادم جلجامش، في النص السومري، وصديقه في النص البابلي. انظر المرجع السابق، ص 53.

(7) أوتو: إله الشمس السومري، وهو إيا إله الطب والحكمة في النص البابلي. انظر المرجع السابق، ص 55.

أجابه أنكيديو: لن أقص عليك أخباره يا صديقي، وإذا كان لا بد فاجلس وابك
- سأجلس وأبك

- إن جسمي الذي لمستَه وقلبك مبتهَج

تتهشهُ الحشرات كخرقة بابلية

فصرخ جلجامش صرخة مدوية، وانطرح يتمرغ في التراب وصاح

يا ويلتاه.. يا ويلتاه

ثم استعاد أنفاسه وقال:

هل رأيت الذي لم ينجب أولاداً؟ نعم لقد رأيت

إن طعامه التراب والطين

هل رأيت الذي أنجب ولداً واحداً؟ نعم لقد رأيت

إنه ساجد عند الجدار يبكي بحرقه

هل رأيت الذي أنجب ولدين؟ نعم لقد رأيت

إنه يسكن في بيت من الآجر ويأكل الخبز

هل رأيت الذي أنجب ثلاثة أولاد؟ نعم لقد رأيت

إنه يشرب من ينابيع الأعماق

هل رأيت الذي أنجب أربعة أولاد؟ نعم لقد رأيت

قلبه مبتهَج

هل رأيت الذي أنجب خمسة أبناء؟ نعم لقد رأيت

يده مبسوطة كالكتاب الطيب، ويسمح له بدخول القصر

هل رأيت الذي أنجب ستة أولاد؟ نعم لقد رأيت

إنه في غاية السعادة

هل رأيت الذي أنجب سبعة أولاد؟ نعم لقد رأيت

إنه مقرب إلى الإله⁽¹⁾

وفي مصر القديمة كانت هناك دعوات للزواج وتكاثر النسل، فهذا بتاح حوتب⁽²⁾ يقول: "أحب زوجتك، وأسعدها ما حييت، فالمرأة حقل نافع لولي أمرها⁽³⁾. وهذا الحكيم المصري آني يقول: "تزوج حديث السن لترى لك ولداً في ريعان شبابك، يكون سبباً في احترامك واجلالك وبرهاناً على صلاحك وتقواك"⁽⁴⁾. "لا تهمل الترحم على والديك وتحمل لهما من أعمال الخير والبر أكثرها نفعاً وأرجأها قبولاً، ومتى قمت لهما بهذا الواجب قام لك ولدك"⁽⁵⁾. "ضاعف الخبز لأمك، واحملها كما حملتك، فطالما تحملت عبأك ولم تتركه على...⁽⁶⁾ ومنذ ولدتك بعد أشهرك أسلمت نثيها لفمك خلال ثلاث سنين، فإذا شبيت واتخذت زوجة ضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك وكيف كانت تربيتك كلها"⁽⁷⁾ كان الحكم على الآباء والأمهات الذين يقتلون أبناءهم يجري أمام الناس⁽⁸⁾. "وفي بلاد آشور في الفترة 700-500 ق.م كانت الأرملة التي لا أولاد لها حسب القانون الآشوري تُطرد"⁽⁹⁾.

وفي المعتقدات الكنعانية "كان الزواج القاعدة الأساسية لتكوين العائلة ثم المجتمع، وكان الإنجاب أمراً محبباً ومُفرحاً، وكانت الآلهة ترعاه، كما كانت العائلة تكفل رعاية الأبناء ولا تفرط بهم"⁽¹⁰⁾. "وكان الكنعانيون يعتقدون أن إنجاب الأولاد يعيد إلى البلاد ازدهارها، وبالمقابل فإن قتل الفتيان والأخوة الصغار والأولاد يعتبر عملاً مهتماً لكل أمل في التجديد"⁽¹¹⁾، وقد كانت

(1) السواح، ملحمة جلجامش، ص 323-234. وانظر: الماجدي، إنجيل سومر، ص 230-231.

(2) بتاح حوتب: من أقدم أصحاب التعاليم في مصر القديمة، كان وزيراً في القرن الخامس والعشرين ق.م. انظر صالح، تاريخ الشرق الأدنى، ص 359.

(3) الحكيم آني: مصري، من أهل القرن السادس عشر ق.م. انظر: المرجع السابق، ص 361.

(4) الماجدي، الدين المصري، ص 296.

(5) المرجع نفسه.

(6) النص مفقود من المصدر.

(7) صالح، عبد العزيز، تاريخ الشرق الأدنى، ص 361.

(8) الماجدي، الدين المصري، ص 295.

(9) كونتينو، الحياة اليومية، ص 37. بلاد آشور وبابل استمرت من 2900 ق.م إلى 330 ق.م.

(10) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 277.

(11) المرجع السابق، ص 262.

"الإلهة عناة راعية الخطوبة والزواج، وكانت الإلهة كوثرات راعية الحمل والولادة"⁽¹⁾. وفي الديانات السماوية جاء في التوراة، "فخلق الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم وقال لهم انموا واكثروا واملؤا الأرض وأخضعوها"⁽²⁾، وفي القرآن الكريم: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا"⁽³⁾.

تمييز الذكر عن الأنثى:

ينتظر الفلسطينيون المولود الجديد، ويفرحون بولادة الصبي، أكثر من فرحهم بولادة البنت، فميلاد البنت يولد الخيبة والامتعاض فتغني امرأة:

"يوم قالولي ابنية هالت الحيطه عليه"⁽⁴⁾.

ويقال في الأمثال: "هم البنات للممات"⁽⁵⁾، "مانت وليتك من صفاوة نيتك"⁽⁶⁾، مصايب الدينا أربعة: الدين ولو درهم، والبنت ولو مريم، والغربة ولو ميل، والسؤال ولو كيف الطريق"⁽⁷⁾.
ويقال أيضاً:

"موت البنات من المكرمات"⁽⁸⁾

"البنت يا جبرها يا قبرها"⁽⁹⁾.

"مكروهة وجابت بنت"⁽¹⁰⁾.

"دلل ابنك بغنيك، ودلل بنتك بتخزيك"⁽¹¹⁾.

وزواج البنت أهم من الولد، لأنه ستره فيقال "الجوز ستره"⁽¹²⁾.

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص124.

(2) العهد القديم، الفصل الأول، آية 27 و28.

(3) سورة الكهف، آية 46.

(4) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص152.

(5) عباس، ابراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص217.

(6) المرجع السابق، ص197.

(7) المرجع السابق، ص205.

(8) المرجع السابق، ص211.

(9) المرجع السابق، ص44.

(10) المرجع السابق، ص207.

(11) المرجع السابق، ص119.

(12) المرجع السابق، ص106.

"اخطب لبنتك ولا تخطب لابنتك" (1).

"جهنم جوز ولا جنة أبو" (2).

"المرّة بلا رجال مثل البستان بلا سياج" (3).

"الجوز رحمة ولو ما بيحبب إلا فحمة" (4).

وقد يسخر من المرأة فيقال: "البنت مثل مذقة الباب مين ما كان بيدقها" (5).

ورأي المرأة يستهان به "اسمع للمرّه ولا توخذ برأيها" (6).

أما الولد فتربيته صعبة "تربية الصبيان مثل أكل الصوان" (7).

والصبيان يحفظون الأسرار: "الولد سر أبوه" (8).

"بكرة بتيجي الصبيان، وهذي بذرة رمان" (9).

"ابن العازة عكازه" (10).

"اللي بتموت بنته بترقص العذرا في بيته" (11).

"اتجيب حيّه ولا اتجيب بنيه" (12).

"خلف البنات من المتعبات" (13).

"ماتت اختي من كبر بختي" (14).

(1) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص 54.

(2) المرجع السابق، ص 106.

(3) المرجع السابق، ص 204.

(4) المرجع السابق، ص 106.

(5) المرجع السابق، ص 95.

(6) المرجع السابق، ص 58.

(7) المرجع السابق، ص 101.

(8) المرجع السابق، ص 221.

(9) المرجع السابق، ص 94.

(10) المرجع السابق، ص 50.

(11) المرجع السابق، ص 160.

(12) المرجع السابق، ص 160.

(13) المرجع السابق، ص 160.

(14) المرجع السابق، ص 160.

"لما يجي الصبي بنصلي على النبي" (1).

"ابن ابنك لك، وابن بنتك لأ" (2).

وتقول المرأة التي أنجبت ذكراً:

يـوم قـالولي غـلام انـسـند ظهـري وقـام (3)

وتطلق الزغاريد التي تقول:

"هَيَّ وصبي صبي يا حراير هَيَّ وشوشته بأربع جـدايل

هَيَّ وسبع وابن سبع هَيَّ وركاب للأصايل (4)

وعندما سألت القابلة فاطمة (5) رأيها اليوم في تمييز الذكر عن الأنثى، أجابت: "يا محلاً ولادتهم ولو بِنْتُبْ" (6) ساعتهم "من حد ما اجت البنت كشر اللهم إرظ (7) عنه".

تجري عملية الولادة إلى اليوم، في بعض القرى البعيدة في البيت على يد القابلة حتى ولو سَجَلَت المرأة احتياطاً في مشفى رام الله (8)، وهذه القابلة فاطمة ما زالت تُولِّدُ قريباتها وبعض الحالات الطارئة في اللبن الغربي، وحتى إذا وجدت المستوصفات -وهي الآن منتشرة في بعض القرى والمخيمات- فإن القابلة غالباً ما تكون سيدة ورثت هذه المهنة عن جدتها أو أمها، كما هو الحال مع القابلة أم أبراهيم التي تعمل في مستوصف مخيم الجلزون، وقد تعلمت المهنة على يد والدتها.

وما أن تتلقف الداية الطفل المولود حتى تسألها الحماة، قمحة ولا شعيرة، سُكَّرة ولا مِفْتَاح، فإذا كانت قمحة أو مفتاح فهو ذكر، وعندها تخرج الداية لتبشر الجد والأب وتأخذ الحَلَّوان، واليوم

(1) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص 119.

(2) المرجع السابق، ص 50.

(3) كناعنة، الإتياب والطفولة، 152.

(4) المرجع السابق، ص 152.

(5) مقابلة شخصية، الداية فاطمة، اللبن، 67 سنة. وتعني كشر أي غضب سيدنا محمد.

(6) ولو بِنْتُبْ ساعتهم: عامية بمعنى حتى ولو ماتوا فور ولادتهم.

(7) ارظ: عامية بمعنى إرض.

(8) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 70.

تطلب الحماة من إحدى الصبايا إبلاغ الخبر لتتال الحلوان، إذا كان المولود ذكرًا⁽¹⁾.

وحتى اليوم ورغم معرفة جنس الجنين منذ الشهر الرابع، لا يزال الأهل ينتظرون خارج غرفة الولادة في المشفى، وما أن تخرج القابلة أو الطبيبة حتى تستخدم نفس العبارات فإذا كانت شعيرة فهم يقولون "يا الله المهم قامت بالسلامة"، أو "إلي بتجيب البنت بتجيب الصبي، بارك الله بلي بكرت بالبنت وثنت بالصبي المهم سلامتها"، أما الأم فنقول إذا كان أول بطن: "عروس وجابت عروس، إنتي يمه صغيرة والله غير بكرة أتزهقيهم، والله وجهها زي قرص الجبنة"⁽²⁾.

كانت العادة أن يؤخذ المولود الذكر إلى المضافة ويوضع في حضن أكبر الرجال سنًا، فيقوم هذا الرجل بإهداء الولد مبلغًا من المال (نقوط) حسب مركز والده، وربما يكون النقوط عروسًا من أحد الحاضرين، حيث يهديه ابنته ويقول ابنتي له، أما اليوم فتأتي المهنئات للبيت، ولا يزال نقوط الذكر يختلف عن الأنثى فإذا كان مالا فهو أكثر، وإذا كانت هدية فهي أعلى⁽³⁾.

قد تتقبل المرأة مولودها الأول إذا كان أنثى، أما إذا تكرر الأمر مع المولود الثاني فإنها قد تصاب بإحباط، وتحاول هي وزوجها كل الطرق العلمية الحديثة ومن ثم الشعبية، إذ قد تلجأ للدايات المشهورات وربما الفاتحين حتى تنجب صبيًا، وهي لا تتورع عن إنجاب عدد لا بأس به من الإناث إلى أن يأتي الصبي، مهما كانت درجة تعليمها وثقافتها، إذ لا يزال المجتمع الشرقي على العموم مجتمعًا ذكوريًا. أما قديمًا في العصور الأولى فقد ورث العصر النيوليتي، آخر حلقات العصر الباليولتي 30000 - 10000 ق.م عندما صورت القوة الإلهية في ماهية أنثوية، هي الأم الكبرى للكون، فقد كانت تماثيل عشتار أول عمل فني تشكيلي صاغه الإنسان على شاكلته، مجسدة أول معبوداته، فمنذ أن اعتدل جسد الإنسان عن شكله النيامرتالي ذي القامة المنحنية، كانت عشتار الأم الكبرى له. ووفق يصنع تماثيل انتشرت من أقاصي سيبيريا إلى شواطئ المحيط الأطلسي، ولم تكن هذه الأعمال مجرد ولع بقدر ما كانت نتاج حس ديني، وخبرة أولى مع العنصر الإلهي، فكان الرأس عبارة عن كتلة غير متميزة الملامح تركز على الجذع مباشرة أو بوساطة رقبة صغيرة، أما التركيز فكان على الصدر والبطن، فالنثيان عبارة

(1) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص198.

(2) المرجع السابق، ص160.

(3) المرجع السابق، ص162.

عن كئلتين هائلتين مستديرتين، والبطن منتفخ في إشارة إلى حمل أبدي والردف ثقيل، والوركان قويان بارزان، ومثلث الأنوثة منتفخ يشكل مع أعلى الفخذين وحدة متماسكة⁽¹⁾.

لم يترك العصر النيوليتي لنا نصوصاً مكتوبة ولكنه ترك لنا رسوماً وتماثيل ومدافن ومعابد، حملها كل ما يمكن أن تحمل الرقْم المخطوطة، فالديانة النيوليتية هي ديانة زراعية في اعتقادها وطقسها، والأسطورة الأولى هي أسطورة زراعية تتركز حول إلهة واحدة هي سيدة الطبيعة⁽²⁾.

وقد قدم رواد الانتروبولوجيا والعلوم الإنسانية أدلة على وجود شكل أقدم من العائلة بشكلها الأبوي الحديث نسبياً، وهذا الشكل يقوم على قيم الأنوثة ومكانة الأم، فالمجتمع الإنساني الأول لم يؤسس بقيادة الرجل المحارب الصياد بل تبلور حول الأم لكونها المسؤلة الأولى عن حياة الأطفال وتأمين سبل العيش لهم. كانت المرأة مسؤولة عن تحضير جلود الحيوانات وتحويلها إلى ملابس ومفارش وأغطية، وكانت النساجة الأولى والخياطة. وأول من صنع الأواني الفخارية. ولأنها كانت تمضي وقتاً طويلاً في البحث عن الأعشاب والجذور الصالحة للأكل، أصبحت الطبيعة الأولى، فقد تعلمت خصائص الأعشاب السحرية، وكانت من يبني البيت ويضع أثاثه، وكانت تاجرة تقايض بمنتجاتها منتجات الآخرين، وكانت الحارسة على شعلة النار المقدسة في المعابد، ثم استطاعت أن توقد شعلة النار الأولى وحرسها وحافظت على أسرارها، وكان دورها كبيراً في اكتشاف الزراعة والانتقال من مجتمع الصيد إلى مجتمع إنتاج الغذاء⁽³⁾.

"في هذا المجتمع الأمومي أسلم الرجل القيادة للمرأة، لا لتفوقها الجسدي بل تقديرًا لخصائصها الإنسانية وقواها الروحية وقدرتها الخالقة، وإيقاع جسدها المتوافق مع الطبيعة، إضافة إلى عجائب جسدها المرتبط بالقدر الإلهية"⁽⁴⁾.

وخلال الألف السابع للميلاد بلغت الثورة النيوليتية غايتها حتى صارت الزراعة العامل الأساسي في الاقتصاد، ومع تزايد الثروات بتأثير حياة الاستقرار، والزراعة كان مركز الزوج الاقتصادي

(1) السواح، لغز عشتار، ص 41-42.

(2) المرجع السابق، ص 24.

(3) المرجع السابق، ص 32-33.

(4) المرجع السابق، ص 32.

يتدعم باستمرار على حساب الزوجة الأمر الذي أدى إلى ما عرف بالانقلاب الذكوري⁽¹⁾، ويعطي الماجدي تفسيراً آخر يقوم على كون الرجل في عصر النيوليت لم يكن يعرف دوره في الإخصاب، ولذلك كان يرى أن المرأة هي المسؤولة عن التكاثر والخصوبة، وعندما رحل الإنسان من موطن الزراعة الأولى - التي كانت في الغالب كثيرة المطر - نحو أماكن شحيحة المطر؛ أدرك الإنسان أن الأرض ليست العامل الوحيد، بل إن المطر هو السبب الأهم في الزراعة، وترافق ذلك مع فهم دور الرجل في الإخصاب، فعقدت العلاقة بين المطر ومني الرجل وكان هذا التحول فاتحة إنقلاب ذكوري كبير⁽²⁾.

ثم أخذت الأنظمة النيوليتية تتزعزع مع بزوغ الكتابة، وظهور المدن الكبيرة، وانتقلت السلطة نهائياً إلى الرجل، مما أدى إلى تحول في الأسطورة البابلية، التي جاءت بعد السومرية التي كانت قريبة زمنياً من الأسطورة النيوليتية، فكان انقسام بالإكراه والقتل يمارسه الإله مردوخ الذكر الأسمى على الأم الكبرى، ففي البدء كانت الأم تعامة (تيامة) على شكل المياه الأولى، إلى أن خرج جيل متمرد قرر الخروج على تعامة (تيامة)، فعقدوا اللواء لأشجعهم مردوخ الذي تغلب عليها فقتلها وقسمها قسمين، فمن قسم رفع السماء ومن قسم ثبت الأرض⁽³⁾.

لكن المرأة ظلت تقاوم ولم يندثر المجتمع الأمومي تماماً، إذ توضح عقود الزواج التي وصلت في فترات مختلفة من تاريخ الثقافة المصرية وضع المرأة الحقيقي، ففي أحد صكوك الزواج الذي يعود تاريخه إلى الألف الثالث قبل الميلاد يقول الزوج موجهاً كلامه إلى سيدة المستقبل: "منذ اليوم، أقرّ لك بجميع الحقوق الزوجية، ومنذ اليوم لن أفوه بكلمة تعارض هذه الحقوق لن أقول أمام الناس بأنك زوجة لي، بل سأقول بأنني زوج لك. منذ اليوم لن أعارض لك رأياً، وتكونين حرة في غدوك ورواحك دون ممانعة مني. كل ممتلكات بينك لك وحدك، وكل ما يأتيني أضعه بين يديك..." وبعد ألفي عام من هذا الصك نجد المرأة في صك آخر تقول لزوج المستقبل "إذا تركتك في المستقبل لكرهي لك أو لمحتبي رجلاً آخر فإنني أتعهد أن أدفع لك مكيالين ونصف من الفضة، وأعيد إليك هدايا الزواج"، لقد كان الأطفال ينسبون إلى أمهاتهم في هذه

(1) السواح، لغز عشتار، ص36.

(2) انظر: الماجدي، أديان ومعتقدات، ص121، 122.

(3) انظر: السواح، لغز عشتار، ص53-54.

الفترة⁽¹⁾.

وهذه (إيزيس) تقول في أحد النصوص من الفترة الرومانية "أنا أم الأشياء جميعاً. سيدة العناصر وبائدة العوالم، حاکمة ما في السموات من فوق وما في الجحيم من تحت، مركز القوة الربانية، أنا الحقيقة الكامنة وريح البحر، وصمت الجحيم. يعبدني العالم بطرق شتى وتحت أسماء شتى، أما اسمي الحقيقي هو إيزيس به توجهوا إليّ بالدعاء"⁽²⁾.

وهذه عشتار سيدة الأسرار تقول عن نفسها بلسان الأم المصرية الكبرى: "أنا ما كان، وما هو كائن، وما سيكون وما من إنسان بقادر على رفع برقيي"⁽³⁾.

الانقلاب الذكوري:

انتزع الرجال من أيدي النساء زعامتهن الاقتصادية التي توفرت لهن حيناً من الدهر بسبب الزراعة، وكانت المرأة قد استأنست بعض الحيوان، فجاء الرجل واستخدم هذا الحيوان لنفسه في الزراعة وبذلك تمكن أن يحل محلها في الإشراف على زراعة الأرض، هذا إلى أن استبدل المحراث بالمعزقة التي تتطلب شيئاً من القوة البدنية، وبذلك تمكن الرجل من أن يؤكد سيطرته على المرأة، وانقلب الآلهة - وقد كانوا قَبْلُ نساءً في أغلبهم - إلى رجال ذوي لحى هم للناس بمثابة الآباء، وهكذا كان الانتقال إلى الأسرة الأبوية⁽⁴⁾، فأخضعت المرأة جنسياً حتى أصبحت تُشترى (ففي العصر الآشوري المتأخر والعصر البابلي الحديث عثر على أحد النصوص يسجل أن سيدة تدعى (نختشارو)، حصلت بسعر ستة عشر شاقلاً من الفضة، على امرأة تدعى (ننليها تسبنا)، فتمتلكها بصفة عملية كيما تزوجها من ابنها)⁽⁵⁾.

هذا التحول الأبوي موجودٌ حتى أيامنا هذه إلا أن بعضاً من بقايا الأم الكونية لا يزال يترك أثاره في قِلة من قرى فلسطين، فهذه بيت عور لا زالت تؤمن (بستي الحنينية) وتقدم لها القرابين وتطلب منها البركة والخير، إذ ما زال الناس يذهبون للتبرك عندها وزيارتها. تقول الحاجة أم

(1) السواح، لغز عشتار، ص 38-39.

(2) المرجع السابق، ص 27.

(3) المرجع السابق، ص 29.

(4) ديورانت، قصة الحضارة، ج 1، م 2، ص 61-62.

(5) كونتينو، الحياة اليومية، ص 35.

سليمان⁽¹⁾: "الولي عينا بيقولولها ستي الحنينية إلهما مقام وجنبها شجرة بلوط، لليوم بنروح
انزورها وانقول:

جينا انزورك يا ستي الحنينية خروف محشي يا ستي الحنينية
جينا انزورك يا ستي الحنينية جاجة محشية يا ستي الحنينية

وهناك (ستي قمره) في كوبر وفي غيرها من القرى كدليل واضح على تقديس الأم المرأة المياه
الأولى الأزلية.

طقوس ما بعد الولادة:

طقس حمام الطفل:

"كان الناس يحطوا الولد في (فِئَل⁽²⁾ طين، فُخَّارة) اليوم يحطوه في طُشْت⁽³⁾، أول ما بيحي
بَحْمَه وَبَسْبَعَه ويقول:

اسْمَ الله عَلَيْكَ وَحَوَالِيكَ بِسْمِ الله الرحمن الرحيم
دَسْتور يَا اصْحَابِ الْمَطَارِح دَسْتور يَا اصْحَابِ الْمَسْكُون

"المي الباردة أحن من الوالدة

يا مي لا تاذينا ولا بنذك

إذا أذيتنا لرسول الله بنشكيك

دياتك عَشْرَة، واجرياتك عَشْرَة

والمِيَّه عَلَيْكَ حَرُوزٌ ونشرة" (4)

(1) مقابلة شخصية، أم سليمان، بيت عور، 80 سنة، 2007/1/17. (ستي الحنينية): مقام في بيت عور: من إنانا (حنانا)
الإلهة السومرية.

(2) فِئَل: حبل، ويبدو أنها تعجن مع الطين كنوع من الفخار، والفخارة هنا هي أشبه برحم المرأة، وقد تحدثنا عن جسد
الأنثى الكونية، والجرة المقدسة في العصور النيوليتية. انظر: السواح، لغز عشتار، ص 48-49.

(3) طُشْت: فارسية بمعنى وعاء كبير.

(4) مقابلة شخصية، القابلة فاطمة، اللين، 67 سنة. 2007/1/11.

وبعدين بَجِب شوية ملح مع المي وبجيب قطنه بغمسها في المي والملح، وينقط في عينيه،
العصريات بفرّك المِلح عنّه، ويوم أدهنة بزيت وأقسي رجليه، أوصلن لثمه (فمه)، ويوم أحّمه
وأملحه، بدّهن بطنه وظهره بزيت وايديه ورجليه⁽¹⁾.

وقد تقول القابلة أو الجدة:

"حَوَطَتَك بولاد يعقوب العشرة

اللي قاعدين تحت الشجرة

حَوَطَتَك باللي ما يُضْرَك ولا ياذيك

باسم اللي يرحمك وبياريك

باسم اللي حط الروح فيك"⁽²⁾

وبعد أن يكبر قليلا كانت تأخذه للعين وتحممه، أما اليوم فهي تفعل ذلك في البيت ولا تزال
تقول: "شبرتك وكبرتك وللمولى سلّمَتك " وتقيس بيدها الأشبار وهي تغني⁽³⁾.

"وتختلف الآراء حول موعد حمام الطفل، فتعتقد بعض النساء أنه لا لزوم لحمام الطفل في اليوم
الأول، لأن الملائكة تنزل من السماء وتغسله، وبعضهن يحمن الولد على الأسبوع حتى يشتد،
لأن الحمام يهيج القرينة فتخنقه، وكذلك حمام الأربعين، فمنهن من كانت تُضلل القرينة فتحممه
قبل، أو بعد الأربعين بيوم"⁽⁴⁾.

وتغني له أثناء صب الماء عليه:

اسم الله على (فلان) اسم الله عليه	جيو قناني العُطر ورشوا عليه
طالع من الحمام وشعره مايل	يا ميمتي يا فلان واجانا زاير
طالع من الحمام وشعره عَسجدي	يا ميمتي يا فلان إجانا عسكري
غَنّين لَفَلان ميمته فرحانه	بَزَرار بدّلته حَبّة الرُمانا

(1) مقابلة شخصية، القابلة سبعية، بيت ريماء، 84 سنة. 2007/8/2..

(2) مقابلة شخصية، القابلة فاطمة، اللين، 67 سنة. 2007/1/11.

(3) مقابلة شخصية، الحاج يونس قندح أبو مشهور، أبو شخيدم، 81 سنة. 2007/2/29.

(4) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص176.

غَنَيْنَ لَفْلَانَ مِثْمَتَهُ مِشْتَاقَهُ بِزَّرَارٍ بَدَلَّتَهُ حَبَّةُ الدُّرِّاقَا⁽¹⁾

أما الملح فلا يزال الفلسطينيون يقدسونه، فإذا سقط منه شيء على الأرض دون قصد يقولون: "نذرتك وبذرتك في عين الحاسدين"⁽²⁾، وتصابه حركة باليد وكأنها تنثره.

وتقول المرأة أثناء وضع الملح عليه:

خُذُوا مِلْحَ مَلْحُورُوا	وَرُدُّوا عَافِيَتَهُ إِلَهُهُ
خُذُوا بَخَّوْرَ تَبَخَّرُوا	وَرُدُّوا عَافِيَتَهُ إِلَهُهُ
خُذُوا حِنَّا تَحَنَّنُوا	وَرُدُّوا عَافِيَتَهُ إِلَهُهُ
خُذُوا خَيْطَانِ خَيْطُوا	وَرُدُّوا عَافِيَتَهُ إِلَهُهُ
خُذُوا مِثْمَتَهُ اسْقُوا خِيَلَكُمْ	وَرُدُّوا عَافِيَتَهُ إِلَهُهُ ⁽³⁾

ولقد كان الماء والملح والزيت من المواد المقدسة عند القدماء وكانوا يستخدمونها في طقوس عديدة أهمها طقوس التطهير⁽⁴⁾. وقد لعب الماء دوراً هاماً في طقوس الولادة عند القدماء من سومريين وبابليين وكنعانيين ومصريين، حيث كانت الآلهة تحضر ساعة الولادة، ففي حين كان نخوم يسوغ شكل الجنين على عجلته الفخارية كانت الإلهة إيزيس وكاهنتها القابلة يَقُمْنَ بتوليد المرأة الحامل، ثم تغسل القابلة الوليد بالماء وتقطع سُرْتَهُ في ظل طقوس يقوم بها الكهنة المولدون والكاهنات الذين يلبسون ملابس خاصة، ويمسكون عصياً خشبية معينة يستعينون بها حين يتلون رقاهم لإبعاد أشباح الشياطين الذين يتوهمونهم مجتمعين حول المرأة لإجهاض حَمَلِهَا أو قتل جنينها.⁽⁵⁾

كانت هناك طقوس كثيرة تستدعي التطهير بالماء المقدس يرتبط بها أنواع من التمايم، وكان بعضها يبدأ بدعاء للآلهة: "يصف الكرب الذي يعانيه الآثم وأمله في الغفران، وكان يرش الماء

(1) كناعنة، الإنجاب والطفولة، ص 175.

(2) مقابلة شخصية، عيبر الجديرة، 24 سنة. 2007/8/6.

(3) كناعنة، الإنجاب والطفولة، ص 280.

(4) الماجدي، بخور الآلهة، ص 233.

(5) انظر: الجوهري، علم الفلكلور، ج 2، ص 553. وانظر: الماجدي، الدين المصري، ص 233.

على المريض (ماءٌ مقدس)⁽¹⁾. وفي بلاد آشور، كانت تستعمل رشاشة ماء مقدس على شكل مخروط من شجر الأرز، عندما يروح الكاهن يرش ماءه البهيج، ويظهر هذا في منحوتات يقف خلفها الملك الآشوري، ويبدو أن هذه الرشاشات كانت تمثل مظاهر احتفالية، (أحد مظاهر الدين الآشوري) من ماء يمنح الحياة تم سحبه من مصبات نهريّ دجلة والفرات، في حين يظهر الملك وهو يحمل وعاء يحيوي ماء التطهير⁽²⁾.

كان الماء هو مادة الطب والسحر⁽³⁾، في كل مراحل الحضارة الرافدانية السومرية والأكدية والبابلية والآشورية⁽⁴⁾.

وفي الميثولوجيا اليهودية نقرأ في نبوءة زكريا، "في ذلك اليوم، يكون ينبوع مفتوحاً لببيت داود ولسكان أورشليم للخطيئة والطمث"⁽⁵⁾.

وفي المسيحية، تقوم المعمودية على الماء، والماء خالق الحياة، والماء الذي يغسل الجسد، والماء ينظف النفس أيضاً⁽⁶⁾، ويعتبر الخروج من الماء، رمزاً للقيامة فكما يقوم المسيح من القبر، يخرج المعمد من الماء⁽⁷⁾، كما أن المياه التي ترش على الميت هي "الندي للمراحم"، فالكهان يمارسون هذا الطقس قولاً وفعلاً ويقولون:

أرسل يا رب حنانيك

سكبة ماء نقي

لكن ليس أئمن منها

بالنسبة إلى المسافرين⁽⁸⁾

وفي الدين الإسلامي يعتبر الماء في الأصل طاهراً، مُطَهِّراً "وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً"⁽¹⁾.

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص220.

(2) كونتينو، الحياة اليومية، ص140.

(3) الماجدي، بخور الآلهة، ص201.

(4) المرجع السابق، ص204.

(5) التوراة، نبوءة زكريا، ص1013.

(6) صدقه، طقوس ورموز، ص24.

(7) المرجع السابق، ص25.

(8) يوحنا، ثابت، الجنازات المسيحية، منشورات قسم الليتولوجيا، جامعة الروح القدس، لبنان، 1990، ص23.

(1) سورة الفرقان، آية 48.

أما الملح فيمكننا إضافة بعض المعلومات عنه، فقد أمر الملك آشوربانيبال⁽¹⁾ بنثر الملح بعد انتصاره على عيلام وأسر العائلة المالكة⁽²⁾.

اعتبر العراقي القديم الملح كائناً حياً يلجأ إليه إذا وقع ضحية للسحر، فهو عندئذ يخاطب الملح على الوجه التالي:

أيها الملح، يا من خلقت في مكان نظيف

طعاماً للآلهة جعلك "انليل"

بدونك لا تمت مائدة في "أيكور"

بدونك لا ينشق البخور إله أو ملك أو سيد أو أمير

أنا فلان ابن فلان

وقعت أسيراً للسحر

وقعت محموراً في أحابيله

أيها الملح، حلّ عني العقدة!

إرفع السحر عني! وكخالقي

أرفع المجد والتسبيح لك⁽³⁾.

وفي مصر القديمة كان النثرون وملح البارود المضاف إلى الماء يعدان من وسائل التطهير التي تحول الشخص إلى ما يشبه الوليد الجديد، كما أن ملح النثرون، إذا وضع قليل منه فوق الجسم ينظفه تماماً من دنس الحياة، لذلك استعملت هذه المادة في تجهيز الموميات⁽⁴⁾.

لقد كان التطهير عند السومريين ومن ثم عند البابليين والآشوريين يتم بعدة طرق هي إحراق البخور، وسكب السوائل كالماء والزيت، والحرق، والدفن، والاعتسال⁽⁵⁾.

"كان الكاهن المعزم الذي اكتسب صفة الساحر أيضاً في الأديان القديمة يسمى المشماشو، وهو الكاهن المطهر للجسد والمشماشو هو الأصل اللغوي للماسح بالزيت، وهو الكاهن الذي كان

(1) الملك آشوربانيبال، 668 - 626، ق.م

(2) كونتينو، الحياة اليومية، ص270.

(3) فرانكفورت، هـ، ما قبل الفلسفة، ص152.

(4) تيبو، موسوعة الأساطير، ص93.

(5) الماجدي، متون سومر، ص315.

يمسح المعمدين أو المرضى أو الملوك، ووظيفته الأساسية مسح الأجساد باعتبارها جزءاً من عملية طرد الأرواح الشريرة، وكان يقوم بهذه المهمة داخل المنزل أو في المعبد في أثناء عملية التعميد⁽¹⁾.

وفي تعويذة الإله مردوخ من الطب الآشوري، وهي تعويذة لإبطال السحر الأسود، حيث يستعان بالإله إيا والإله مردوخ، يدهن جسم المريض بالزيت، وتقرأ التعويذة التالية: "زيت نقي، زيت لامع، زيت مشرق، زيت يجعل الأرباب مشرقة زيت يلطف عضلات الإنسان، زيت تعويذة مردوخ، أصب عليك مع زيت الحياة، وبواسطة تعويذة إيا يا رب أربو، سأطرد منك المرض المصاب أنت به"⁽²⁾.

كما كان طقس سكب الزيت في الماء من طقوس العرافة في بلاد الرافدين: "حيث تسكب كمية من الزيت في إناء يحتوي على ماء تطفو مكونة أشكالاً وحلقات يستدل منها العراف على ما يريد، ويعتبر هذا النوع من العرافة أقدم أنواع العرافة التي عرفت في التاريخ، حيث مارسه الملك السومري (اينمتدر إنكي) قبل الطوفان"⁽³⁾. كما كان الزيت يقدم قرباناً وأضحية للموتى ففي وصف لعهد الملك كوديا⁽⁴⁾ جاء "في البيت لم يملكو أن يضعوا الزيت كأضحية".

أما الزيت عند قدماء المصريين فقام بدور مهم في الطقوس، إذ كانوا يدهنون جسد المتوفين به حتى يحتفظوا باكتمالهم إلى العالم الآخر، وكان من المعتاد كذلك تضميخ الكهنة والملوك بالزيوت العطرية، لحمايتهم أيضاً أثناء ممارستهم أوجه نشاطاتهم الدنيوية، وكانت تكفل هذا الإلهتان إزيس ونفتيس حيث كانتا تشرفان على عملية التبخير بالزيت المقدس في أثناء الجنازات. وبصفة رمزية، فإن التألق واللمعان (كمثل ضوء الشمس) الذي يتراءى به أي جسد

(1) الماجدي، *بخور الآلهة*، ص 127، 371. ومن هنا جاءت أصل تسمية المسيح، وهي في الأصل لقب دموزي إله الخصب السومري الذي لقب بالمسيح. فقد عذب دموزي في الأسطورة السومرية وصلب عندما افتدى إيانا إلهة الخصب (الحياة)، إنه صورة قديمة للسيد المسيح، كما أصبحت مراثيه الثلاث من أمه وأخته وزوجته نواة لمراثي السيد المسيح بعد موته.

(2) المرجع السابق، ص 225.

(3) علي، فاضل عبد الواحد، *طرق العرافة في النصوص المسمارية*، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع 25، 1979، ص 700.

(4) كوديا، ملك سومري توفي عام 2123 ق.م. انظر: دياكونوف، *تاريخ الشرق القديم*، ص 336.

مضمخ بتلك الزيوت يطرد الظلمات بعيداً⁽¹⁾.

وفي الميثولوجيا الكنعانية: "لم يكن طقس المسح بالزيت طقساً مقتصرًا على الملوك والكهنة في بداية ظهوره، فقد كان طقساً عاماً لعامة الشعب يقوم به الإله إيل، ولكنه بعد ذلك أصبح خاصاً بالملوك، حيث تنتقل السلطة بعد الدهان للملك الجديد الذي يعتبر ابن الإله إيل⁽²⁾.

وفي المسيحية يعتقد أن أشجار الزيتون تركع في ليلة عيد رفع الصليب، وهم يعتقدون أن رؤية شجر الزيتون في الحلم تعني ضوء أمل⁽³⁾. كما كانت أول ما حملته الحمامة بعد الطوفان إلى نوح ورقه شجرة زيتون لذلك صار رمز السلام⁽⁴⁾، وفي القرآن الكريم اقترن اسمها باسم الله تعالى: "والنتين والزيتون وطور سنين"⁽⁵⁾. وقد استخدم الزيت للإضاءة بوضعه في السراج⁽⁶⁾، ولا يزال يستخدم في بعض الأحيان.

استنتاج: يبدو هنا أن دهن الطفل بالزيت طقس قديم هدفه تطهير الطفل من المرض والأرواح الشريرة كما أنه بلمعانه الذي يشبه الشمس ميلاد جديد وبعث.

الكحل وطقوسه: (ملحق بطقوس الحمام)

تقول الحاجة تمام، من بيت دقو⁽⁷⁾: "بِشْتَرِيهِ رَبْدَ اسمر وبِنَجِيب الهون وبِنُطْحَنَ الكحل، وعشّان ينعم بنجيب حبّ زيتون وبِنُدْقَه مع الكحل وبِنُحْط شوية مَيَّ المَغْرِب، وبِنُتْرَكه في النجم، والصبح بنطولهن وبِنُكَلّ الولد، بجلّي العين مليح". تستعمل المرأة المروء لتكحيل العينين فتمر به فوق الجفون، فهو يجمل العين ويوسعها ويقوي النظر⁽¹⁾.

وإذا كانت عينا الولد صغيرتين، يلقي اللوم على أمه أنها قصرّت في تكحيله، وتضع القابلة أو الأم على جبهة الطفل (صنعتة) نقطة من الكحل بإصبعها وقد تكون على شكل صليب⁽²⁾.

(1) تيبو، موسوعة الأساطير، ص179.

(2) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص255.

(3) الباش، المعتقدات الشعبية، ص332.

(4) المرجع السابق، ص332.

(5) سورة التين، آية 1.

(6) قاموس الكتاب المقدس، مكتبة مشعل، بيروت، ط6، 1981، ص438.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(1) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص178-179.

(2) المرجع السابق، ص179.

استخدم الكحل للغرض نفسه قديماً إذ "استخدمت الألوان للترزين منذ العصر الحجري الحديث فمن مركبات النحاس، تم الحصول على المادة الخضراء التي كانوا يستعملونها في التجميل"⁽¹⁾. واستخدمه السومريون حيث نجد إنانا تترزين لدموزي وتقول: "عندما سأستحم من أجل الملك من أجل الإله وبعد أن أدهن شفتي بالمرهم العنبري وأضع الكحل حول عيني"⁽²⁾. واستخدمه قدماء المصريين وذكروا الوعاء الزجاجي أو البلوري الذي يوضع فيه، و(المكحلة)، وقد عثر في المقابر القديمة على العديد من المكاحل حيث وجدت مكاحل ذات مراود، وأخرى دونها⁽³⁾.

ولا يطلق الكحل على اللون الأسود، بل يطلق على مواد بنفسجية، وقرمزية، بيضاء، وصفراء، ومن هنا توصف الألوان الداكنة بأنها كحلية، ويغمس طرف المروود في ماء الورد⁽⁴⁾، وهو يستعمل لإنارة العين وجعلها براقة⁽⁵⁾.

ويبدو أن الكحل تعويذة تجلي العين وتجعلها تلمع واللمعان صفة للشمس، والشروق والتجدد والميلاد الجديد، وهو عودة للأصول، كما جاء عند السومريين في طقوس العود الأبدي للحياة الأولى، الخالية من الأمراض، لهذا فالكحل تعويذة تطرد الأرواح الشريرة بما فيها القرينة. أما الصليب الذي ترسمه المرأة على جبين ابنها باللون الأسود الذي يشبه الكحل، فهو نوع من الوشم، سنتحدث عنه في الفصل القادم.

طقس فتح فم الطفل:

بعد حمام الطفل وتطهيره بالماء، والملح، تفتح القابلة فم الطفل، وتمر بعد أن تبل إصبعها بالماء والملح على شفتي الطفل ودكة⁽¹⁾ أسنانه⁽²⁾.

(1) علي، ثريا، (العروس)، ص 89.

(2) الماجدي، متون سومر، ص 235.

(3) علي، ثريا، (العروس)، ص 89.

(4) المرجع السابق، ص 90.

(5) المرجع نفسه.

(1) دكة الأسنان: عامية بمعنى اللثة.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الحبيب، 81 سنة. 2007/8/5.

كان طقس فتح الفم من أهم الطقوس الجنائزية، فكما تبدأ حياة الطفل بفتح فمه والصراخ (الكلام)، فإن فتح فم المتوفى يعطيه القدرة على الكلام وتلاوة التعاويذ والابتهاال للآلهة تمهيداً لميلاده الجديد، ويصاحب هذا الطقس عمليات تطهير بالماء والملح والزيت والبخور، ويبدو أن هذا الطقس استعادة للدور الأسطوري الذي قام به حورس مع أبيه أوزوريس في بعض النصوص⁽¹⁾.

ويتم هذا الطقس بأن يغمر تمثال الميت بالماء المقدس، ثم يبخلونه ويقدمون له ملح النطرون، ثم يجسون أعين التمثال بآله نحاسية، وأدوات أخرى سحرية، ثم يفتح فم الميت (التمثال) حتى يستطيع الكلام تمهيداً للميلاد والقيامة⁽²⁾، تماماً كأنه يخلق من جديد ليبدأ عملية نطق الحروف- وهذه هي طقوس الحمام بالترتيب-.

طقس صينية القش التي تحمل المولود والطواف بها:

"أول ما يولد المولود بِتَحْمَمِهِ الداية أو الحماة، وبتحطه على صينية قَشْ، (جونه)، بتحط أواعي تحته، فراش وبتنيمُهُ وبنقلها: أَوْعِي تحمليه بِتَعَوْدٍ على الحَمَل، وكانت اتمصصه (ترضعه) وهو على الصينية، وكانن يُرْقُصن وهن حاملات الصينية وإيغنين"⁽³⁾، وهن يُطْفِنُ⁽⁴⁾:

يَا مَجْرَجِرْ عباتك	حمي—رك غي—دين
ما عليك من حميري	حمي—ري بيـج—ين
يَا مَجْرَجِرْ عباتك	حمي—رك را—ن
ما عليك من حميري	ضي—عن والنق—ين

يعود طقس صينية القش قديماً إلى الاحتفالات القديمة، فقد كانت الاحتفالات السومرية والبابلية كالزكمك والأكيتو وايزنماخ احتفالات دورية، يُعاد فيها تذكر الزمان الأول، حيث يقوم الكهنة بطقس محددته تنطلق من مواقف فكرية تستدعي العودة للأصول البدايات، وهي أكثر الطقوس

(1) الصيفي، الخروج إلى النهار، ص457.

(2) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص46.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيروت، 69 سنة. 2007/7/29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.

قداسة، إذ تتضمن تلاوة أسطورة التكوين كاملة، لتجديد العالم الذي يلي في السنة الماضية، وكانت هذه الممارسات الطقسية، وهذا الاستحضار للأصول يحمل معنى عميقاً لا يتصل بإحياء ذكرى تلك الأحداث الميثولوجية العظمى، بل بتكرارها بحيث تتضمن قوى شفائية تعمل على تصحيح علامات الاختلال في حياة الإنسان⁽¹⁾، وقد كانت هذه الطقوس ذات جذور أقدم تمتد إلى العصور الحجرية الحديثة (النيوليت).

وسواء كانت هذه الأعياد أسبوعية أو فصلية أو سنوية فإنها كانت جزءاً من الدورة الكونية التي تستند إلى المصطلح السومري (سار) الذي يعني (سنة، دورة، ملك)، وقد أسماها اليونان (الساووس)⁽²⁾.

طقس الحمل على الأكتاف ومنها (طقس الإله مردوخ)

أما حمل الطفل والدوران (الطواف) به وهو على صينية القش التي تشبه المحفة⁽³⁾، فيبدو أنه يعود لطقوس الحمل على الأكتاف، ومنها (طقس الإله مردوخ)، "فقد تمتع الإله مردوخ (مردوك) وابنه تابو بعبادة مميزة كإله خاص للسكان المدنيين بشكل خاص في مدينة بابل ذات الإدارة الذاتية المميزة، وقد وصل إلينا طقس كامل للأيام الأربعة من عيد رأس السنة أكييتو، أو زاكيموك الذي يتكون من أحد عشر يوماً، والذي أقيم في معبد (أي-سانجيل) الكبير، ودخل في الطقس عامة الناس سيراً في احتفال مهيب رافقوا خلاله الإله مردوخ، ثم وضع في قارب وحُمِل على الأكتاف، وقرأ الكاهن أوريجاللو نصاً كاملاً من الشعر يتحدث عن خلق العالم (أنيوماليش) حيث يكتمل طقس التوبة"⁽¹⁾.

كان الملك في بلاد آشور يحمل على محفة مزينة بشكل متوال من خطين منحنيين يشبه الهلال أسند ظهره لظهر⁽²⁾.

ويستحضر طقس صينية القش (زمن الطوفان العالمي)، عندما بنى أونباشتيم كوخ القصب ونجا

(1) انظر: السواح، الأسطورة والمعنى، ص 77.

(2) الماجدي، متون سومر، ص 334.

(3) المحفة: هودج لا قبة له. انظر: المعجم الوسيط، ص 185.

(1) دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص 618.

(2) كونتينو، الحياة اليومية، ص 227-228.

به من الغرق هو ومن معه⁽¹⁾.

في ثقافة العبيد⁽²⁾ لم تقتصر مساكنهم على البيوت الطينية وإنما استخدم الطوب النيّ أيضاً، وكان معظمهم الطوب من القصب، ولا تزال تبنى المساكن في الفرات الأسفل بشكل يتم اقتطاع مكان محدد وسط قطعة أرض القصب، ثم تغطي بالحصر، وجذوع القصب على الجوانب بحيث ينحني إلى الوسط ويرتبط بشكل مقوس، وغالباً ما حطم الفيضان البلدات في القدم، وتقديماً للغرق، بسطت أرصفة من أشجار القصب⁽³⁾.

جسدت التماثيل في الفترة شبه الكتابية 2850-2750 ق.م الإلهة إنانا، وبجانبها رسومات رمزية فينيشية⁽⁴⁾ على شكل قصب أو شعار (القش)⁽⁵⁾.

وكانت حصران القصب تستخدم للدفن، ثم تثبت بدبابيس وقد استخدمت انطلاقاً من مبدأ ميثولوجي يخص الطوفان، فقد كان كوخ القصب الذي سكن فيه زيوسيدرا - بطل الطوفان عند السومريين (أونباشتيم) عند البابليين - هو المثال الأعلى لإنقاذ الإنسان من الشر، وقد استعملت السلال أيضاً للدفن⁽⁶⁾.

طقس التسمية:

جرت العادة أن يكنى الرجل بعد زواجه، فيقولون له "أبو فلان"، حيث يحضر اسم ابنه في المستقبل، وكان الميل السائد قديماً هو تسمية الولد البكر باسم جده لأبيه، وتسمية البنت الكبرى باسم جدتها لأبيها، حيث كان الجد الذي يختار اسم حفيده، أما اليوم فإن اختيار الاسم يتم بعد المشاورة، ولكن غالباً ما يكون رأي الأبوين هو النافذ⁽¹⁾.

تتم التسمية الفعلية بعد الولادة، لذلك يقولون: "تاجي الصبي بنصلي على النبي"⁽²⁾، ويقولون

(1) دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص 646.

(2) هي الحقبة الممتدة من 4500 ق.م، إلى عام 3500 ق.م.

(3) المرجع السابق، ص 92.

(4) الفيتيشية: سحر، تعويذة، تميمة، تصورات تسبغ على الأشياء صفات غريبة عنها، غالباً ما تكون صفات غيبية خارقة، وقد كانت التصورات الفيتيشية رائجة في المجتمع البدائي. انظر: المرجع السابق، ص 184.

(5) المرجع السابق، ص 184.

(6) انظر: الماجدي، متون سومر، ص 327.

(1) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 73.

(2) عباس، ابراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص 191.

ساخرين ممن يشغلون أنفسهم باختيار اسم الطفل قبل الولادة "لا إجه ولا شافوه واتحبروا إيش ايسموه" (1).

كانت تسمية الشخص عند القدماء تعني خلقاً له وظهوراً، وقد خلق الكون بتسمية السماء ثم الأرض. وخلق الإنسان بعد تعيين اسمه (2)، وفي نص من الأنوما إيلش أسطورة الخلق البابلية:

"عندما كانت السموات من فوقنا بلا أسماء

ولم يكن تحتها من مسكن يدعى بالاسم

ولم يكن لأي شيء اسم ما" (3).

وجاء أيضاً:

"حيث لما في العلا لم تكن السماء قد سميت بعد،

ولم تكن الأرض اليابسة في الأسفل قد دعيت باسم،

لما لم يكن أي إله من أي نوع قد جاء إلى الوجود،

حيث لم تكن أسماؤهم قد دعيت وسماتهم قد حددت (4)"

"وبعد أن تكون جبل الكون بفعل انفتاح أوروبوس (1) وأصبحنا أمام أوروبوس غير هيولي أو عمائي وبفعل اطلاق الاسم (نمو) أو الكلمة، خُلِقَ عُنْصُرَا الذكورة والأنوثة، وهما هنا في هذه المرحلة وفقاً للنصوص المسمارية (الخلق الجنسي) الذي أمرت به نمو، أن يسمى الأعلى سماء ويكون ذكراً، ويسمى الأسفل من جبل الكون الأرض، ويكون أنثى، فعندما أصبح لهما اسمان كانا متلاصقين وبدءاً بممارسة الجنس، وتعني كلمة (نم)، خواص الشيء وفعله وقدرته، وقد ترجم الأكديون هذه الكلمة إلى (شمنو)، أي رأي السمة والاسم والطبيعة الكامنة فيه، ويبدو أن هذه اللفظة ما زالت حية في اللغة العربية، حيث (نم) تعني جوهر الإنسان وطبعه وكل ما ينم عنه (2)، وجاء في الأنوما إيلش أيضاً"

(1) كناعنة، الإنجاب والطفولة، ص 192.

(2) الماجدي، متون سومر، ص 171.

(3) كونتينو، الحياة اليومية، ص 276.

(4) الماجدي، بخور الآلهة، ص 330.

(1) الأوروبوس: الأفعى الكونية التي ذيلها في فمها بشكل الحلقة. انظر الماجدي، متون سومر، ص 70.

(2) انظر: المرجع السابق، ص 70-71.

"بعد أن ابتعدت السماء عن الأرض

بعد أن انفصلت الأرض عن السماء

بعد أن عين اسم الإنسان"⁽¹⁾.

وفي أسطورة الخلق المصرية القديمة في النص الثاني نجد "أنا الخالق لكل ما في الوجود، وأنا نفسي جنّت على هيئة الإله خيبر"⁽²⁾... أنا جنّت إلى الوجود في الزمن الأول... أنا شكلت نفسي من المادة الأولية، اسمي هو أوزوريس"⁽³⁾.

"أنا كنت وحيداً لأنها أي الآلهة كانت لم تولد بعد،... أحضرت اسمي داخل فمي، أي يمكن القول (أنا نطقته) مثل كلمة قدرة (هيكاو) وأنا ظهرت للوجود بشكل خيبر"⁽⁴⁾.

وفي كتاب الموتى جاء:

" لم أمت ولم يمت إسمي"⁽⁵⁾

وفي الأساطير الحثية 2000 سنة قبل الميلاد جاء:

"القبالات جئن به إلى الولادة

وربات المصير والإلهات رفعن الطفل

ووضعن على ركبتيّ كوماربي⁽¹⁾

وبدأ كوماربي يفرح بولده

وطفق يَدُلُّه

شرع يعطيه اسمه العزيز

وبدأ كوماربي يكلم عقله هو: أي اسم سوف أضفي عليه"⁽²⁾.

وفي فلسطين "تجري عملية التسمية عند المسلمين في اليوم الأول، وفي بعض الأحيان في اليوم

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص307.

(2) خيبر: إله مصري قديم. وأوساريس هو أوزوريس: إله الخصب عند المصريين.

(3) بدج، آلهة المصريين، ص342.

(4) كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص277.

(5) المرجع السابق، ص277.

(1) كوماربي، إله حثي. انظر: روست، صلوات حثية، ص56.

(2) كريم، أساطير العالم القديم، ص140.

الثاني، ولا تتأخر التسمية عن اليوم الثالث لأنه (مش املح)، لأنه إذا مات الطفل قبل التسمية فإن الطفل يعاقب أبويه يوم القيامة لعدم تسميته، ويجب تسميته حتى لو ولد ميتاً، بشرط أن تكون معالم جسمه مفسرة"، إذ يعتقد أن الناس يوم القيامة يدعون كل واحد باسمه ساعة الحساب، ومثل هؤلاء الأطفال لا يعرضون على الحساب، حيث يكونون طيوراً من طيور الجنة. إنما يدعون لدخولها فقط، ويسمى الأولاد الذكور بأسماء الأنبياء، أما الإناث فأسماء زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، أما المسيحيون فيسمون الوليد في اليوم الثامن من الولادة، يتقدم الكاهن لابساً بطرشيته إلى حيث الطفل المحمول على ساعدي القابلة، وابتدئ قائلاً: "تبارك الله... الخ" "قدوس الله وما يتلوها" وبعد الإعلان، "لأن لك الملك والقدرة... الخ". يختم الطفل بشكل صليب على جبهته، وعلى فمه، وعلى صدره، وبعد ذلك يقال الدعاء التالي: "أيها الرب ألهنا إليك نطلب وإياك نسأل أن ترسم نور وجهك على عبدك هذا فلان، (وهنا يلفظ الاسم المراد إعطاؤه للطفل)..."⁽²⁾.

ونجد في الوسط الفلسطيني كثيراً من الناس يسمون أبناءهم بأسماء الوحوش الضارية⁽³⁾، و"عند إطلاق الاسم يؤذن في أذن المولود اليمنى، وتقام الصلاة في اليسرى ثم يطلق عليه الاسم"⁽¹⁾، "تحمل الداية هاون نحاس يتدق فيه ويتصير إدور حوالين سرير النبيبي ويتقول: اسمك (فلان) إوعى تنسى ويتلف ثلاث مرات، ويقولوا بتُهرُب التابعة أو القرينة أو العفريت، وبعدين بتحمل الداية إبريق مَيّ، وبتدور حوالين السرير وبتظل تنطق في اسمه، ويقولوا بيسمعه"⁽²⁾، ولا يزال هذا الطقس متبعاً في معظم قرى رام الله.

وفي بعض الأحيان يذهب أهل الطفل للفتاحين أو السحرة ليجتثوا للطفل عن أفضل اسم يناسبه، حيث يعتقدون أن كل طفل يوافقه اسم معين، فهم يقولون: "اسمه على جسمه" أو "الجسم بخلق الاسم"، أو "الاسم بسقط من السما"، أو "الاسم وسم"⁽³⁾.

(1) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 193.

(2) موري، نقولا، خوري، كتاب الأجيال مطاري، مطبعة القبر المقدس، القدس، 1934، ص 6.

(3) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 134.

(1) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 193.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيروت، 69 سنة. 2007/7/29.

(3) انظر: كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 194.

"وقديما كان لكل طفل اسمان واحد معروف للناس، والآخر مكتوب في شهادة الميلاد، ولا يعرفه إلا قلة، تقول الحاجة مريم "كل واحد من إسلافي إله اسمين عادل اسمه الحقيقي عبد الرؤوف، ومحمد اسمه توفيق، وفوزي اسمه موسى، وناصيف اسمه عبد الكريم، هيك كانوا يسموا من زمان"⁽¹⁾.

ويعتقد البعض أن تسمية الطفل على اسم جده يجعل القرينة تتهيج وتغار كثيراً، فتلاحق الطفل أو الجد، وغالباً ما يكون الجد هو الضحية، لذلك فإن الجد يقول حينما يسمى على اسمه: "بـدكو تُقشروني من الدار، أي (تموتوني)" لذلك يوضع تحت رأس الطفل ملح وآيات قرآنية، أو حجاب وقد تعلق حوطة لحمايته مثل عظم كلب، إذ يعتقد أن هذه الأمور طاردة للقرينة"⁽²⁾.

"أما إذا مات الطفل الأول، فسيحمل الثاني نفس الاسم، وقد تمّوه القرينة، بحيث يحمل الطفل الثالث اسم أخيه الذي مات، ومن المفترض أن يستأذن الشخص الذي يسمى على اسمه المولود، وقد يبعثون له هدية، "جاجة وكماجة" مقابل استعمال اسمه، وإذا توفي الزوج فإن الطفل يحمل اسمه حتى يظل ذكره في البيت"⁽³⁾.

ويعود إطلاق الاسم إلى جذور دينية وجذور أسطورية قديمة، فهم دينياً يسرون حسب قول الرسول صلى الله عليه وسلم، "أحب الأسماء على الله عبدالله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة"⁽¹⁾، وقد يعود لأصول سحرية قديمة وإلى الديانة الطوطمية بالتحديد، والسحر الاتصالي.

كان للاسم أهمية عظيمة، إذ إنه "يمثل في جميع الثقافات التقليدية قوة خاصة، وهو مرتبط بشخصية صاحبه بواسطة قوة روحية، وقد لعبت هذه الخاصية السحرية للاسم -ولا زالت تلعب- دوراً هاماً للغاية في الحياة الروحية لجميع الشعوب وفي جميع العصور"⁽²⁾.

لذلك فقد يسمى الطفل باسماء الأنبياء، والقديسين وقد يحمل اسم أبيه المتوفي، لأنه بهذا قد يحمل معه روح هذا الشخص وبعضاً من صفاته إلى المولود الجديد. "وقديماً كانت معرفة اسم العدو

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 194.

(3) المرجع السابق، ص 195.

(1) الطبري، محمد بن جرير، المجمع الكبير، م 22، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، حديث رقم 949، ص 380

(2) الجوهري، علم الفلكلور، ج 2، ص 563.

تمنح الساحر قوة، وتعيّنه على التركيز ضده، لذلك فهو يقول: "إنني أعرف اسمك... ألا أعرف اسمك؟..."⁽¹⁾.

كانت العبادة الأرواحية أقدم العبادات البدائية، وتشكل (المانا) ركنها الأساسي، وهي قوة موجودة في كل مكان، ولكنها توجد بشكل خاص في بعض الأماكن المقدسة، وفي أجزاء معينة من جسم الإنسان، كما تتركز في الاسم⁽²⁾، لذلك فقد تسمي الأم طفلها كي يعيش باسماء الوحوش لإخافة القرينة، وطرد الأشرار مثل: فهد، سبع، ذيب، والذئب هو الحيوان الوحيد الذي تخافه الجن⁽³⁾، وقد يسمى الطفل خميساً ليرمز للعدد خمسة، أو اليد التي تعتبر تعويذة قوية، وقد ذكرنا سابقاً أنه كنية شائعة للخنزير⁽⁴⁾.

"كما ترتبط تسمية الطفل باسم أحد الوحوش في المعتقد القائل أن الجنية (الليليت) تقتل الأولاد حديثي الولادة، لكن تسميتهم باسماء الوحوش تجعلها تهرب وتبتعد عنهم"⁽⁵⁾.
"كان السومريون يطلقون الاسم على الطفل بعد الولادة مباشرة، لأن الاسم كان بمثابة الخلق أو الولادة أيضاً"⁽¹⁾.

وكان الإله إنليل مصدر كل سلطة على الأرض فهو الذي يعين الملك، وهو الذي يهب القوة لمن يشاء، ورد في الأنوما إليش:

"أنت الذي تلفظ اسم الملك، واسم الحاكم

ذلك لأن خلق الإله، والملك

امتياز خاص بك"⁽²⁾.

"ومن الطقوس السومرية طقس الشومازكارو، وهو طقس ذكر الاسم، والمقصود منه تطمين الميت بأن ذكره ما زالت قائمة بين الأحياء، وأن نوعاً من البقاء من خلال الاسم يتحقق له"⁽³⁾.

(1) غليونجي، الطب عند القدماء، ص39.

(2) السواح، دين الإنسان، ص187. انظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص51.

(3) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص75.

(4) المرجع السابق، ص75.

(5) الباش، المعتقدات الشعبية، ص135.

(1) الماجدي، متون سومر، ص322.

(2) المرجع السابق، ص254.

(3) المرجع السابق، ص330.

وكان هناك تقليد آخر يوفي بهذا الغرض، وهو إطلاق اسم المتوفى على الوليد الجديد، وكذلك ذكره المتصل بطقوس الحداد⁽¹⁾. أما في الأنومايلش أسطورة الخلق البابلية فقد جاء:

"تعالوا نعلق أسماء الخمسين لمردوخ،

هو اسم مولده الذي دعاه به جده (أنو)

واهب المرعى وموارد الماء،

مالئ العنابر بالمؤن"⁽²⁾.

أما عند قدماء المصريين، فكان يطلق الأسم على الطفل يوم ولادته، وكانوا يطلقون عليه اسمين أو ثلاثة أسماء، اسماً عادياً واسماً للدلال أو اسماً عادياً وكنية، وكان من المحبب لديهم إطلاق أسماء مرتبطة بالآلهة أو الفراعين مثل (حم، رع= عبد رع) و(باكن آمون= خادم آمون)⁽³⁾.

"اعتقد المصريون أن كل إله أو ربة أو أي كائن روحاني كان، له اسم خفيّ بواسطته ومن خلاله يعيش أو تعيش، وأن الشخص الذي يستطيع أن يعرف هذه الأسماء يستطيع أن يطلب المساعدة ممن يحملها من الآلهة، كذلك اعتبر من يستطيع -بأي وسيلة- أن يحصل لنفسه على اسم مخفي، مساوياً للآلهة، وفي نفس الوقت كان تدمير أو محو اسم ما، يعني نفي وجود الكائن الذي يحمله، لهذا حرص المصريون ومنذ العصور المبكرة من حضاراتهم على إحياء أسماء الموتى، سواء بحفلات التابئين، أو عن طريق الذكر الدائم لأسمائهم حتى لا تمحى من فوق الأرض⁽¹⁾، وكانت عادة حمل حجر معين منقوش عليه اسم -كتميمة- تساعد من يملكها على أن ينعم بحياة سعيدة"⁽²⁾.

وجاء في كتاب الموتى:

"أبواب السماء مفتوحة لي، وفتحت لي بوابات الأرض

ليتكم تعطوني دسم الحليب وتمكنوني من الماء

كما تمكن سيت من عدوه في يوم الغضب

(1) الماجدي، متون سومر، ص330.

(2) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص86.

(3) المرجع السابق، ص235.

(1) بدج، آلهة المصريين، ص343.

(2) المرجع السابق، ص344.

وكما أحضر العظماء العطايا له

وقد أتم ذلك الإله المبجل صاحب الاسم الخفي⁽¹⁾.

وتقول أسطور رع وإيزيس:

كانت إيزيس إلهة حكيمة في بداية حياتها، وكانت معرفتها توازي معرفة رع الذي صنع كل شيء، وبعد أن تقدمت به السنون، أصبح شيخاً، وضعفت سيطرته على لعبه الذي كان يسيل من شذقيه، فتناولت إيزيس لعبه وعجنته بتراب الأرض، وصنعت منه ثعباناً مقدساً ثم وضعت على طريق رع، وحين جاء الإله عضه الثعبان، فصرخ الإله صراخاً عظيماً طال السماء، وتمكن السم من جسده فاستغاث بآلهة بالتاسوع:

"أنا العظيم ابن العظيم، صاحب الاسم الذي صوره أبوه، عندي أسماء كثيرة، وأشكال كثيرة هي أيضاً في كل إله، أنا الذي يدعى (أتوم)، و(حورس) له الحمد، لقد أخبراني أبي وأمي باسمي وأخفيتني في جسدي بعيداً عن متناول أبنائي، خوفاً من أن يعطى لساحر سلطان عليّ، ولما كنت قد خرجت لمشاهدة من خلقته، لدغني شيء لا أعرفه، وهو ليس بنار ولا ماء، ولكن قلبي يحترق وجسدي يرتعد، ليت أبنائي الآلهة يحضرون بكلمات مباركة الآلهة التي تعرف التعاويذ السحرية، فهرعوا إليه، وتقدمت إيزيس تسأله كأنها لا تعلم شيئاً فأخبرها، فقالت له: أخبرني باسمك أيها الأب المقدس، لأن الإنسان يحيا من جديد عندما ينادى باسمه، فعد لها أسماء وصفاته، فقالت له: إن اسمك الحقيقي الخفي ليس بين تلك الأسماء، فاذكره لي وسأناديك به ويفارقك السم، فلم يجد رع بداً من البوح باسمه فقال لها: قربي اذنك مني حتى يخرج اسمي من جسدي ويسري في جسدك، فقرأت له تعويذتها السحرية لطرد السم: "تسرب باسم، أخرج من رع ومن عين حورس، أخرج من الآلهة أيها الملتهب، بفضل عزيمتي أغرب عني داخل الأرض... لقد أفشى الإله العظيم اسمه، إن رع يحيا والسم قد مات، حسب كلمات إيزيس الساحرة العظيمة، سيدة الآلهة التي تعرف رع باسمه"⁽¹⁾.

توضح الأسطورة أموراً منها، أن أصول السحر تقضي معرفة الاسم السري للإنسان، وكان

(1) الصيفي، كتاب الموتى، ص 143.

Spence.Lewis..Ancient Egypton.G.Harrap.London.1990. p.p 260. (1)

المصريون يسمون الإنسان باسمين أحدهما علي والآخر سري، لأن هذا الاسم يحمل عنصر الحياة الأبدية للإنسان والآلهة⁽¹⁾.

طقس العين الحاسدة أو الكبسة:

تقول الحاجة سبعية⁽²⁾ "في نسوان بالعمادة (عن قصد) بلبس زَهَب، وبُعُورٍ على الوالد وبُكْسِنِها هي والمولود".

وتقول الحاجة حسنية⁽³⁾ "لما تولد أو لما أترعين الوالدة بُعُورٍ عليها أجنبية غريبة، عليها العادة⁽⁴⁾، وبقولوا انكَبَسَتْ وبُتَبِلْ اتخلف".

أما الحاجة زينب⁽¹⁾ فتقول: "بتدخل عليها سلفتها أو وحده والده جديد، مش موفيه السبوع، وبُكْبَسِنِها هي وابنها".

"مرات بنتحس الولد الصغير بيقولوا: "ناشق⁽²⁾ صابته عين" كما تذكر الحاجة حسنية⁽³⁾.

يحتل الاعتقاد بالعين الحاسدة في التراث الشعبي الفلسطيني أهمية خاصة، إذ يعتقد أنها قد تقتل فيقال: "تلثين الجبانة من العين وبنات الدينين"⁽⁴⁾.

والحسد: "انفعال نفسي إزاء نعمة الله على بعض عباده، مع تمنى زوالها"، وهو يقوم على تصور مؤداه، أن ما يحدث للإنسان أو لممتلكاته من سوء، يعود في أحيان كثيرة إلى تأثير العين الحاسدة التي غالباً ما تكون عيناً شريرة"⁽⁵⁾.

والحسد في التراث الشعبي الفلسطيني "ينجم عن قوة شريرة تنفس على الإنسان ما فيه من خير، فتحاول أن تصيب هذا الخير"⁽⁶⁾.

(1) الماجدي، الدين المصري، ص122-123.

(2) مقابلة شخصية، سبعية، بيت ريم، 84 سنة. 2008/8/2.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.

(4) العادة: عامية من التكرار وتعني الدورة الشهرية.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، دير دبوان، 69 سنة. 2007/7/29.

(2) ناشق، نشق الريح: شمها.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(4) الباش، المعتقدات الشعبية، ص172.

(5) المرجع السابق، ص173.

(6) المرجع السابق، ص173.

يعتقد الناس أن "العين - أساساً- هي أداة الحسد، وأنه ليس من الضروري أن يعبر الإنسان عن حسده بالكلمات أو الإشارات، وإنما يكفي أن ينظر بعينه فيصيب بها الشيء المحسود، بالسوء والضرر، لذا أصبحت كلمة إصابته العين أو عين اتصيبك مرادفاً للحسد وما يرافقه من حلول الشر، فكان من تأثير الأمر، أن أصبح الناس ميالين لإخفاء ما يخافون عليه الحسد، أو لإفساد جماله وكماله، ينشئون فيه عيباً، وذلك كي لا يجلب أنظار الناس، ولا يتمناه الحساد"⁽¹⁾.

ويقول المثل: "الحسد مالوش دوا إلا الموت"، "والحسد من الجيران والغيره من الأهل"، و"الحسود لا يسود"⁽²⁾، كما يقال أيضاً: "عيون الكبار خراب ديار"، "والعين ما بتشبع إلا من التراب"، "عين لا تشوف قلب لا يحزن"، وعين الحسود فيها عود"، "العين بتغار من أختها"، و"العين عليها حجاب"، والعين عليها ملك يحرسها"⁽³⁾.

"ويعتقد الناس في الأوساط الشعبية الفلسطينية أن الأهل قد يحسدون أولادهم لذلك قيل: "إن كان مستعجل عليه بوسه بين عينيه"⁽¹⁾، وهم يملكون للاعتدال، ويرتاحون لمن شكله طبيعي، لذلك فهم يرون أن صاحب العيون الزرقاء والأسنان المتفرقة، شاذٌ ومؤهل لأن يصيب بالعين، لأن ذوي العيون الزرقاء قليلون في بلادنا، لذلك يقال: "عينين زرق واسنان فرق"⁽²⁾، ويقال عن عين الحسود: "بُتُّتْلُ الجمل"⁽³⁾.

كما يعتقد أيضاً أن الطفل هو أكثر من يتعرض للإصابة بالعين. والذكر أكثر تعرضاً لها من الأنثى، وقد تتعرض الممتلكات كالحوانات وغيرها للحسد⁽⁴⁾.

تعتبر العين الحاسدة زرقاء في فلسطين، والعين الحمراء رمز الغضب، فيقال: "فرّجيه العين الحمراء"، أما العين البيضاء فهي رمز لقلة الحياء عند الفتاة، فيقولون "عينها بيضه" كما يعتقدون أنه يجب تقطير العين بالملح بعد الولادة حتى لا يصبح الشخص وقحاً في المستقبل، فيقولون

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص174.

(2) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص159.

(3) المرجع السابق، ص161.

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص175.

(2) المرجع السابق، ص174.

(3) المرجع السابق، ص175.

(4) المرجع السابق، ص176.

"عينه مش املّحة"⁽¹⁾، كما أن العين قد تَبَيَّضَ من الحزن الشديد. وفي القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك "وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم"⁽²⁾، ويقول المثل أيضاً "لولا الغيرة والحسد عجوز كفت بلد"⁽³⁾.

ويروى عن النبي أنه قال: "العين حق"⁽⁴⁾، وفي القرآن إشارات كثيرة إلى الحسد، منها ما ورد في قوله تعالى: "من شر حاسد إذا حسد"⁽⁵⁾.

"والاعتقاد بالحسد والعين الحاسدة هو أحد المعتقدات الشعبية الإنسانية التي لا يمكن نسبتها إلى شعب واحد وحصرها به، فتكاد الشعوب البدائية في التاريخ القديم تجمع كلها على مفعول اللعنات وشر العين الحاسدة"⁽¹⁾، تمتلك العين قوة سحرية تكمن فيها استناداً إلى الديانة الفيتيشية أقدم الديانات⁽²⁾. ويظهر الحسد عند السومريين في أحد النصوص التي تدور حول عشتار وابنها الإله الممزق تموز الذي أرَدَتْهُ قتيلاً حين سلَّطَتْ عليه نظرة الموت⁽³⁾. ويظهر الحسد أيضاً في أسطورة إنانا عندما هبطت للعالم الأسفل، ورأتها أختها الإلهة أرشيكال فحسدتها بأقسى أنواع الحسد، (القتل):

"وكانت أرشيكال الطاهرة تجلس على عرشها

فَصَوَّبَتْ نظراتها إليها، نظرات الموت

ونطقت بكلمة ضدها، كلمة سخط

واطلقت صرخة ضدها، صرخة إثم

فحولت الفتاة العليلة إلى جثة هامة"⁽⁴⁾.

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 243-244.

(2) سورة يونس، آية 84.

(3) عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص 193.

(4) أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، كتاب السلام، باب 41، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، حديث رقم 2187.

(5) سورة الفلق، آية 5.

(1) ديورانت، قصة الحضارة، م 1، ص 115.

(2) انظر السواح، دين الإنسان، ص 187.

(3) عبد الحكيم، شوقي، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت، ط 1، 1988، ص 383.

(4) علي، فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط 2، 1986، ص 192.

"ومن أنواع الشياطين الخبيثة العين الحاسدة، وهي شيطانة العين التي تسبب الأذى والشر، وهي التي لا يصيب الرخاء أحداً تحت تأثيرها، ويتوقف المطر في السماء، ولا تنمو الحشائش، ولا تتكاثر الحيوانات في الإسطبل" (1).

وعُثر في تل براك على معبد العين 3000 ق.م حيث كانت عبادة الإلهة منتشرة في أعالي الفرات وغربه، ويحتوي هذا المعبد على آلاف التماثيل الحجرية المنحوتة بزوج من العيون المحدقة، وقد رأى الباحثون أنها تماثيل (الإلهة العين)، المضادة للحسد والشر (2). كانت العين في السومرية تعني الحكمة الواسعة (3)، وفي أسطورة إنانا كانت العيون والكلمات هي الوسائل التي أدت إلى موتها، وهذا يعطينا فكرة عن أهمية النظر، والنطق الإلهيين كوسائل للخلق والموت (1).

تأثر الدين البابلي والآشوري تأثراً عميقاً بالاعتقاد القائل بوجود الجن والأرواح الشريرة التي تحيط بالإنسان إحاطة دائرية، إلا أن الأشرار من الجن والأرواح، كانوا يُعتبرون أبناء الآلهة الأشرار القدماء، الذين أوقع بهم مردوخ هزيمة لكي يحرر زملاءه للآلهة من تأثيرهم ونفوذهم (2).

فقد كانت الشيطانة -عفرية الأحلام ابنة الإله أنو- تمنع ولادة الأطفال وتقتلهم، وهي العين الشريرة التي لا يمكن أن يوقفها أحد، إذا وقع تحت نفوذها الذي يمتد بقوته فيحبس مطر السماء، ويعيق القصب عن النمو، ويسلط العقم على المواشي في الاستطبالات والعائلة والبيت (3).

وفي مصر القديمة أسطورة عين رع، "وهي أسطورة يحيط بها الغموض، وتدل الظواهر على أن الإله (حور) (4) الذي وُحِدَ فيما بعد بالإله (رع) لم يكن محارباً وحسب، بل كان رب السماء، وهذه الفكرة قديمة جاءت الإشارات إليها في متون الأهرام، وقد تخيل المصري أن لإله السماء

(1) انظر: الماجدي، متون سومر، ص 344.

(2) انظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص 216.

(3) انظر: الماجدي، الدين السومري، ص 151. انظر: دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص 190-191. انظر: الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 160.

(1) دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص 291.

(2) كونتينو، الحياة اليومية، ص 421.

(3) المرجع السابق، ص 423.

(4) حور: حورس إله الشمس ابن أوزوريس وإيزيس.

هذا عينين هما الشمس والقمر، ولما كان كهنة عين شمس يطمحون أن يكون لإلههم (رع) المكانة الأولى وَحَدُوا (رع مع حور)، وجعلوا عين الشمس خاصة بإلههم، أما إله السماء (حور) فاختص بعين القمر⁽¹⁾.

أما العين الزرقاء التي نستعملها في أيامنا هذه بكثرة، فيبدو أنها تعود إلى أصول قديمة، فقد "استمر النزاع بين أوزوريس وست ابني (جب)⁽²⁾، على عرش مصر، فاغتال ست أوزوريس لكن الحياة دفنت في جسده بفعل إيزيس فنزل دنيا الغدر وهبط للعالم الأسفل، فنشأ نزاع بين ست وحور (حورس) ابن أوزوريس، وتمكن ست من نزع عين حور منه، ثم استمر القتال، وانتهى بنصر حورس واسترجاع هذه العين التي نزعته منه. وقد قدم هذه العين لأبيه أوزوريس فارتد إليه بصره، ومن تلك اللحظة أصبحت العين رمزاً لكل قربان جميل، وكل هدية حسنة ثمينة تقدم للحَيِّ والمتوفى، وقد جاء ذكر قصة أوزوريس في الأناشيد الدينية للدولة الوسطى بصورة مختصرة، وبعد ذلك نجدها قد تجددت في قصص الدولة الحديثة⁽¹⁾.

وفي أسطورة أخرى عن عين رع الشريرة (حتحور)، نجد أن رع أصبح مسناً، وشعر أن رعيته من الآلهة وبنى الإنسان يتأمررون على قتله، فاستجد بالآلهة (حتحور) التي تسمى في هذه الأسطورة، (عين رع) لتقضي على بني الإنسان، عاد رع عن رأيه فقد عز عليه بنو الإنسان فأثملها بشراب الجعة المحبب لها فثملت، ولم تعد تعرف ما تريد⁽²⁾.

عُرف حورس بـ "حورس ذو العينين" وعندما كان القمر والشمس يختفيان من السماء كان يقال: "حورس يسكن بدون عينين وكانت العين رمزاً من رموزه"⁽³⁾. وجاء في كتاب الموتى: "أنا من طبب عين حورس بعد أن فقدت في يوم صراع الإلهين المتخاصمين، هي العين اليمنى لرع، التي غضبت بعد أن فقأها ست"⁽⁴⁾.

(1) غربال، الحضارة المصرية، ص113.

(2) جب: إله الأرض، انظر: الماجدي، الدين المصري، ص84.

(1) غربال، الحضارة المصرية، ص114.

(2) المرجع السابق، ص113.

(3) بدج، آلهة المصريين، ص557.

(4) الصيفي، كتاب الموتى، ص67.

"وتجلى الحسد عند الإغريق في إلهة الحسد "فتونوس Phthanos، وتدعى عند الرومان أنديفيديا، وهي تجسد الأثر السيء للعين الشريرة التي تنتظر بحسد إلى أولى النعم، التي حُرمتها، وهي ذات روح شريرة وقلب تأكله الأفاعي وقد أنحله طول الحسد، ونخرته الرغبات الظمأى"(1).

ومن الطقوس الواقية من العين الحاسدة التي يستخدمها الفلسطينيون في منطقة رام الله:

1- طقس العتبة لرد العين:

تقول الحاجة حسنية⁽²⁾ من الجيب: "عند الميلاد بيشددين فيها وبِعِبرِنُها وبِيطْلَعْنِها عن العتبة مع الولد، الداية معها وحماتها فقط ممنوع غُرْب، حتى ما تنكبشش، على ثلاث مرات". وتقول الحاجة فاطمة⁽¹⁾ من اللين: "بتطلع الداية المولود على صينية القش، هي الأمامية والإمامية وراها برّه العتبة وبتقوت على ثلاث مرات". وتقول الحاجة مهدية صرصور⁽²⁾ من البيرة "المرّة الوالدة بيطلعوها هي والولد ثلاث خطوات عن العتبة وبيعبروها خوف الحسد".

تعتبر الولادة مرحلة خلق جديد، وهي تتشاكل مع ميلاد الكون البدئي الأول، فمن "المياه الأولية والخواء، انبعثت أولى مظاهر الحياة، وتولدت العناصر الأولى في العالم"⁽³⁾، وهكذا هي الولادة البشرية عندما يكون الجنين محاطاً بالمياه الأولى الأم والخواء، ثم تأتي مرحلة المخاض التي تتبثق بعدها أولى مظاهر الحياة في ميلاد جديد يُشبه ميلاد الكون وانبعثته.

"كل شيء كان في نمو

ونمو كانت الأشياء في النوم، ونمو

كانت البحر الذي يغمر الكون

نمو كانت الكون

ومثل نبض كان جنين الكون (آن - كي)

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص172.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللين، 67 سنة. 2008/1/11.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة، 86 سنة. 2008/7/25.

(3) تيبو، موسوعة الأساطير، ص331.

يتكون في نمو، مثل بذرة كان يشقها ويبرز⁽¹⁾.

إذن فالولادة هي العتبة الأولى إنها (البدايات) العودة للأصول الأولى، "وهي المرحلة العتبية والعبورية عندما كان الإنسان الداخلي المكون من جهاز روحي موحد في تماسكه وتكامله"⁽²⁾، إنها حالة ما قبل البدايات (العتبة) أو حالة ما بعد المخاض، "الطوفان حالة التعميد الأول للبشرية"⁽³⁾.

ويبدو أن هذا ما يجعل المرأة الوالدة تعبر العتبة ثلاث مرات فهي "عودة للأصول عندما لم يكن هناك علامات اختلال في حياة الإنسان"⁽⁴⁾، وهي ما كان يسمّى عند السومريين فكرة "العود الأبدي إلى الزمان المقدس لأول ظهور"⁽⁵⁾.

عند السومريين كانت "تدفن عند عتبات البيوت الحروز وتمائيل الآلهة والغفاريت، والحيوانات لحماية أصحابها من الشر، ومن الجائز وضع مثل هذه التعاويذ عند واجهات البيوت أو على الأبواب مثل رمز إلهة العين أو رمز الإلهة سيبيتو (العيون السبعة) لدرء الشر"⁽¹⁾. وتبين التعويذة التالية أهمية العتبة:

"أنا رسول مردوخ ورقيتي هي رقية أيا، وتعويذتي هي تعويذة مردوخ، وقوة أيا بيدي، وكذلك هراوة آنو القوية التي أرفعها بيدي، وصولجان القدرة الذي أحمله بيدي، ولن يقترب أحد من جسدي وعلى مرأى بصري تتحطم قوى الشر، هذه التي لا يمكنها مخاتلتي والسير ورائي، والتي تبتعد عني عندما أقف على العتبة، ولا تضع أقدامها في مكان وقوفي أو جلوسي، وإلى أي جهة أسير لا تسير، وإلى أي مكان أدخل لا تدخل"⁽²⁾.

وفكرة العتبة هذه كانت "موجودة لدى البابليين والآشوريين فقد كانت عتبات الأبواب الحجرية تتحت تقليداً للسجاد حيث يوجد منها نموذج موجود في متحف اللوفر في باريس، مزين بدوائر

(1) الماجدي، متون سومر، ص13.

(2) الماجدي، الدين المصري، ص283.

(3) تيبو، موسوعة الأساطير، ص223.

(4) انظر: السواح، الأسطورة المعنى، ص77.

(5) انظر: الماجدي، الدين السومري، ص51. انظر: الماجدي، متون سومر، ص67.

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص232. وسببتو هو سبيعتومن الرقم 7، حيث سقطت الحروف الحلقية من البابلية والآشورية.

(2) المرجع السابق، ص368.

متشابهة، ويبدو أنها أحيطت بشرائب من النسيج أشبه بما هو موجود الآن في السجاد العصري⁽¹⁾، وقد تحدثنا سابقاً عن علاقة النسيج بالسر والظوفان، فهي "بما فيها من نقشات وزخارف أشبه بالتعاون السحرية"⁽²⁾، وهي أيضاً كالحصر التي تستخدم انطلاقاً من مبدأ ميثولوجي يخص الظوفان ككوخ القصب الذي سكن فيه زيوسدرا (بطل الظوفان) السومري، وأنباشتيم بطل الظوفان البابلي⁽³⁾.

إن فالتعبئة مرحلة "عبور شفائية للعالم الأول البدئي والأصول الأولى، وتكرارها هو التجديد والاستمرار"⁽⁴⁾.

أما المرات الثلاث والرقم ثلاثة فهو رقم سحري يرتبط هنا بعدد الليالي التي يختفي فيها القمر كل شهر⁽¹⁾، قبل أن يظهر أو يبعث من جديد وهو يشير إلى الثالوث الأقدس، وإلى الصليب. ففي الديانات البدائية الأولى كان التوحيد الأنثوي القديم Monotheism وعندما بدأت العقيدة الدينية تزحزح دور المرأة المركزي، كانت Dithesim وهي أنثوية ذكرية أولاً، ثم ظهور ثالث فكانت ثلاثية أقمومية Trithesim والتي كانت صدى لظهور العائلة بشكل مستقر وواضح، الأب والأم والابن، وظهر هذا واضحاً في ثقافة أريدو⁽²⁾، والعبيد⁽³⁾، عندما ظهرت الصلبان على إناء خزفي وبألوان متعددة، لكن ظهوره المفاجئ كان باهراً في معبد الإلهة إنانا⁽⁴⁾، حيث صمم الفناء الداخلي للمعبد على شكل صليب واضح⁽⁵⁾، وهي أرضية متماسكة لتواتر الثالوث حتى العصر المسيحي⁽⁶⁾.

(1) كونتينو، الحياة اليومية، ص 228-229.

(2) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 60.

(3) الماجدي، متون سومر، ص 327.

(4) انظر: السواح، الأسطورة والمعنى، ص 77.

(1) كراب، الكزاندر هجرتي، علم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، وزارة الثقافة، مؤسسة التأليف والنشر دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص 345.

(2) أريدو: مدينة تقع جنوب بلاد الرافدين، غرب مدينة الناصرية، تعرف أطلالها اليوم بـ أبو شهرين، بدأت ثقافتها في النصف الثاني من الألف الخامس قبل الميلاد.

(3) ثقافة العبيد: تجمعات سكانية واسعة وصلت حتى شمال بلاد الرافدين 4000-3500 ق.م.

(4) معبد إنانا في أوروك 3200 ق.م.

(5) انظر: الماجدي، متون سومر، ص 283.

(6) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 145، 164، 165.

2-الحسد عن طريق دم الحيض والنفاس وكيفية رده:

تقول الحاجة أم محمد⁽¹⁾ من أبو قش "إذا دخلت عليها وَحَدَه عليها دم بَيْكَبْسُها وبَيْكَبْسُ الوَلَدِ، وهذي صارت مع ابن أخوي، مرت أخوي طَوَلْتُ تَحِيلْتُ، وأتعالَجْتُ كثير وراحت للدايات، ظلت ثلاث أيام تَطْلُقُ، وهي تَطْلُقُ فَرَعَنْ كل بنات الحمولة، وجابولها الدكتور، وبعد ما أَطْلَع كل الموجودين ولّدها، وَسَمَّته فؤاد على اسم ولد كان رايحُها- مات وهو صغير- ولما طلع الدكتور فَتَنَ النسوان كلهن، وَحَدَه مِنْهُنَّ عليها العادة، صار الولد- إِلَيَّ كان وَجَهَ مثل البدر- مثل العيدان. وإِجَت وَحَدَه بَدْوِيه عليها ولما شافته قالت إلهن:هاظا مكبوس وطلبت شريطة سَمرة وشبّه وشعير وملح وعَطَبْتَلَه، وقالت لِإمه خذي هذه الشبّه وَحُطِيها في الميَّ على مدة سبع حدود (أي أيام آحاد) وحميميه. وما كمل السبع حدود صار طبيعي وامليح".وتعود قوة الدم إلى العقيدة الفيتيشية تحديداً، وهي أول عقيدة مادية آمن بها الإنسان، وجاءت من خلال تصور سحري للعالم والأشياء، والعالم الفيتيشي الأولي المليء ببؤر ونقاط مقدسة محاطة بعالم مدنس، وتشع من هذه النقاط قوة الكون، ويستطيع الشامان (الساحر البدائي) تحريك العالم بواسطة الفيتيش، بحيث تصبح القوة الخفية هنا، في نفس الساحر وفي الشيء⁽¹⁾ و"لعل هذا هو الذي أوجد نظام التحريم، أو التابو اللامساس الذي يعني في جوهره عدم التقرب من المقدسات، وكان الطوطم أكبر هذه المقدسات مجسماً في كل فرد من أفرادها وحالاً في عناصرها الدموية على الأخص، لذلك كان دم كل فرد من أفرادها من أهم المقدسات وأعظمها حرمة على جميع أفراد العشيرة، لذلك وجد قانون العزل لمنع الاتصال بالمرأة الحائض، لأنه يُعدُّ خرقاً للمقدسات"⁽²⁾.

وفي فترة التابو التي تستدعي طقوساً تطهيرية، تخضع النساء إلى تحريمات خلال فترة الولادة والنفاس، فتعزل المرأة تماماً حتى انتهاء فترة حيضها أو نفاسها، لأنهن يكن مشحونات بقوة خطيرة ينبغي عدم السماح لها بالانتقال إلى الآخرين"⁽³⁾.

وبسبب قوة الدم هذه وجدت في لوسيل في فرنسا وتحت سقف صخري، بقايا من مغرة حمراء

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم محمد، أبو قش، 77 سنة. 2008/8/7.

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص48.

(2) المرجع السابق، ص53.

(3) انظر: السواح، دين الإنسان، ص74.

كانت تلون هذا القبر منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة إشارة إلى القوة الحيوية الكامنة في الدم⁽¹⁾. وفي فلسطين ظهرت مقابر خاصة، كان لظاهرة ذرّ التراب الأحمر فيها والذي يرمز للدم وإلى استمرار الحياة بالنسبة للمتوفى، وبذلك ينعم بالخلود في العالم الآخر⁽²⁾.

وفي أسطورة إنانا تظهر لنا لعنة الدم، حينما اغتصب البستاني إنانا المقدسة، فأثناء هبوطها من السماء، توقفت إنانا لترتاح، فرأت بستان (شوكليتودا) ووجدته خير ملاذ، فأ راحت جسدها تحت ظل شجرة، وغطت في نوم عميق، وحين أطل شوكليتودا البستاني رأى تحتها عنفوان البحر وذهب الشمس، وقد انكشف جسدها، ورأى ثدييها القطنيين، رأى ردفها وبطنها، فحن لمضاجعتها وأراح عنها ثوبها، وضاجعها ولم تشعر السيدة الإلهة، ولما أفاقت أفزعها أن جسدها المقدس انتهك، وأن ضرراً كبيراً داهم عورتها، فقررت أن تنزل عقاباً (لعنة) بالإنسان، لذلك ملأت كل آبار البلاد بالدم، وصار الجميع يشربون الدم بدل الماء، ثم سلطت عليهم الريح والوباء ومات خلق كثير بسبب لعنات إنانا، لعنة الدم ولعنة العاصفة ولعنة الوباء⁽¹⁾.

أما الدماء عند المصريين القدماء فهي مسار الروح والطاقات الحيوية، فمن دماء رع المنسابة خلق كل من (حو، وسا)⁽²⁾، أما شجرة الأرز فقد أُنعت ونبتت من دماء جب وعندما كان حورس الإله الشمس يشرب بعض النبيذ كان من المعتقد أنه يتجرع دماء خصومه أعداء الضياء، أي أنه يجردهم تماماً من سطوتهم وقواهم⁽³⁾.

ويسمى الحناء عشب الحياة عند المصريين القدماء وكان يستعمل في التحنيط لأنه سر الحياة⁽⁴⁾، وهناك رواية إسلامية تقول: إن الحجر الأسود كان أبيض، لكنه أسود من مس الحيض في الجاهلية، أي أنه كان هناك طقس لدى الجاهلين تؤديه النساء في الحجر، وهو مس الحجر بدماء

(1) السواح، دين الإنسان، ص153.

(2) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص117.

(1) الماجدي، إنجيل سومر، ص161-162.

(2) حو، وسا: إنهما بحارا مركب رع.

(3) تيبو، موسوعة الأساطير، ص147.

(4) الصيفي، كتاب الموتى، ص458.

الحيض، ودماء الحيض بالذات، فقد كان دم الحيض عند المرأة في اعتقاد الأقدمين سر الميلا، فمن المرأة الدم ومن الرجل المنى، ومن الإله الروح⁽¹⁾.

3- طقس التطهير بالملح والشبة لرد العين:

وقد تحدثنا عن الملح والذي استخدم قديماً لرد العين الحاسدة، ولا يزال ليومنا هذا يستخدم للغرض نفسه، فيقال في الأمثال: "ملحة في عين إلي ما يصلي على النبي"⁽²⁾ والشبه هي نوع من أنواع الملح أيضاً فهي ملح معدني قابض، لونها أبيض أو أزرق، وتستخدم كالمح العادي تماماً في رد العين الحاسدة.

4- طقس استخدام الشعير لرد العين:

وهو يحرق على شكل بخور لرد العين الحاسدة وطرد القرينة، وقد كان أول شيء خلقه إنليل⁽¹⁾ بعد السماء والأرض والآلهة هو الحب والمرعى.

"آن الإله الذي أخرج كل شيء نافع

الإله الذي لا مبدل لكلماته

إنليل الذي أنبت كل الحب والمرعى

أبعد السماء عن الأرض

وأبعد الأرض عن السماء"⁽²⁾.

"حكمتك هي الزرع، كلمتك هي الحبوب

كلمتك هي الماء الغامر، حياة جميع البلاد"⁽³⁾.

"وقديماً أوجد الإله إنليل الإلهة (نسانا أو نشانا)، وتزوجها، وكان اسمها أيضاً أشنان حيث كلمة أشنان تعني الخبز، حتى ليقال: "دقيق أشنان الطاهرة، وقد كان كبار الآلهة يأكلون أشنان، أي الخبز أو القمح والشعير، ويشربون النبيذ، وكان رمزها سنبله مكونة من ساق بثلاثة أغصان تشبه ثنية الكف، وكأنها العطاء، والسنبله مكونة من ستة فروع بارزة، يتوسطها شكل هندسي

(1) القمني، سيد، الأسطورة والتراث، سينا للنشر، القاهرة، ط2، 1993، ص127.

(2) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 301.

(1) إنليل: إله الهواء السومري. انظر: الماجدي، إنجيل سومر، ص 15..

(2) آن: إله السماء عند السومريين. انظر: المرجع السابق، ص15.

(3) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص35.

مكون من تسعة مربعات لعلها إشارة لأشهر الحمل، وقد منحها إنليل لقب إلهة الحبوب والكتابة⁽¹⁾.

"في تلك الأيام وفي حجرة الخلق

في بيت الإله خُلِقَ اهار وخُلِقَ أشنان⁽²⁾

كان الشعير أول القرايين في العصر النيولتي⁽³⁾، فقد كانت سنابلها تذبح في موسم الحصاد بالمنجل "كما لو كانت تنحر فيها آلهة زراعية، تستشهد في سبيل إنقاذ البشرية من المجاعة فيقتات الناس من أجسادها، وكما كانت تقوم حول الفريسة في العصر الحجري القديم منادب ومعاز تنتهي بولائم⁽¹⁾، كذلك كان بالنسبة إلى مناسبات الحصاد، إذ كانت هي الأخرى بمثابة معازٍ يردد فيها المزارعون أغاني ذات صبغة حزينة فتتحول الحقول في أثناء جمع حاصلاتها الى ما يشبه الجنائز، يتظاهر فيها الناس بالحزن لاضطرارهم إلى قتل آلهة أو أرواح النباتات ليخفوا سرورهم وكثرة ما يجنونه من أجساد تلك الآلهة التي تكون حاصلاتهم⁽²⁾ وكذلك نرى السحر في صناعة الخبز حيث يشكل القمح أو الشعير مادة أو لحم الغلة المحصودة، أو المقتولة، وهي آلهة الخصب المقدسة، حيث تُسرَّعُ الخميرة المسكونة بالأرواح في تخمير العجينة وتهيئتها⁽³⁾.

كان الشعير مفضلاً على القمح في أسطورة الخلق السومرية والبابلية⁽⁴⁾:

"البشر الأوائل لم يعرفوا أكل الخبز بعد

ولم يعرفوا ارتداء الملابس، وكانوا يسيرون

على أيديهم وأرجلهم،

وكانوا كالخراف يعلفون الحشيش من القنوات ويشربون الماء.

(1) الماجدي، متون سومر، ص 257.

(2) انظر: الماجدي، الدين السومري، ص 155.

(3) العصر النيولتي 8000 ق.م. انظر: الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 79.

(1) في الطوطمية حُرِّمَ أكل الحيوان أو النبات الإله في البداية، ثم أصبح يؤكل كي تحل روحه المقدسة في أجساد عبياده في طقوس خاصة. انظر: المرجع السابق، ص 38.

(7) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 33.

(3) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 128.

(4) الماجدي، إنجيل بابل، ص 114.

آنذاك في المكان الذي كانت فيه الآلهة، تعيش على الأرض

ظهرت النعجة وظهر الشعير بأنواعه⁽¹⁾.

وهكذا حكم الرب بين مخلوقاته بالعدل، ففعل مثل ذلك بين شجر الصفصاف والدفلى، وانتصر

لشجر الصفصاف، وفعل مثل ذلك ما بين الشعير والقمح وانتصر للشعير.

اعتقد المصريون القدماء أن حبات الشعير مقدسة لأنها ترمز الى الإلهين (إيزيس وأوزوريس)،

لذلك صنعوا منها عقودهم لطلب حماية هذين الإلهين⁽²⁾.

وجاء في كتاب الموتى: أنا أتعيشُ على العيش الفاتح والبيرة (المصفاة) من شعير نهر النيل

الذهبي (الأصفر) من المكان الطاهر. وأجلس تحت سعف نخيل حتحور، أنا فرضت نفسي على

قرص الشمس...⁽¹⁾.

ويقول أوزوريس: "خبزي من الدقيق الأبيض والبيرة من الشعير الذهبي الأصفر"⁽²⁾

5- طقس الطاحونة والحسد (الكبسة):

تخبرنا الحاجة جديّة⁽³⁾: "المرّة الوالدة، اللي عندها في الدار طاحونة. حرام نطحن عليها عندها،

مش مليح للوالدة وللمريض بنكبسو".

يعود هذا الطقس إلى خمسة آلاف سنة مضت "عند نشأة المدن في الهلال الخصيب، وسيادة

الذكور وتزاوج الثقافتين الرعوية الأبوية والزراعية الأمومية، ولحث الأرض على الإنتاج

تحولت القرابين إلى أضاحٍ، يضحي فيها الملك بنفسه، ويبدو أن تقديم الأطفال قرباناً للنيران، قد

نشأ عن محاولة الملوك التهرب من هذا المصير المفزع، فنشأت عادة مضاجعة الملك للكهنة

الكبرى (قاديشتو)⁽⁴⁾، لإنتاج آلهة من نسله الملكي الإلهي تخصص للتضحية، وهكذا أصبح

إنبات الأرض وعودة فصل الخصب رهيني سفك الدماء والأضاحي. وهو أمر لا تزال آثاره

واضحة حتى أيامنا هذه، يتمثل في " تحذير الأم لطفلها بعدم الخروج وحيداً، حتى لا يذبحوه

(1) الماجدي، إنجيل ياهل، ص116.

(2) غريال، تاريخ الحضارة المصرية، ص1.

(1) الصيفي، كتاب الموتى، ص160.

(2) المرجع السابق، ص221.

(3) مقابلة شخصية الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/31.

(4) قاديشتو: بمعنى قديسة.

على حجر طاحون الحبوب⁽¹⁾، هذ الحجر هو ذاته القديم الذي ارتهن دورانه برضى الآلهة عن طريق تقديم قرابين الأطفال كما عنى توقفه الجذب والموت، وهكذا بدا الأمر منذ أقدم العصور ولا زال مرتبطاً بالحزن والبكاء والنواح الذي نجده في قرى رام الله عند طحن الحبوب، وتذكرُ الأعراء الذين فقدوا بالموت أو السفر أو السجن⁽²⁾. لهذا كله كان وجود الطاحونة بجانب المرأة الولادة فألاً سيئاً وشؤماً يجلبان الموت لها ولجنينها.

6- طقس الحرق أو (العطبة)⁽¹⁾ لرد العين: "بتجيب الوحدة عطبة سمرا، شريطة بتحرقها وبترقه، وبتنقط بين عينيه"⁽²⁾. "بعد عمل العطبة تروح مرة لازم تكون (قاطع)⁽³⁾، اتكب الدعوك لما بدھا تطفي النار بتحط في إيدها مية (اليمين)، وبتترش النار بالمية وبتصير (تتشغ)⁽⁴⁾، مشان اتروح، وبتقول: "انطفي يا عوينه كما انطفت انويره، يعني العين بتتطفئ، مثل النار ما انطفت، وبتبين العين الحاسدة لمين"⁽⁵⁾.

لقد كان استخدام النار من طقوس أبطال السحر الأسود في بلاد الرافدين "حيث يستعان بالإله مردوخ أو بأحد آلهة النار، حيث يقوم الساحر بحرق شكل معين يمثل أحد الشياطين وتقرأ هذه التعويذة "أنا أحمل الشعلة وأحرق أشكال الأوتوكو والسيديو والرابيصو والانيعو واللاباتو والاحنخار والليلو والليليث ورفيقه ليلو وجميع الشر، ودخانكم يرتفع الى السماء وأعضاؤكم سيشمها إله الشمس وهذا يحطم قوتكم مردوخ الساحر الكبير ابن إيا"⁽⁶⁾.

كان الناس في أرض الرافدين قديماً يعتقدون أن المرء المسحور يستطيع تدمير الأعداء الذين

(1) القمني. الأسطورة والتراث، ص 106.

(2) لا تزال المرأة الفلسطينية تغني شوقاً لابنها السجين وهي تطحن الحبوب فتقول:

مِنِّيَتِي دَالِيَّة عَبَاب خِيَمَتِهِمْ	عَزَبْتُ جَنَدَلِي وَأَشْشُوف حَالَتِهِمْ
مِنِّيَتِي يَمِه لَمَّانَ خَطَر بُيْن الْخِيَام	شُشُوف الْمَدَدَل وَيَمِّن بَيْتِيَام

مقابلة شخصية، أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(1) العطبة: عامية، أي خرقة محترقة.

(2) مقابلة شخصية الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) قاطع: عامية، أي قطعها الدورة الشهرية.

(4) تشغ: شهق حتى كاد يغمر عليه.... المنجد، ص 809.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود. 2007/7/29.

(6) الماجدي، بخور الآلهة، ص 224 - 225.

سحروه بحرق صورهم أو تماثيلهم لهم، إن ذات العدو البارزة تحقق به من الصورة، ففي وسعه أن يؤذيها كما يؤذيه في شخصه، وهكذا يلقي الصور في النار وهو يخاطب الله بقلوبه⁽¹⁾:

أيها اللهيب اللاطي، يا ابن السماء المقاتل،
يا من أنت أشد إخوانك بطشاً،
وتحكم في القضايا كالقمر والشمس،
احكم في قضيتي، وانطق بحكمك،
احرق الرجل والمرأة اللذين قد سحراني،
احرق أيها اللهيب الرجل والمرأة اللذين قد سحراني،
احرقهما يا لهيب
التهمهما يا لهيب
امسك بهما يا لهيب
ابتلعهما يا لهيب
دمرهما يا لهيب.

7- طقس البخور حديثاً (الدعوق) لرد العين"

"لما ينتحس الولد يقولوا: بِقَلْبِ اسبوعات لأنه كان في بطن أمه وطلع. وبتيجي (إم علي) الداية الّتي في بلدنا عمرها صار فيه وعشرين سنة وبتقول يا بنات: ادْعِكْلَه نَتْفَة اشريطه ودَحِنْلَه شريطة زرقه وعليها شعير نبوي (مقري عليه)، وعشبة نفس من العين، أو شبه بتحطها في القلاية وبعدين بتكبهن بدون ما تتكلم"⁽¹⁾.

يعود هذا الطقس إلى خمسة آلاف عام، ففي ترتيلة سومرية ذكرها ديورانت نجد: "الضأن فداء للحم الآدميين، به افتدى الإنسان حياته"، وفي قصة التكوين التوراتية، نجد قابيل يكتفي في قربانه للإله بأبكار فاكهته وأثمارها، وفي القرن الرابع قبل الميلاد نجد النبي اليهودي (أرميا) يقرر أن

(1) فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ص156.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيروت، 69 سنة، 2007/7/29.

اليهود بنو مرتفعات للبلع⁽¹⁾، ليحرقوا أولادهم، والمرتفعات هي المذابح والمحرقات تعني قرباناً يذبح، ثم يحرق، أو يقدم مباشرة طعامه لنيران الإله بعل⁽²⁾."

ويبدو أن البخور والدخان الناتج عن حرق القرابين حتى تشتمها الآلهة كان طقساً يومياً يجري في المعبد، وكان الكهنة المطهرون، الذين يقومون به بالدرجة الأساس، كان يلزمه التعزيم لاعتقادهم أن مادة البخور، تطرد الأرواح الشريرة لأنها عندما تملأ المكان تحاصر الأرواح وتجعلها تخرج من الأبواب والنوافذ خصوصاً أن البخور يشبه الأشباح التي كان يعتقد أنها شكل أرواح شريرة، وكانوا في المعابد يقيمون مذبح بخور، وهو دكة عالية يوضع عليها ما يشبه الموقد المقدس". و"كان التطهير عند السومريين (ومن ثم عند البابليين والآشوريين) يجري بعدة طرق هي: إحراق البخور، وسكب السوائل كالماء، والزيت، والحرق، والدفن، والاغتيال⁽¹⁾ (وَجَدَتْ طريقة الحرق، كحرق الأضحية سواء أكانت بشرية أم حيوانية أم نباتية في النار، وانتشار الدخان المنبعث، أو تصاعد رائحتها استحساناً لدى الآلهة الذين أعجبهم هذه الرائحة)⁽²⁾."

ومن تعاليم أني: "الغناء والرقص والبخور هي وجبات الإله، وتقبل العبادة هي من حقوقه⁽³⁾."

8- طقس حرق الرصاص لطرد العين الحاسدة.

"يَبْدُورُوا عَلَى رِصَاصٍ مِنَ الْخَلَّةِ، رِصَاصٍ حَدِيدٍ وَرِصَاصٍ انْحَاسٍ (من زمان تركيا) بيدعكوله ثلاث رصاصات المَغْرِبِ وَبِنَشَقُوا إِيَّاهُنَّ".⁽⁴⁾ بِتَجِيي رِصَاصٍ فِي شَغْلَهُ فَوْقَ رَاسِ الْوَلَدِ الْمَحْسُودِ وَبِتَصِيرِي أَتْسِيحِي مِنْهُ عَلَى نَارٍ بِتَحْرِكِي وَبِتَقِيمِي حَتَّى أَتَيِّنَ عَيْنَ فِي الْوَسْطِ وَبَنَقُولُ فَلَانُ أَوْ فَلَانَةُ صَاحِبِ هَالْعَيْنِ".⁽⁵⁾

وهو إجراء عراقي يمتد إلى جذور رافدانية قديمة، فكرته تقوم على إذابة قطعة من الرصاص

(1) بعل إله كنعاني، انظر: الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 91.

(2) القمني، الأسطورة والتراث، ص 78.

(1) الماجدي، متون سومر، ص 315.

(2) وافي، عبد الواحد، من غرائب العادات والتقاليد، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة، ص 79 - 80.

(3) العنتيل، الفلكلور ما هو؟، ص 155.

(4) مقابلة شخصية، إنعام عصفور، سنجل، 47 سنة. 2007/8/3.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، اللين، 56 سنة. 2007/1/6.

على النار، ثم رميها على التراب، فتتشكل بطريقة ما، يقوم بعدها العراف بقراءة هذا الشكل واستنتاج ما يراه مناسباً" (1).

9- طقس الصيام لرد العين:

"تَجِيبُ الْوَحْدَه شَرِيطَة سَوْدَة، وَشَجَرَة نَفْس وَشَعِير نَبْوِي وَأَشْرِيطَة زَرْقَة وَشَبَه أَتْحُطِهِن فِي قَلَايَة وَاتَّخَذْنَهَا، وَبَعْدِين اتْحُط بَيْن عَيْنِين الْوَلَد، وَهِيَك وَهِيَك (على جوانب الرأس) وَبَعْدِين اَتَكَب عَلَيْهَا مِيه، وَفِي الْعَقَب تَطْلَع الْوَحْدَه اَتَكَبَهَا فِي مَفْرَق طَرَق، وَمَا تَحْكِيش لَا وَهِي رَايَحَة وَلَا هِي جَايَه وَتَطْلَع مِنْ طَرِيق وَتَرْجَع مِنْ طَرِيق وَبَقْدَرَة اللَّهِ اِيْطِيب" (1).

ويقول محمد: "كان ابني صحته مش املحة بعد ما انولد راحت أمي جابت اشريطة بيظه وأخرى زرقه وأخرى سودا، حطتهن بين أصابع إجرها وصارت تمشي في البلد وتمر عن الناس وما ترد السلام ولا تتكلم أبداً حتى لفت البلد كلها ورجعت ع الولد -هاظا مش زمان- والله وابني طاب من سنتين بس هالحكي" (2).

يبدو ان فكرة الصوم قديمة قَدَم البشرية "ولا نعلم على وجه اليقين، متى نشأت هذه الفكرة في المجتمعات الإنسانية، ولا نكاد نعرف شيئاً عن الأسباب الأولى التي دعت إليها، كما أن ما وصل إلى علمنا عن النظم الدينية للأمم الغابرة لا يرشدنا إلى شريعة جاءت به، ولا يقفنا على أول شعب ظهر عنده الصوم، غير أنه من أقدم العبادات الإنسانية بلا شك، ومن أكثرها انتشاراً، فلم يكد يخلو منه دين من الأديان، ولم تتحرر منه شعائر شعب من شعوب العالم قديمة وحديثة، فقد جاء في ملل التوتيمين والمجوس والوثنيين والصابئين والماسونيين والبوذيين والبرهميين وعبد الكواكب والحيوان كما جاء في شرائع اليهود والنصارى والمسلمين" (3).

"اختلفت أشكاله باختلاف الأمم وتعددت أنواعه بتعدد الظروف المحيطة به والأسباب الداعية إليه، فمنه ما يكون بالكف عن الأكل والشرب والاتصال الجنسي والكلام، ومنه ما يكون بالكف عن واحدة منها" (4).

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص 252.

(1) مقابلة شخصية، فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود، 63 سنة، 2007/7/29.

(2) مقابلة شخصية، محمد عصفور، سنجل، 29 سنة 2007/8/3.

(3) وافي، عبد الواحد، من غرائب العادات والتقاليد، ص 55، 56، 58.

(4) المرجع السابق، ص 56.

"ولعل الكف عن الكلام أغرب أنواع الصيام وقد كان منتشراً لدى كثير من الأمم البدائية ومنها التي يتوفى زوجها إذ كان عليها أن تظل مدة طويلة تبلغ عاماً أحياناً صائمة عن الكلام"⁽¹⁾.
"ان الكلمة الأساسية للروح المنمأة"⁽²⁾ في هذه الفترة هي (الصمت) أو الهدوء والاستسلام، والاستقرار، والخضوع، والتواضع، والدعة، وقد يقرن الصمت بالضعف أو الفقر كهذين النصين: (إنك آمون، رب الصامتين، المستجيب لصوت الفقراء، و"آمون حامي الصامتين، ومنقذ الفقراء والمساكين). وقد كان كاهن عمون الأكبر يصر على أنه "صامت حقاً كما ينبغي"⁽¹⁾.
وفي القرآن الكريم جاء عن الصيام عن الكلام: "اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا"⁽²⁾.

أما الصوم عن الطعام فاستند عند السومريين أساساً الى تحريم نوع معين من المأكولات الحيوانية أو النباتية، لأسباب ظاهرية دينية ترتبط بأسطورة معينة، أما الأسباب العميقة فكانت اقتصادية، في محاولة للحد من استهلاك نوع من اللحوم أو النباتات وخصوصاً أيام القحط والكساد"⁽³⁾.

"وفي مصر القديمة كانت طقوس التنشئة (طقوس تلقين الأسرار)، عبارة عن طقوس غامضة لتهيئة مرشحين للكهانة، وقد كان طقس الصوم أحد هذه الطقوس التي ينبغي على المرشح المرور بها كي يصبح مؤهلاً لتسلم درجة الكهنوتية، إذ كان يُرسل إلى منف أو طيبة للتدريب، وقبل إرساله يتم ختانه، ويمنع عنه اللحم والسمك والخمر، كنوع من الصيام"⁽⁴⁾.

وعند الإغريق كانت ديانة الأسرار الأليوسية، من أقدم ديانات الإغريق، وتعود جذورها للقرن السادس عشر قبل الميلاد، تقوم على إجراء طقوس تطهير في خليج (فيرون) شمال أثينا، حيث يقومون بالاغتسال، ثم ذبح خنزير صغير، ونثر دمه على المتعبدين، ويطلب منهم الصيام لثلاثة

(1) وافي، عبد الواحد، من غرائب العادات والتقاليد، ص 58.

(2) المنمأة: هي النامية أي المتطورة. انظر: الماجدي، متون سومر، ص 70

(1) فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ص 135.

(2) سورة مريم، آية 26.

(3) الماجدي، الدين السومري، ص 152.

(4) الماجدي، الدين المصري، ص 260.

أيام تكون بمثابة طقوس للتكريس والعبور"⁽¹⁾.

10- طقوس الاستحمام بماء التمام والأحبة ولبسها لرد العين (الخرزة، الذهب، الحجر، الفأس، المفتاح): "اليوم يحطوا خرزة زرقاء في رقبة الولد من العين وبطقطقوا"⁽²⁾ تحت شبيه وبرقه"⁽³⁾. "يجيبوا خرزة كبسة وخرزة حليب وخرزة نفس وخاتم ذهب ويحموها هي والمولود عليهن"⁽¹⁾ "يجيبوا مفتاح باب يفتح لشرقه ويحطوه في الميه ويحموها هي والمولود ويحطوه عليهن"⁽²⁾.

"فتحتلي وحده في الفجان قالت ابنك محسود، وقالت لي (علي على الباب الشرقي شيشب وعلى الباب الغربي شيشب وحطى معهن خرزة زرقاء، والله وعلفتهم - من جديد قاموهن-"⁽³⁾. "كنت رايحة على عرس- وكنت أنا من المغنيات - ولما صرنا عند العين الجديدة، ما تقولي إلا هل ملك رُحمانى - وكنت لابسة قلادة ذهب - قالى لما تروحي بدك اتروحي على مرت العبد (شمعة) وتوخذها واتجيبى باطية ورثه، وطنجره ورثه وفاس ورثه وتوقدي النار واتحطى فيها مَيّ، واتحطى قلادة الذهب في المَيّ والفاس الورثة تحت النار بين الكرامى وغلّيتهم وحممتها، والله وعاش ابنها وراحت الكبسة عنها"⁽⁴⁾.

"لما الولد بمرض كانوا ايجيبوا خرزة عين وخرزة كبسه، وسبع احجار من عند (النبي عور)، ويحطوهن في المَيّ وتتحمم الوالدة والمولود على سبع أيام"⁽⁵⁾.

"صابتني سخونة وأنا صغيرة، راحت إمي للشيخ امجاهد وجابت شوية قش وسبع صرارات أدعكتن تحتى، ولبستني السبع صرارات في رقبتي والله بجوز اجوزت وخلفت وما سخنت أبداً"⁽⁶⁾.

(1) الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص122.

(2) هو الصوت الذي يصدر عن حرق الشعير أو الشبه والملح.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(1) مقابلة شخصية، أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(2) مقابلة شخصية، أم سليمان، بيت عور، 82 سنة. 2007/1/17.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريما، 81 سنة. 2007/8/1.

(5) المصدر السابق، 2007/8/1.

(6) مقابلة شخصية، سلوى، بيت عور، 56 سنة. 2007/1/17.

لا تزال الخرزة تستخدم بشكل كبير فلا يزال شائعاً قدرتها على شفاء الأمراض وعلاج حالات مستعصية، وكل خرزة لداء معين.

(الحمراء): يسمونها بذلة، تبرئ من داء العين و(البضاء) خرزة رقبة، للرقبة وللحب وطرد الأرواح الشريرة (القولة): خرزة تحبب المرأة بزواجها.
(الينجلب): لرجوع الرجل بعد الفرار.

(الخمصة): خرزة الدخول على السلطان وللخصوبة، وتجعل تحت الخاتم، أو في زر القميص أو في حمائل السيف.

(الكحلة): لحماية الأطفال وهي خرزة سوداء.

(القبلة): بضاء توضع في عنق الفرس⁽¹⁾.

أما الحلى والعقود فهي منتشرة بشكل كبير ولكن دون إدراك لأهميتها السحرية التي كانت عند القدماء "وكذلك الحجر فلا يزال يوضع بشكل شاشية⁽²⁾ فوق البيت، وعليها بعض العبارات مثل تبارك الله، كما يضع المسيحيون إشارة الصليب"⁽³⁾.

كما أن كثيراً من المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية ينحتون الحصى الصغيرة فيجعلونها هدايا بشكل قلوب حب لمن ينتظرونهم خارج السجن.

ويقال في الأمثال "قلبي على ولدي وقلب ولدي على الحجر"⁽⁴⁾. "والحيطان الها ودان".⁽⁵⁾ "حجر على حجر يصير سلسلة"⁽⁶⁾.

يبدو واضحاً أن كل ما استخدم سابقاً هي أنواع من التمايم والأحجية والتعاويذ، التي هي من بقايا العقيدة (الفيتيشية) "أول عقيدة مادية آمن بها الإنسان وجاءت من خلال تصور سحري للعالم والأشياء".⁽⁷⁾

(1) علي، ثريا، (العروس)، ص100.

(2) الشاشية: عامية بمعنى الحجر الذي يوضع فوق باب البيت.

(3) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص229.

(4) عباس، ابراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص 177.

(5) المرجع السابق، ص 111.

(6) المرجع السابق، ص 108.

(7) انظر: سليم، سلوى، السحر والدين، ص62. وانظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص48

"فالعالم الفيتيشي الأول مليء بالبؤر والنقاط المقدسة التي تكمن فيها قوى كونية يكون فيها هذا الفيتيش مركزها وهي تشمل الأشياء المقدسة كالأحجار والمعادن والنباتات، فالخرزة التي يحملها بعض الناس أو الخاتم أو القلادة أو الأيقونة التي تحمل اسماً أو كتابة كلها توائم سحرية اختلطت مع أغراض دينية"⁽¹⁾.

(1) الخرزة:

"يبدو أن الإنسان القديم أخذ تقليد حبات الشعير أو القمح وجمع منها خرزات من عدة مواد منها الذهب واستخدمها في تكوين ونظم حلية كالعقود والقلائد وغيرها منذ أقدم العصور"⁽¹⁾.
"فالخرزة عند قدماء المصريين تعود (لعين حورس)، والمعنى الدقيق للعين هو "القمر"، وذلك وفقاً لما ذكره النص الخاص بأسطورتها، فخلال المعركة الرهيبة التي شنها حورس على ست⁽²⁾ دفاعاً عن عرش أبيه، اقتلع ذلك الإله الشرير عينه اليسرى، فقام حورس⁽³⁾ ومن معه بالقاء ست في النيران، أما العين التي اقتُلعت فقد وُجدت، وقام أوزوريس⁽⁴⁾ بعد بعثه من جديد بإعادتها مكانها، عندما وضع بعضاً من لعابه فوق الجرح الدامي، فكان أول منظر رآه حورس هو أبوه أوزوريس، ومن هذه اللحظة أصبح من المعتقد أن حورس قد اكتسب "القمر" في عينه اليسرى و "رع" في عينه اليمنى"⁽⁵⁾.

"إنني الكائن في عينه (أي الضوء)، ها قد حضرت وسأقدم الحقيقة لرع"⁽⁶⁾. وتعتبر "عين حورس" دليلاً على كل تغير مضيء، يهيمن عليه رع فهي توفر الحياة الأبدية وتحمي من كل اعتداء، لذا استحققت أن تستعمل عن جدارة كطلسم أو تميمة"⁽⁷⁾.

لجأ العرب قديماً إلى الخرزات والأحجار والرقى والعزائم والتمايم ومن هذه الخرزات:

السلوانة: يسلو بها العاشق، شفافه.

(1) انظر: سليم، سلوى، السحر والدين، ص 62.

(1) علي، ثريا، (العروس)، ص 96

(2) ست: هو رب الصحاري المصري أخو أوزوريس، انظر: تيبو، موسوعة الأساطير، ص 185.

(3) حورس: إله سماوي مصري قديم منذ بدء الخلق. انظر: المرجع السابق، ص 130.

(4) أوزوريس: إله مصري قديم. انظر: آلهة المصريين، ص 175.

(5) انظر: تيبو، موسوعة الأساطير، ص 241.

(6) المرجع السابق، ص 241.

(7) المرجع السابق، ص 241.

الهنمة: لاستعطاف قلوب الرجال.

الْقُبْلَة: سوداء تُجعل في عنق الفرس من العين

الفتسة: خرزة تُوقع بالعدو.

الدَّرْدَبِيس: سوداء تُستعطف بها قلوب الرجال

القرزحلة: من خرزات الضرائر

العقدة: تمنع الحبل.

الينجلب: هدفها الرجوع بعد الفرار.

كرار: هدفها الاستعطاف

الهمزة: خرزة الحب

الخصمة: خرزة الدخول على السلطان

الكحلة: تدفع العين عن الصبيان.⁽¹⁾

(2) الذهب:

"رمز الذهب منذ آلاف السنين إلى الشمس⁽²⁾، ففي العصر المعدني بعد أن فتحت الأرض مناجمها للإنسان ورأى هذه المرة أعماق الأرض المليئة بالمعادن القوية، المتألثة، شمل هذا ظهور عقائد سرية مدفونة باطنية ينزل إليها الإنسان في نشواته الروحية الخاصة⁽³⁾".

ويقول مؤرخ الأديان مرسيا إلياد: "فإلى جانب القداسة السماوية المنبعثة من النيازك، أصبحنا الآن بحضور القداسة الأرضية التي تتوازعها المناجم والمعادن، فالمعادن تثبت في جوف الأرض والمغاور. والمناجم مشبهة برحم الأرض الأم والمعادن المستخرجة منها هي بنوع ما، (أجنته). إنها تنمو ببطء كما لو كانت تخضع لإيقاع زمني آخر، غير ما لحياة الأعضاء النباتية والحيوانية. إنها على الأقل لا تنمو، إنها تتضج في الظلمات الأرضية وإن استخرجها من جوف الأرض الأم، هو عملية مبتكرة قبل أوانها ولو ترك لها الوقت لتنمو أي الإيقاع الجيولوجي

(1) انظر: حسن، حسين الحاج، الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1988، ص 39.

(2) انظر: نيبو، موسوعة الأساطير، ص 241.

(3) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 168.

للزمن فإن المعادن ستصبح ناضجة كاملة، لقد استعمل المعدنيون (عمال المناجم) طقوس طهارة أثناء عملهم، صلوات وأعمال طقوسية⁽¹⁾.

"والذهب بالمصرية القديمة يسمى "توب" (Noub) "لحم الآلهة". كما أنه المعدن المفضل لدى الفنانين المصريين فقد استعملوه على حد سواء، لإبداع الأدوات التي توضع عادة في المقابر، أو لكسوة قمم المسلات والتماثيل الطقسية، ويعبر معدن الآلهة هذا عن الشمس وكل ما يتولد عن نشاطها الفيزيائي والروحاني. كما يوحي الذهب إلى الربة حتحور التي لُقِّبت "بالذهبية"، أو "ربة الذهب". وهو كذلك من صفات الفرعون باعتباره حورس "الذهبي" أو "جبل الذهب"⁽¹⁾.

وهناك تعويذة (قلادة الذهب) لمساعدة الميت على التخلص من لفافات موميائه⁽²⁾.

أما طقس سلسلة الذهب الذي يستخدم فيه خاتم إيزيس: "ففي يوم أداء الطقس حيث الخبز التنظيف والفاكهة، وبعد أن تقدم ضحية على جذوع العنب، يؤخذ خاتم إيزيس (الذي وضع في مرهم في مبخرة لمدة ثلاثة أيام)، ويستخدم المرهم فتدهن نفسك بالمرهم صباحاً متجهاً نحو الشرق، ومردداً كلمات (رقية معينة)، ويُنحت جعران من الزمرد، ويُثَقَّبُ ثم يلبس في سلسلة ذهبية وتُنقش صورة إيزيس على قاعدته" وتقرأ الرقية التالية:

"إنني تحوت المخترع وموحد الدواء والحروف

تعال إليّ أنت أيها الراقد تحت الأرض

انهضي أيتها الروح الكبرى"⁽³⁾.

كان هذا الطقس لحماية القلب في الأحياء والأموات "ومن الخواتم بالغة التعقيد خاتم توت عنخ آمون: سطح مربع بيضاوي ذو حلقة مُلتفّه حول الاصبع، من الذهب"⁽⁴⁾ كما يرمز الخاتم إلى حلقة الحياة الأفعى أوروبوس، سنتطرق لهذا الموضوع عند الحديث عن خاتم الخطبة في الفصل القادم.

(1) إلباد، ميرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1986، ص72.

(1) تيبو، موسوعة الأساطير. ص113.

(2) الماجدي، الدين المصري، ص267.

(3) المرجع السابق، ص266.

(4) علي، ثريا، (العروس)، ص98.

(3) الحجر:

أما الحجارة وهي تقع في دائرة العبادة الفيتيشية ففي الأساطير السومرية والبابلية كانت الأحجار تتوح على جلجامش⁽¹⁾. وكانت الإلهة كولا (Cula) إلهة الطب عند البابليين وابنة الإلهين أرشيكال ونركال إلهي العالم الأسفل، تُحيي الموتى بلمسة من يديها، وهي ربة السموم والجرع الطبية، ونراها على أحجار الحدود البابلية ورمزها القلب الذي اقترن في الأساطير بإسكلابيوس ابن الإله أبولو إله ورب الطب اليوناني⁽¹⁾.

يحمل الحجر مقدسات عديدة لدى عدد من الشعوب، لأنه يمثل القساوة والقوة والدوام، من هنا لم يعبد الإنسان القديم الحجر في مادته، بل بالأحرى لما يحمل من معانٍ وأبعاد، لذلك فعبادة الإنسان للحجر، تأخذ بعداً سحرياً أكثر منه دينياً⁽²⁾.

وفي الملحمة السومرية نجد قصيدة (ننورتا)⁽³⁾، التي يتصارع فيها مع الوحش (كور):
"ننورتا ابن إنليل الذي أتى إلى الوجود بأشياء عظيمة عزم على رأي سديد، حيث وضع الأحجار فوق كور، ولكن كور لم يمت، تكدست فوق كور الأحجار، فصارت أشبه بجدار أمام بلاد سومر حتى احتُجزت المياه العظمى، أما ما تبدد وفاض من المياه فقد جمعه (ننورتا) وأجراه في دجلة....."⁽⁴⁾.

"وبعد انتصاره قرر الإله أن يبدي اهتمامه المباشر بالأحجار، فأعطاهما أسماءها، وقرر مصيرها. والأحجار التي وقفت إلى جانبه أعطاها أجمل الأسماء، إذ جعلها تتخذ مواد للتماثيل والهيكل الخاصة بالآلهة، في حين تصنع الجواهر من الأحجار الكريمة، التي استعملت لأغراض الزينة، أما الأحجار التي عادتته فقد جعلها لرصف الطرق⁽⁵⁾، لقد عرف سكان العراق القدماء مجموعة واسعة من الأحجار، وخاصة الأحجار الجميلة النادرة التي صنعوا منها الأختام

(1) الماجدي، إنجيل سومر، ص 237.

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص 319.

(2) انظر: صدقه، رموز وطقوس، ص 97. وانظر: ديورانت، قصة الحضارة، ج 1 م 2، ص 115.

(3) ننورتا: في السومرية تعني سيد الأرض، وهو الفتى الذي أبوه إنليل إله الهواء. انظر: الماجدي، إنجيل سومر، ص 96-97.

(4) المرجع السابق، ص 98.

(5) وانظر: كريم، أساطير العالم القديم، ص 86.

الإسطوانية، والتي كان كل فرد يحملها، ومن أمثلتها ذلك الصوان الأزرق، واللازورد، والصخر البلوري والعقيق وأحجار أخرى كثيرة⁽¹⁾.

وفي الأسطورة الكنعانية نجد الحجر يهمس في المعتقدات القديمة، ففي رسالة "إليان"، بعل "إله الكنعانيين" ⁽¹⁾ إلى عناة⁽²⁾:

"إلىّ دعي أقدامك تسابق

إليّ دعي أرجلك تسرع

لأن عندي كلمة أخبرك بها

كلمة الشجرة وهمس الحجر"⁽³⁾.

ويبقى أن نقول هنا إن عادة حمل الحجر المنقوش في مصر القديمة، الذي يكتب عليه (اسم)، كان تميمة لمساعدته في أن ينعم حامله بحياة سعيدة، كما إن أفضل ما يوهب للمؤمن من الكنيسة "حجر أبيض مكتوب عليه اسم جديد -لا يعرفه إيّ إنسان - ليحفظ من يمتلكه"⁽⁴⁾.

4) الفأس:

أما استخدام الفأس (الورثة) أي القديمة، فهو إشارة إلى الفأس الأولى فأس الإله إنليل. "كان الفأس العادي والفأس المزدوج رمز الإله إنليل وهديته لشعب سومر"⁽⁵⁾.

"قد أسرع لفصل السماء عن الأرض،

قد أسرع لفصل الأرض عن السماء

وبعد ذلك جعل الإنسان الأول يظهر وخلق المعول

وعندما انتهى النهار قرر واجبات العمل وقرر المصير

بينما كان يثبت مقبض المعول ومقبض سلة العمل"⁽⁶⁾.

(1) كونتينو، الحياة اليومية، ص 384-385.

(1) بعل: رب الخصب والحياة. انظر: كريم، أساطير العالم القديم، ص 159.

(2) عناة: أخت بعل، ملكة السماء. انظر: الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 139.

(3) كريم، أساطير العالم القديم، ص 175.

(4) بدج، آلهة المصريين، ص 344.

(5) انظر: الماجدي، الدين السومري، ص 103.

(6) الماجدي، بخور الآلهة، ص 304.

"هو الذي خلق العمل وقدر مصير فأسه التي من ذهب، ورأسها من حجر اللازورد، فأسه التي أعطاها للإنسان بعد أن وضع التاج المقدس على رأسه ونظر إلى الناس ذوي الرؤوس السود وأهداهم الفأس والسلة التي تبني المدن"⁽¹⁾.

"كانت الفأس أداة الخلق في سومر التي تحولت لأعظم البلاد"⁽²⁾ "رمز إنليل وذكورته التي خصبت الأرض فازدهرت وأينعت، وهي هنا ستقوم بنفس الدور حتى تخصب وتعطي، وهو نوع من السحر الذي يسمى السحر التشابهي "الشبيه يُنتج الشبيه"⁽³⁾.

5) المفتاح:

يستخدم المفتاح (بشرط أن يكون من باب يفتح جهة الشرق)، في طقس آخر، وهو طقس إزاله الصداع، إذ يُلف الرأس بعصبة ويوضع المفتاح في نهاية العصبة وتشد العصبة كثيراً لمدة معينة ثم تُفك فيختفي الصداع للكبار والصغار.

مارس النياندرتاليون القدماء في فلسطين عادة الدفن باتجاه الشرق⁽⁴⁾، وفي مصر القديمة دُفن الموتى بشكل جنو، وباتجاه الشرق، "الأفق الشرقي مع مولد شمس رع وبعثها من جديد، وفي "المشرق" تقيم أرواح الذين بعثوا من جديد في أجواء ضياء رع كالأبرار الذين انتقاهم المسيح عند رجعته"⁽⁵⁾.

كما يشبه شكل المفتاح رمز الحياة الأبدية عند المصريين (عنخ) طاقة الحياة، وسمي بتاح الإله الخالق، "الفتاح" أي الخلاق.

6) طقس الوشم:

"بطشوه أربع نقاط عذّال السرّة"⁽⁶⁾. "لما يمرضُ الولدُ ييقولوا "والله ناشق هيهم بنقّطوا"⁽⁷⁾ عليه

(1) الماجدي، إنجيل سومر، ص154.

(2) المرجع السابق، ص154.

(3) الباش، المعتقدات الشعبية، ص167.

(4) السواح، دين الإنسان، ص126.

(5) تيبو، موسوعة الأساطير، ص202.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية، البيرة، 86 سنة. 2007/1/25.

(7) بنقّطوا: عامية بمعنى يرسمون عليه بالإبرة الساخنة نقطاً بشكل دائرة.

بالمسلة⁽¹⁾. بِحَمَوَهَا عَ نَارٍ وَبِنَقَطُوا، وبعدين بِكُمُوه تَيَعَرَقَ عَ دَايِرِ السُّرَةِ⁽²⁾. وتعتبر العطبة التي تحدثنا عنها سابقاً نوعاً من الوشم بشكل صليب بين عيني الطفل لرد العين. استخدم القدماء الوشم حتى إنهم وشموا الشفاه، وسوف نتحدث عن هذا الموضوع في الفصل القادم.

7 طقس استخدام الحبوب:

"إذا كان الولد ضعيف بيقولوا مكبوس، بيحبوا سبع فولات سُمر بيحطوهم في المَيِّ وبصيروا ايشمموه إياهم، بخلوهم بعدين خمس أسابيع، وبيقولوا: "إنفشي يا فوله وصيري قد العالولة وبينصح الولد وبيصير مليح"⁽¹⁾.

يبدو واضحاً أن هذا الطقس هو نوع من السحر التشابهي. فكلما نفشت الفولة نفش الولد"، أي أصبح سميناً. إنه استمرار لتقاليد ذات طابع سحري متصلة بالزراعة والحاصلات الزراعية ويرجع إلى عهود كانت تُقدس فيها آلهة الزراعة⁽²⁾.

شاركت الحبوب قديماً في كثيرٍ من الطقوس السحرية منها: طقس لدغة العقرب. "تذكرُ أن الأمراض كانت من الأرواح الشريرة، يأخذ المريض سبع حبات من القمح الخالص مع بعض الأعشاب الجبلية، ويمضغ هذا كله، ويذهب إلى النهر، يغطس فيه سبع مرات وفي المرة السابعة يبصق ما في فمه"⁽³⁾. كانه يبصق المرض أو الروح الشريرة. "كما أن استعمال سبع قطرات أو حبات، وربط سبع عقد أو حلها، يتضمن معنى سحرياً يعتمد في الغالب على سحر الأعداد ورموزها الإلهية أو الشيطانية"⁽⁴⁾.

"وبدئياً تمت مقارنة أوزوريس بحبه القمح تحت الثرى، التي نبتت بعد ذلك وانبعثت في ضوء الشمس، زمراً للبعث"⁽⁵⁾.

(1) المسلة: هي إبرة طويلة جداً وسميكة، لا تزال الحاجة تمام من بيت دقو تستخدمها حيث سمحت لي بمشاهدة آثارها على فخذيها.

(2) بِكُمُوه: عامية بمعنى يغطونه جيداً.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(2) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص48.

(3) المرجع السابق، ص48.

(4) الماجدي، بخور الآلهة، ص220.

(5) المرجع السابق، ص236.

8) طقس استخدم التعاويذ أو الرقى:

هو طقس مرافق لكل الطقوس السابقة، ففي أثناء قيام الداية أو الأم أو الجدة بالطقس تقوم بتلاوة بعض الرقى، لحفظ الأم ومولودها، و تختلف الرقى قليلاً من قرية لأخرى وسوف أذكر بعض هذه الرقى التي جمعتها: "الملح والكدر في عين إلي شافك وافتكّر، اللهم صلي على سيدنا محمد ألف ألف ما بينقص حرف. العين العينية الخايبة الردية، لقاها سيدنا سليمان في خلة البرية، قالها يا عين، إخس وخساك الله عن الولد المولود إخس وخساك الله عن الخيل في ميدانها، عن الأجويد في الديوان، إخس وخساك الله عن الجمال تحّت الجمال، إخس وخساك الله عن العرايس في المجالس، إخس وخساك الله عن الصبايا في الزوايا.

يا عين خاس، خساس حطيتك ياعين في اقميقم انحاس، رميتك ياعين في البحر الغطاس، لا يبقالك يا عين مدة ولا خلاص، قالت: يا سيدي اسليمان التوبة على يد الله ويذك، ما آذيك ولا آذي اللي يصلي على الحبيب محمد - على ثلاث خطرات بقولها.

وبقول يا عين يا عينية اخرجي مثل ما خرج الحصان من بطن الفرس، رقيتك واسترقيتك من عين امك ومن عين أبوك ومن عين جميع إلي شافوك، من عين الجار مقلوعة بنار، ومن عين الحسود مقلوعة بالعود، ومن عين الضيف مقلوعة بسيف، ومن عين المرة مقلوعة بمجمرة، ومن عين البنت مقلوعة بخشت⁽¹⁾، ومن عين إلي ما يصلي على سيدنا محمد بحياة الرب المعبود اللهم صلي على سيدنا محمد، النبي أرقى واسترقى من العين الزرقا والسن الفرقا، النبي أرقى ناقته واتبع رفاقته، نامت انتين وأصبحت اتسير بعزائم الرب الكريم اللهم صلي على سيدنا محمد حوطتك بالله وثانيها بالله وثالثها بالله.... وعاشرها بعشرة رسول الله. اللهم صلي على سيدنا محمد. العين علي عانها والنار ترجع لمكانها⁽²⁾ " ويرافق النطق حركات تسير بشكل دائري على جسم الطفل.

وهذه رقية عند المسيحيين تُستعمل فيها "صينية" دائرية الشكل يوضع فيها "بخور وملح وشبه وقشرة خميرة مقدسة أو ورد مقدس وتقوم السيدة التي تبخر، بوضع الرقية فوق رأس المريض وتحركها بشكل دائري، ثم تضع يدها فوق جسم الطفل في المكان الذي تريد أن تخرج منه

(1) الخُشت: نوع من السلاح. انظر: رشدي، صالح، الأدب الشعبي، ص174.

(2) مقابلة شخصية، أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/3/2.

الروح الشريرة، عن طريق حركات اليدين مع قراءة الرقية التالية:

"مديت إيدي اليمين، احفظتكَ لرب العالمين، أنا قلتها واتكلت والشر عنك افترق، زي ما افترق
الندى عن الورق، ارقيتك من العين العينية، الخايبة الردية، نافلة⁽¹⁾ كباشها⁽²⁾، ومكشرة نياها،
لقاها السيد سليمان عليه السلام، قالها: على مين ترمي شرك واشرارك، قالت: له على الشاب
الودود والطفل المولود، قالها: لا إجي ولا ربي، ولا رعرع ولا استوى، يا عين يا باس يا باس
لا حطتكَ في إناء أنحاس، وارميك في بحر غواص، ما إلك على فلان أو فلانة، لا منجي، ولا
خلاص، رقيتكَ زي ما رقى الخضر ناقتة، من عين رفاقة، أولها باسم الله، وثانيها باسم الله،
وثالثها باسم الله، ورابعها باسم الله، وخامسها باسم الله، وسادسها باسم الله، وسابعها باسم الله،
وثامنها باسم الله، وتاس

+عها باسم الله، وعاشرها لا حول ولا قوة الا بالله، العذرا قاعدة على كرسيها حامله عرق
اخضر، نورك بين عينية، وشرك تحت رجليه، العذرا بتحرك بخورها تشرق عليك نورها،
بغياها وبحضورها، وتتمشى يا شر، من كل شر فيها، من راسها من إجريها من إيديها من
عينها، بحياة الرب القاعد على كرسيه، زولي يا عين زي ما ذابت الملح
بالعجينة، كيش⁽³⁾ يا شر⁽⁴⁾.

وهذه تحويطة:

حوطتكَ بالله من عيني ومن عين خلق الله، من عين الحسود فيها عود، ومن عين الجار مقلوعة
بنار، ومن عين البنت مقلوعة بخشت، ومن عين الصبية مقلوعة بعشرويه، أخرجي يا عين كما
خرج الطرح من بطن الفرس، اللهم صلي على سيدنا محمد ارقيتك واسترقيتكَ من العين الزرقا
والسن الفرقا. يا عين يا عوينيه يا ساكنه البريه في البريه لقاك سيدنا سليمان ضربك
بالرصاص، طبخنا عدس، وسقينا عدس، أخرجي يا عين مثل ما خرج المهر من بطن الفرس⁽⁵⁾.

(1) نافله: عامية بمعنى غير مرتبة أو مربوطة. انظر: كناعنة، الإتياب الطفولة، ص296.

(2) كباشها: عامية بمعنى شعر رأسها. انظر: المرجع السابق، ص296.

(3) كيش: عامية بمعنى ابتعد، أي تطرده. انظر: المرجع السابق، ص296.

(4) المرجع السابق، ص296.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/8.

"رقوة مرقية للصبية، لقيها السيد اسليمان في واسع البرية كَشَفَتْ عن نياها ومدلية مُحَلَّابها، قالها يا عين وين رايحة، قالتلوه رايحة للشب الشوب. والولد المولود، للخيل في ميدانها وللجمال في حمالها وللبقر في دراسها، وللغنم في حلابها، قالها يا عين لا باس لا باس ارتدي عن ولادة الناس وأن ما إرتديتي عن ولاد الناس لرميك في البحر الغطاس، وأرمي عليكي كيلو رصاص، قالتلوه خذ مني بالله وبعهد الله ما أضر ابن.... ولا آذيه حوطته باللي صب الروح فيه"⁽¹⁾.

وفي الطب الآشوري قديماً نجد ما يشبه ذلك، تعويذة لعلاج العين: "أيتها العين الصافية، أيتها العين ذات الصفاء المضاعف يا عين البصر الصافي، أيتها المعتمة ذات العتمة المضاعفة، يا عين البصر المعتم، أيتها العين النائمة ذات العيب، أيتها العين المؤلمة... مثل جزّار الغنم..... مثل التين الذي يرمى، مثل النبيذ الحامض الذي يرمى... من بين الزوج رجال بين الحدين قد صار هذا الدعاء له.... إنه دعاء إيا ومردوخ... دعاء نين احاككو "سيده السحر كولا" عجلي بالشفاء الذي هو هديتك"⁽²⁾.

وفي إحدى المخطوطات التي كُتبت على أوراق البردي تحت عنوان الأقسام السحرية للألم والطفل، نجد:

"اختفي أيتها الميتة التي تعيش في الظلام... اختفي قبل أن تشري في فعلك الردي. فاذا جئت لتقبلي هذا الطفل فسوف أمنعك من تقبيله، وإذا أقبلت لتسكتي صراخه فسامنعك من إسكاته، وإذا حضرت لخطفه سامنعك من اختطافه، فلقد نثرت التعاويذ ضدك مستخدمة في ذلك الخس المطعم بالثوم الذي تكرهين رائحته، واعتمدت أيضاً على الشهد الذي يبعد الموت عن الإنسان، كما استعنت أيضاً ببكرة خيط، فاخفي أيتها اللعينة قبل أن تحققي أغراضك"⁽³⁾.

9 طقس الأسبوع لحماية الولد:

"بعملوا مولد على الأسبوع بعزموا رجال دين وبقروا وبعملوا عقيقة ويوزعوا عَ الدار والجيران صدقه لله"⁽⁴⁾.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، اللين، 56 سنة. 2007/1/6.

(2) الماجدي، بخور الآلهة، ص 176، النص غير مكتمل من المصدر.

(3) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 97.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيرزيت، 65 سنة. 2007/1/11.

"كانوا يعملوا أسبوع إيجيوا الملح والشعير بِحُطوه تَحْت الولد وبِحرقوا شوي، بِحُطوا الولد في الصينية وهو لابس أحلى لِبِسْ بِبُخروه بالشعير، وايبخوا شوي بِقُولوله شعير نبوي⁽¹⁾ بِلُزَم⁽²⁾. يختلف توقيت المولد فقد يكون على الأسبوع أو الأربعين أو السنة، "بنعمل مولد (اليوم)، لازم على السنة شعير وشبه بِحُطوها على النار وبِبخروا الولد، والشيخ بِقُرآ قرآن وبقول شعر"⁽³⁾

والنبي يا مغنيين	والنبي حافظ وامين
والغزالة زارته	زارته واختارته
قالت جيرني يا مختار	جيرني من لهيب النار
قالها روعي أجرتك	روعي روعي أولادك
ارضعوا يا أولاد مني	ارضعوا من ذا الحليب
ففي شفاعات الحبيب	والحبيب محمدي
ففي النعيم مخلدي	في الجنان وفي النعيم
ففي الجنان وفي النعيم	يا نعيم انعم علينا
يا نعيم انعم علينا	علينا وع والديننا ⁽⁴⁾

"وقد يغني الشيخ الشعر، كشعر (أحمد شوقي في قصيدة ولد الهدى)، يعيد فيه قصة ميلاد الرسول (صلعم).

"يا آمنه بشراك	سبحان من أعطاك
بفرحتك بمحمد	رب السما هتاك ⁽⁵⁾ .

كانت فكرة الرقى والتعاويذ شائعة لدى العديد من الثقافات البدائية القديمة، وثقافة وادي الرافدين. ففي تعويذة وجع الأسنان من الملحمة البابلية (الأنوما إيش). يبدأ النص المخصص لشفاء آلام

(1) شعير نبوي أو مقري: هو الشعير الذي يقرأ عليه المولد، ويكون عادة تحت الفرشة التي يجلس عليها الشيخ. انظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص 227.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة سبعة، بيت ريم، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) مقابلة شخصية، الحاج أبو مشهور، أبو شخيم، 81 سنة. 2007/7/29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/3/2.

(5) مقابلة شخصية، الحاج أبو مشهور، 81 سنة. 2007/2/29.

الأسنان بمقدمة تحكي شطراً من حكاية التكوين البابلية، وبدايات الأشياء، ويعود لأصول وجع الإنسان وكيف ظهر".

بعد أن خلق آنو السماء
وبعد أن خلقت السماء الأرض
والأرض خلفت الأنهار
والأنهار خلقت المستنقعات
والمستنقعات دودة السوس
مضى السوس باكياً لإله الشمس
وذرف الدمع في حضرة الإله إيا قائلاً:
ماذا تعطيني لطعامي؟
ماذا تعطيني لشرابي
(فأجابه إيا): سأعطيك شجر التين الناضج
أو أعطيك شجر المشمش
(قال السوس):
بماذا يفيدني شجر التين
بماذا يفيدني المشمش؟
دعني أصدق وأتخذ لي مسكناً
بين الأسنان وعظام الفك
حيث أمتص دماء الإنسان
وأنخر فيها
عند جذور الفك

(يلي ذلك سطر موجه للطبيب المعالج)

"أدخل الإبره وامسك بقدمه (السوس)

لأنك نطقت بهذا السوس، فليسحقك إيا بجبروت يديه"

الطريقة: احضر بيرة وزيتاً وامزجهما اثلُ التعويذه ثلاث مرات وضع المزيج على الأسنان⁽¹⁾ وهناك الكثير من التعاويذ كالتعويذه التي تتلى عند النزول في ماء الفرات للحصول على الشفاء، وبدايتها هي عودة إلى حكاية التكوين⁽²⁾.

"إن هذه المواقف الفكرية التي تقوم وراء هذا النوع من الطقس السحري المرافق للعلاج الطبي، تنطلق من اعتقاد الإنسان القديم بأن المرض علامة من علامات الاختلال في الطبيعة، يمكن شفاؤه عن طريق انتزاع الإنسان المريض من سياق الزمن الحالي والعودة به إلى الخلف وفي اتجاه معاكس نحو كمال البدايات. عندما لم يكن ألم وشيخوخة وعجز، وهذه العودة تجعل القوى الإلهية الخالقة حاضرة هنا الآن من أجل مد يد العون إلى المريض"⁽³⁾.

"وهذا ما يجري في ثقافتنا الشعبية الإسلامية حيث تتمتع قراءة المولد النبوي بقوة الأصول. فنحن عندما نستعيد قصة ميلاد الرسول (ص)، إنما نستحضر من جديد قوى فائقة مقدسة، ونستشعر وجودها بيننا لتعيننا على الأمر الذي من أجله يُقرأ المولد، شفاءً كان أو دفعاً لبلاء أو استجابةً للبركات"⁽⁴⁾ وإضفاء لجو الأمان والراحة على البيت.

ويضفي وجود الحبوب كالشعير الذي يُحرق أو يُنثر، "طابعاً سحرياً يتصل بالزراعة، يرجع إلى عهود تقديس آلهة الزراعة"⁽⁵⁾.

وهكذا نجد الحبوب (الخصب) وصينية القش (كوخ أونباشتيم)، والمولد النبوي (العودة للأصول)، والملح والشبه (مواد التطهير، والتعميد والخلق الجديد) عوامل مساعدة تدخل في طقوس مولد الأطفال، لتضمن بقاءهم واستمرارهم.

10 طقس حلق الشعر:

لا يزال هذا الطقس منتشرًا بشكل لافت لأنه يجمع بين الجذور الدينية والمثولوجية. "بيوخذوا الولد وبيقصصوا له شعره في الصخرة والحرم، بيوزنوا شعراته قديش بيجبين، وبيفرقوا

(1) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص 105-106.

(2) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 76.

(3) المرجع السابق، ص 76.

(4) المرجع السابق، ص 79.

(5) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 47-48.

مصري عَ باب الحرم. بِقُولِها هَاطَا سُنَّةٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يا نبي" (1) "بحلقوا شعره من حدّ ما تحلق له إِمه بِتُروح بِتُوزع حلو، بِتُخبّي الشعرات وَاتُوزِنِهِنَّ وَتُفَرِّقُ مصري" (2).

يلعب شعر الإنسان في الوسط الشعبي الفلسطيني دوراً هاماً في حياة الناس، وقد انعكس هذا على تصرفاتهم وطقوسهم، فهم يعتقدون أنه مركز قوة، وأن شعر الرأس يمكن أن يطرح صاحبه أَرْضاً، إذا جذبهم أحدهم بقوة (3) ويقولون في ذلك "شَعْرُهُ بِرُمِيهِ" (4). كما تحرص النساء بعد عملية التمشيط على إخفاء الشعر الذي قد يعلّق بالمشط (في ثقب الجدار)، كي لا تقوم امرأة معادية باستخدامه في عمل سحري يضر بصاحبة الشعر باعتباره ذا صلة وثيقة بجسم صاحبه (5).

ويطلق الفلسطينيون لحاهم رمزاً للحداد (6). كما "ان الفعل (ح، ل، ق)، أي حلق الشعر تعني القتل أو الإماته.... والنؤاسة هي ضفيرة أو شعر متدلٍ، ومنها ربما تكون قد أتت كلمة ناس، حيث نجد الروح والحركة والنفس" (7).

وتخبرنا الحاجة أم مشهور (8): "بيقولوا لّلي بِتَمَشِطُ عند غياب الشمس (هَيَّ حرام، الشمس بتتدلى والحلي بتتقلّى)". كانت أمي تقول: يا ريتني ما ني من مَشَاطة الليل (9) ولا دِيَّارة المِشْهاب عَ الجَنِّين" (10) وهناك مَثَلٌ آخر يقول: (مِثْلُ جَدَّاة (11) شعورها بالليل) (1). وفي الوسط الشعبي الفلسطيني كانت المرأة تضع في جدائلها خرزة اسمها (الشقيقة) لحمايته من التشقق (2).

تحدثنا سابقاً عن أعضاء جسم الإنسان التي تكمن فيها القوة المقدسة (المانا) والتي من بينها

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) الباش، المعتقدات الشعبية، ص337.

(4) المرجع السابق، ص337.

(5) المرجع السابق، ص338.

(6) المرجع السابق، ص240.

(7) زيعور، علي، العقلية الصوفية ونفسانية التصوف، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1979، ص46.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة بديدة قندح، أبو شخيدم، 60 سنة، 2007/2/29.

(9) مشاطة الليل: هي العفريته دمه، تظهر كامرأة عارية الصدر تحمل في يدها مشطاً. انظر: الماجدي، متون سومر، ص136.

(10) مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، اللين، 56 سنة. 2007/1/6.

(11) جدادة: عامية تلفظ الجيم بشكل CH في الإنجليزية والمعنى هنا مشاطه، أي التي تمشط شعرها ليلاً.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/2/3.

(2) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 240.

الشعر، استناداً إلى العقائد السحرية القديمة وبخاصة الفيتيشية⁽¹⁾. ونذكر هنا أن (المانا) هي شيء مقدس فوق الطبيعية، وقد آمن الإنسان البدائي بها للسيطرة على العالم المحيط به⁽²⁾. "وقد كان الشعر الغزير والطويل سمة رئيسية من السمات التي تمتع بها الأبطال وأنصاف الآلهة لدى الشعوب القديمة"⁽³⁾. ففي الأسطورة البابلية "خلقت إلهة الخلق رغبة منها في معاندة جلجامش، بطلاً مناوئاً له (أنكيدوا)، وكانت قوة أنكيدوا تعادل قوة فرقة من الجيش، تسندها قوة السماء، وكان كل جسده مغطى بالشعر، كما كان شعر رأسه غزيراً كالنساء"⁽⁴⁾.

"أنت يا من خلقت جلجامش

أخلفي الآن نداً يعادله صخباً في الفؤاد

غسلت يديها، وجمعت قبضة من طين رمتها في الفلاة

[.....] في البراري خلقت أنكيدوا العظيم نسلَ ننورتا⁽⁵⁾

يكسو الشعر جسده، وشعر رأسه كالمرأة خصلات شعره تندفع كالقمح⁽⁶⁾

أما عند المصريين القدماء: فقد اعتقد بقوة الشعر السحرية، "وأن مجرد القبض على شعر شخص ما، يعني الاستحواذ على كامل قواه ومقدرته. كما كان شعر الإله رع يتألق نوراً وضياءً، ومن شعره كانت تنبثق كفاءاته النافعة الراحية:

"يكمن الأسدان في شعري

إنهما يدعماني ويسانداني من خلاله"

وعند مقتل أوزوريس، انخرطت إيزيس باكية وقصت خصلة من شعرها، ثم حلت تسريحتها وجعلت شعرها يغطي وجهها، وهكذا حمت نفسها بحجابها الشخصي الطبيعي هذا، وبشكل خفي

(1) انظر السواح، دين الانسان، ص187.

(2) سليم، سلوى، السحر والدين، ص71.

(3) الباش، المعتقدات الشعبية. ص236.

(4) ديرلاين، فريدريش فون، الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت، ط1، 1973، ص46.

(5) ننورتا: هو ننجرسو، إله القنوات والسدود، ابن إتليل رب الهواء. انظر: السواح، جلجامش، ص93.

(6) المرجع السابق، ص94.

استعادت قوتها ومقدرتها وكامل حيويتها"⁽¹⁾.

ويذكر كتاب الخروج إلى ضوء النهار: "إن المتوفى يستعيد وعيه بفضل تستره واحتمائه بشعره وهو بهذا يحاكي إيزيس فيما فعله، وهو يستطيع أن يسلك الطريق الصائبة، لأنه قد تغطى بشعره"⁽²⁾. "وفي المثلوجيا الحثية"⁽³⁾، جعلت أسطورة (كامروشيا الرب، إلهة النار والشفاء) من المشط أداة

سحرية لتمشيط الشرور من خلال كلمات الربط والحل والتعابير الخاصة بالسحر"⁽⁴⁾. وهذه تعويذة لإزالة السحر:

"ثم نصبت كامروشيا عرشاً من الحديد ووضعت عليه مشطاً للصوف من الرصاص مشطاً لشاة طاهرة، ثم مدّاها وهياها لشخص يقيم الشعائر عليها عالجا الإثني عشر عضواً لذلك الشخص... وأعاد الرضيع إلى أمه"⁽⁵⁾.

وفي المعتقدات الكنعانية وقبل ذلك في البابلية، "كان العرف يقضي أن على كل عذراء أن تضاجع غريباً في الهيكل، وبمرور الزمن ولتاكيد سيادة الذكور التي تتميز بالغيرة. خُفِّ هذا القربان ليقصر على بعض النساء اللواتي لُقبن بالعشتاريات أما باقي النساء فكان عليهن تقديم قربان بديل لعشتار. فكانت المرأة التي لا ترغب بتقديم جسدها للآلهة تكتفي بقص شعرها"⁽⁶⁾ ومن طقوس الحضارة الهومرية⁽⁷⁾، كانت أعظم هدية يستطيع الرجل أن يهديها أن يقص شعر رأسه ويقدمه قرباناً أمام كومة الحطب التي تحرق عليها جثة صديقه⁽⁸⁾.

(1) نيبو، موسوعة الأساطير، ص203.

(2) الصيفي، الخروج إلى النهار، ص25.

(3) الألف الثاني قبل الميلاد.

(4) روست، صلوات وأساطير حثية، ص41.

(5) انظر: المرجع السابق، ص87.

(6) فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1982. ص43-44.

(7) الهومرية: حضارة يونانية 1300-1100 سنة قبل الميلاد. انظر: ديورانت، ويل، قصة الحضارة، ج1. م2، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط3، 1969، ص86.

(8) انظر: المرجع السابق، ص87. وانظر فريزر، جيمس، الفلكلور في العهد القديم، ج2، ترجمة د. نبيلة إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص46.

وفي الأساطير الإغريقية أن "بوزيدون" قد أكسب "دبيتريلوس" الخلود، بأن منحه شعرة ذهبية فوق رأسه⁽¹⁾.

وفي حكاية توراتية، تؤيدها حكاية أخرى هندية نجد (شمشمون) يفقد شعره فيفقد في الوقت نفسه قدرته، ولا تعني القدرة هنا مجرد القوة الجسدية، ولذلك يظهر الجن بمجرد أن يحرق الإنسان شعره⁽²⁾.

وفي الإسلام "يحرم على الحاج قص شعره، إبان مدة معينة للدلالة على أنه في تلك الفترة يحيا لله وفي كنفه، وأنه لا يملك نفسه، أي هو ملك لله وفي حفظه، إنه في حياة مقدسة"⁽³⁾. قد يبدو واضحاً أن قص شعر الولد الصغير هو قربان يفدي هذا المخلوق في بدايات حياته، ويحميه من الخطر.

11 طقس التسنين:

"لما يُشْفِقُ سنان الولد بَعْمَلِ سليفه⁽⁴⁾، وأنادي على الولد وأنادي على الجاج والصيصان يوكل هو وإياهن. بِفَزَعْنِ اسنانه مثل ما بِفَزَعْنِ الصيصان"⁽⁵⁾. "لما يَطْلَعُ سِنَّه من فوق، بقولوا عُمَرَه امسند"⁽⁶⁾ "لما يَطْلَعُ سِنَّه من تحت بقولوا عمره امهود"⁽⁷⁾. "بتيجي عمدته بتلك اسنانه، بيقولوا: العمة بتخلي السنان ملّتمه"⁽⁸⁾. ويقول المثل "العمه بتخلي العظام ملّتمه، والخاله بتخلي العظام انخاله"⁽⁹⁾. وتقوم فكرة هذا الطقس على مبدأ السحر التشابهي فمن المعلوم أن الدجاج يتكاثر بأعداد كبيرة، وأسنان الطفل ستحاكي هذه الخصوبة والكثرة التي حوله "فالشبيه ينتج الشبيه"⁽¹⁰⁾. أي "العلل المتشابهه ينتج عنها نتائج متشابهة"⁽¹¹⁾.

(1) بوزيدون ودبيتريلوس: إلهان إغريقيان. انظر: الفلكلور في العهد القديم، ج 2، ص 10-20

(2) ديرلاين، الحكاية الخرافية، ص 70.

(3) زيعور، العقلية الصوفية ونفسانية التصوف، ص 46.

(4) السليقة: هي قمح وعدس وفول.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(6) امسند: عامية بمعنى صاعد. انظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص 260.

(7) امهود: عامية بمعنى نازل، المرجع السابق، ص 260.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانه، 80 سنة 2007/1/25.

(9) عباس، ابراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص 63.

(10) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 167.

(11) انظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص 30.

والسليقة هي "الحبوب" بما يتصل بها من تقاليد سحرية قديمة تحدثنا عنها سابقاً وقد "اعتبرت أسنان بعض الحيوانات قديماً توائم تماماً كالحجارة والحلى المنقوشة".⁽¹⁾ ونذكر هنا أن الأسنان تنتمي لتلك الأعضاء في جسم الإنسان التي تكمن فيها (المانا) القوة الكونية المقدسة التي تحدثنا عنها سابقاً⁽²⁾.

12 طقس قلع سن الطفل:

"لما يقلع الولد سن بنقله يا ستي ما ترمش، لما الشمس تطلع بكره الصبح بترمييه وبتقول:

"يا عوينه الشمس خذي سن الحمار

واعطني سن غزال من سنان ولادتك الصغار

عشان يطلع السن صغير - " ⁽³⁾.

ويُرافق الطقس حركة من يد الطفل يرفع فيه السن المقلوع باتجاه الشمس.

يذكر الدكتور خزعل الماجدي هذا الطقس، ويُعلق عليه كما يلي: " في المحيط الهادئ يردد الناس هذا الدعاء عندما يقلعون أسنانهم ويرمونها: "أيها الفأر الكبير... أيها الفأر الصغير... هذه سني القديمة... خذها وأعطيني بدلاً منها سناً جديدة"، ثم يلقي بالسن بعد ذلك فوق سطح البيت المغطى بالقش، حيث تقيم الفئران في العادة جحورها في تلك الأماكن المهجورة. وليس من شك في أن السبب في توجيههم بذلك إلى الفئران بالذات هو أن أسنان الفئران هي أقوى أنواع الأسنان التي يعرفها الأهالي هناك".⁽⁴⁾

وهو نوع من أنواع السحر الاتصالي فوجود وسيط مادي، يعمل على توحيد الأشياء البعيدة وربطها ونقل الانطباعات والتأثيرات من أحدهما للآخر، كما يفعل الأثير في الفيزياء الحديثة⁽⁵⁾.

وهنا ينقل الوسيط (السن) انطباعات وتأثيرات أسنان الفئران القوية للطفل الصغير⁽¹⁾.

(1) علي، ثريا، (العروس)، ص 101.

(2) انظر: سليم، سلوى، السحر والدين، ص 71

(3) مقابلة شخصية، الحاجة عديلة عصفور، 52 سنة. 2007/8/3.

(4) Look: Frazer. James. **The Golden Bough**. Penguin Books. London. 1996. pp47.

الماجيدي، بخور الآلهة، ص 41-42.

(5) المرجع السابق، ص 41-42.

Look: Frazer. James. **The Golden Bough**. pp47. (1)

13 طقس الخشخشة:

يستخدم الفلسطينيون الخشخشة لملاعبة الطفل الصغير، وهي عبارة عن أداة تصدر صوتاً، حيث تستعمل في أيامنا هذه، لأشغال الطفل ولفت انتباهه، ويبدو أن لها دوراً آخر. وما تزال الأجراس أو الأزرار والحليات النحاسية تستخدم في لجام الدابة وسرجها، ولا سيما ما يجُر منها العربات، حيث يمكن أن نستشف منها الغرض السحري الذي يهدف لطرد الأرواح أو الشياطين التي قد تؤثر على الدابة فتجعلها تتعثر في سيرها، فأصدار الأصوات يفرع الأرواح.⁽¹⁾

ارتبطت فكرة الحديد والأصوات المعدنية منذ القدم بعقائد كانت تتخذ منها وسيلة لطرد الشياطين، كدقات الأجراس والآلات الموسيقية، ولعل استخدام السحرة قديماً أدوات معدنية مختلفة في أعمالهم وتعاويذهم يُعتبر وسيلة وقائية تصونهم من الأرواح الشريرة.⁽²⁾

وقد كان الإنسان البدائي يستخدم التصفيق و(الخشخشة) بالصفائح لامتصاص الشيطان من جسم المريض.⁽³⁾

وفي العقائد المصرية نجد إيزيس وهي تحمل المثلث أو الجنك⁽⁴⁾ في تماثيلها، ممسكة به ومتخذة منه سلاحاً لطرد الأرواح والشياطين الضارة⁽⁵⁾. كذلك نجد الربة (نهمعوت) الربة ماعت (القادرة) المصرية، لها هيئة امرأة ترتدي على رأسها آلة موسيقية كالخشخشة⁽⁶⁾ كما اشتهرت الإلهة حتحور، (زوجة حورس) والتي أنجبت منه الإله الطفل (أحي) الذي يصور عادة كصبي يقبض على خشخشة أو (خشخشة)، يهزها مشاركاً في طقوس الموسيقى الدينية التي تقام لأمه، وكان لها (الحتورات السبعة) كحاميات للحوامل والمواليد الجديدة.⁽⁷⁾

(1) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 79-80.

(2) المرجع السابق، ص 80.

(3) ديورانت، قصة الحضارة، ج 1، م 1، ص 138

(4) الجنك: آلة طرب.

(5) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 80 .

(6) بدج، آلهة المصريين، ص 490.

(7) الماجدي، الدين المصري، ص 102.

طقوس متنوعة يدخل فيها رغيف الخبز (العيش) والبيضة:

1- طقوس الزيارة الأولى للوليد:

تقول الحاجة فاطمة:⁽¹⁾ "لما بدھا تَطْلُعْ مع الولد أول طلعة بقولوا: حطي تحت راسه بيضة أو خبزه، وإلّي بيروح عليهم ايزورهم بعطوه بيضة".
"أول مرة تَطْلُعْ الولد الناس إلّي هو جاي عليهم بعطوه عنا بيضة، الناس الملاح كرتونة بيض"⁽²⁾.

"الولد إلّي بدھا إمّه توخده وتروح من دار لدار، عند إمها أو أختها اتقولها قبل ما تطلع حطي على صدره فتّة خبز، لأنه عيش مشان ايعيش، "العيش إلّي عاشوا منه خَلَقَ الله كُلّهم"⁽³⁾.

2- طقس المشي:

"كان الولد إذا طَوَّلَ تيمشي، نقول: بدنا نقطع اشكاله عشان يمشي ايحطوا في حجره بيضه وارغيف، ويربطوا اصْبَعَيْنِ رجليه الكبار بخيط، ويكون واحد (عزّابي)⁽⁴⁾، مَحْكِيش ولا يَفْتَحْ ثَمّه اسمه أحمد أو محمد يُقْطَمُ⁽⁵⁾ الخيط بَسْرَعَة وَيُخْطَفُ البيضة والرّغيف من حجره فيقوم الولد يجري وراه يمشي"⁽⁶⁾ وبعده ما يمشي الولد، تزغرد إمّه وتقول:

عمي شرالي باروده والسعر غالي

عمي شرالي باروده نقش الريالي⁽⁷⁾

3- طقس الخوفة:

إذا خاف الولد "بيجيبوا رغيف سخن بكونوا عاجنيه مع فلفل بيجيبوه من القدس فلفل أسود، أول ما بَسْخُنْ الرغيف بَعْطُوا راس الولد في شقفه وبِحْطُوا الرغيف السخن إلّي بكون نافخ في وجهه وبخبطوه تَيطْلُعُ الهوا السُخْنُ فَجأة في وجه الولد وهيز بتروح الخوفه"⁽⁸⁾.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67سنة. 2007/1/11.

(2) مقابلة شخصية، عزيزة حبيب، بيت دقو، 52سنة. 2007/8/5.

(3) مقابلة شخصية، عديلة، سنجل، 52سنة. 2007/8/3.

(4) عزابي: عامية بمعنى أعزب غير المتزوج، المنجد، ص503.

(5) يُقْطَمُ: عامية بمعنى يقطع

(6) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللبن، 67سنة. 2007/1/11.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(8) مقابلة شخصية، الحاج تيسير الهندي، الجديرة، 69سنة. 2007/8/6.

4- طقس الذهاب للمدرسة:

"لما يروح الولد على المدرسة أول يوم بتوزع الأم بيضة للولاد كلهم، خاصة إذا كان وحيدها، أو البكر، "أكبر أولادها"⁽¹⁾.

يعتبر الخبز مادة مقدسة في الوسط الشعبي الفلسطيني فإذا سقط منه شيء، يلتقطونه ثم يضعونه على شفاههم ويقبلونه ثم يضعونه على جباههم في حركة مشابهة لاستخدام القران الكريم⁽²⁾. وهم يقولون عن الخبز "حاشا العيش مصحف الله"⁽³⁾. ليظهر أنه مقدس، ولكن ليس في مرتبة القرآن الكريم.

وقد كان الناس يكسرونه ولا يقطعونه بالسكين لاعتقادهم أن ذلك سيُفقدُ بركته، ويقول المسيحيون "المسيح كسر ولم يقطع الخبز"⁽⁴⁾.

وهم يعتقدون أن سبب احترام الخبز يُعزى إلى الاعتقاد بأن القمح، والذرة، والشعير، قد جاءت كلها من السماء في سبعة مناديل. "فعندما طُرد آدم من الجنة أرسل الله إليه بواسطة الملك جبريل حبات القمح ملفوفة في سبعة مناديل من الحرير، وقام آدم بزرع هذه الحبوب التي اتخذت شكل حرف الالف وهو الحرف الأول من لفظ الجلالة الله⁽⁵⁾، وتدعم المسيحية هذا الاعتقاد⁽⁶⁾.

ويقول المثل "بيننا وبينه عيش وملح". لِمَنْ يُؤْمَنُ غَدَرُهُ⁽⁷⁾ ويحلف البعض بالقمح والخبز "وحياة العيش"⁽⁸⁾. ومنذ أقدم العصور وجد القدماء البدائيون في صناعة الخبز سحراً حيث يشكل العجين مادة أو لحم الغلة المحصودة أو المقتولة، وهي إلهة أو إله الخصب، ولذلك فهو مقدس، وتشكل الخميرة المادة المسكونة بالأرواح، لأنها تسرع في تخمير العجين وتهينته إضافة إلى ما تمنحه

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(2) انظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص349.

(3) قول شائع في منطقة رام الله.

(4) الباش، المعتقدات الشعبية، ص360.

(5) المرجع السابق، ص348.

(6) المرجع السابق، ص362.

(7) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص101.

(8) الباش، المعتقدات الشعبية، 348

النار لهذا العجين وجعله خبزاً.⁽¹⁾

كان الخبز عند القدماء مقدساً، فقد كان طعام الآلهة قبل مجيء البشر، كما جاء في الأنوما إليش:⁽²⁾

"كان البشر عندما خلقوا أول مرة

لم يعرف الأنوناكي⁽³⁾ أكل الخبز،

لا ولم يعرفوا لبس الثياب

بل أكلوا النباتات بأفواههم

في تلك الأيام، وفي حجرة الخلق

بيت الآلهة خُلِقَ "لهار"⁽⁴⁾ و "أشنان"⁽⁵⁾.

وكان الغذاء الأساسي للمصريين القدماء، والمادة الأساسية للقرايين التي تقدم للملوك والآلهة، وكانت تؤدي به جميع الطقوس الدينية في المعابد، وهذا ما يوضحه نص منقوش فوق تمثال أحد الكهنة "ضعوا الفطائر أمامي، حتى أتوسط لكم لدى ححتور" وبالرغم من بساطة شأن الخبز فهو يعمل بكل سهولة على إقامة علاقة بين البشر والآلهة⁽⁶⁾.

اعتُبر الخبازون "مشكلين للعجائن" وكأنهم خلاقين مثل الفخرانيين "مشكلي الصلصال"، وهم جميعاً يضيفون الفعالية والنشاط على أوزوريس لأنه كامن في القمح من خلال أشكاله التي يبدعونها: "كلوا خبزكم، كلو أوزوريس... ها هو الإله النبتة ينمو، ها هو أوزوريس يولد من جديد"⁽⁷⁾.

ومن خلال صفحات كتاب الخروج إلى ضوء النهار تقوم الآلهة شخصياً بتقديم خبز الحياة

(1) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص128.

(2) أسطورة الخلق السومرية. انظر: السواح، مغامرة العقل الأولى، ص 51-55. وانظر كريم، أساطير العالم القديم، ص 98-100.

(3) الأنوناكي، مجمع الآلهة التي في السماء والأرض. انظر: الماجدي، إنجيل سومر، ص 113.

(4) لهار: إله الماشية

(5) أشنان: إلهة الحبوب.

(6) تيبو، موسوعة الأساطير، ص137.

(7) المرجع السابق، ص 137.

للمتوفى، فالآلهة فقط هي التي تملك غذاء الأبدية والخلود⁽¹⁾.

التحيات لك أيها الكامن في قرص الشمس (أتون)

الخارج من الأفق

أوزير المبرأ يعرفك

ويعرف أسماء بقراتك السبع

التي أعطت الخبز المقدس طعام العالم الآخر⁽²⁾.

وفي الأساطير الحثية جاء:

"من يريد أن ينال رضى إله الشمس ويحوز على إعجابه، فليضع خبزاً على الصخرة الكبيرة"⁽³⁾.

"وفي صلاة حثية لإله الطقس أقيمت بسبب مرض الطاعون. لم يسلم من الموت إلا عدد قليل من

الناس الذين يقدمون للأرباب الأضاحي من الخبز " ⁽⁴⁾.

وفي عيد الأفانيزم Aphanisme الكنعاني، كانت فتيات يحملن سلالاً مملوءة بالكعك، يسرن

خلف الكهنة والكاهنات متشحات بملابس الحداد⁽⁵⁾.

أما البيضة فهي بيضة الكون المقدسة في معظم الأساطير القديمة، إنها البيضة التي دَفَنَ فيها

الإنسان النبادرتالي موتاه بشكل جثو باتجاه الشمس، ووضع حوله تمائم من الحجارة والقرون

كي يبعث من جديد"⁽⁶⁾. وهي نفسها " بيضة العالم التي شكلها بتاح الفخراي وخلق منها

الكون"⁽⁷⁾ هي "نبته الحياة الطبيعية الروحانية (البيضة الأولية) التي اعتبرت أحد رموز البعث

الجديد في نطاق العالم الآخر، ولذلك أطلق اسم "البيضة" على التابوت الثاني الذي ترقد بداخله

(1) تيبو، موسوعة الأساطير، ص138.

(2) الصيفي، كتاب الموتى، ص326-326.

(3) روست، صلوات وأساطير حثية، ص73.

(4) المرجع السابق، ص78.

(5) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص269.

(6) السواح، دين الإنسان، ص126.

(7) الإله بتاح: إله مصري قديم لقب بـ (سيد الفنانين)، كانت عجلته الفخارية تدور طوال اليوم، وكان يضع عليها بيضة

العالم ليصوغ من هذه البيضة الكائنات وكان يخلق الناس ثم تقدم الإلهة حثتور رمز الحياة. انظر: بدج، آلهة المصريين،

ص611.

موميااء المتوفين" (1).

(فالببيضة هي الدليل على الحياة الجديدة لهذا يقول رع "ها أنا أخرج من البيضة"، ورع داخل "بيضته الذهبية" يؤكد قائلاً "لا يستطيع أحد مطلقاً اختراق بيضتي") (2).

"يا رع" الذي في بيضته

المنير بقرصه الذهبي" (3)

5- طقس خميس البيض:

هو طقس خميس الأموات يشارك فيه الأطفال. " للمسيحي وللمسلم بلونوا عشرين، أو ثلاثين بيضة للولاد بينبسطوا، بيظ زهري واحمر واصفر بنسلقه وبنزله على القبور، وبيجوا الولاد على الدور يشحدوا وبيقولوا:

أعطني بيضة ولا كعكة

بظل الولد يشحد حتى يملئ المخلاة، (كيس) بنقلها خريطة وبروح يفرجي إمه" (4).

ويشتهر أهل (جلجليا) (5) بهذا الطقس وبقدرتهم على زخرفة البيض بأشكال جميلة.

وسنتطرق للحديث عن هذا الطقس في الفصول القادمة.

6- طقس الاستسقاء: للطفل الفلسطيني دور أساسي فيه:

"كنا نركب على الجحش (زينب الرشيد) تحط هالديك (6) في حضاها وتاتور انتقول وبلحقوها الولاد الصغار ايعيدوا وراها:

أطلب من ربك يا ديك

رُشُوا باب داركُم تَتَحُ رِقْ فَـ دَانُكُم

رُشُوا باب سَقِيفَتِكُم تَتَحُ رِقْ بَكِـ رَتَكُم

(1) تيبو، موسوعة الأساطير، ص 79.

(2) المرجع السابق، ص 79.

(3) الصيفي، كتاب الموتى، ص 70.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(5) جلجليا: قرية فلسطينية تقع شمال مدينة رام الله.

(6) في العصر البابلي وجد الديك بين الحيوانات المصورة في حين أن الساسانيين أدخلوه في الصور الزخرفية على منسوجاتهم انظر: كونتينو، الحياة اليومية، ص 92.

راحت إم الغيث اتجيب الرعود ما إجت إلا الزرع طول البارود
راحت إم الغيث اتجيب المطر ما إجت إلا الزرع طول البقر

وشتت الدنيا هذيك السنة "قالوا أهل سنجل للطرامسة (أهل طرمسعيا): لاقونا بدنا نصلي الجمعة في أبو العوف ونطلب صلاة الاستسقاء، عُقب ما صلوا وطلّعوا طلعت من غربه غيمة هالقدتي، قالوا لهم رووحوا ورووحوا مبلولين، كان الدعا ينقبل....!"⁽¹⁾. "كنا نروح نشحد مطر لما كانت تمطر الدنيا، نوخذ ديك وطاحونه ويجوا كل الولاد وايصيروا ايقروا على الدور وايقولوا:

اسقونا يا دار الشيخ والميه عليكم زيح
ويطلّعوا الناس ويرشقوا عليهم المي"⁽²⁾ وتقول الحاجة أم فهد⁽³⁾: كنا نوخذ طاحونة وديك
ويمشوا الولاد يقولوا ورانا:

" يوم بيوم في خطر
والشجير إلي انهجر
اسقونا في الإبريق
والمّي على الطريق
اسقونا في الغربال
والمّي عا باب الدار
ربّ الغيث اغيثنا
تسقى زرع اهالينا
ربّ الغيث يا دايم
تسقى زرع أبو محمد
هلي عالكرم نايم
ربنا... رب المطر

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(2) مقابلة شخصية، القابلة فاطمة، اللين، 67 سنة. 2007/1/11.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوير، 88 سنة، 2007/3/2.

والسِّكَّةَ وَالنَّيْرَ أَنهَجَر
يَوْمَ اسْقَوْنَا بِالْغُرْبَالِ
رَيْتَ بَنَيْكُمْ خِيَالَ
وَيَوْمَ اسْقَوْنَا بِالْمَنْهَلِ
رَيْتَ بَيْنَكُمْ يُدْخَلُ
يَا رَبِّي لَيْشَ وَلَيْشَ
يَبْسُتَ عُرُوقُ الْخُرْفِيشِ
يَا رَبِّي لَيْشَ وَاشْمِعْنَاهُ
يَبْسُتَ عُرُوقُ الْكِرْسَنَةِ
يَا رَبِّي لَا تَوَاخِذْنَا
عَا كُبُرَتَ مَا شَايَخْنَا
مَا شَايَخْنَا فِي الْحَارَةِ
وَشَلَّالَتْهُمْ جِرَارَةُ
يَمِّ الْغَيْثِ غَيْثَنَا
وَاسْقِي زَرْعَ أَهْلَانَا

واشي يُطَبِّلُ على الطاحونه واشي على الديك". ويعني الأولاد في دير غسانة⁽¹⁾

[illegible]

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانة، 80 سنة. 2007/1/25.

ثم يرشوا عليهم مِيّ، فيقولوا عامرة.... وإيروحو".
وفي بيت عور⁽¹⁾:

"يا ربّ تَسْقِينَا الغِيْثَ
يا نَبِيَّ عُورِ بُنْسِ تَرْجِيكَ
راحت إِم الغِيْثِ اتجيب المطر
راحت إِم الغِيْثِ اتجيب الزلازل
راحت إِم الغِيْثِ اتجيب الرعود
وفي سردا⁽²⁾:

"غدايا كَرَكَدُ⁽³⁾ في عِيي
غدايا كَرَكَدُ عَ الرمي
شوربنا يا بنات
يا ربي اتبَلِّه يا ربي
يا ربي اتبَلِّه يا سما
خبزي كَرَكَدُ في عِيي"

"ويا ربي نُقْطَةُ نُقْطَةٍ
ويا ربي هولَه هولَه
ويا أهل الحي ويا أهل الحي
"ليش بَتَطْحَنِي في الليل اعجيزي
يا شيخ يوسف بتسريجيك
شوربني، شورباكا
تَتَسَّقِي حَلَقِ القُطَّة
تَتَسَّقِي زرع الدُولَّة
عطشانين اسقونا مِيّ"⁽⁴⁾
من قَلَّةِ المَطَرِ والسَّيْلِ بَنِيَّتَه
رَشُقَ المَطَرُ يُعْبُرُ فيكَ
ما يروح إلا غراقا"⁽⁵⁾

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) كركد: عامية بمعنى يبس وجف.

(4) كمال، فريد، *مقتطفات من المعتقدات الشعبية في فلسطين*، مجلة التراث والمجتمع، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، ع5، م2، 1976/ص90.

(5) مقابلة شخصية الحاج صقر عبد الله، أبو شخيدم، 90 سنة. 2007/7/29.

"وأعتقد أن (شوربني وشورباكا) تعود إلى كلمة "شوربو"، التي تعني الحرق (Shurpu) في السومرية والبابلية، وهو نوعٌ من أنواع السحر الوقائي استخدم قديماً"⁽¹⁾.

وهي في طقس الاستسقاء، دعاء جماعي للحرق الذي هو البرق وطلب من الله حتى يُنزل المطر.

عُرف هذا الطقس منذ أقدم العصور، في أعماق العصر الحجري القديم (الباليوليت)، عندما كان الإنسان يرى تشابهاً بين الجزء من النهر أو التراب أو النار أو الهواء الذي يظهر في المكان نفسه دورياً، وبذلك ظهر قانون التشابه وهو القانون الأول من قوانين السحر، وعلى ضوء ذلك حاول الإنسان القديم أن يُطبّق هذا القانون في حياته، فكان يرسم حيواناً يطعنه لكي يضمّن صيده، وكان يرش الماء على الأرض لينتظر سقوط المطر⁽²⁾.

مما أدى إلى ظهور (صناعة المطر) وهو مصطلح انثروبولوجي حديث، يشير إلى الطقوس التي كان يقوم بها ساحر القبيلة لجلب الأمطار في مواسم الجفاف، حيث يتم ذلك بتقليد صوت المطر بأدوات طقسية متنوعة استجاباً للمطر⁽³⁾.

طقس الاكيتو:

جاء هذا الطقس من جذور نيوليتية قديمة، فقد كان أجداد السومريين يمارسون طقوساً عديدة، تم التعرف على أحدها من خلال نقش خزفي⁽⁴⁾. ذلك هو طقس الاستسقاء أو إنزال المطر الذي يُظهر صورة أربع نساء يتقابلن في مواقع، كأنهن الجهات الأربعة للكون، ويقمن بنثر شعورهن إلى هذه الجهات فيتحرك الهواء في منطقة رقصتهن. وتقوم فكرة هذا الطقس على أن الهواء إذا تحرك في هذه المنطقة من العالم، فإنه سيتحرك في العالم كله ويجلب الغيوم التي تجلب معها المطر اعتماداً على المبدأ السحري الأول الذي هو مبدأ التشابه الذي يقول: إن التحكم في جزء من الظاهرة يستدعي التحكم في الظاهرة كلها. ولا يقوم هذا الطقس على عقيدة دينية معينة، بل على اعتقاد بسيط مفاده أن الإلهة الأم أو المرأة الساحرة هي التي تستطيع القيام بهذا الطقس

(1) انظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص 226.

(2) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 183.

(3) السواح، دين الإنسان، ص 159 - 193.

(4) يعود الوعاء الخزفي الذي وجد عليه النقش إلى 2700 - 2500 ق م. انظر: الماجدي، الدين السومري، ص 165.

دون الرجل، وهذا جزء من العقيدة النيوليتية (الإلهة الأم) التي كانت سائدة آنذاك⁽¹⁾. وينتج عن حركة الساحرات الأربع شكل الصليب المعقوف (السواستيكا Swastika): الذي كان الإنسان البدائي القديم يرمز به للخصب⁽²⁾، سمي هذا الطقس لاحقاً بالسومرية (أكيتي)، الذي هو جذر لكلمة (أكيتو)، وهو عيد رأس السنة البابلي، حيث إن أقدم صيغة لكلمة أكيتو تعود (2400 ق.م)، وهو شكل (آ - كي - تي)، العلامة (آ) تعني الماء، ومجازاً المطر، و(كي) تعني الأرض، و(تي) فعل بمعنى يقرب، فيكون معنى الكلمة كاملاً (تقريب الماء إلى الأرض) أي الاستسقاء⁽³⁾.

طقس العقيدة⁽⁴⁾ أو الذبيحة فداء للطفل الصغير:

"إذا كانت الذبيحة نذر، لازم يقول: "إني أنذرت عن ابني أو ابن ابني ويُفَشِّقَ عنها ثلاث مرات، والذبيحة بِبَصْرِشْ يكون فيها عيب⁽⁵⁾."

ومن طقوس الذبح: "يقول الواحد: "بسم الله الرحمن الرحيم اللهم جعلتك فدوى عن العيال والمال"، وكانت إمي تَبِلْ أشرِطة بالدم وتُتَقَشُّ داير الباب املِيح. وبعد ما يذبحوا بيوزعوا على الجيران وإذا في ناس محتاجين"⁽⁶⁾. وفي أبو شخيدم رأيت آثار الدم المنقوش واضحة إذ لا تزال بقع الدماء موشومة حول بوابة بيت الحاج صقر قندح في أبو شخيدم.

"لما الواحد كان يذبح اظْحِيَّتَه يربط على رقبة الذبيحة منديل وبِحْنِيها، وبيركب عليها، ولما يذبحها يَفَشِّقُ عنها سبع مرات، ويوزعوا لحمها على الفقرا والمحتاجين ثلثين بَرَه للفقرا وثلث لأهل الدار، إلِّي بَظْحي مش املِيح ايدوقها أبداً بِكون حرام عليه يوكل منها، بيجيب لحم ثاني"⁽⁷⁾.

"كانوا يُفَشِّقُوا الولد عن الذبيحة مِشان اجوز إلهم، وكانوا يعصبوها بعصبة خطرنا ويلبسوها قلادة، وشكله خَطْرنا"⁽¹⁾.

(1) الماجدي، متون سومر، ص 309-310.

(2) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 104.

(3) المرجع السابق، ص 105.

(4) هي الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه عِنْدَ حَلْق شعره. انظر: المنجد، ص 517.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/2.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود، 63 سنة. 2007/7/29.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/3/2.

اتخذ أغلب الباحثين من مسألة القرابين⁽¹⁾ أحد موقفين: موقف يرى أن "القربان في بداية أمره اقتصر على ثمار النبات، ثم رأى الإنسان زيادة في تملق آلهته أن يذبح لها من ماشيته، بحسبان اللحم أعلى من النبات رتبة، ولما لم يكن متيسراً له أن يحمل قربانه ليذبحه عند عروش الآلهة فقد عمِد إلى ذبحه ثم حرقه لتتصاعد مادته دُخاناً تشمُّه الآلهة فتهدأ نفسها، وزيادة في المغالاة، وإثباتاً لخلوص ضميره لآلهته تحول نحو الدماء البشرية، ثم تحول الأمر إلى ما يشبه النذور فكان يذبح واحداً من أبنائه غالباً ما يكون البكر.." ⁽²⁾

"وموقف آخر يرى عكس ذلك تماماً، مسaire لسنة تطور العقل البشري، الارتقائية، إذ يذهب إلى أن البداية كانت بالضحايا البشرية، عندما كان الإنسان لا يصارع بدائياته الهمجية" ⁽³⁾.
ثم استبدل هذا الشكل الهمجي من الأضاحي بصور أخرى، كالتضحية ببعض أنواع الحيوان، وأحياناً اكتفى بتقديم النبات كالقمح والحنطة والدقيق الممزوج بالزيت، وبما يصنع من هذا كالحبز والفطير" ⁽⁴⁾.

ويرى القمني "أن العقل البشري في تطوره، لم يكن خاضعاً كبقية مظاهر الطبيعة للسنن والنواميس الفيزيائية البحتة، وإنما لعوامل أخرى كثيرة" ⁽⁵⁾ فربما كان خوف الإنسان من المجاعات وخشيته من مواسم القحط جعلته يلجأ إلى التفكير في الفديات الإنسانية رغبة منه في تهدئة أعصاب آلهة الخصوبة التي تتسبب في وفرة الحاصلات الزراعية، فقد سادت فترة كانت تُحر فيها الفديات البشرية" ⁽⁶⁾. " فقتلوا أطفالهم أو أكلوهم" ⁽¹⁾ لكن هذا لم يسر على ونيرة واحدة، فكانت مسيرة القربان أحياناً تصعد فيقتصر القربان على رمز نباتي، وأحياناً تهبط فيبذل الإنسان

(1) القربان: من قرب والقرب نقيض البعد، وقرب الشيء بالضم: يقرب قرباناً، وقرباناً بالكسر: أي دنا والقربان واحد القرابين، والقربان: جليس الملك وخاصته، وجمعها قرابين، والقربة، جمعه قرب وقربات وهي ما يتقرب به الى الله، انظر: لسان العرب، 44/5 مادة قَرُبَ.

(2) القمني، الأسطورة والتراث، ص77.

(3) المرجع السابق، ص77.

(4) وافي، من غرائب العادات والتقاليد، ص79-80.

(5) القمني، الأسطورة والتراث، ص 78.

(6) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 33.

(1) ديورانت، قصة الحضارة، ج1، م1، ص 89.

دمه ودم أبنائه" (1).

فقد نجد في أقدم المراحل التاريخية من ذبحوا أباهم قرباناً فيما يزعم سيجموند فرويد (2)، وبعدها نجد منذ حوالي خمسة آلاف عام فقط تلك الترتيلة التي أوردتها (ديورانت) (3). تقول: "الضمان فداء للحم الآدميين، به افتدى الإنسان حياته"، وبعدها بحوالي ثلاثة آلاف عام، نجد (عبد المطلب بن هاشم) ينذر ابنه (عبد الله) ليقدم قرباناً (4)، "فقد روي أنه لما لقي العنت عند حفرة لزمرم، إذ لم يكن معه من يساعده غير ابنه الحارث نذر لئن ولد له عشرة بنين، وبلغوا معه حتى يمنعوه ويغنوه عن معونة الناس، لينحرن أحدهم، ويقدمه أضحية للآلهة فلما بلغ عددهم عشرة وتوافرت فيهم شروط النذر أخبرهم بنذره ودعاهم للوفاء به، فأطاعوه" (5).

يقول الدكتور الماجدي: نحن لا نملك دليلاً تاريخياً دقيقاً يحدد ظهور فكرة الأضاحي لكننا نرجح أن هذا الطقس ظهر مع دين البابوليت (6) وربما كان الدافع الاقتصادي واحداً من أسباب ظهور هذا الطقس، إذ أن خوف الإنسان من المجاعات جعله يُضحى بأبنائه بصورة طقسية دينية (7)، وقد تزايد الإقبال على تقديم الفديات تبعاً لنقصان القوت حتى بلغت في قسوتها ومظهرها الدموي حداً عظيماً، عندما بدأت المجتمعات تعتمد في مأكليها على النبات بصفة مستمرة، ولضمان وفرة المحاصيل استبدلت الفديات البشرية بالفديات الحيوانية "وهكذا تحول التقليد من قرابين بسيطة إلى ما يشبه المذابح تسفك عليها دماء البشر، كما اقتضى تعطش الآلهة الزراعية إلى مزيد من الدماء، إلى سفك عدد أكبر من الفديات البشرية" وكانت القرابين تقدم للآلهة بطرق مختلفة منها إغراق الضحية في الأنهار المقدسة (عندما كانت تزف العذارى إليها في مواسم الفيضانات). أو ذبحها أو حرقها لإرضاء آلهة الزراعة، وكذلك كان ينظر لمواسم الحصاد كما لو كانت تتحرر فيها آلهة الزراعة، تستشهد في سبيل إنقاذ البشرية من المجاعة، فيقتات الناس من أجسادها.

(1) القمني، الأسطورة والتراث، ص 78.

(2) فرويد، سيجموند، موسى والتوحيد، ترجمة جورج طرابيش، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1979، ص 180-181.

(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، ج2، م1، الإدارة الثقافية في الجامعة العربية، القاهرة، ط3، 1961، ص 26.

(4) القمني، الأسطورة والتراث، ص 79.

(5) المرجع السابق، ص 80.

(6) البابوليت: العصر الحجري القديم.

(7) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 80-81.

وكما كانت تقام حول الفريسة في العصر الحجري القديم منادب تنتهي بولائم، فكذلك الحال بالنسبة إلى مناسبات الحصاد إذ كانت هي الأخرى بمثابة منادب يردد فيها المزارعون أغاني ذات صبغة حزينة فتتحول الحقول في أثناء جمع المحاصيل إلى ما يشبه الجنائز. يتظاهر الناس فيها بالحزن، لاضطرارهم إلى قتل آلهتهم أو أرواح النباتات⁽¹⁾.

ونستطيع القول: "إن هذه الشعيرة وجدت في أبسط مظاهر التدين وأكثرها اضطراباً. وهي قديمة جداً، ولا أدل على ذلك، أننا نجدها تمارس عند السومريين والبابليين والفراعنة وكافة الأمم القديمة كما نجدها في جميع أسفار العهد القديم، وفي القرآن الكريم"⁽²⁾.

ففي الأساطير السومرية ظهرت فكرة العنف والمقدس، قربان الأول، عندما يصار إلى التضحية بـ (لمكا)⁽³⁾ الآلهة المذبوحة التي خلق من دمها الإنسان⁽⁴⁾.

"جلست الآلهة آنو، وإنليل، وأتو، وإنكي بعد أن وضعت الآلهة قواعد السماء والأرض وبعد أن نظمت الجداول والقنوات، وثبتت شواطئ دجلة والفرات. عندما قال إنليل لهم: ماذا تريدون أن نعمل الآن؟ ماذا تريدون أن نخلق الآن أيتها الأنوناكي، الآلهة العظيمة؟ أجابوا سوية عن سؤال الإله إنليل: نريد أن نذبح آلهة لمكا، حتى تتسبب دماؤهم في ظهور البشرية"⁽⁵⁾.

وفي الاحتفالات السومرية الدينية يؤكد ديورانت "أن الكهنة كانوا يضربون أنفسهم حتى تلتطخ دماؤهم المذابح، وبعضهم كان يفتدي ذاته بإخصاء نفسه بنفسه"⁽⁶⁾. "وقد تراوحت أوضاعهم الطقسية بين أضاح نباتية وحيوانية. أما فكرة الأضاحي البشرية (فقد اكتشفت في أور في منطقة المقابر الواقعة جنوب العراق، زقورة الإله (ننا) مجموعة من المقابر الملكية)، حيث وجد فيها ممرات مائلة وهي مغطاة بحصران، وهناك هياكل بشرية يتراوح عددها بين (74-3) شخصاً، يعتقد أنها حاشية الملك التي كانت تدفن معه لتضمن له طقوساً احتفالية بعد الموت"⁽¹⁾.

(1) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص32-33. والمنادب: جمع المنْدَب، نَدَب الميت، نَدَب الميت: أي بكاه. انظر: المنجد، ص798.

(2) وافي، عبد الواحد، من غرائب العادات والتقاليد، ص81.

(3) المكا: آلهة العمل عند السومريين. انظر: الماجدي، الدين السومري، ص118.

(4) الماجدي، بخور الآلهة، ص306.

(5) المرجع السابق، ص306-307.

(6) ديورانت، قصة الحضارة، ج2 م1، ص315.

(1) القمني، الأسطورة والتراث، ص81.

كما تظهر (مسلة العقبان) التي وجدت 2400 ق.م عملية قتل الأسرى التي كانت تحدث بعد الحروب في طقس قتل جماعي لا يُستثنى منه الأطفال، ولم تكن هذه العملية انتقاماً بقدر ما كانت نذوراً وأفعالاً سحرية لتدنيس الإنسان.⁽¹⁾

أما الأضاحي فكانت تقدم بكثرة إلى المعابد لإطعام الآلهة والكهنة منها النباتية كالفاكهة، الحيوانية التي كانت تتألف من الثيران والماشية والماعز والغزلان والأسماك والخنازير وأنواع الطيور، ويمكننا عقد صلة بين القرابين الحيوانية والرمز الحيواني للإله، فالإله إنليل كان يقدم له الثور لأن رمزه هو الثور.⁽²⁾

وفي الأساطير البابلية كانت التضحية بالإله (كينغو) وهو إله شرير أو معاقب خُط دمه بالطين لِخَلْق الإنسان:

"قيدوه ووضعوه أمام إيا

فقطعوا شرايين دمائه

ومن دمائه جرى خَلْقُ البشر " ⁽³⁾.

كما انتشر هذا النظام عند المصريين القدماء، "فكانت تَمَّ ضحايا بشرية تقدم للآلهة النبات ليجود محصول الأرض، وجرت العادة أن تحرق الضحايا ويُنثر رُفاتها في الحقول، وأن تُختار من بين الرجال الصفر الشعور، تفاؤلاً بهذا اللون الذي يحاكي لون النبات في مراحل نضجه وقرب حصاده"⁽⁴⁾. وكان بعضها يقدم للإله أوزوريس وبعضها لأرواح الموتى لخدمتهم في قبورهم، وقد تُختار هذه الأخيرة من بين رقيق الميت وحشمه، كما كانوا يقدمون للنيل الذي كان أكبر آلهتهم، بنتاً عزاء يُقذف بها فيه، وكانت تُختار من بين أسرات الأشراف حتى يتناسب مقامها مع مقام الإله المقدمة إليه، وقد ترك هذا التقليد رواسب فيما يسمونه عروس النيل، وهي تمثال يُقذف له في النيل إبان فيضانه رمزاً للأضحية.⁽¹⁾

وعند الكنعانيين كانت هناك دبيحة الأبقار حيث كان الأطفال الرضع والأولاد يقدمون ضحية

(1) دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص 243.

(2) الماجدي، متون سومر، ص 220-221.

(3) الماجدي، بخور الآلهة، ص 329.

(4) وافي، عبد الواحد، من غرائب العادات والتقاليد، ص 81.

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص 81 - 82.

ثمينة للآلهة وخصوصاً (بعل آمون)، وكذلك كانت تقدم الذبائح الحيوانية التي توضع مع الميت.⁽¹⁾

وعند الإغريق "كان نظام إهراق الدم من عضو من أعضاء الضحية دون القضاء عليها، قد اتبع في كثير من معابد القدماء وبخاصة الإلهة أرتميس⁽²⁾ «⁽³⁾. وفي عيد أثينا الأكبر كانت الطقوس تقتضي إرسال القرابين في اليوم السادس منه تمهيداً للقربان المهرجاني العظيم وقد كانت القرابين من الماشية البيضاء، والأغنام ذات الفراء الفضية حيث يختتم العيد بالذهاب إلى معبد أرخيثون، لإهداء الآلهة تماثيل الخشب وذبح القرابين لها"⁽⁴⁾.

كما سار هذا النهج عند الرومان قبل الميلاد. ففي عام 93 ق.م أصدر مجلس الشيوخ الروماني مرسوماً يحرم تقديم الضحايا من الأدميين، لكن هذا التقليد ظل مستمراً.

وفي آيات العهد القديم ما يدل على هذا النظام، فقد ورد في هذه الأسفار، أن فرعون لم يسمح لبني إسرائيل بالخروج من مصر، فأنزل الله نقمته على المصريين، فكان يهلك أول ذكر لكل أبويين من الأدميين، وأول مولود أنثى من الحيوان في سائر بلاد مصر. ثم خفف الله عنهم، بأن شرع لهم الفداء بذبيحة من الضأن⁽⁵⁾. وفي قصة التكوين التوراتية: "تجد قابيل يكتفي في قربانه بأبكار آلهته وأثمارها، أما هابيل فقد قدم أبكار غنمه، " فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكنه إلى قايين — قابيل إسلامياً — لم ينظر"⁽⁶⁾.

يبدو أن الخروف قد ظل قرباناً مفضلاً، ففي قصة إبراهيم عليه السلام نجد النص التالي "وحدث أن الله امتحن إبراهيم فقال:... يا إبراهيم... خذ وحيدك الذي تحبه إسحق.. واذهب به إلى أرض المريا، واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك... فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضع على إسحق ابنه... وأخذ بيده النار والسكين... ثم مد إبراهيم وأخذ بيده النار... ثم مد إبراهيم وأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء وقال: لا تمد يدك إلى الغلام

(1) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 261.

(2) أرتميس: إلهة الصيد. انظر: المرجع السابق، ص 308.

(3) وافي، عبد الواحد، من غرائب العادات والتقاليد، ص 81.

(4) الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص 346-347.

(5) المرجع السابق، ص 83.

(6) الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح (4).

ولا تفعل له شيئاً، لأنني الآن علمت أنك خائف من الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني، فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا بكبش وراءه⁽¹⁾.

وفي الجاهلية ساد عند عشائر العرب وأد البنات، وبخاصة بعض عشائر قريش وربيعه وكندة وطبئ وتميم. وكانت الطريقة السائدة حفر حفرة عميقة بجانب الموضع الذي تلد فيه الأم فإذا كانت أنثى دفنت حية عقب ولادتها⁽²⁾. وقد بقي هذا النظام حتى جاء في القرآن الكريم "ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم"⁽³⁾. ولا يزال الناس يوفون بالندور ويذبحون الأضاحي فدو أو فداء ويوزعون الحلويات بعد الوفاة، وفي أيام معينة كخميس البيض⁽⁴⁾. تماماً كما في طقس الفوهو (البديل) "ويستند هذا الطقس إلى أساسيين الأول: ميثولوجي (أسطوري) يستحضر أسطورة دموزي (إله الخصب). حيث يُنقل الشر أو المرض من المصاب إلى بديل (دمية أو حيوان). والثاني: سحري يستحضر مبدئي، السحر (الاتصالي أو التشابهي). وإذا كان البديل دمياً يبقى الكاهن الدمية المصنوعة من الخشب أو الشمع ليلة كاملة مع المريض. وفي إذا كان البديل حيواناً كالجدي، فإنه يبقى أيضاً في فراش المريض ومعه، وبنفس السكين يذبح البديل الحيواني أو تتحر رقبة الدمية، ثم يلبسونها من ثياب المريض ويدفنونها بقديسية. وبذلك ينتقل المرض أو الشر إلى الحيوان أو الدمية"⁽⁵⁾. وقد عرف هذا الطقس منذ أقدم العصور. فقد مارسه السومريون والبابليون والآشوريون... وغيرهم ولا يزال يمارس حتى اليوم.

طقس الختان (الطهور):

تقول الحاجة مهدية صرصور⁽¹⁾ من البيرة: "توفيق إجه على شهوه، سافر أبوه ولما رجع كان كبير، وكانوا بدهم ايظهروه، جابوا شكة ذهب، وخيَطَولَه على طربوشه - كانوا طرابيش من زمان يلبسوا - خيطوا على كتفه من الجهتين وركبوه على الفرس يومها". "كنا نلبسه دشدشة

(1) الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح (22). وهي قصة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام في القرآن الكريم.

(2) القمني، الأسطورة والتراث، ص 90.

(3) سورة الإسراء، آية 31.

(4) وافي، عبد الواحد، من غرائب العادات والتقاليد، ص 80-79.

(5) الماجدي، الدين السومري، ص 154. وانظر: الماجدي، إنجيل بابل، ص 188.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة، 86 سنة. 2007/7/25.

بيظه وبيجي المطهر وابطهره، وكنا نلبسه أحلى أواعي وأنحطه على فرس وإيغنوله وأنوزع حلو وملبس⁽¹⁾.

والختان: هو الذبح الأصغر للعضو التناسلي، وهو طهور بالدم، لذلك فإن الرجل لا يعتبر طاهراً في الأوساط الإسلامية، إلا إذا أجريت عملية الختان ويسمى أيضاً (الطهور) بمعنى التطهير⁽²⁾.
وقديماً كان يتم ختان الطفل وهو في سن متأخرة، وغالباً ما يكون عمره فوق العاشرة، أما حديثاً فإن الختان يتم في الأغلب في السنة الأولى ولا يتعدى السنة الخامسة⁽³⁾.
"يُطهر اليهود أولادهم في اليوم السابع، بينما يطهر المسلمون أولادهم غالباً بين سن الثالثة والعاشرة ويُعتبرُ الطهور حدثاً مهماً في الأسرة الفلسطينية"⁽⁴⁾. ويرافق هذه الطقس أغان كثيرة منها:

يا خالتي يخت إمي خبيني تحت اسواره	إن إجا المطهر ايسايل قولي عني في الحارة
يا عمتي يخت أبويه خبيني تحت الشكه	إن إجا المطهر ايسايل قولي امطول في الدبكة
يمطاهر الصبيان ويا محمد علي	يمطاهر الصبيان ويا محمد علي
وطاهرلي محمد محابه للنبي	وطاهرلي محمد محابه للنبي
طهره يمهطهر بالموس الرفيع	وعمهالك عالمدل تمنه ايطيع
طهره يمهطهر و سمي عليه	وعمهالك يمهطهر تيجوا اليه ⁽¹⁾
طهره يمهطهر بالموس الفظة	هالبيبي المدل عمهاله تيرظي
طهره يمهطهر وناول له لمة	ودمعتنه هالغالية سقطة على كمة
طهره يمهطهر وناول له لابو	ويا دمعتنه الغالية سقطة على ساقو
طهره يمهطهر و سمي عليه	وهالبيبي المدل ميت اسم الله عليه
بالله عليك يا شلبي لا توجعا واتهما	ما جاك الا متغادي قرص العسل ع ثمه
بالله عليك يا شلبي لا توجعا واتهما	ما جاك الا متغادي قرص العسل ع ارغيفه

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 132.

(3) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 88-89.

(4) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص 73.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة ربيعة، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.

وَسَطِيّ الْبَلَد فِي دَار، فِيهَا طَهْور وَغَانَانِي
وَسَطِيّ الْبَلَد فِي دَار، فِيهَا طَهْور وَكَيْفِيَّة
شَمْعَةُ أَطْهَور الصَّبِيَّان لَا عَلَقَهَا عَ الرَّقَّة
شَمْعَةُ أَطْهَور الصَّبِيَّان لَا عَلَقَهَا بَاب الدَّار
"طَهْرَه يَمْطَهْر وَنَاوَلَه لَمَّه
طَهْرَه يَمْطَهْر وَنَاوَلَه لَا بَوَه
يَا بُوِيَا خَبِينِي، خَبِينِي تَحْتَ اسْوَارَه
يَا عَمْتِي يَا اخْتِ ابُوِيَا خَبِينِي تَحْتَ الصَّفَّة
شَمْعَةُ الصَّبِيَّان لِأَطْوِيْهَا بَادِيَا
شَمْعَةُ أَطْهَور الصَّبِيَّان لِأَطْوِيْهَا عَ الْحِيطَان
لَطَّوِي الشَّعْمِعَ وَاعْلَقَه فِي بَيْتِي
لَطَّوِي الشَّعْمِعَ وَاعْلَقَه عَ لَحْمَاكَ
لَطَّوِي الشَّعْمِعَ وَاعْلَقَه عَ كَمَامَاكَ
لَطَّوِي الشَّعْمِعَ وَاعْلَقَه فِي دِيَّة
طَهْرَه يَمْطَاهِر عَ سَطُوح الصَّخْرَه
طَهْرَه يَمْطَاهِر بَيْن الْحَرَمِين
طَهْرَه يَمْطَاهِر تَيْجِين عَمَاتَا
"طَهْرَه يَمْطَاهِر تَيْجِين خَوَاتَه
طَهْرَه يَمْطَاهِر عَ الْعِرَاق الْبَيْض
طَهْرَه يَمْطَاهِر فِي خَلْق عِبَاتَه

يَلِّله طَهْرُوا مَحْمَد يَا عَزِّي وَيَا دَالَالِي
يَلِّله طَهْورُوا مَحْمَد يَا عَزِّي وَيَا عَيْنِيَّه
تَيْجِي يَا عَمَّتَه اتْغْنِي وَالْبِسْهَا هَالْفَضَّة
يَيْجِي يَا خَاتَه اتْغْنِي وَالْبِسْهَا هَاظَا الشَّال⁽¹⁾
يَا خَيْط الدَّرْسِي عَزِيَال كَمَه
يَا خَيْط الْمِرَاسِم عَزِيَال جِيِيَه
وَان سَايَلَكْ قَوْل عَنِي فِي الْحَارَة
مِنْ سَايَلَكْ الْمُطْهَر قَوْلِي عَنِي فِي الزَّفَه⁽²⁾
وَنَدَه وَاقُول يَحْبَابِي يَا حَسَن طَلَبُ الْغِيَّه
وَنَدَه وَاقُول يَحْبَابِي يَا حَسَن سَيِّد الْعِرْسَان
يَطُول عَمِيرَك يَا سَنَد لَخِيَتَاكَ
يَطُول عَمِيرَك يَا سَنَد لَأَوِمَّاكَ
يَطُول عَمِيرَك يَا سَنَد لَعَمَامَاكَ⁽³⁾
يَطُول عَمِيرَك يَا سَنَد لَلْخِيَّه
أَوْ مِيْمَتَه فَرَحَانَه وَقَلْبَهَا بَرِظَا
أَوْ مِيْمَتَه فَرَحَانَه وَعَمَاتَه بِسَتَتَيْن
وَايْجِيْبِن الذَّهَب وَاللُّوْلُو وَيَقْطُبِن عَ جِيْبَاتَه
وَايْجِيْبِن الذَّهَب وَاللُّوْلُو اِيْقُطُبِن عَ جِيْبَاتَه
وَكِنْ قَالَت الْعَادُوه يَا حِيرَتِي يَا غُلْبِي
جِيْبَا الذَّهَب وَاللُّوْلُو وَقُطْبِنَا عَ جِيْبَاتَه

(1) مقابلة شخصية، الحاجة ربيعة، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.

(2) مقابلة شخصية، الحاج صقر، أبو شخيدم، 90 سنة. 2007/7/29.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة صفية أم وجيه، عين قينيا، 84 سنة. 2007/1/13.

طَهْرَه يَمْطَاهِر فِي خَلِيقَه الْبَالِي
طَهْرُولِي مُحَمَّد عَلَى الْقَشْ الْمَبْلُول
وطَهْرُولِي مُحَمَّد عَلَى الْقَشْ الْناشِف
" طول الليل واحنا انغني وانفرق حلو:
طَهْرَه يَمْطَاهِر تِيحِتْ فِي التين
طَهْرَه يَمْطَاهِر عَلَى الداراجات
عَبْر عَلَيَّ الشَّلْبِي وَأَنَا بَغْرِبْلُ قَمَحِي
عَبْر عَلَيَّ الشَّلْبِي وَأَنَا بَغْرِبْلُ عَدْسِي
يَمْطَاهِر الصَّبِيان فِي الْعَالِيَة
عَبْر الشَّلْبِي فِي عَدَّتْه وَمُؤَاسَه
عَبْر الشَّلْبِي فِي عَدَّة الشَّلْبِيَة
"نَذرن عليّ إن طَهْرَتِي يَا خِيْتِي
نَذرن عليّ إن طَهْرَتِي يَا جَارَه
جَبْنَا الذَّهَبَ وَاللُّوْلُو تَنْقُطَبْ عَ الْغَالِي⁽¹⁾
وَقَصِيلَه يَا بِيَه بَدَلَة الطَّهْوَر
وَجَبِيلَه يَا بِيَه بَدَلَة الْكَاشِف⁽²⁾
وَيَدْمُوع الْمَدَللِ امْعَلَقَه إِبْرَسِيم
وَيَدْمُوع الْمَدَللِ بَلَّاتِ الْقَمَحَاتِ
وَاصْبُرْ عَلَيَّ يَا شَلْبِي تَعَدِّدْ أَنَا رُمَحِي
وَاصْبُرْ عَلَيَّ شَلْبِي تَعَدِّدْ أَنَا فَرَسِي⁽³⁾
لَتِيْجِي عَابُو شَوْشَه مَرْخِيَة
وَحَلَفَ الشَّلْبِي مَا يَطْلُع إِلَّا بُشَاشَه
حَلَفَ الشَّلْبِي مَا يَطْلُع إِلَّا بِمِيَه
لَطُوي الشَّمْعَ وَاعْلَقَه فِي بِيْتِي
لَطُوي الشَّمْعَ وَاعْلَقَه فِي الْحَارَه⁽¹⁾

الختان الطهور قديماً (الشامانية)

يكاد طقس الطهور يشبه طقوس الشامانية القديمة جداً، التي "تعود إلى الدين البالوليتي في مختلف مراحله، حيث تجلت صورة المقدس في انتقالات متساوقة من النار إلى الحيوان إلى شعائر الدفن وشعائر الفن الكهوفي ونحت الدمى الأنثوية، ففي هذا العصر ظهر الشامان، الساحر ذو القوة الخارقة ولم يكن كاذباً أو مشعوذاً بل كان يملك قدرات حقيقية في التأثير. وقد لعب الشامان دوراً أساسياً في طقوس التنشئة أو طقوس العبور وشعائره"⁽²⁾.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين ببرود، 69 سنة. 2007/7/27.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(2) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 50 - 51.

الشامانية (Shamansim) عقيدة طقوسية تتمظهر فيها أشكال الديانات السحرية (الفيتيشية، والأرواحية، والطوطمية)، حيث يخضع الصبيان الذين يصلون إلى عتبة الشباب إلى طقوس وشعائر قاسية يقوم بها الشامان ويشرفون عليها⁽¹⁾. "فينتزعون الفتى من بيت أمه ويعزلونه في كوخ خارج القرية، حيث يخضع لأنواع من التابو (التحريم)، ويؤدون حوله بين الحين والآخر طقوساً خاصة تساعد على الولادة من جديد، وتسمى هذه الطقوس، طقوس التعدية".⁽²⁾ ويذكر ديورانت "أن البدائيين القدماء كانوا يستخدمون ما يسمى بالسحر التمثيلي لزيادة خصوبة الأرض، فقد كانوا يشوون الأعضاء التناسلية للرجل إذا مات في عنفوانه، ثم يطحنوها ويسحقوها رماداً يذر فوق الحقول"⁽³⁾.

ويرى سيجموند فرويد "أن عادة الختان المستمرة حتى اليوم، إن هي إلا بديل رمزي عن الخصي الذي كان الأب كُلي القدرة يعاقب بها أبناءه فيما غبرَ من الزمن"⁽⁴⁾. فقد عاش البشر في أول عصورهم — كما يرى فرويد — على هيئة عشائر، ورزحت كل عشيرة تحت نير سلطة طاغية لأب ذكر (في المجتمع الرعوي)، وكان هذا الأب القاسي المرعب، أنانياً فظاً غليظ القلب، يقتل أبناءه، ويرضى خصي الابن أقطع ذكره من أصوله، وذات يوم تضافر الأبناء، وأعلنوا عصيانهم فقتلوه واقتربوه سويًا"⁽¹⁾. أما "القمني"، فيذكر: "إن عادة الختان هذه، أصلها القرابين البشرية التي غالباً ما كانت من الأطفال"⁽²⁾.

وفي الاحتفالات السومرية الدينية، كان الكهنة يضربون أنفسهم حتى تلطخ دماؤهم المذابح، وكان بعضهم يفتدي ذاته بإخصاء نفسه بنفسه.⁽³⁾

(1) انظر: الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 50 - 51.

(2) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 68. وانظر: السواح، دين الإنسان، ص 181.

(3) ديورانت، قصة الحضارة، ج 1 م 1، ص 111.

(4) سيجموند فرويد، موسى والتوحيد، ص 315.

(1) المرجع السابق، ص 180.

(2) القمني، الأسطورة والتراث، ص 80.

(3) ديورانت، قصة الحضارة، ج 2 م 2، ص 315.

وكانت عادة الختان عند المصريين عامة، حيث اعتبروها من عوامل نظافة البدن، وقد سبقت الديانة المصرية غيرها كاليهودية في اعتبار الختان طقساً دينياً⁽¹⁾.

كانت عملية الختان تجري للأولاد بين سن السادسة والثانية عشرة من أعمارهم في المعابد، ومع ذلك لم تكن فرضاً على الشعب. وقد وجدت بعض النقوش على المعابد الخاصة بولادة الأمراء وطفولتهم دليلاً على هذه العملية، كما وُجد نقش على جدران مقبرة (غنخ ماحور) في عصر الأسرة السادسة⁽²⁾ في سقارة، وهذا النقش مكون من جزأين، ففي الجزء الأيمن نرى الجراح وقد ذكرت قبالة عبارة "الكاهن المختن" وقد أمسك بآلة مستطيلة بيده اليمنى في وضع عمودي على العضو التناسلي، وفي اتجاه طول الجسم وهو يقول: "إن هذا يجعله مقبولاً للكحت". أما الجزء الأيسر فيظهر فيه الجراح ممسكاً بآلة أو شيء بيضاوي الشكل يلمس به العضو التناسلي الذي يشده بيده اليسرى، وفي هذا الجزء تدل ملامح المريض على شعوره بالألم. وهناك مساعد له، ونقرأ قول الطبيب (امسكه كي لا يقع). وهناك نقش لعملية الختان في الكرنك يظهر فيه الجراح وهو يضع الآلة القاطعة على العضو التناسلي⁽¹⁾.

ومن الأساطير الإغريقية نذكر أسطورة (جيا) الأرض التي دب الشقاق بينها وبين زوجها أورانوس⁽²⁾، "فمضت تؤلب أبناءها على أبيهم، وتستنهض عزيبتهم على التخلص منه، غير أن نداءها لم يجد استجابة إلا عند ابنها كورونوس⁽³⁾ أكثر إخوته شجاعة، وأشدّهم عزيمة، فتسلّح كورونوس بالمنجل الكبير الذي قدمته له أمه، واختبأ في مكان أمين، حتى إذا أقبل أورانوس لمضاجعة أمه، باغته ابنه كورونوس بطعنة منجل، جبّ بها مذاكيره وأسأل دماءه. ثم طرح بأعضائه المبتورة إلى البحر، فانبثقت منها ومن الزبد الذي أحدثه سقوطها (أفروديتي) فينوس، (ربة الجمال)"⁽⁴⁾. وقد حاول الرومان المسيحيون تحريم الختان، ولكنهم لم ينجحوا.⁽⁵⁾

(1) الماجدي، الدين المصري، ص234. وهذا في الإسلام وهو من الفطرة.

(2) الأسرة السادسة. 2230-2420 ق.م.

(1) غريال، تاريخ الحضارة المصرية. ص533-535. وانظر: غليونجي، الطب عند القدماء المصريين، ص144-147.

(3) عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ص37

(3) أورانوس: إله السماء عند الإغريق. انظر: المرجع السابق، ص37.

(4) كورونوس: سيد العالم عند الإغريق، المرجع السابق، ص36.

(5) غليونجي، الطب عند قدماء المصريين، ص147.

طقوس تصاحب عملية الختان:

"أحياناً يتنذر الإِمْ "إذا عاش إلا أزلط حَمَامَتَه بعد الطهور، وأمرار بتحطها في خُرج البياح".⁽¹⁾ وتخبرني أم زياد: "لما طَهَرَه المطهر حَطَّيْتُهَا في النَّبْعِ، إِلَيَّ وَلَدٌ واحدٌ"⁽²⁾ "لما يطهره بتقول سِتَّةَ لِإِمْه: تَرْمِيهَاش حُطَّيْهَا تَحْتَ زِيرِ المِيَّةِ"⁽³⁾.

تحدثنا عن طقوس مشابهة سابقاً، لذا سنلخص أهم الاستنتاجات:

- (1) الطقس الأول يعود للعبادة الطوطمية القديمة، وهي أكل المقدس أو جزء منه "إننا نشعر بالروح تتحرك فينا"⁽¹⁾. إنها بقايا القديم في تمجيد الطوطم ونوع من السحر، فالجزء الذي سينتقل لها س يحمل قوة صاحبه، الذي هو الخصب وهذا في قانون السحر الاتصالي⁽²⁾.
- (2) أما وضعها في النبعة فلا بد أنها بقايا الأضاحي البشرية (عروس) النيل فداء عن شعب مصر وهبة للنيل⁽³⁾.
- (3) أما وضعها تحت زير الماء، والزير عبارة عن جرة كبيرة لها أذنان كبيرتان يحفظ فيها الماء، وقد تحدثنا سابقاً عن الفخار شبيه الإنسان "الوعاء السحري جسد الأنثى الكونية، رمز الأم الكبرى المستودع الذي تختمر في ظلماته بذور الحياة، الجرة الفخارية، عشتار الأم المقدسة التي عثر عليها وهي تحمي جنينها، وتضمه، الرحم الذي يطلق الإنسان إلى الحياة ويستعيده ثانياً بعد الممات"⁽⁴⁾. فقطعة اللحم هنا حِرْزٌ مُصان يراقب الطفل صاحبه، ويحميه من الشرور.

ونختتم هذا الفصل بطقسي النفاس والرضاعة حيث سنؤجل الحديث عنهما إلى الفصل القادم.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللين، 67 سنة. 2007/1/11.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أم زياد، الجديدة، 68 سنة. 2007/8/6.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(1) ديورانت، قصة الحضارة، ج 1 م 1، ص 107.

(2) انظر: الماجدي، بخور الآلهة، ص 51-52.

(3) انظر: الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 32. وانظر: وافي، عبد الواحد، من غرائب العادات

والتقاليد، ص 81.

(4) السواح. مأساة عشتار، ص 48-49.

الفصل الثالث

(طقس الزواج)

الأسرة هي النواة الأساسية في بنية المجتمع الفلسطيني ونسجه الاجتماعي تتحد مع بعضها تحت اسم الحمولة، وهي بالتعبير الشعبي "العائلة أو الدار أو البيت" سواء في المدينة أو في القرية، فالسؤال الأول الذي يكشف عن هوية الشخص - أي شخص - في فلسطين هو الرد عن السؤال التقليدي الذي يدور على ألسنة الناس جميعاً وعلى اختلاف مستوياتهم، أنت من دار مين؟ أو أنت من بيت مين؟ وأحياناً يسألون أنت من عيلة مين؟ فالمثل الشعبي يقول: "مقدارك من دارك ومن ترك داره قل مقداره"⁽¹⁾.

لذا فإن أهم ما تطمح إليه الأسرة، هو استمرار بنفس السمة والمكانة والهيبة بين العائلات والحمائل الأخرى في القرية نفسها والقرى المجاورة؛ لهذا فإن السعي لزواج الابن من أعظم الأمنيات التي تتوق الأسرة لها، وهي تحضر لهذا جيداً "فخلال الفترة فيما بين الطهور والزواج، تعمل العائلة على توجيه سلوك الطفل "مشان يصير زلمة" فيأخذ الطفل بالانفصال التدريجي عن مجتمعه الطفولي"⁽²⁾؛ "لأنه ما بصير يظل يلعب زي الولاد الصغار في الحارة، لازم يكبر، بس يشب شوي بيبطل يلعب مع البنات بيصير يستحي، بعرف إنه عيب"⁽³⁾ وهكذا فهو يأخذ بالانضمام التدريجي لمجتمع الذكور (الرجال)، فيذهب معهم للديوان (قديماً) وللجامع وللزيارات العائلية. ففي حين تلبس الفتاة فستانها وتبقى يوم العيد في البيت، فإن الولد يرافق الرجال عندما يذهبون لزيارة الولايا، وفي أثناء ذلك تنتظر العائلة أن يبلغ الولد مبلغ الرجال لتزوجه وتفرح به، فالعرس هو محور اهتمامها في هذه الفترة، وهو بالتالي، محور الأمان وهذا ما تظهره ألفاظ المجاملات والدعوات التي يقولها أفراد المجتمع للعائلة وللولد نفسه، وفي كل مناسبة تتطلب الشكر، والتي تكون بشكل دعوات صالحة وأمان بزواج الطفل، ومنها ما يقال للأب أو الأم "انشالله بفرحتك في ولادك"، "انشالله بفرحتك في ابنك"، انشالله في عرسهم"، انشالله بتشوفيه وهو مصمود"، "انشالله وانتو مدخلين العزبان"، ويقال للأخت: "انشالله في عرس خيك أو أخوتك". أما إذا قام الابن بعمل يستوجب الشكر ك تقديم القهوة للضيوف أو صب الماء لغسل أيديهم خاصة في مناسبات الأعراس بعد أكل المناسف فيقال له: "انشالله بتسقيننا وإنت عريس"،

(1) ديورانت، قصة الحضارة، ص 62.

(2) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 47.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، دير دبان، 69 سنة. 2007/7/29.

"في عرسك"، "في فرحتك"، "إن شاء الله بنشوفك وانت على اللوج"⁽¹⁾

وفي هذه الأغنية النسائية حث على تزويج الشاب لأنه لا يجد من يُحضّر له طعامه فيضطر لتحضيره بنفسه بسبب الانشغال الدائم للأم.

طَبَّخْ طَبَّخْهُ مِنْحَالَهُ	عُقْبَال محمد عُقْبَالَهُ
طَبَّخْ طَبَّخْهُ ملوخيّة	عُقْبَال محمد لُخريّة
طَبَّخْ طَبَّخْهُ عُود الزّان	عُقْبَال ناصر يا شَبّان ⁽²⁾

أما زواج البنت فتقول الحاجة فاطمة⁽³⁾: "بنفرحُها..بسْ مشْ مثل الولد، الولد بيعمرّ الدار البنت همّ وانزاح". وإذا ما عدنا قليلاً للطفل الذكر والطفلة الأنثى فإننا نجد المثل، لا يقلق اتجاه الطفل الذكر ولكنه يبدي قلقه علانية وبوضوح اتجاه الأنثى عندما يقول: "عليك بالأولاد ما أقل همهم لو داروا مشلحين ما استحت إهم"⁽⁴⁾. ويبقى ههما حتى تكبر فتقول من تعاني هم بناتها "همّوني بدري والحي ما بيدري"⁽⁵⁾. ويقول المثل عن الفتاة في سن الزواج: "سترة البنت جيزتها"⁽⁶⁾، "شو ساوت الحرة؟ اتجوزت"⁽⁷⁾، "الشرف زي القزاز"⁽⁸⁾، "اللي بخلف بنات، عمره ما برتاح"⁽⁹⁾، "خلف البنات من المتعبات ولو إنهم عرايس"⁽¹⁰⁾. هكذا إذن "البنت ملهاش فرحة"⁽¹¹⁾، أما الابن فإن الأسئلة من الأقارب تلاحق الأبوين "إيمتى بدنا نفرح؟" "يا الله جوزوا هالولد"⁽¹⁾، وتسرع

(1) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 47

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، دير دبوان، 69 سنة. 2007/7/29

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللين الغربي، 67 سنة. 2007/1/11

(4) عثمان، علي، المرأة في المثل الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، جمعية إنعاش الأسرة، ع 7، م 2، 1977/ص 117.

(5) المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، الهيئة المصرية العامة، مصر، ط 1، 1990، ص 359.

(6) عثمان، علي، المرأة في المثل الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، ع 7، م 2، 1977/ص 117.

(7) المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 359.

(8) المرجع السابق، ص 359

(9) عثمان، علي، المرأة في المثل الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، ع 7، م 2، 1977، ص 18.

(10) المرجع السابق، ص 18.

(11) المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 355.

(1) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص 49.

العائلة في تزويج ابنها حتى يجيه اولاد ويعمر الدار فزواج الابن في صباه يعني الإنجاب المبكر للأولاد، حتى إذا ما وصل الأب لِقَمَة شبابه وفتوته وهو في الثلاثينات من عمره، يجد بجواره شاباً يافعاً يقف سنداً له في العشرينات من عمره، وكأنه أخوه مما يهيء له الفرصة لتكون أسرة كبيرة قادرة على الإنتاج⁽¹⁾، ويقول المثل: "ولد الصبا وقرش الحبا"⁽²⁾. والولد البدري زي الزرع البدري"⁽³⁾.

ويدخل العامل الديني كسبب من أسباب الزواج، فقد قال الله تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها"⁽⁴⁾. وقال أيضاً: "المال والبنون زينة الحياة الدنيا"⁽⁵⁾. "كما ذكرت الميثولوجيات القديمة أن الأرض خلقت كائناً مساوياً لها هو السماء مقر الآلهة السعداء، وهذا الثنائي خلق العائلة الكبيرة للآلهة ولباقي الكائنات الحية، وهو أول زواج في الكون"⁽⁶⁾.

"ثم انتقل هذا الطقس ليصبح سنة يجري عليها الملوك في طقس الزواج المقدس الذي تحدثنا عنه سابقاً، ويجري عليها العامة في طقس زواج تقليدي، كما هو الحال عند كل الشعوب القديمة فقد كان الزواج هو أساس العائلة"⁽⁷⁾ وكان يتم تحت رعاية الآلهة فعند السومريين "انقسمت طقوس الزواج إلى نوعين مختلفين تماماً: طقوس الزواج التقليدية، وطقوس الزواج المقدس للملوك"⁽⁸⁾. وقد كانت تتم تحت رعاية الإلهة (اشخارا).

عبر حكيم سومري عن الشخص الأعزب الذي لا يرغب في الزواج عزوفاً أو خوفاً من المسؤوليات الأسرية بقوله: "إن الذي ليس له زوجة أو ولد لا تحتل أنفه القيد"، أي أنه لا يستطيع أن يكون مسؤولاً.

(1) المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 356.

(2) المرجع السابق، ص 357.

(3) المرجع السابق، ص 357.

(4) سورة الروم، آية 21.

(5) سورة الكهف، آية 46.

(6) صدقة، رموز وطقوس، ص 42.

(7) كوننينو، الحياة اليومية، ص 33.

(8) الماجدي، الدين السومري، ص 159.

كما جاء أيضاً "إن الشخص الذي لا يعول زوجته ولا يعول ابناً إنه شخص لا يؤتمن، ذلك الذي لا يعول نفسه"⁽¹⁾.

أما المرأة غير المتزوجة، فقد اعتبرت مثل الحقل غير المزروع، وبالتالي تتعدم الاستفادة منه، وردت حكمة بهذا المعنى في خطاب حاكم جبيل في الفترة من 1400-1360 ق.م على النحو التالي:

"إن المرأة من غير زوج كالحقل من غير زرع"⁽²⁾.

"ومن الأمثال السومرية القديمة ما يعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وقد يخیل لقارئها، أن قائلها يعيش مفاهيم العصر الحالي إذ يقول المثل: "تزوج حسب اختيارك، وأنجب أطفالاً كما يرغب به قلبك"⁽³⁾ ويقول: "الأصل..الأصل" الذي يتناسب مع المثل الحالي: "خد الأصلية ونام على الحصيرة"⁽⁴⁾.

والزوجة هي عماد البيت والأسرة، فيجب عليها أن تكون ماهرة ومدبرة، وفي هذا المعنى يقول المثل السومري "الزوجة المبذرة التي تعيش في بيت هي أسوأ من جميع الأشرار"⁽⁵⁾، كانت الإلهة إنانا هي المسؤولة عن الزواج، فكان يقال لمن هو مقبل على الزواج "عسى أن تمنحك إنانا زوجة دافئة"⁽⁶⁾.

"لم يكن اختيار الزوجة في العراق القديم متروكاً تماماً لرغبات قلب الفتى، بل كانت هناك عوامل أخرى تتدخل فيه، وترتيبات عملية تتوازن فيها المصالح والنزوات، فقد جرت العادة أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه"⁽¹⁾.

وعبرت إحدى الحكم السومرية عن أهمية المرأة في حياة الرجل ودورها الكبير والفاعل في

(1) سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ وحضارة العراق القديم، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2004، ص179.

(2) المرجع السابق، ص180.

(3) القيم، علي، المرأة في حضارة بلاد الشام القديمة، الأهالي للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط2، 1997، ص82.

(4) المرجع السابق، ص82.

(5) المرجع السابق، ص83.

(6) المرجع السابق، ص64.

(1) المرجع السابق، ص183.

تحديد مستقبله في عبارة قصيرة بليغة جاء فيها: "المرأة مستقبل الرجل"⁽¹⁾. وعند البابليين والآشوريين كان الزواج من أهم طقوسهم وهو أساس العائلة، فالزواج من امرأة شرعية واحدة تسمى (المرأة الحرة)، ولا ضير من وجود امرأة أخرى في حياة الرجل تسمى (المحظية)، التي تكون قد اختيرت من بين الإماء⁽²⁾. ومن الأمثال الآشورية التي تتحدث عن الزواج: "المنزل بدون صاحب، كالمرأة من غير زواج"⁽³⁾. كما عبر حكيم آشوري عن مسؤوليات الزواج: "إن من تحب سوف تحمل نبره"، ويشير ذلك إلى المسؤوليات الملقاة على عاتق الزوج تجاه زوجته وأنه كان مكلفاً بتحمل نفقاتها⁽⁴⁾. أما عند الكنعانيين، فقد كان الزواج القاعدة الأساسية لتكوين العائلة ثم المجتمع، وكانت الإلهة عناة ترعى الخطوبة والزواج وكانت هناك أعراف وتقاليد كثيرة له⁽⁵⁾ وقد اشتهرت الحياة العائلية الكنعانية باحترام الأب، فالإله إيل هو الإله الأب، إله الأجداد ونصيحته المثلى تتركز على إنجاب الأولاد حتى يحتفظ الميراث بطابعه المقدس، والأرض هي الميراث الأمل، وفي غياب الأب تتحول السلطة الأبوية إلى الابن الأكبر فيكون إخوته تحت وصايته وحمايته، وهؤلاء الإخوة يلقبون "بالفتية الصغار" أو "النباتات الخضراء"⁽⁶⁾. كانت المرأة في نظر الكنعانيين أشبه ما تكون بالإلهة، "فنساء أو غاريت جميلات وعالمات ويعرفن كيف سيحيين من سيموت، لذلك يجب عدم الاقتراب منهن بأفكار سيئة، ومن المناسب كبت جماح العواطف، ورفع اليد عن زوجة الغير"⁽¹⁾. تمتعت المرأة الكنعانية بقدر وافر من الاحترام والتقدير، وجاءت دعوات الزواج وتكاثر النسل

-
- (1) القيم، علي، المرأة في حضارة بلاد الشام القديمة، ص 188.
(2) أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994، ص 144.
وانظر: كونتينو، الحياة اليومية، ص 33.
(3) سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ وحضارة العراق القديم، ص 180.
(4) المرجع السابق، ص 184.
(5) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 277.
(6) ميديكو، اللآلئ من النصوص الكنعانية، ص 104.
(1) القيم، المرأة في حضارة بلاد الشام القديمة، ص 161. وانظر: ميديكو، اللآلئ من النصوص الكنعانية، ص 226

كثيرة في النصوص الكنعانية⁽¹⁾، وهناك نصائح بثوب طريف، لها علاقة مباشرة بالأسرة والمرأة "لا تتخذ للزواج فتاة في عرس، إن الفتاة القبيحة تنتشر في الاحتفالات بالثوب الجميل، ولا تطلع زوجتك على ما في صُرتك"⁽²⁾.

وفي مصر القديمة كانت الديانة المصرية تحت على الزواج وترعاه وتقيم أهمية خاصة للأسرة، فقد كان الزواج طقساً دينياً، وكان كاهن أمون هو الذي يشرف عليه، ولعل في وصايا الحكماء لأبنائهم الكثير من الحث على الزواج المبكر وإقامة الأسرة الصالحة⁽³⁾، فمن نصائح أني⁽⁴⁾: "اتخذ لك زوجة وأنت في شبابك حتى تلد لك ابناً وأنت شاب، علمه ليصبح رجلاً، فما أسعد الشخص الذي يكثر أهله وتحببه الناس بسبب أولاده"⁽⁵⁾

"إذا كانت زوجتك كاملة مدبرة، فلا تعاملها بالخشونة والغلظة، بل راقب أطوارها لتتعرف أحوالها، ولا تتسرع معها في الغضب لئلا تزرع شجرة البغضاء في دارك فإن كثيراً من الرجال يخربون بيوتهم لجهلهم بحقوق المرأة"⁽⁶⁾.

"تخير زوجتك حين الصبا وأرشدتها كيف تصبح إنسانة، عساها أن تنجب لك طفلاً، فإنها إذا أنجبت لك وأنت شاب استطعت أن تربيته وتجعله رجلاً، وطوبى للرجل إذا أصبح كثير الأهل وأصبح يرتجى من أجل أبنائه"⁽¹⁾.

ويقول ناصحاً ابنه: "لا تمثل دور السيد مع زوجك في بيتها طالما أنها ماهرة، لا تنهرها وابدل جهدك لتجعلها سعيدة وتجنب الشجار معها"⁽²⁾.

(1) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 279.

(2) القيم، المرأة في حضارة بلاد الشام القديمة، ص 158.

(3) الماجدي، الدين المصري، ص 238

(4) أني الحكيم: من أهل القرن السادس عشر ق.م. انظر: صالح، عبد العزيز، تاريخ الشرق الأدنى، ص 361.

(5) من بردية أني من المتحف المصري بالقاهرة، غربال، تاريخ الحضارة المصرية، ص 444.

(6) نظير، وليم، المرأة في تاريخ مصر القديمة، مطابع دار القلم، القاهرة، ط1، 1965، ص 17.

(1) صالح، عبد العزيز، تاريخ الشرق الأدنى، ص 361. وانظر: فياض، محمد، المرأة المصرية القديمة، دار الشروق للنشر، القاهرة، ط1، 1995، ص 123.

(2) نور الدين، عبد الحليم، دور المرأة في المجتمع المصري، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ط1 1995،

ص 166.

جرت العادة أن يكون للرجل زوجة واحدة شرعية، هي ربة البيت، وكان والد الفتاة في العادة هو وليها، يقدمها للخاطب الشاب كي يتخذها زوجة له لتشاركه في هموم الحياة ومسراتها، وقد استعمل المصري القديم اصطلاحات وتعابير مختلفة لتسمية الزواج منها: "يتخذ زوجة"، "يؤسس بيتاً"، "ترسو السفينة أو يربطها"، "يحب"، أو "يرغب" أو "يشتهي"، أو "يتمنى"، "يجلس معها أي يعيش ويسكن معها"⁽¹⁾.

"كان الرجل لا يعد حكيماً في نظر الناس إلا إذا تزوج، وكانت له زوجة تبادل له حباً بحب، وعلى ذلك لم تكن العزوبة من الأمور التي يرتاح إليها المجتمع في مصر القديمة، وكان بقاء الرجل أعزب يعد أمراً نادراً"⁽²⁾، ومن نصائح الوزير بتاح حتب⁽³⁾:

"إن الرجل يكون حكيماً عندما يؤسس لنفسه منزلاً ويحب زوجته"⁽⁴⁾.

"إذا كنت شخصاً عاقلاً فأحبب زوجك التي تعيش في منزلك بصدق وأمانة، أشبع جوفها، واكسب جسدها، واعلم أن العطور خير علاج لأعضاء جسدها، أدخل السرور على قلبها طيلة حياتها فهي حقلٌ يدر الخير لسيده"⁽⁵⁾.

اعتبر المصريون القدماء الأولاد نعمة من نعم الله ورحبوا بالذرية لأنها تعلي من شأنهم وتعينهم على أداء الأعمال وتخلد ذكركم⁽⁶⁾، لذلك كان الزواج عندهم ضرورة قصوى، ليس للحب والمتعة الجنسية فحسب، بل للولد، لما يكفل من استبقاء الذكر بعد الموت، ومن أقدم ما وصل إلينا من الوصايا ما يرجع إلى عهد بناء الأهرام 3000 سنة قبل الميلاد حيث تقول إحدى الوصايا: "إذا كنت قادراً على الباءة-نفقات الزواج- فاتخذ لك داراً مستقلة، واختر لك زوجة تحبك حتى ترزق منها بالولد"⁽¹⁾.

(1) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 122.

(2) عبد الصمد، محمد كامل، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، مكتبة الدار العربي للكتاب، القاهرة، ج1، ط1، 1995، ص 36-37.

(3) بتاح حتب: كان وزيراً في القرن الخامس والعشرين ق.م.

(4) المرجع السابق، ص 36.

(5) من بردية بتاح حوتب: موجودة الآن في متحف اللوفر في باريس، وتسمى Papyrus Prisse، غربال، الحضارة المصرية، ص 431-432. وانظر: نور الدين، دور المرأة في المجتمع المصري القديم، ص 165.

(6) من بردية بتاح حوتب ص 141.

(1) عبد الصمد، محمد كامل، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ج1، ص 43.

أما الزواج عند الإغريق القدماء فكانوا يقدرونه حق قدره، ويجعلونه في مرتبة سامية مقدسة، حيث كان الغرض الأساسي منه هو إنجاب الأبناء لضمان دوام بقاء الأسرة، وقد كان الآباء هم الذين يقومون بجميع الخطوات التمهيدية الخاصة بزواج أبنائهم⁽¹⁾. وعند الرومان كان سلطان الزوج على زوجته يعرف باسم (مانوس) فالمرأة الرومانية تنتقل من سلطان أبيها إلى سلطان زوجها⁽²⁾.

سن الزواج:

تراوح سن الزواج قديماً في فلسطين بين الثانية عشرة والسابعة عشرة للفتاة، وبين سن الخامسة عشرة والثامنة عشرة للفتى، وقد يقل هذا التقدير كلما ابتعدنا عن المدينة⁽³⁾. تقول الحاجة مريم: "أمي أجوزت وعمرها اطنعشر سنة، وحماتي أجوزت الثاني وعمرها أربعطعشر سنة، الأول كان كبير ومات، قالتلي: ظليت أنام عالحيطان ثلاث سنين، بقيناش⁽⁴⁾ نعرف معنى الجوز، وأنا هلي قدامك أجوزت وعمرى سيتعشر سنة وجوزى بقى عمره خمسة وعشرين"⁽⁵⁾. أما الحاجة فاطمة⁽⁶⁾ فتقول: "لما أجوزت بقى عمرى سبعطعشر سنة وجوزى خمسة وثلاثين". فإذا بلغ الفتى مبلغ الرجال، وتأخر عن الزواج عدة سنوات عن السن المألوفة، فإنهم يعتبرونه بأنه "مثل فلان وفلان هاظا هُمّه، ختيروا وراحت عليهم"⁽⁷⁾. وقد يشك في بلوغ الشخص، تقول الحاجة مريم "اللى بقى ايطول تمنّه يتجوز، بقولوا عنه (باير) ولاّ (بنفعش)، يقولوله كنك زلمه روح أجوز؟ في واحد في بلدنا لليوم متجوزش، بقولوا عنه نفس الإشي"⁽¹⁾. أما الفتاة التي تخطت السن المتعارف عليه للزواج، فتقول الحاجة مريم: "بقولولها بايرة، وبجوز اتروح عالفتاحين هي وإمها، تنتشوف إذا حدا عاملها عمل أموقف طريقها، بعملها الشيخ حجابات

(1) عبد الصمد، محمد كامل، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 19.

(2) المرجع السابق، ص 32.

(3) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 24.

(4) بقى أو بكى عند الفلاحين بمعنى كان، بقيناش: لم نكن.

(5) اتصال هاتفي، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة، 2008/8/6.

(6) اتصال هاتفي، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة، 2008/8/6.

(7) كناعنة، الإيجاب والطفولة، ص 51.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة، 2007/8/8.

وأحياناً بعملها حجاب مَحَبَّة، إذا بقت حاطة عينها على حدا وبدها إياه، بَلَّكَ الله حزن عليها⁽¹⁾.
تتولى الأم مهمة البحث عن عروس، وقد تَسْأَل بعض النساء والجارات، وتختلف المعايير التي
تختار على أساسها العروس من قرية لأخرى وأُسرة لأخرى، إلا أنها جميعاً تلتقي عند عدة
أُمور:

أولاً: الخصوبة، حيث تستفسر إحدى القريبات قائلة: "كيف سلاتها؟ كيف بزرتها؟ أديش أو
قديش عدد الولاد اللي جابتهم إمها؟ وقد توصف إحدى الفتيات المرشحات عند تفضيلها على
الأخريات بأنها "إجت على شروشها وعروقها بِحِلْنْ وبولدن بسرعة"، "والله فلانة أصيلة وحبّة
بركة، وقد تقول له أمه: "يما بدنا نخطب لك بنت جيرانا، هذي بتخلف زي إمها، إمها خَافَت
عشرة، خليها اتخلف النّا تملّي الدار" أو "لا يمه، فلانه هذي اللي بنقول عنها، شجرتهن حلوة
وبزرتهن ضعيفة بلاش اتفكر فيها"، "فلانة شجرتها ثمرة هات نوخذ بنتها"⁽²⁾.

ثانياً: كلما كانت العروس أصغر سناً كان ذلك أضمن للخصوبة وزيادة للنسل ويقال في ذلك "يا
ميخزين الصغار يا غالين التجار، الصغيرة بتربيهما على ايديك"⁽³⁾.

ثالثاً: أن تكون فلاحّة ومعدلة خاصة إذا كانت الحياة في القرية تعتمد على الزراعة في أغلبها
وقد عبروا عن هذا في أغانيهم:

ولا يعجبك زينته	وبياض خرقتها
بكرة ابتيجي الحصيدة	وبتشوف فعلتها

وقالوا:

والله لاكتب جريدة عابريق الزيت	ياشطرة في الخلا يا معدلة في البيت
والله لاكتب جريدة عَ بلاط ارخام	يا شاطرة في الخلا يا معدلة في الدار ⁽¹⁾ .

ومن الصفات أن تكون اقتصادية في بيتها، إدارية في شؤونها، حيث يقول المثل: "صحيح لا

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة، 2007/8/8.

(2) كناعنة، الإيجاب والطفولة، ص52.

(3) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 24.

(1) ربيع، وليد، العرس الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، جمعية إنعاش الأسرة، ع31، 1998/ ص57.

تكسري ومكسور لا توكلي⁽¹⁾. أي أن لا تسمح بتفتيت الخبز، ولا ترك المكسور يتزايد لأن هذا يذهب هباءً ولا يستفاد منه، ويقول المثل أيضاً: "النسوان كثار وربات البيوت قلال"⁽²⁾ وأيضاً "الغزالة الشاطرة بتغزل على رجل حمارة"⁽³⁾ أي أنها مدبرة.

وعن هذا تخبرنا الحاجة أم محمد⁽⁴⁾. "على زماني كانت العروس الشاطرة هي المعدلة في دارها، بتعرف تطبخ، وتزبل الطابون، وتعمل مقلي ومطبق وقراص سبانخ ونعنع، مدبرة، مش مثل اليوم بذهن شهادات، المثل بقول: "شهادة البنت مطبخها".

وهذا ما نجده عند السومريين القدماء حيث كانت المرأة المبذرة سبباً في تعاسة الأسرة، ويظهر هذا في العديد من الحكم التي توضح النتائج الوخيمة المترتبة على الزواج من المرأة المبذرة ومنها:

"بزواجي من امرأة مبذرة وبإنجابي ابناً مسرفاً، يصبح الحزن ذخيرتي".
"إن فجيعة الرجل فوق تبذير أسرته"، "إن المرأة المبذرة في بيتها تبتلى بجميع أمراض الشياطين"⁽⁵⁾.

وقد عبرت الأمثال البابلية والآشورية عن المرأة المبذرة بنفس الصورة التي صورتها بها الأمثال السومرية ومما جاء في ذلك: "إن المرأة المبذرة في المنزل أسوأ من جميع الشياطين"⁽¹⁾. وفي الأساطير السومرية أيضاً تتعهد إنانا أن تحافظ على (مخزن دموزي)

"يازوجي، المخزن، الإصطبل المبارك،

أنا اينانا، سوف أحافظ عليه من أجلك،

سوف أحرس "بيت الحياة" الذي لك

مكان العجائب المشع في البلاد

أنا اينانا سوف أحافظ عليه من أجلك

(1) ربيع، وليد، العرس الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، ع7، م2، 1977/ص78.

(2) المرجع السابق، ص77

(3) المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص386.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة، 2007/8/8.

(5) سليم، تاريخ وحضارة العراق القديم، ص185 و199.

(1) المرجع السابق، ص186.

"بيت الحياة" مخزن الحياة المديدة⁽¹⁾

تسمى البنت المرافقة قبل الزواج بالسومرية (كي سيكيل تور) ومقابلها بالأكدية (بتولتو) أي البتول أو العذراء، أما البنت البالغة فاسمها (كي سيكيل).

وقد عبر السومريون عن الزواج بمصطلح (نادام ني، بآن توكو) وبالأكدية (اخازوا) أي أخذ، وقد حبز السومريون الزواج المبكر للفتاة والفتى، والزواج (للصبي) عند أول ظهور الشعر على وجهه⁽²⁾.

ويرجع سبب تمثيل الأب لابنته في عقد الزواج، صغر سنها، فقد "كان عقد القران يتم بين والد الفتاة أو أخيها أو ولي أمرها، وكانت الأسرة العراقية القديمة أسرة أبوية تسلب المرأة حق الاختيار أو القبول أو الرفض، وتمنح ذلك لولي أمرها على الرغم من أنها الطرف الذي يقع عليه تبعات العقد"⁽³⁾.

"وفيما يتصل بالسن المحددة للزواج، يتضح من الحكم والأمثال السومرية أن الزواج كان يتم في سن مبكرة، ولذلك فهناك بعض الحكم التي تنتقد المغالاة في تزويج الأطفال وهم في سن صغيرة، وهناك حكم أخرى تنصح الأزواج الذين تزوجوا من فتيات صغيرات بالصبر عليهن والتريث معهن حتى ينضجن جنسياً⁽¹⁾. يقول أحد السومريين: "لن أتزوج من زوجة يبلغ عمرها ثلاث سنوات فقط كما تفعل الحمير"، ويلاحظ أن المقارنة قد أجريت هنا مع بعض الحيوانات التي تبلغ نضجها الجنسي في سن مبكرة مثل الحمير⁽²⁾.

أما عن الحكم التي تنصح الأزواج بالتريث مع زوجاتهم الصغيرات فمنها: "الخبز الذي لا يحتاج إلى وقت للنضج، مثل العروس الصغيرة التي لا تعانق زوجها، لا يستمر ذلك فترة طويلة".

مثلما يحتاج الخبز إلى قليل من الوقت لينضج، فإن العروس الصغيرة تحتاج إلى وقت لتصل إلى

(1) كريم، طقوس الجنس المقدس، ص93.

(2) الماجدي متون سومر، ص267.

(3) الهاشمي، رضا جواد ونخبة من الباحثين، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ج 2، ط 1، 1985، ص89.

(1) سليم، أحمد أمين، تاريخ وحضارة العراق القديم، ص178.

(2) المرجع السابق، ص178.

مرحلة النضج الجنسي، فإنه أمر لا يسبب إزعاج، فإنها بمرور الوقت سوف تنتبه إليه⁽¹⁾. ويذكر الحكيم السومري حكمة أخرى مكملّة للأولى، "لا تقل لها: كل ما هو رديء هو نتيجة عملك". حيث أنه بمرور الوقت تستطيع الزوجة الصغيرة تحسين أعمالها⁽²⁾ ومن الأشياء الأخرى التي رأى الحكيم السومري أنها يمكن أن تحدث من الفتاة الصغيرة، ولكنها لا تستمر طويلاً، هو أن تخرج ريحاً وهي بين أحضان زوجها، "وإنه الشيء الذي لا توجد له سابقة من قبل أن لا تخرج الفتاة الصغيرة ريحاً في أحضان زوجها، وإنه لشيء قصير الأجل"⁽³⁾.

وعند المصريين كان الزواج أمنية المصري القديم وقبلته، وقد كانوا يبكرون في الزواج كما يبكر فيه الفلاحون اليوم، ومرد ذلك كله إلى رغبة المصري في أن يصون ولده وبيتعه به عن مواطن الزلل"⁽⁴⁾ وكان الزواج يتم بمجرد البلوغ، الأمر الذي جنب المراهقين الكبت الجنسي، وكانت المرأة في مصر القديمة تتزوج في سن مبكرة وترزق بالأولاد في سن الخامسة عشرة، وتصبح جدة في سن الثلاثين⁽⁵⁾ وكانت عملية البحث عن العروس تتم بوساطة (الخطبات)، وتظهر لوحة يرجع تاريخها إلى عصر البطالمة، تذكر صاحبته أنها ولدت في السنة التاسعة من حكم الملك بطليموس الثالث عشر، وأنها تزوجت في السنة الثالثة والعشرين فتكون قد تزوجت في سن الرابعة عشرة"⁽¹⁾.

وفي قصة "باتي ايسيت" نجد أن ابنته التي كانت قد تزوجت، تبدو طفلة في سلوكها مع زوجها، ولم تكن على دراية كاملة بأمور الحياة الزوجية، إذ بكت لوالدها عندما علمت أنه سوف يسافر إلى محل عمله في طيبة، بعيداً عن محل إقامتها، ورجته أن يصحبها معه، قائلة له "إنها سوف تكون أسعد مع إخوتها من أن تبقى جانب زوجها"⁽²⁾.

"وكانت الأم هي التي تخطب لولدها"⁽³⁾.

(1) سليم، أحمد أمين، تاريخ وحضارة العراق القديم، ص 188.

(2) المرجع السابق، ص 188.

(3) المرجع السابق، ص 188.

(4) غربال، الحضارة المصرية، ص 140.

(5) المرجع السابق، ص 533.

(1) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 123.

(2) المرجع السابق، ص 123.

(3) الماجدي، الدين المصري، ص 238.

كانت الخصوبة أهم دور تقوم به المرأة منذ بدء الخليقة فهي أصل الوجود كله، هي التي انبثق عنها العالم، "ففي البدء كانت الإلهة "نمو" ولا أحد معها وهي الحياة الأولى التي انبثق عنها كل شيء"⁽¹⁾.

ومن التراتيل الموجهة للإلهة (إنانا) التي كانت تعتبر مصدر الخصب: والماء، والنبات، والحنطة، والخبز... تتدفق كلها من "ثديها":

"أيتها السيدة إن ثديك هو حقلك

وحقلك الواسع... الواسع الذي "يسكب" الحنطة

والماء المتدفق من العلي- للمولى- والخبز من العلي

اسكبي للمولى المأمور ليشرب منك"⁽²⁾.

"وفي المعتقدات الميثولوجية تشبه المرأة بالأرض المحروثة، فالأرض والمرأة ماهيات مشتركة: تلدان، وتطعمان، وتتشآن، ولذلك ليس غريباً أن يفهم حمل المرأة في طقوس الشعوب الزراعية بصفته رمزاً لبذرة الحياة الكامنة، ولادتها ونموها، ولقد ظن القدماء أن بإمكان المرأة أن تمارس تأثيراً سحرياً على نمو النباتات، ولذلك كان عقم الأنثى يمثل خطراً على الحقول"⁽¹⁾، "فالمرأة العانس أو العقيم كانت تُزدرى لدى كثير من الشعوب البدائية القديمة، وكانت تشكل خطراً على المحاصيل والخصوبة"⁽²⁾، "وكانت الزوجة العاقر "مؤذية للحديقة"⁽³⁾، "أما المرأة الحامل التي تبذر الحقل فإنها تضمن بذلك جمع محصول جيد، لذا كان الفلاحون الهنود القدماء عندما يريدون استئزال المطر يرشون الماء على نساء عاريات، أو كانت النساء يحرقن الحقل ليلاً وهن عاريات، أو كن يرقصن أمام صورة الإله (المطر)، بل كانوا يقدمون إليه إحدى الفتيات زوجة، وكان المغزى الميثولوجي لهذه الطقوس يكمن في الآتي:

(1) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص 22.

(2) القيم، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، ص 49.

(1) البيديل، سحر الأساطير، ص 88.

(2) ديورانت، قصة الحضارة، ص 73.

(3) القيم، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، ص 24.

عندما يرى الإله المطر تلك النساء فإنه ينزل المطر فتخصب الأرض، وتطرح موسماً وفيراً، لقد كانت قوة الخصب الأنثوية تُنقل سحرياً إلى الحقل عبر الكثير من الطقوس⁽¹⁾.

كانت النساء في العصر الحجري الحديث يبدون وكأنهن مصدر الخصب كله، مصدر الحياة كلها، وكانت الآلهة الكبرى عند الشعوب الزراعية، أي ربّات الأرض، هن اللواتي يحيين الأرض بعد موتها، فتزهر وتثمر، لذلك كان ينبغي أن تقوم النساء بزراعة القمح لأنهن يعرفن كيف ينجب الأطفال⁽²⁾.

من الطقوس التي تربط المرأة بالخصوبة حديثاً:

الفزاعة أو العروسة هي التي توضع في الحقل كي تخيف العصفير، وهي على شكل صليب من الخشب لئیس ملابس امرأة لتخيف الطيور وتمنعها الاقتراب من المحصول، يعلق عليها أحياناً أجراس أو قطع معدنية تصدر أصواتاً، ويبدو أن هذا الطقس يعود إلى الماضي البعيد حينما عبّدت المرأة في المجتمع الأمومي البدائي في العصر النيوليتي فكانت تماثيلها التي تمثل كائنات فوق بشرية جبارة وآلهة، تتحكم بالطبيعة وتوضع في المواقد وأماكن خزن الحبوب في طقس سحري؛ كي تؤثر على تكاثر الحبوب بواسطة نماذج الأمومة البشرية⁽³⁾، ومن أشكال هذه التماثيل الشكل المغزلي الذي كان يغرس في الأرض بوضع عمودي، ضمن سياق طقسي يستهدف إحلال الخصب في الأرض⁽¹⁾.

وتجهد المرأة العانس للتخلص من عنوستها فتلجأ لطقوس عدة منها:

تقوم المرأة العانس بعدة طقوس للحصول على زوج المستقبل، فالنظرة للمرأة العانس يتخللها نوعان من المشاعر، إحداها ينظر لها بنوع من الشفقة والرحمة، وآخر ينظر لها بنوع من التشاؤم والازدراء، فقد تصلها بعض العبارات المؤذية مثل "بايرة، راحت عليها، يقشيلها أنو الي بدو يوخدها، مراحت عليها بكره بتكبر بتلاقيهاش نتفة ولد يقوم فيها"⁽²⁾.

(1) البديل، سحر الأساطير، ص 89.

(2) القيم، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، ص 34.

(3) دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص 183.

(1) السواح، دين الإنسان، ص 157.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، دير دبوان، 69 سنة. 2007/7/29.

لذا فهي قد تلجأ إلى الفتحاحين فتعمل كما تقول الحاجة مريم⁽¹⁾، من سردا، "بقت الوحدة تروح على الفتحاحين، بعملها حجابات ويشوفلها إذا حدا عاملها عمل وموقف طريقها، وبجوز يعملها حجاب محبة، إذا بقت حاطة عينها على حدا".

وقد تلجأ لهذا الطقس أيضاً:

كانت الفتاة إذا تجاوزت سن الفتوة وأرادت أن تتزوج، "اتجيب صابونة ريحتها حلوة واتحط فيها إير دبائيس وتوخدها معها على دار اللي بدها إياه، تروح هي وأمها بحجة أنهن جايات إيزورونهم، واتحطها الإم خفية في أي مطرح مش مبين، من دون مايشعر حدا من أهل الدار، قال بقولوا: إنه حبها بدخل في قلب الشب اللي بدها إياه، وبجوز بعدين يطلبها ويتجوزها، فهي هنا كأنما تتخر قلب الشاب فتجعله ضعيفاً أمام حبها⁽²⁾.

ومن رقي الحب، رقية مؤداها أن تأتي الفتاة بخيط وتعقده وتقرأ عليه بعض التعاويذ معتقدة أنها بهذه الطريقة يرتبط حبيبها، ولا يستطيع الإفلات من حبها إلا بحل هذه العُقد⁽³⁾.

يعود هذا الطقس إلى السحر التشابهي، فعند الهنود القدماء كان الساحر يصنع تمثالاً من الخشب لعدوه، ثم يغرز إبرة في رأس التمثال أو قلبه، أو يرمي عليه سهماً معتقداً أن الشخص المقصود بالسحر سوف يشعر بألم حاد في نفس الأماكن أو الأجزاء التي استهدفت في لعبة الخشب مما يعني انتقال الألم من اللعبة إلى الشخص المقصود⁽¹⁾، وهنا سيُنقل ألم الحب والوجد لقلب الشاب المراد.

صفات العروس اليوم المتعلقة بالجمال:

يتميز أبناء الشعب الفلسطيني وبحكم الجغرافيا السهلية بأنهم ساميون أفحاح من جنس البحر المتوسط، وبأنهم أصحاب بشرة سمراء، وشعر ناعم أسود، وقامة معتدلة، وقد كانوا وما زالوا يفضلون الفتاة البيضاء أكثر، فإذا كانت سمراء يفضل أن تكون مشربة بالحمرة⁽²⁾، فهم يقولون في ذلك:

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) الباشا، المعتقدات الشعبية، ص 71.

(1) Frazer, *The Golden Bough*. P.p.15.

(2) المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 387.

لا تخطبها من تحت عقدة، ولا من باب طابون⁽¹⁾، "خذها بيضة ولو مجنونة"، إذا بيضة من بختك "وإن كانت سمره زي امك واختك"، "مهما اشتغل جوز السمرة بكفيهاش حومرة وبودرة"، "بتقول للقمر قوم تقعد محلك"، ومن الصفات الجمالية أيضاً العيون والقامة.

"مكحلي من غير كحل"، زي النخلة بتمشي وبتتمايل⁽²⁾

"يرتبط اللون الأبيض بكوكب الزهرة، رمز الأنوثة والإغراء عشتار، فالمرأة البيضاء بديل الزهرة المقدسة، وبديل البيضة المقدسة، "بيضة الكون الأولى"⁽³⁾ كما أن الحمراء من صفات الزهرة فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر: أن النبي إذا رآها كان يقول طلعت الحمراء فلا مرحبا ولا أهلاً"⁽⁴⁾.

ومن طقوس الزواج، اعتراض ابن العم، حيث جرت العادة عندما يتقدم عريس لخطبة الفتاة، أن يقوم الأب بدعوة الحمولة إلى الديوان أو البيت، فيعرض عليهم ذلك حتى يترك مجالاً لأبناء عمومته إذا أراد أحدهم الاعتراض، وذلك بطلبها رسمياً لنفسه، وعادةً ما يلقي طلبه القبول، فالمثل يقول: "ابن العم ينزل عن الفرس"، "ابن الخال متخلي وابن العم متولي"، ابن العم بوخذا من جلوتها، "خلي زيتنا في دقيقنا"، "اللي ببحرّاها ابن عمها ببحرم علّغريب"، "وصيّتك بنت العم خذاها ولو إنها عورة"، خوذ بنت العم بتصبر ع الحفا والجفا⁽¹⁾، وتردد الأهازيج التالية:

بنت العم يا سلة طرايب	بنات العم أخذوهن غرايب ⁽²⁾
مكتوب على ورق التين والزيتون	اللي ايفوت بنت عمه ايروح محزون
عليك بالطريق ولو دارت	وبنت العم ولو بارت
بنت العم تُصبر على الجفا	أما الغريبة بدها تدليل ⁽³⁾

(1) أي لا تخطبها من (عقدة) الحطب عائدة بعد يوم من التحطيب المضني، أو تلك التي تكون جالسة أمام الطابون والنار تلفح وجهها، انظر: المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 387.

(2) المرجع السابق، ص 388.

(3) علي، جواد، المفصل في أديان العرب قبل الإسلام، دار شعاع، القاهرة، ط1، 2004.

(4) الطبري، محمد بن جرير، تفسير القرآن، (د.ط)، (د.ت)، ص 346.

(1) المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 365-367.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71. 2007/8/8

(3) المصدر السابق. 2007/8/8.

"يا ابن العم لا تؤخذ غريبة
مرق هذا الدار وفي ايده قدح رايب
وقد تردد الفتاة التي ترغب ابن عمها:
لولد عمك والله انغلبت
ردايدنا⁽¹⁾ ولا قمح الصليبية⁽²⁾
ما بوخذ إلا ابن عمي وروح يا خايب⁽³⁾
عجل ياخوها قابل المفتي

جيبه لأجل شب مزبونا

وتقول:

على دلعوننا بوكل في كنافه
هذا ابن عمي مؤخذ خلافه
وهذه أيضاً:
إمن يالي هوانا من هواكم
مشيك يا رنجس في السهل حافا
لو قطعوني لحم في صحننا⁽⁴⁾
كيف نعش الدنيا بلاكم

كيف إنام وانطبق الغطا⁽¹⁾

أما التي لا تريد ابن عمها فتقول:

اهن يلى تلوح براس ابنك
لو انك نهر جاري ما وردتلك
وقد تقول:
يا ابن العم يا سلة كنائس
تريد البويض وهن ما يردنك
ولا صابون يغسلن الجبابا⁽²⁾
بنات العم أخذوهن عرايس⁽³⁾

(1) رداید: القمح غير النقي وغير الجيد، ربيع، ولید، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 23.

(2) الصليبية: هو كومة القمح الصافي بعد تنزيته، المرجع السابق، ص 23.

(3) المرجع السابق، ص 23.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد كوبر، 88 سنة. 2007/8/1

(1) المصدر السابق. 2007/8/1

(2) المصدر السابق. 2007/8/1

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة، 2007/8/7

يفضل المجتمع الريفي الفلسطيني زواج أبناء العم والأقارب، للمحافظة على وحدة العائلة والحمولة وتعزيز قوتها.

ويبدو أن هذا الطقس يعود لزواج الآلهة قديماً، فهذا إنكي وقد تزوج من أخته تنخرساج.

ما الذي يوجعك يا أخي؟

إنه.....يوجعني

لقد استولدت لك الآلهة⁽¹⁾

"ولم يكن زواج الأخ من أخته محرماً في مصر، وكانت هذه العادة ممعنة في القدم، إذ يروي التاريخ أن أوزوريس تزوج من أخته إيزيس، وأن نفطيس اقترنت بأخيها سبت، وقد احتفظ الفراعنة بتلك العادة تقليداً للآلهة وحرصاً على سلامة سلالتهم⁽²⁾"، "وقد عرف في مصر القديمة أيضاً، ما يمكن أن نعهده شاذاً اليوم، وهو زواج الفتاة من عمها أو خالها، وقد وصلت أمثلة واضحة لذلك، منها ما جاء منقوشاً على جدران إحدى مقابر الدولة الحديثة حيث ورد عليها نص يؤكد أن أخوي صاحب المقبرة قد تزوجا من ابنتيه الاثنتين، كما عرف زواج أبناء العمومة والخنولة"⁽³⁾.

طقوس عقد القران

الطلب التمهيدي (السري):

تكلف أم الشاب الناي على الزواج، إحدى قريباته أو واسطة بزيارة أسرة الفتاة المرشحة للخطبة، فالمثل يقول: "هنيال من وفق راسين في الحلال"⁽¹⁾، فتقوم باستكشاف الوضع للتعرف على الفتاة وأهلها، وهل هناك استعداد للزواج، أو خطط أخرى كمتابعة التحصيل العلمي، وهل هناك إمكانية لقبول فلان خطيباً للابنت أم لا؟ تستمر العملية أسبوعاً تقريباً، لإتاحة الفرصة للابنت وأسرته للتشاور فيما بينهم، ثم يبلغون الواسطة بردهم، فإذا كان الرد سلباً طويت المسألة وكأنها لم تكن، أما إذا كان الرد ايجابياً، فإن والد الشاب وأحد وجهاء حمولته يقومان وبقدر كبير من

(1) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 70.

(2) غربال، الحضارة المصرية، ص 533.

(3) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 124 وانظر نظير، المرأة في تاريخ مصر القديمة، ص 30.

(1) المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 356.

السرية بزيارة مسائية لوالد الفتاة ويفتاحنه في خطبة الفتاة.

وجرت العادة أن والد الفتاة لا يعطي رداً نهائياً في هذه المسألة، وإنما يقول مجاملاً: "إننا الشرف في نسبكم، لكن علينا المشورة، إن شاء الله بنرد الخبر بعد يومين أو ثلاثة، وقلّة الجواب جواب"، بعد ذلك يستشير والد الفتاة إخوته وأقاربه ليستطلع رأيهم حول ما إذا كان أحد أبنائهم ينوي التقدم لخطبتها، وإذا كان لهم أي اعتراض أو عائق، يعود بعدها الأب لأسرته ويطلب من زوجته أن تستطلع رأي البنت، حتى لا يتعرض والدها لسماع بعض العبارات، كقول الفتاة: "الله يتقلد أبوي اللي تقلدني"، إذا ما أجبرها على الزواج ممن لا ترغب، وقديماً كانت قضية الزواج شأنًا أبوياً ليس للعريس ولا للعروس أية صلاحية تذكر في اتخاذ القرارات⁽¹⁾.

وغالباً ما تستشار الفتاة بخجل، إذ يكون الأمر قد حُسم قبل استشارتها، ولا تزال الفتاة لا تملك الجراءة للتمرد والرفض إلا ما ندر، فهذه فتاة غضب عليها أهلها لأنها تمردت، فقيل:

راحـت البـنـتُ عَ دار أبـوها طَرَحَتُ السـلامَ ما كَلَمَـوها
يا يـوم عـيد الله ما عـيـدوها شو بـدُكْ لاهـل يَمَّ العـيـونا⁽¹⁾

الطلب الرسمي (العلني):

بعد وصول الرد الإيجابي لوالد الشاب، يخبر جماعته، ويرسل لوالد الفتاة بأنهم، سيتشرفون بزيارته الليلة الفلانية، وهذا بدوره يخبر أقاربه وأحوال الفتاة ليكونوا في استقبال أهل الشاب⁽²⁾. في المساء يتوجه أهل الشاب لبيت والد الفتاة، وغالباً ما تصحبهم والدّة العريس وبعض قريباته، وتلتقي الجماعتان: الرجال مع الرجال والنساء مع النساء⁽³⁾، فيتبادل الجميع المجاملات المعهودة، ثم يقوم جد الشاب أو والده بالطلب من الحاضرين "سمعونا الصلاة على النبي يا جماعة، فيرد الحضور قائلين: "اللهم صلي على سيدنا محمد"، ويصغون إلى المتكلم الذي يقول في العادة: الله يمسيكم بالخير يا جماعتنا، إحنا طالبين القرب منكم، وبشرفنا نسبكم، وبُطلب أيد

(1) جبر، محمد، *أفراحنا الشعبية تقاليدنا ودلالاتها*، مجلة التراث والمجتمع، جمعية إنعاش الأسرة، ع16، 1982/

ص58-59. وانظر ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص26.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد كوبر، 88 سنة، 1/8/2007

(2) ربيع، وليد، *العرس الفلسطيني*، مجلة التراث والمجتمع، جمعية إنعاش الأسرة، عدد31، 1998.

(3) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 26.

كريمتمك فلانة، لأبنا فلان"، فيرد عليه والد الفتاة: أهلاً وسهلاً فيكم، البيت بيتكم، وابنكم ابنا
وبنتنا بنتكم، والطلب مقبول، والنسب إن شاء الله قرابة على طول".

وعند هذا الحد يقرأ الجميع الفاتحة فتزغرد النساء ويتبادل الجميع التبريكات، وتوزع الحلوى
والمشروبات وتستمر السهرة في جو من المرح⁽¹⁾.

وتغني النساء من أهل العروس بعد قراءة الفاتحة:

ظليت أدور عالجواد تالافيهم	يمّا رماني الهوا جُوا علاليهم
ظليت أدور عالجواد تناسبهم	يمّا رماني الهوا جوا مساطبهم ⁽²⁾
"لاقينا يا ابو محمد ع راس الواد	والعالي ما يتوطا بين لجّواد
لاقينا يا ابو محمد ع راس العين	والعالي ما يتوطا وأبوك الزين
ناسبنا هالنسايب ع الراس من فوق	واحنا نقدم قيمتهم ملا الصندوق
ناسبنا هالنسايب ع الراس والعين	واحنا نقدم قيمتهم ملا كيسين ⁽¹⁾

ثم يقول قسم من النساء المُستقبلات من أهل العروس:

خليني أشـــــوفا	وين أبو محمد خليني أشوفا
حيّي لي ظيوفــــا	لافي أبو محمد حيّي لي ظيوفــــا
مـــــاني وجدانــــه	وين أبو محمد ماني وجدانه
حيّي ظيفانــــه	لافي أبو محمد حيّي ظيفانه ⁽²⁾

ويجيب قسم آخر من أهل العروس:

أهــــلاً وسهــــلاً فــــيكم	وانا لطلع وحيــــيكم
محمــــد أيـــــسوي القهــــوة	يا احمــــد ايـــــصب ويســــقيكم

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8

وانظر: ربيع، وليد، *العرس الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع*، عدد 31، 1998.

وانظر: ربيع، وليد، *دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني*، ص 26-27.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين ببرود، 69 سنة. 2007/7/27.

(1) مقابلة شخصية، لوزية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/7/28.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، 63 سنة. 2007/7/27.

أَهْلًا وَسَهْلًا فَيَكْم وَأَنَا لَطَّلَعُ وَاحِيًا يَكْم
مَحَمَّدَ ايسوي القهـوة يَا أَحْمَدُ ايصَب وَيَكْرِمَكُم⁽¹⁾
وتغني النساء:

والله تشرفنا يا نسايبنا ذهب عثملي يا قلايدنا
والله تشرفنا يا هالنسايب ذهب عثملي عالقلايد
واحننا مشينا من بلد لبلد تتنا أخذنا طيَّبات الـيداب
واحننا مشينا من حارة لحارة تتنا خَطَبْنَا بِنْتَ لَامَـاراه
دَرَجْنَا يا فلان دَرَجْنَا عـادار النسايب فَرَجْنَا
درجنا يا محمد يا الأمير عـادار النسايب تا نصـيل⁽¹⁾

تكاد تكون طقوس الزواج القديمة هي نفسها الحديثة حيث "اتخذ الزواج صورة إجبارية بين الشعوب البدائية كلها تقريباً، ولم يكن للرجل الأعزب منزله في المجتمع بل عدّ مساوياً لنصف رجل فحسب"⁽²⁾.

"وضع السومريون شرائع لتنظيم العلاقات في المجتمع، ومن بينها الزواج، فقد كانت موافقة ورعاية والد الفتاة ووالد الفتى أمرين أساسيين، يتم أولاً التعاقد شفهيّاً وإقامة وليمة حتى تصبح الأمور شرعية: إذ تنص المادة 27 من قانون أشنونا على أنه "إذا تزوج رجل امرأة بدون سؤال أبيها وبدون أن يتعاقد معه فلا تكون هذه المرأة زوجة له حتى لو عاشت في بيته سنة كاملة"⁽³⁾.
أما الطلبة فكانت كما يلي:

كان والد الخطيب في العهد السومري يؤدي القسم باسم الملك، أمام القضاء والشهود ويقول:
"عسى أن يتزوج ابني ووريثي الشرعي فلان من فلانة ابنة فلان"⁽⁴⁾.

وهناك في الأساطير السومرية ما يدل على شرط موافقة الأب والأم على العريس:

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين ببرود، 69 سنة. 2007/7/27.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3

(2) ديورانت، قصة الحضارة، ج.م، ص73.

(3) الماجدي، متون سومر، ص268.

(4) الماجدي، الدين السومري، ص173.

"لا تقبل إنانا بدموزي زوجاً لها، إلا بعد أن يقبل أبوها القمر، ثم تطلب منه أن يتقدم لطلب يدها، فيأتي دموزي إلى بيت أنانا وهو محمل بالهدايا.

"ألقيت عيني على جميع الناس

دعوت دموزي (لكي يتقلد) ألوهية البلاد

دموزي المحبوب من إنليل

الغالي أبداً عند أُمي

المحبوب أبداً من أبي⁽¹⁾

"غير أننا لا نفاجأ أن نرى الإلهة ألصق بأُمها تتجال من أبيها، فالى "بيت أُمها" يجب أن يأتي العريس لطلب يدها، وإلى أُمها يجب أن تذهب وتلتمس منها النصيح والموافقة عندما يأتي دموزي ويقرع بابها"⁽²⁾.

كان والد الفتاة هو وليها، ولكن للأُم دور كبير في قبول الخاطب أو رفضه، لذا كان على المتقدم للزواج أن يتودد للأُم أو يتقرب إليها، وهذا ما تظهره هذه العبارة "هو أي الحبيب لا يعرف أُمياتي، فأنا أريد أن أحتضنه، وأرجو أن يرسل لوالدتي"⁽³⁾.

من طقوس قراءة الفاتحة الطلب الشفاهي:

بعد أن يستجاب طلب الجد أو والد العريس أو كبير الحمولة يقول "اقرأ الفاتحة على نية التوفيق، واسبلوا أيديكم حتى يظل الطريق ماشي"⁽⁴⁾ "بقولوا للقاعدين افتحوا أيديكم ما تكتفوش حالك، ما يخلوا حدا يتكتف، حتى ما يربط العُقد في (عقله)"⁽⁵⁾.

"استطاع الإنسان البدائي بالدعاء أو الرقية أن يسخر قوة غير منظورة ليربط أعداءه"⁽⁶⁾.

وبناء على هذا المبدأ يمكن لشخص أن يربط العريس بكلمة أو حركة من يديه، فيعطل قوى الإخصاب أو الحياة عنده، وقد يشل حركته إذا رُبُطت أعضاء جسمه فيصبح عاجزاً، وتعود هذه

(1) كريم، س.ن. طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد الخياط، دار علاء الدين للنشر، دمشق، ط2، ص91.

(2) المرجع السابق، ص112.

(3) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 122.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة أنغام، ببرزيت، 63 سنة. 2007/1/11.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير ديوان، 54 سنة. 2007/7/28

(6) Frezer. The Golden Pough, p.p 15,16.

الفكرة إلى الديانات السحرية القديمة، التي كانت الكلمة والتعويدة أو الرقية أحد أركانها الرئيسية،
(فالكلمة هي الخلق) ⁽¹⁾.

وقديماً "كان طقس ربط العقد السحرية وحلها شائعاً في وادي الرافدين، ويستعمل لأمر كثيرة منها السيطرة على الآخرين، فإذا انفكت العقد انكسرت قوة السحر، وهذا ما تظهره تعزيمة لإبطال السحر تختتم بهذه الكلمات: (عقدتها انفكت، سحرها قد بطل، وملأت جميع رقاها الصحراء) ⁽¹⁾ ارتبطت فكرة العقد في العصر الحجري الحديث بالعقائد القديمة التي اتخذتها وسيلة لإنجاز أفعال سحرية، فكانت كل العقد سواء في النسيج أو في أشغال الإبرة والتطريز، أو عقد العقد للمصائد والشباك وعمل الخيات، أو عقد العقد للنفث فيها وشحنها بالتعاون السحرية، وكان من الصعب على الإنسان البدائي أن يفصل بين الجانب النفعي الذي يجنيه من وراء عقده تلك العقد بكفيه، وبين الأغراض السحرية المصاحبة لها والمرتبطة بإنتاجها، وهكذا فغزل الخيوط وصبغها وجدل الحبال، ذات صبغة سحرية اقترنت بقدرة الشخص على إحداث الخير أو الشر والأذى للآخرين" ⁽²⁾.

لذلك لم يكن من الغريب أن نجد آلهة للنسيج وقد أصبحت رمزاً فرعونياً، له دلالة سحرية، إذ وجدت مصورة على كثير من المقابر الفرعونية كالتي في الأقصر في مصر ⁽³⁾.

كانت إحدى دعوات الآشوريين والبابليين على أعدائهم "ليقع عليك حبل الله"، فكأنما الله إذا أراد أن يقتل إنساناً أو يثقل حركته، لزمه أن يستخدم حبلاً ⁽⁴⁾، ويعني الحبل هنا العقد والربط، "والعقدة هي أساس عملية نسيج جميع الحبكات، وتتجلى من خلالها علاقة خاصة بين الأرض والسماء، أو بالتحديد البشر، فعلى المستوى الطبيعي قد يشير إلى الرابطة السحرية التي تجمع ما بين طاقة أو جوهر ما وبين إحدى الأعمال والإنجازات، وكان المصريون يعتقدون أن العقدة الخاصة

(1) صالح، رشدي أحمد، الأدب الشعبي، ص 168-169.

(1) هوك، ديانة بابل وأشور، ص 96.

(2) الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 50.

(3) المرجع السابق، ص 51.

(4) صالح، رشدي أحمد، الأدب الشعبي، ص 169.

بايزيس لها قوى نافعة عظمى، فهي بالإضافة إلى تأثيرها الإلهي تتمتع بخصوبة دورات الحياة التي تدعمها هذه الإلهة وتنشطها⁽¹⁾

وقد مُثِّلَ (القَدَرُ) عند المصريين القدماء في هيئة إله، يضع بجواره قطعة حبل ملفوفة في هيئة لولبية، وفي الحين نفسه، يعمل حبل آخر على الربط ما بين المبدأ الذكري (كاهن)، والمبدأ الأنثوي (فخذ)⁽²⁾.

وهذه تعويذة مردوخ "أنا رسول مردوخ، ورقيتي هي رقية (إيا)، وقوة (إيا) بيدي وهي تستخدم العقد والربط للعلاج السحري "انسج صوفاً أحمر وصوفاً أبيض وعصب الغزال وأعشاباً، ثم اعمل من ذلك حبلًا واعقده سبعة وسبع عقد، وأينما تعقده اربط العقاقير في صوف أحمر وكرّر التعويذة سبع مرات، ثم اربط هذه التعويذة الملفوفة على الجبين بالحبل فإنه سيعيش"⁽¹⁾.

طقس المنديل عند قراءة الفاتحة:

"عند قراءة الفاتحة أو كَتَبَ الكتاب بتحط وحدة من القربيات في جيبة العريس منديل العروس، أو بتكتب ورقة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وبعدين بتقسمها نصفين، نص بتحطه في جيبة بدلة العريس، ونص مع العروس"⁽²⁾.

تعود جذور هذا الطقس إلى السحر الاتصالي حيث وجود منديل العروس الذي يعتبر (أثراً لها) أو جزءاً منها سيظل ينبه العريس بأن لا ينساها وذلك "بتأثير الجزء على الكل"⁽³⁾ أي تأثير المنديل على الشخص (العريس) بطريقة إيجابية سيجعله يحمل حُبَّ العروس معه دائماً في قلبه أينما ذهب، حيث يعتبر هذا المنديل أو الورقة (حجاباً أو تميمة سحرية).

"وفي مصر القديمة كانت هناك عادة تحطيم قطعة من النقود إلى نصفين يحتفظ الرجل بنصفها والمرأة بالنصف الآخر كنوع من التميمة"⁽⁴⁾.

(1) تيبو، موسوعة الأساطير، ص 234، 233

(2) المرجع السابق، ص 118.

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص 368-369.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/5.

(3) انظر: السحر الاتصالي، الماجدي، بخور الآلهة، ص 39-40.

(4) علي، ثريا، (العروس)، ص 98.

المهر وطقس عقد القران (الإملاك)

كان المهر قديماً في فلسطين إما نقداً (ذهباً أو فضة تركية)، أو عقاراً أو حبوباً أو ماشية، أما اليوم فهو بالنقد فقط، حيث يتداول الطرفان الحديث حول المهر، فيتفقان على المعجل والمؤجل والمصاغ والتلبيسة وغالباً ما يكون "زي الناس ولا باس"⁽¹⁾، أي حسب مهر آخر بنت تزوجت، ثم يحدد موعد الخطوبة الرسمية، أو في نفس يوم الطلبة، وقد يؤجل لليوم السابق لموعد الخطبة، أو في نفس يوم الخطبة، "وفي هذا اليوم يذهب الخطيبان وأقرباؤهما إلى مدينة رام الله لشراء التلبيسة، وهي عبارة عن خاتمين (ذبلتين)"⁽²⁾، "وجوز سلاتات أساور حيه (مباريم) أو (سلاته وساعة) وشنطة كبيرة فيها شنطة إيد وشلحتين ولباسين وكندرة واللي الله بقدره عليه، لليوم هظا الحكي وبعد ما يخلصوا بعزمهم الخطيب على مطعم وبعدين بيروحوا"⁽³⁾.

مراسم طقوس الخطبة:

كان والد العريس يوجه الدعوة للحامولة بهذه الطريقة: "إذا كان هناك مواسم زراعية "قطف زيتون، حصاد" فإن منادياً يقف مساءً على أعلى بيت في القرية وينادي: "يا سامعين الصوت صلوا على محمد، بُكره ممنوع واحد يسرح لأنه في خطبة لفلان"، ويكرر هذا النداء أربع مرات في الأربع اتجاهات"⁽⁴⁾. أما اليوم "فيرسل والد العريس ابنه الصغير وابن أخيه، فيعزمان على الخطبة ويلفان على كل بيوت الحامولة والحمائل الأخرى المدعوة"، فيدعوان شفهيّاً أو بواسطة (كروت) بطاقات دعوة، وفي ضحى اليوم التالي يجتمع المدعوون في ديوان أهل العريس، أو في بيته ويصطحبون معهم الذبيحة خاصة إذا كانت العروس غريبة"⁽⁵⁾. وعند وصولهم بيت والد العروس يلاقهم وأقاربه بالترحاب ثم يجلسون، ويقدم والد العروس القهوة السادة، فيقول وجيه حامولة العريس: "حطوا القهوة"، فيضعوها أمامهم ثم يقول: "يابو فلان، احنا طالبين النسب منك، بنتك فلانة لابنا فلان بن فلان"، فإذا كان الرد إيجابياً يشربون القهوة ويقرأون الفاتحة، ويقول الوجيه "يابو فلان بنتك ما

(1) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 27.

(2) المرجع السابق، ص 27.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7

(4) ربيع، وليد، العرس الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، ع 31، 1998.

(5) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 27.

بنتقدّر عنا بمال ولو قدمنا برطيلها⁽¹⁾ ذهب، لكن احنا مقدمين لك (كذا) ليرة، فيأخذ والد العروس بإنقاص المبلغ حتى يصل إلى المقدار المتفق عليه مسبقاً فيقول: "منشان فلان كذا جنيه وهكذا... كان هذا في القديم⁽²⁾ أما اليوم فالمبلغ يقدم في "طرف مسكر بجوز يحط فيه خمسمية دينار ويقول المهر ألف دينار حسب ما يتفق مع أبو العروس⁽³⁾". ويختلف المهر المعجل والمؤجل من قرية لأخرى، ومن عائلة لأخرى حسب شهرة ومكانة كبيرها وبحسب ميزة أخرى هي (الجنسية الأجنبية). ففي قرية الجديرة تقول عبير قاسم: "إحنا عيلة قاسم يُكتب في عقد الزواج المقدم دينار واحد، ولكن الفتاة تشتري بعشرة آلاف دُالر ذهب فقط، غير الاحتياجات الثانية والمؤجل خمسة آلاف دينار، وفي بير نبالا هناك عائلة مهر بناتها تسعة آلاف دُالر مقدم، وخمستعشر ألف دينار مؤخر لأن بناتهم معهم جنسية أمريكية"⁽⁴⁾، أما في قرية سردا فمهر الفتاة صاحبة الجنسية الأمريكية (وهن كثر) "من أربعة آلاف إلى خمسة آلاف دينار المقدم، وقد يصل إلى عشرين ألف المؤخر"⁽⁵⁾.

يجري كتب الكتاب (الإملاك)⁽⁶⁾ بحضور مأذون شرعي وشهود، حيث تقول الحاجة مريم⁽⁷⁾: "بَقْعْد الماذون بين الزّلام وبِسأل العريس بِدك فلانة بنت فلان، بقول العريس: موافق يا سيدي الشيخ بدي، وبِسأل أبو العروس موافق تعطي بنتك لفلان، بقول: موافق، على زماني كان المأذون يقول لأبو العروس: "بتقبل يبطحها وع راس المزبلة ينكحها" يجاوب أبو العروس "بَقْبَل"، "وبعدين بروح المأذون ببسأل العروس لَاحالها بِقَلْها موافقة يا عروس، إذا سكنتت معناها راضية، بقولوا: "السكوت علامة الرضا"، بعدين بقول أبو العريس للعريس: قوم بوس ايد عمك، (مَبْقَشُ الوحدة تَقْدَر تُرْفَظ) أبوها كان يعطي لخاله"⁽⁸⁾، "أما اليوم وبعد التحاق الفتاة بالجامعة فقد

(1) برطيل: عامية، بمعنى مهر..

(2) ربيع، وليد، *العرس الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع*، ع31، 1998.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7

(4) مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/7

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8

(6) الإملاك: عامية من ملك وتملك الشيء: احتواه، استولى عليه، المنجد، ص 774

(7) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8

(8) المصدر السابق، 2007/8/8

أصبح يؤخذ رأيها ولكن ليس في أغلب الأحيان⁽¹⁾. وبعد المصافحة وتبادل التبريكات تُزْغرد النسوة، فتقول والددة العريس أو إحدى القريبات مظهرة سعادتها بالعروس:

"هي يا حوطتك بالله وحدة هي يا والثانية تثنّين
هي يا والثالثة خرزة زرقعة هي والرابعة ترد عنك العين

لولولولولي⁽²⁾.

فتجيب أخرى:

هي يا ناس صلوا ع النبي هي يا ع فاطمة بنته
وهي يا و الحمد لله يا ربي اللي طلبته نأته

لولولولولي⁽³⁾

وقد تشكر إحدى القريبات أو والددة العريس الواسطة فتقول:

وهي يا سمّقه حمرة والزرع فيها قابس وهي يا لله يجير أبو الصديق يمسلك العرايس

لولولولي⁽⁴⁾

وهكذا تبدأ مراسم الخطبة الفعلية حيث تجلس الفتاة على كرسي على ظهر طاولة فيما يعرف بالصمدة وتتجمع حولها النساء والفتيات يرقصن ويغنين، وقد تكون من حملة الجنسية الأمريكية فتغني لها النسوة:

ديروا مواسير المي ع اللوزية يا هنيا لك يفلان بالجنسية⁽⁵⁾.

عندما تستعد النساء للذهاب لببيت الخطيبة تبدأ بالمهاهة:

(1) ربيع، وليد، *العرس الفلسطيني*، مجلة التراث والمجتمع، عدد 31، نيسان 1993.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7

(3) المصدر السابق، 2007/8/7.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 85 سنة. 2007/7/20.

(5) ربيع، وليد، *دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني*، ص 22.

وهي والحمد لله يا هالشومرة غلّت والهمم كين زال والعقدة كين انحلت

عادت علينا الليالي من بعد ما ولّت

وترد النساء بالزغردة:

لولولولي⁽¹⁾.

ثم تغني أم العريس:

يا تمر حنه عا عروق القمح والحمد لله تَوّ قلبي فرح
يا تمر حنه عا عروق الشجر والحمد لله تَوّ قلبي انجبر⁽²⁾
واحنا ذبحنا بالطريق ذبيحة لما وصلنا دار أبوك⁽³⁾ يا امليحة
واحنا ذبحنا بالطريق كبشين لما وصلنا دار أبوك الزين
واحنا مشينا من الصبح للعصر وفي منتصف الطريق:
قاطاعنا البحر يا عمي على اللي خصرها ظمه
قاطاعنا البحر بحريني على مكحلة العين⁽⁵⁾.
وعندما يصلن يقلن:

بَيّ فلان فزّ حيلك وظيوف إلك مَحْنا لغيرك

واطلع حيي ظيوفك⁽⁶⁾

ويقلن على لسان والد العريس:

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/5/9.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أميرة، عين قينيا، 80 سنة. 2007/7/28.

(3) أبوك: تقال باللهجة العامية الفلاحية أبوك بحيث تغلب الكاف (ch).

(4) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، عين يبرود، 63 سنة. 2007/7/29.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/7/28.

وَأَذْبَح ذَبْحًا لِّتَعْبَى⁽¹⁾ وَالْفَاتِحَا لِنَبِي يَلَالِي قَرِينَتِهَا وَالْفَاتِحَا لِنَبِي يَلَالِي قَارِئَتِهَا وَالْهَمُوا نَسَمَ عَلَيَّ⁽²⁾.	وَاللَّهُ لَطَّاعٌ وَاحِدِي وَيَقْتُلُ عِنْدَمَا يَصْبَحُنْ أُمَامُ الْفِتَاةِ فِي الصَّمَدَةِ: وَمُبَارَكَا هَالْعُرُوسِ اللَّي خَطَّابَتُوهَا وَمُبَارَكَا هَالْعُرُوسِ اللَّي خُطْبَتُهَا وَالْيَوْمِ الْخُطْبَةِ يَا مُحَمَّدَ عِنْدَ التَّلَابُيسَةِ وَتَبَادُلِ الْخَوَاتِمِ تَغْنِي النِّسْوَةُ:
--	---

(1) ربيع، وليد، *العرس الفلسطيني*، مجلة التراث والمجتمع، ع31، 1998/ ص63.

(3) مقابلة شخصية، السيدة ميسون أسعد، سردا، 47 سنة. 2008/1/14.

لَيْسَ فِي الثَّانِيَيْنِ يَا حَبِيبَ امْكُ	لَيْسَ فِي الثَّانِيَيْنِ يَا حَبِيبَ امْكُ
لَيْسَ بِالْأَدَبِ وَاصْحَ النَّاسِ اتَّذِمَّكَ	لَيْسَ بِالْأَدَبِ وَاصْحَ النَّاسِ اتَّذِمَّكَ
لَيْسَ فِي الثَّانِيَيْنِ يَا حَبِيبَ أَبُوكَ	لَيْسَ فِي الثَّانِيَيْنِ يَا حَبِيبَ أَبُوكَ
لَيْسَ فِي الثَّانِيَيْنِ وَاصْحَ النَّاسِ ائْذِمُّوكَ	لَيْسَ فِي الثَّانِيَيْنِ وَاصْحَ النَّاسِ ائْذِمُّوكَ
خُطْبُكَ مَبَارَكَ يَا حَبِيبَ مِمْيَتِكَ	خُطْبُكَ مَبَارَكَ يَا حَبِيبَ مِمْيَتِكَ
يَا عَازِمَ الصَّبَايَا يَوْمَ خُطْبِيَّتِكَ	يَا عَازِمَ الصَّبَايَا يَوْمَ خُطْبِيَّتِكَ
خُطْبُكَ مَبَارَكَ يَا حَبِيبَ خَاوَاتِكَ	خُطْبُكَ مَبَارَكَ يَا حَبِيبَ خَاوَاتِكَ
يَا عَازِمَ الصَّبَايَا يَوْمَ خُطْبَاتِكَ	يَا عَازِمَ الصَّبَايَا يَوْمَ خُطْبَاتِكَ

وبعد خروجهن من بيت العروس يرددن:

كان طقس الخطبة موجوداً منذ أقدم العصور عند الجماعات الهمجية والبدائية التي كانت تعيش على الصيد والقنص، حيث يُعلن الرجل عن رغبته إلى المرأة التي اختارها مباشرة، فإذا استجابت تزوجا، فهي صاحبة الشأن في القبول أو الرفض وتختلف أساليب القبول والرفض في تلك الجماعات، فعند بعضها يأتي الخاطب ببعض صيده فيلقيه أمام المرأة، فإذا هي أخذته فقد رضى به زوجاً. وقد يأتي الخاطب إلى كوخ المرأة، فإذا أحسنت استقباله وقدمت إليه بعض الفاكهة، فقد ارتضته زوجاً لها، فإذا أكل مما قدمته انعقد الزواج بينهما، وصحبته إلى كوخه⁽¹⁾.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين يبرود، 69 سنة، 2007/7/29 ومقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، عين يبرود، 63 سنة. 2007/7/29.

(1) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ج1، ص181-182.

وعند جماعات بدائية أخرى يخطب الرجل المرأة من أبيها، ويقدم إليه بعض الهدايا، وقد تأخذ الخطبة شكلاً آخر مؤداه إذا تقدم للمرأة عدة خطاب، فلا تظهر لهم، ويأخذون بالطواف وفي يد كل واحد منهم عصا فمن أخذت عصاه فقد اختارته، ويعقب الخطبة احتفال يقصد منه إعلان الاتفاق على الزواج، يلتقي الخطيبان في هذا الاحتفال، ويعقدان أيديهما⁽¹⁾.

"وفي بعض الجماعات الهندية تجرح البدائية المخطوبة بنصرها اليسرى ويجرح الخاطب بنصره اليمنى، وتؤخذ قطرات من دم البنصرين وتمزج مع أرز مطبوخ يأكل منه الخطيبان إعلاناً للخطبة⁽²⁾.

وعند السومريين نجدُ خطبة إنانا ودموزي:

عندما كانت إنانا فخورة بأبيها سن اله القمر العظيم، وتشعر بالحاجة لأن تلتمس موافقة سن قبل أن تهب نفسها لعاشقها في (جيبار) معبدها، لذا كان أول ما فعلته هو إرسال رسالة إلى أبيها تنبئه فيها بنيتها الزواج من عاشقها بهذه الكلمات البهيجة:

بيتي-بيتي، سوف يجعله طويلاً، لأجلي

أنا الملكة-بيتي-بيتي سوف يجعله طويلاً لأجلي

بيت جيبار، سوف يجعله طويلاً لأجلي

الناس سوف يقيمون فراشي المثمر

سوف يغطونه بشجيرات حجر اللازرد-الدورو

سوف آخذ إلى هناك رجل قلبي

سوف أضع يده في يدي

ويضم قلبه قلبي

ويتضمن المهر موادَّ غذائية، كالحبوب واللحوم والزبدة والتمر والفاكهة تحمل إلى بيت العروس في أطباق، وتسمى بالأكدية (هربة)، وما زال فلاحو الجنوب العراقي يسمون مهر العروس هربة⁽¹⁾.

(1) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ج1، ص182.

(2) المرجع السابق، ص182.

(1) الماجدي، متون سومر، ص268.

أما عقد الزواج الرسمي فيسمى في السومرية (كاكيسدا، ka.kesda) الذي يقابله بالأكدية (ركاتم)، فهو أمر ضروري جداً ولا يتم الزواج بدونه مطلقاً، وربما كان يدونه الزوج وتحفظ به الزوجة لضمان حقوق أولادها الشرعيين، وهو يسجل على رقيم طيني صغير⁽¹⁾.

ومن أقدم عقود الزواج التي وصلت إلينا عقود زواج من عصر المجتمع الأمومي، عندما كان كرسي الملك ينتقل عبر سلسلة النسب الأمومي لا النسب الأبوي، ومن هذه العقود ما يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، يقول الزوج موجهاً كلامه إلى سيدة المستقبل: "منذ اليوم أقرُّ لك بجميع الحقوق الزوجية، ومنذ اليوم لن أفوه بكلمة تعارض هذه الحقوق، لن أقول أمام الناس بأنك زوجة لي، بل سأقول بأنني زوج لك، منذ اليوم لن أعارض لك رأياً، وتكونين حرة في غدوك ورواحك دون ممانعة مني، كل ممتلكاتك، بيتك، لك وحدك، وكل ما يأتيني أضعه بين يديك"⁽²⁾. وهذا نموذج من العقود مكتوب باللغة السومرية، يعود إلى عصر الملك سمسو ايلونا 1749-1712 ق.م.

"انليل-أدسو" كاهن الإله انليل ابن (لوكال ازيدا) يتزوج من (أما سوكال) ابنة (لن-أب-مانسي) أعطت (أما سوكال) إلى "انليل-أدسو" تسعة عشر شيقلاً فضة، وإذا ما قال "انليل-أدسو" لزوجته (أما سوكال) في المستقبل (أنت لست زوجتي) عليه أن يرد لها تسعة عشر شيقلاً، ويعطيها مهراً يعادل نصف (من) من الفضة، أما إذا قالت (أما سوكال) لـ "انليل-أدسو" زوجها (أنت لست زوجي) فإنها سوف تخسر التسعة عشر شيقلاً وتدفع إضافة إلى ذلك نصف (من) من الفضة⁽³⁾. ويشير هذا العقد إلى أن المهر المادي الذي تدفعه الزوجة وتسترجعه مع مؤخر الصداق، هو (نصف من من الفضة) إلى زوجها، أما إذا طلقته هي فتخسر المهر وتدفع مؤخر الصداق له⁽⁴⁾. وهذا عقد في الألف الأول ق.م:

في صك آخر يرجع تاريخه إلى الفترة البطلمية⁽²⁾ تقول لزوج المستقبل "إذا تركتك في المستقبل لكرهي لك أو لمحبتني رجلاً آخر، فإنني أتعهد أن أدفع لك مكيالين ونصف من الفضة، وأعيد

(1) الماجدي، متون سومر، ص 268

(2) السواح، مأساة عشتار، ص 39.

(3) الماجدي، متون سومر، ص 228.

(1) المرجع السابق، ص 228.

(2) نسبة إلى البطالمة في مصر القديمة، الألف الثالث قبل الميلاد.

إليك هدايا الزواج⁽¹⁾.

كان هذا في العصر الأمومي، أما بعد ذلك فقد كان على الرجل في العصور الأبوية البدائية الأولى أن يقضي فترة معلومة في خدمة والد العروس قبل أن يتزوجها، أو قد يقوم باغتصابها، فقد كان من حسنات الرجل ومميزاته أن يأخذ زوجته من أهلها قسراً، فذلك يجعل منها أمة رخيصة من جهة، كما يستولدها عبيداً من جهة أخرى، ولما زادت ثروته بات أيسر على الخطيب أن يدفع لوالد العروس دية ثمينة-أو مبلغاً من المال- ثمناً لابنته، من أن يخدم عشيرة غير أهله للحصول عليها، أو يخاطر بما عسى أن يترتب على اغتصابها من قتال وإراقة دماء، ومن هنا جاء طقس المهر الذي لا يزال نمارسه حتى أيامنا هذه.

ومن عقود الزواج التي تحدثت عن المهر نصوص ايبلاوية⁽²⁾ سورية قديمة في عقدٍ يتضمن ذكراً لمدن قدمت مهر زواجٍ للأميرات ايبليات، كذلك التي تتضمن مرسوماً ملكياً يشير إلى أن مدينة ايمار على نهر الفرات قد أهديت إلى إحدى أميرات ايبلا، واعتبرت مهراً لزواجها. وفي مصر القديمة:

"كان ولي أمر العروس (والدها) هو الذي ينوب عنها في كتابة العقد، وفي القرن السابع قبل الميلاد أباح المجتمع للعروس وللثيب⁽¹⁾ بخاصة أن تحضر عقد القران، يشهده الشهود في القرية أو الحي ويتم تسجيل أسمائهم، وورد في شهود عقد متواضع في مدينة طيبة، رئيس إسطنبول وكاتب وكاهن"⁽²⁾.

يرجع تاريخ أقدم زواج مصري وصل إلينا إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ويوجد في المتحف المصري عقد زواج يرجع تاريخه إلى 231 قبل الميلاد أبرم بين "امحوتب" و "تاحاتر" هذه ترجمته:

يقول "امحوتب" ل "تاحاتر": لقد اتخذتك زوجة، ولأطفال الذين تلديهم لي كل ما أملك، وما

(1) السواح، مأساة عشتار، ص 139.

(2) نسبة إلى حضارة ايبلا وهي تل مريخ في حلب الذي أظهر حضارة تعود إلى الفترة التاريخية (2000، 1650 ق.م)، وايبلا اسم تاريخي لمملكة قديمة، ورد ذكرها في ألواح مدينة "تبيور" الرافدية، انظر القيم، المرأة في حضارات بلاد الشام، ص 119-121.

(1) الثيب: المرأة زوجها فارقت بموت أو طلاق فهي ثيب.

(2) الماجدي، الدين المصري، ص 238.

سأحصل عليه، والأطفال الذين تلديهم لي يكونون أطفالاً، ولن يكون في مقدوري أن أسلب شيئاً منهم مطلقاً لأعطيهِ إلى آخر من أبنائي، أو إلى أي شخص في الدنيا، سأعطيكَ من النبيذ والفضة والزيت وما يكفي لطعامك وشرابك كل عام، ستضمنين طعامك وشرابك الذي سأجريه عليك شهرياً وسنوياً، وسأعطيهِ إليك أينما أردت، وإذا طردتك أعطيتكَ خمسين قطعة من الفضة، وإذا اتخذت لك ضرة أعطيتكَ مائة قطعة من الفضة"، ويقول أبي: تتولي عقد الزواج من يد ابني كي يعمل بكل كلمة فيه، إني موافق على ذلك"، وقد شهد على هذا العقد ستة عشر شخصاً⁽¹⁾.

وكان الزواج طقساً دينياً، وكان يشرف عليه الإله آمون، وكان الزوج يقسم خلال العقد على تعهداته بأسماء أربابه واسم فرعون، وينص كتابة على قيمة الصداق من أوزان الفضة ومكايل الغلال، وهناك مبلغ مؤجل يدفعه في حالة الانفصال عن زوجته.

وفي عقد متأخر من هذه العقود تعهد زوج أن يُقدم لزوجته نصيباً من الحنطة كل صباح، ومقداراً من الزيت كل شهر، وراتباً لنفقاتها الفردية كل شهر أيضاً، وراتباً مفروضاً لتكاليف زيتها كل عام، كما تعهد أن يدفع لها تعويضاً إذا سرحها وتزوج سواها⁽¹⁾. كان الزواج يتم على وثيقة مكتوبة يكتبها كاتب قانوني، وينص فيها على الشروط التي اتفق عليها الطرفان المتعاقدان⁽²⁾.

كانت مراسم عقد إتمام الزواج تجري في المعبد، وذلك بحضور أقرباء الزوجين⁽³⁾، ومن عقود الزواج ما يمكن تأريخه سنة 589 ق.م حيث توجد برديته في متحف اللوفر في باريس وفيما يلي نص الترجمة:

"اليوم الواحد والعشرون من الشهر الرابع من فصل الصيف، السنة الخامسة من حكم الملك بسمائتك، في هذا اليوم، دخل الكاهن "فلان" بن "فلان" منزل الكاهن "فلان" بن "فلان" ليحرر عقد زواجه بالمرأة "فلانة" بنت "فلانة"، وقرر أن قائمة الأشياء التي سيعطيها لها كمهر هي

(1) غربال، تاريخ الحضارة المصرية، ص 52، وانظر: نظير، المرأة في تاريخ مصر القديمة، ص 27.

(1) الماجدي، الدين المصري، ص 238.

(2) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ج 1، ص 38.

(3) المرجع السابق، ص 44.

دبنان⁽¹⁾ من الفضة وخمسون مكيالاً من الحنطة، وقال أقسم بآمون وفرعون أنني إذا طلقت أختي ملكي "فلانة" بنت "فلانة" وأكون أنا السبب في الإضرار بها لأنني طلقته أو تزوجت بامرأة أخرى عليها - فيما عدا الخطيئة الكبرى من جانبها - فأني أعطيتها الدبنين والخمسين مكيالاً من الحنطة المذكورة أعلاه، وكل ما سأحصل عليها معها من ريع وما سيؤول إليّ من أملاك أبي وأمي يصبح لأولادي منها" ويلي ذلك توقيع الموثق والشهود⁽²⁾.

ويظهر هنا أن المهر كان بنداً مهماً تتم تسميته في العقد، وليس عنصراً عرضياً يمكن ذكره أو إغفاله، ومفهوم المهر هو الحق المالي الذي تستحقه الزوجة بالعقد عليها أو الدخول بها⁽³⁾. كما كان عقد الزواج لا يتم إلا بتوافر أركان معينة تخلع عليه صفة الشرعية وصحته أهمها: المهر، وقد اختلف مقداره من عقد لآخر، ففي أوائل العصر البطلمي (من 350-186 ق.م) لم يزد عن دبنين من الفضة وفي الفترة الأخيرة من (186 حتى 60 ق.م) لوحظ أن المهر أصبح يتراوح بين عشرة ومائة دين، وقد كانت أهمية المهر واضحة كركن أساسي للزواج، إذ إننا قد لا نجد عقداً من عقود الزواج خلا من ذكره، بل نجده مرتبطاً بلفظ انعقاد الزواج أو معطوفاً عليه مثل: "قال فلان للمرأة (فلانة) اتخذتك زوجة، وأعطيتك (كذا) مهراً لك"⁽¹⁾.

"كانت الخطوة الأولى لقانونية الزواج تتمثل في كتابة عقد الزواج، ويسبق إبرامه عادة تهيئة واسعة وإعداد قد يستغرق بعض الوقت ليس المقصود منها التفاوض والاتفاق على شروط العقد فقط، وإنما منح العقد بعده الاجتماعي الذي يتناسب مع طبيعته، وعليه فقد تكون مراحل التفاوض والخطبة وتقديم الهدايا، كلها نوع من الإعلان عن الزواج"⁽²⁾. (وكان عقد الزواج العراقي القديم بين الرجل - الزوج في المستقبل - وبين رجل آخر يكون أبو الفتاة، الزوجة في المستقبل أو أخوها أو ولي أمرها، فقد كانت الأسرة العراقية القديمة أبوية لذا كانت المرأة تسلب حقها في الاختيار أو الرفض أو القبول ويُمنح ذلك لولي أمرها)⁽³⁾.

(1) الدين يعادل حوالي 90 جراماً فضة، انظر فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 130-131.

(2) المرجع السابق، ص 130-131.

(3) المرجع السابق، ص 132.

(1) المرجع السابق، ص 132.

(2) الهاشمي، رضا جواد، من كتاب حضارة العراق، ج 2. دار الحرية للطباعة، بغداد، ط 1، 1985، ص 88-89.

(3) المرجع السابق، ج 2، ص 89.

كانت المخطوبة تتأخر أحياناً لبعض الوقت في بيت أبيها، ربما لاستكمال متطلبات الزواج، ولكن الفتاة في هذه الحال تعد زوجة شرعية، وتترتب على الطرفين (الزوج والزوجة) جميع الحقوق، والواجبات المتعارف عليها أو المنصوص عليها قانوناً⁽¹⁾. ويسبق الزواج حفل الخطوبة الذي يقوم خلاله الزوج المقبل بصب العطور على رأسها، ويجلب لها الهدايا والمأكولات، وبعد ذلك تصبح الفتاة عضواً كاملاً في أسرة زوجها المقبل⁽²⁾.

كانت للأب سلطة عليا، لم تكن مطلقة وكانت الزيجات تعقد بعقود مكتوبة لا تصح بدونها في نظر القانون، وقانون حمورابي صريح في هذا الصدد:

"إذا اتخذ رجل زوجة ولكن لم يعقد معها عقداً مكتوباً لم تكن تلك المرأة زوجاً"⁽¹⁾.

واشتهرت الحياة الكنعانية باحترام الأب، فالإله إيل هو الإله الأب، كما أن الإلهة عناة هي التي تعقد الخطوبة بين الجنسين، والخطوبة بالنسبة للرجل أو المرأة ذات تعبير واحد، فيقولون: "الذين عقدت خطوبتهم عناة".

"والذين لم يتزوجوا على الأرض فإنهم يتزوجون بعد الموت في مملكة الجحيم حين يجدون الشريك من بين الظلال"⁽²⁾.

وكان الإغريق يقدرّون الزواج حق قدره، ويجعلونه في مرتبة سامية مقدسة، حيث كان الغرض الأساسي منه هو إنجاب الأبناء لضمان دوام بقاء الأسرة، وقيام الأبناء الذكور بمتابعة العبادة المنزلية⁽³⁾.

كان الزواج عبارة عن عقد خاص يهدف إلى تحقيق مصالح الأسرة الخاصة التي تنشدها من ورائه، لذلك كان الآباء وحدهم هم الذين يتولون إبرام هذا العقد، وقد جرت العادة أن يتقدم الشاب طالب الزواج إلى والد الفتاة، ويفوض في قيمة المهر، وكان يتقدم عادة بعدد من الماشية، فإذا قدم الخاطب هذا المتفق عليه، تقام بهذه المناسبة بعض الطقوس الدينية، ووليمة عرس، ولم

(1) الهاشمي، رضا جواد، من كتاب حضارة العراق، ص 90.

(2) المرجع السابق، ص 90.

(1) موسكاني سببتيانو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1957، ص97.

(2) ميدكو، اللالي من النصوص الكنعانية، ص 105، 162، 163.

(3) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ج1، ص 15.

يكن يصاحب عقد الخطوبة أية شعائر دينية خاصة، إذ كان يعد في جوهره عقداً قانونياً صرفاً لا صلة له بالدين⁽¹⁾.

وعند الرومان كانت هناك خطوبة لكنها لا تعتبر ملزمة من الناحية القانونية للطرفين لتنفيذ ما اتفقا عليه، وكانت الخطيبة ملزمة بالعفة والإخلاص لخطيبها، وكانت حفلات الخطوبة عند الأسرة الرومانية تقام في بيت العروس بحضور جمع غفير من الأهل والأصدقاء⁽²⁾.

وكان الخاطب ووالد الخطيبة يتبادلان العبارات التالية:

إذ يقول الخاطب: "هل تعدني بأن تزوجني ابنتك؟" فيجيب والد الخطيبة بقوله: "فلتبارك الآله ذلك، إني أعدك بتزويجك منها" وبذلك تصبح الفتاة خطيبة للشاب الذي خطبها من والدها، فيقدم لها الهدايا الثمينة، كما يقدم لها "ذبله" تلبسها في الإصبع الأوسط من يدها اليسرى وبعد أن يقوم الخاطب بذلك يتقدم الحاضرون بتهنئة الخطيبين ويقضي الجميع فترة سعيدة من الزمن وسط مظاهر الفرح والسرور⁽¹⁾.

استنتاج: تكاد تكون مراسيم عقد القران والخطوبة قديماً هي نفسها في يومنا هذا، فتظهر سلطة الأب واضحة في معظم زيجات اليوم، كما يشكل المهر ركناً أساسياً كان قديماً ولا يزال؛ لهذا تظهر صورة المرأة وكأنها تباع ببيعاً؛ فالهدف الأول من هذه الزيجات إنجاب الأطفال.

"المطليّة" وفترة ما بعد الخطوبة:

بعد الخطوبة، قد يتزوج العروسان مباشرة، وقد ينتظران فترة تطول أو تقصر حسب معايير كثيرة منها الوضع الاقتصادي للعريس، ورغبة العروسين، وفي هذه المرحلة يزور العريس العروس حاملاً الهدايا خاصة في أول مرة بعد الخطوبة، "بقولها (مطليّة) لازم يوخلها ذهب أول مرة وفي مناسبات أخرى مثل الأعياد"⁽²⁾.

"وقديماً لم يكن هناك أية علاقة بين الخطيبين حتى إنه في يوم العيد عندما يحضر خطيبها حاملاً "العيدية" كانت تختفي فيسلم العيدية لوالدتها، وكانت إذا صدف وقابلته في الطريق تغير خط

(1) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 17.

(2) المرجع السابق، ص 29.

(1) المرجع السابق، ص 30.

(2) مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/8.

سيرها حتى لا تلتقيه وجهاً لوجه، وإذا كان لا بد من الاستمرار بالسير في نفس الطريق فإنها تحرف وجهها إلى الجهة الأخرى"⁽¹⁾.

تقول الحاجة مهدية⁽²⁾ صرصور من البيرة: "كنت إمليّة الجرة وطالعة من العين، كان يقعد على القهوة، لما أوجهت شفته"⁽³⁾، وقعت الجرة عن راسي".

وتقول الحاجة مريم⁽⁴⁾ من سردا: "كنت أملي الجرة، وأنا امسندة سنده العين، كان يلاقيني وهو ملثم"⁽¹⁾، لما يصير جنبي، يطرح السلام، معرّش وين أحط راسي من الحيا، أخبي وجهي بالخرقة وأطير"⁽²⁾.

وكانت تكثر المغازلات بالفتيات وبين المحبين، "بنات بيلقطن برقوق وهن مارقات من الحارة وبيوخن خلقات"⁽³⁾ للشغل، عليهن خلقات حير⁽⁴⁾ أحمر، إلهن عم ختيار كبير، بحرهن شب وقال: أشوف الحلو على الأرض ينجر يريت أبوها على الحبس ينجر وقد يتغزل خطيب بخطيبته فيقول:

ويش هالغزال الذي عن دارنا عدا خصرا رقيق وبالكشمير مشندة

دولي-----سفر دولي

ويش هالغزال الذي عن دارنا عدا خصرا رقيق وبالمنديل متحلي
ويش هالغزال الذي عن دارنا مارق خصرا رقيك وبالمنديل متلايق

(1) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 30.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية، صرصور، البيرة، 85 سنة. 2008/7/25.

(3) شفته: عامية بمعنى رأيته.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) ملثم: اللثام ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب، المنجد، ص 713.

(2) أطير: تعبير مجازي عامي، أي أسرع كثيراً.

(3) خلقات: جمع لكلمة خلق، أي ثوب.

(4) حير: اسم لثوب فلسطيني.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

دولـــــــي-----سفر دولـــــــي⁽¹⁾

وقد يقول أيضاً:

ذِيب عَيْن الذِيب مَكْوَلَه
كُحْلُكَ رَشَاشِي وَصَبَرَنِي وَأَنَا مَاشِي
وَالزَيْن بِلِقْطِ صَبْرٍ وَمَسْبَلِ عَيُونَا
وَالزَيْن بِلِقْطِ صَبْرٍ فِي السَّهْلِ يَا مَقْوَاه
وَالزَيْن زَيِّ الْخَوَاجَا فِي دَكَكِينَا
وقد يتغزل بحبيبته أو زوجته فيقول:

وَلَاكُ كُنْزُ دَرَجِي وَلَاكُ كُنْزُ دَرَجِي
وَاحِدٌ لِلْحَارَةِ أَوْاحِدٌ لِلْفَرْجَةِ أَوْاحِدٌ
وقد يقول:

وَالزَيْن قَاعِدٌ عَلَى الْجَنْبِيَّةِ وَعَيْنُهُ عَلَى الْمِزْرَابِ
مَا قُلْتُكَ يَا وَلَدَ عَن دَارِنَا فَارِقِ
يَا حِلُو يَا زَيْنِ وَاسْقِنِي بِحَفَنَاتِكَ
يَا حِلُو يَا زَيْنِ يَا لِي مَعْنَقِرِ الْجِرَةِ
ثَلَاثُ بَنِيَاتٍ عَالِيَةِ دَرَجَةٍ يَغْرِبْنَ
ثَلَاثُ بَنِيَاتٍ يَمْشِينَ سَوًى فِي حَارَةٍ اسْتَبُولِ
يَا حِلُو يَا زَيْنِ مَكْتُوبُكَ لَفَا مَعْنَا
يَا حِلُو يَا زَيْنِ وَاسْقِنِي مِنْ اِبْرِيْقِكَ
خَيْلِكَ يَا بُو أَشْرَفٍ وَغَرْبَلُ لِي مِيَّةٍ
وقد تقول الفتاة:

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، دير غسانة، 80 سنة. 2007/1/25.

(2) مقابلة شخصية الحاجة صفية، عين قينيا، 86 سنة. 2007/7/20.

(1) مقابلة شخصية الحاج صقر، أبو شخيدم، 90 سنة. 2007/2/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زهور قندح، أبو شخيدم، 54 سنة. 2007/2/29.

وإن كان بِدَكَ حمير⁽¹⁾ الخد يا مزيون
وان كان بِدَكَ حمير الخد يا فلاح
وتقول أيضاً متغزلة بزوجه:

رَجِعْ مِنْ نَصِ الطَّرِيقِ يَقْلِي
قولي ويش أتريدي يا دلالي
بَرِيد سَلَامَتِكَ وَطَوَّل عَمْرِكَ
واعيش بهيبتك طول الزمان⁽³⁾

وقد تتغزل الفتاة بشاب فتقول:

طالع مثل النخلة يلالني
خسرا رقيق وملبوسه سماوي

وتقول الحاجة مريم⁽¹⁾: "أحيان خطيب الوحدة أو ابن عمها يوقفها وهي مسنده من العين أو يقعد معها شوي تحت سنسلة، وتخلي صاحبيتها تراقبها الطريق خوف ليشوفها حدا، ولما اتروح إن سألتها إمها ليش اتعوقتني، تقول طولت تاجاني دور أو تقولها وقفت اتخرقت مع صاحباتي شوية". وقد يصاب المشتاق والمُتِمُّ بالمرض والنحول:

"طلبت الماء جابولي بالسعول⁽²⁾
وقولوا للأهل يا ناس يسعون
وميتكم بعيدة منين تسعون
ولدكم صابو حادي الردى⁽³⁾
وقد يتغزل الرجل:

يا طالعا السلالم والهوا غربي
كشفت عن الخد لحمر لوعت قلبي⁽⁴⁾
وتقول المرأة العاشقة:

طلعت نص الليل تئده يا لطيف
لاني مجنونة ولا عقلي خفيف

(1) حمير: عامية بمعنى حمر.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 86 سنة. 2007/7/20.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة. 67 سنة.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) السعول، جمع سعة: عامية بمعنى جره صغيرة.

(3) مقابلة شخصية، أبو مشهور، أبو شخيدم، 81 سنة. 2007/7/29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

مين اّحب الله ويطعمني رغيف من خبر المحبوب يكفيني سنة⁽¹⁾.

ذكرنا سابقاً أن الفتاة المخطوبة في العراق القديم قد تتأخر في بيت أبيها لبعض الوقت، لاستكمال متطلبات الزواج⁽²⁾.

وفي هذه الفترة تكثر رسائل الغزل والحب، ومن أشهرها "أنشودة خداع إنانا لأُمها ننكال"، وهي من أكثر الغنائيات رقة وتوقداً، فإنانا التي رغم استشارتها لأُمها وأبيها بشأن دموزي والتي تحب أُمها وتعمل بنصيحتها، لم تكن منزهة عن مخادعتها، هذا ما حدث بناء على إichاء من عاشقها دموزي لكي تمكث معه على ضوء القمر الفضي⁽³⁾، فقد طال لقاء الحبيبين وحاولت إنانا التملص من ذراعي دموزي لتهرع عائدة إلى البيت قبل أن تكتشف الأم غيبتها الطويلة، وماذا قال لها دموزي عن معاذير تختلقها لأُمها، مما تختلقه الفتيات في يومنا هذا من معاذير واهية، كغيبتهن دائماً مع هذه الصديقة أو تلك، وثمة أمر ألهأهنّ حتى نسين كم مرّ من الوقت، وتبدأ إنانا هذه القصيدة بمناجاة نفسها.

ادعت أنها حاولت التخلص من ذراعيه ولم تكن تعلم ماذا تقول لأُمها:

"تعال الآن، أيها الثور البري خلصني، يجب أن أذهب إلى البيت.

ماذا عساي أن أقول لكي أخادع أُمي ننجال

فلأخبرك، فلأخبرك

أي إنانا، يا أكثر النساء خداعاً، فلأخبرك

قولي أن صديقتي اصطحبتني معها إلى الساحة العامة

حيث سلّنتي بالموسيقى والرقص

وغنت لي أغنياتها الحلوة

في الابتهاج الحلو قتلت الوقت هناك

بذلك تواجهين أُمك في خداع

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة، 2007/8/7.

(2) الهاشمي، من كتاب حضارة العراق، ج 2، ص 90.

(3) كريم، طقوس الجنس المقدس، ص 113.

بينما كنا نحن على ضوء القمر نغمس في شهوتنا⁽¹⁾

وكما عبرت بعض الحكم السومرية عن تودد الفتى لفتاته قبل الزواج، مظهراً لها أنه أكثر اهتماماً وحرصاً على تحقيق مصلحتها والرفاهة لها من أخيها:

"أيتها العذراء لم يعطك أخوك الأفضلية

فلمن يجب أن تعطي الأفضلية؟

ويبدو منها أنها شكوى من المحب لفتاته، مشيراً لها أنه هو الذي يبحث عن مصالحها وليس أخوها، وأنه هو الجدير بأن تمنحه ثقته، ويقول أيضاً:

"أيها العذراء هل أخوك مثلي؟ هل تركك أخوك تعيشين حياتك الخاصة كما تركتك؟⁽²⁾

ومما ورد عند البابليين والآشوريين:

"إن قلبي حكيم ومشاعري سلوك وكيدي ذو جلال ووقار لا تتحدث شفتاي إلا بالأشياء الجميلة

فمنذا الذي سيكون زوجي المختار"⁽¹⁾

وعند المصريين القدماء:

تقول إحدى أغنيات الغزل المكتوبة على أوراق البردى:

"كم هو محير لطيف مأوى الراحة

إن فم حبيبتي كالبرعم، وصدرها مثل تفاح الحب

إن ذراعيها تحوطاني مثل القوس

إن حبهما مثل فخ مصنوع من خشب السرو

وأنا البطء البرية

إن شعرها هو الدورة التي ابتلعتها عيناى

وأوقعتني في الفخ⁽²⁾

(1) كريم، طقوس الجنس المقدس، ص 114.

(2) سليم، تاريخ وحضارة العراق، ص 182.

(1) المرجع السابق، ص 180.

(2) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 111.

من طقوس الخطبة:

أولاً (الذبله): لا تتم الخطبة دون (خاتم الذبله)، وهو عبارة عن حلقة دائرية، يتبادل العروسان وضعها أثناء التلبيسة في الخطبة وفي الزفاف، ولها معان رمزية كثيرة سنتحدث عنها بعد قليل. ثانياً حلقة دائرية تسمى (حلقة الحياة): فقد أصبح معظم الشباب لا يستغني عن هذه الحلقة التي تشبه خاتم الذبله لكنها تلبس على العنق بشكل قلادة، وتخبرنا عبير قاسم⁽¹⁾ من الجديدة "هي حلقة مدورة يُشبه الذبله بس هاي بتلبس في الرقبة، وهذي عادة منتشرة في الجديرة وبيرنبالا وبيت حنينا وكثير من القرى، من زمان موجودة بيشتريها كل شب للبنات اللي بحبها، بيشتروها كل اللي بَحُطُّوا من باب العمود في القدس، وأكد موجودة في محلات الفضة، وكل بنت بتحب هذي الهدية لأنها بتعني إنه الشب بتمنى ايظل هو وخطيبته طول العمر مع بعض، لأنها حلقة لا إلهيا بداية ولا نهاية يعني بظلوا مع بعض إلى مالا نهاية، كل خواتي وبنات عمي وصاحباتي معاهم هذي الحلقة".

كان الإنسان البدائي قديماً يعتقد أن الشيء المعطى كائن حي له روح، وفيه تكمن قوة تحركه وترتبط بصاحب الهدية، فإذا أعطاه إلى شخص آخر فإن الروح الكائنة فيه تضمن رجوعها إليه بعدئذ، أو رجوع ما يعادلها على الأقل، فالهدية في معتقد الإنسان القديم تملك روحاً مؤثرة، فهي ليست شيئاً جامداً أو تافهاً، فالعطاء دليل التقرب إلى الشخص المعطى، والامتناع عن أخذ الهدية معناه رفض المحبة والمُحالفة، وهو في حكم إعلان الحرب الخاصة أو العامة⁽²⁾.

وتكاد (الحلقة) سواء أكانت (الذبله أم حلقة الحياة) تمثل الأفعى الكونية الأولى إيروبوس التي تضع ذيلها في فمها لتكون دائرة ليس لها بداية ولا نهاية عند السومريين والمصريين والبابليين والكنعانيين والإغريق⁽³⁾.

"وهي ترمز إلى الاتحاد والاستمرارية الدورية، والأبدية، وتمثل الحلقة أيضاً البيضة الكونية، التي نمت بداخلها كل أنماط الحياة وعند المصريين القدماء عندما يبين الصقر عن مضمون الحياة الأبدية فهو يضع حلقة في مخالبه. وترتبط الحلقة بمفهوم سريان الزمن الذي يعيشه البشر،

(1) مقابلة شخصية، عبير قاسم، 25 سنة. 2008/8/8.

(2) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 208.

(3) الماجدي، متون سومر، ص 69.

وبمختلف مراحل الحياة الكونية⁽¹⁾ والحلقة في الرموز المصرية تعني تيت Tet وهي ضمن الرموز المتعلقة بالربة إيزيس، وأصبحت علامة هيروغليفية، وربما تكون عقدة بحزام ما (المبدأ الأنثوي للخصوبة)، وترتبط في أغلب الأحيان بالعمود "جد"، وهو محور رأسي يربط بين العالم السماوي والمستوى الدنيوي، ويفصح هذا الارتباط عن مبدأ الحياة العالمية⁽²⁾.

طقس الكسوة (جهاز العروس):

"بعزموا من الصبح عالنسوان والزلام (القرايب)، ويروحوا مشي ايغنا وينزلوا على طريق العين حتى يصلوا لطريق بيت حنينا، يكسوا للعروس ويقطعوا لإم العروس، وللقربات خلُقان هدية العرس أربعين ثوب و خمسين ثوب و خرق. لما يروحوا الكساية يلاقوهم مُحَضَّرِينَ صَوَانِي قَشْ مَزَوَقَات (مُلَوَّنَة)، ايحطوا الكسوة في أكياس على الصواني، وبَعْدِينَ ايحطوهم على رروس البنات والصبايا، ويلفوا يرقصوا وايغنا فيهن، وبِعمَلوا مَشَاعِل وبعد المغرب برقصوا وبوزعوا قضاومه ومَلَّيس (حلو) على باب المضافة"⁽³⁾.

"كانوا يكسوا كل شيء (قماش) ويفردوه على هالطباقي، طباق قش صواني مَزَوَقَات وتشترى العروسة قمصان، كلاسِين (غيارات داخلية)، ثياب مطرزه عليها كيلو حرير، وتعمل من الذهب اللي اشترته وقاه، شقفة زي الثوب، مطرزه بيخطوا عليها ذهب أرباع لرات، وتلففها الوحدة زي العجايز زمان كن يلففنها بَشَعْرُهُنْ يَعْمَلْنَ إِلْهَا شَالَات طوال ينسجن نسيج ويمسكنها وَيُصَبِّغْنَهَا، يَعْمَلْنَ إِلْهَا شَرَاشِب وَيَرْبِطْنَه وَيَلَوِّنَه عجايز زمان ايلونه على شعرهن"⁽⁴⁾.

"اليوم الناس بيكسوا في القرى بيروحوا كل النسوان والزلام. في بعض القرى صار ايروح فيها العريس والعروس وإم العروس وإم العريس والعمة والخالة فقط، بنزف الكسوة على الصواني وينقول⁽⁵⁾:

اتلوح يا ذهب على الصواني	عَمَنَك يا ذهب جِبَت الغوالي
اتلوح يا ذهب على الصينية	عَمَنَك يا ذهب جِبَت النشمية

(1) تيبو، موسوعة الأساطير، ص127.

(2) المرجع السابق، ص128.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/5.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة زهور، أبو شخيم، 54 سنة. 2007/7/29.

كانوا بيرموهن⁽¹⁾ على الصواني ويقولوا:

دوسي يا راعي اللي عنا دوسي
وبْ إيدي تحِلْ الشَّمْلَه وأربطها
وبْ إيدي لَحْلُ الشَّمْلَه وارخيها

فِي بَلَدْنَا حِسْ فَنَ عُرُوسِ
والبنت الحلو لمين اسفطها
والبنت الحلو لمين أعطيه⁽²⁾

وهن يرقصن بالكسوة اَيْقُلْن:

سرينا طلعة النَجْمَة
يا ولد زَرَر البَدَّالَة⁽³⁾
سرينا طَلْعَة العَيَوق
يحمم زَرَر الكبـــوت

لاقينا الخيل ميلتَجَمَه
عازمْنَا وينتَتِي عَ الدار
لاقينا الخيل طايحه السوق
عازمْنَا وينتَتِي عَ الدار⁽⁴⁾

يُنصُرك يا بَبي مُحَمَّد
يُنصُرك على عَدوك

ناسَ بُت البَدر التمام
ديممة الله والزمــــان⁽⁵⁾

"البيلبلا البيلبلا"⁽⁶⁾ على عيروق الشجر
البيلبلا البيلبلا على عيروق الناتش
عاياني، وعاييتا خواجا محمود

وقاطعنا مية اخطاري،⁽⁷⁾ عالي ظو القمر
وقاطعنا مية اخطاري، عالي ظو الشمس
ومية اريال اعطينا في باب العامود

(1) بيرموهن، يلفوهن في قَطْع قِمَاش.

(2) مقابلة شخصية، أم فهد كوبر، 90 سنة. 2007/3/2

(3) البَدَّالَة: هي قطع ملابس متناسبة مع بعضها تجمع بين القميص، وربطة العنق والجاكيت، والبنطال، وتشكل ملبوس العريس. انظر: المنجد، ص 29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة رويدة لطفي قاسم، الجديرة، 56 سنة. 2007/8/8

(5) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/8

(6) البيلبلا: أي البلبل.

(7) اخضاري: نوع من الثياب المشهورة في فلسطين.

عايناني وعاييتا خواجا عثمان ومية اريال اعطيتا في باب الدُكان⁽¹⁾

"واحننا كسـينا للولد واحننا كسـينا الجاجـل واحننا كسـينا لفـلان حـيـيـكـ يا حـوـرة حـيـيـ يا بـو فـلان ريتنا عمـرا طويـل والجـاجـل حـمـر يـا طويـل العـمـر وحيـي اللـي جـابـك عمنـو جـابـك"⁽²⁾

قطع الكسا ثوب رهـبـاني⁽³⁾ قطع الكسا ثوب أبو قطـبة⁽⁴⁾ قطع الكسا ثوب ابو ريشة⁽⁵⁾ في دار ابو محمد نفـرـش وانام في دار ابو محمد طابـت الخـطـبة في دار ابو محمد طابـت العيشة

قطـعنا البـحر ابو ريشـه عايـنـاني وعايـتـا الرنتيسـي على اللـي عـنـفـها شيشة مية ليـره اعـطـيتـا للقميصي

عايناني وعاييتا أبو موشـيل طاح ابو مـحمـد اتيسـر ع القـدس طاح ابو مـحمـد اتيسـر ع عـمان طاح ابو مـحمـد اتيسـر ع الخـيل مية ليرة اعـطـيتـا حـق الكـشـمير قاطـع للكنـاين من اـحـلى لـيس جاب للكنـاين من اـحـلى ذـهـبان جاب للكنـاين من اعلى مـوـديـل⁽¹⁾

(1) عايا: من أعيا: بمعنى أتعب، انظر: المنجد، ص 542، وهي هنا عامية هنا بمعنى عذبني بسبب النقاش حول السعر

(2) مقابلة شخصية، أم عزمي بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(3) رهباني: من الثياب الفلسطينية المطرزة.

(4) أبو قطبة: من الثياب الفلسطينية المطرزة.

(5) أبو ريشة: من الثياب الفلسطينية المطرزة.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، 68 سنة. 2007/8 /6.

كَسَايَة وداروا طريق رام الله قطعوا الحير يا ماشا الله
كساية وداروا طريق البيرة قطعوا الملك مع التقصيره⁽¹⁾

واقطع يا خاجا يا معلم واقطع جوخ والتالي مسلم
واقطع يا خاجا يا يهودي واقطع جوخ والتالي بنودي

يعلم الله اليوم كسوتنا مبروكه يا عاروستنا

ظليتي داير عالجواد تالافيهم تنّا رَماني الهوا جوا علاليهم
ظليتي داير عالجواد تناسبهم تنّا رَماني، الهوا جوا مصاطبهم⁽²⁾
كسينا الكواسي وكسينا مخمل كسينا لمحمد يريت عمره يطول⁽³⁾

"زمان أهلها كانوا ايجيبوا الذهب واعيالها الكسوة في صندوق، أكبر وحده اتجيب أربع أو خمس
ثواب وكُندره من نابلس ومنديلين وعصبة خضرة فلسطينية واشداد⁽⁴⁾ فلسطيني⁽⁵⁾ ومن أغاني
أغاني زفة الكسوة:

"يخلف ع أبو محمد وين ما رباها مية ليرة ذهب أعطاه⁽⁶⁾
امبارك امبارك ويا ريتا هنا كما بارك محمد ع جبل منى
امبارك امبارك ويا ريتا يدوم كما بارك محمد ع جبل عجلون
"قطع التاجر ثوب أبو ملكه في دار أبو محمد كتبوا الورقة
قطع التاجر ثوب أبو ريشه في دار أبو محمد طابت العيشه

(1) مقابلة شخصية، الحاجة حلوه سمور، 75 سنة. 20/ 7/2007.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 82 سنة. 20/ 7/2007.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 7/ 8/2007.

(4) اشداد: عامية بمعنى حزام وهو موجود بشكل خاص عند الفلسطينيين.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 77 سنة. 3/ 8/2007.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة صفية سمور، بيت عور، 92 سنة. 17/ 1/2007.

يا لابس الروزا طَرَّرَ حَواشيها قولوا لَمَّ العريس تعزم عاهاليها
يا لابس الروزا طَرَّرَ عَ جيبيتها قولوا لَمَّ العريس تعزم على إخوتها⁽¹⁾
واحنا قطعنا الملوك والملوك حَرِير واحنا كسينا لمحمد يريت عمره مَدِيد
واحنا قطعنا الملوك، والملوك قَصَبُ واحنا كسينا للحلو يريت عُمره مَدَدُ⁽²⁾

وفي العراق القديم كانت الفتاة تأخذ من أهلها ما يسمى "الشريقتوم" وهو مبلغ من المال تهديه عائلة الزوجة (والدها) لها وتكون بمثابة حقها في الميراث⁽³⁾.

ويقدم لها العريس عند السومريين المهر (كودام توكو) "أي فضه لأخذ زوجه"⁽⁴⁾. وهو (البيترهاتو) عند البابليين⁽⁵⁾، والموهار (Mohar) عند الساميين ويعني ثمن المرأة⁽⁶⁾ وظلت تأخذ من أهلها الذهب ثم تغير هذا حديثاً فأصبح الذهب حتى الستينات من القرن الماضي من المهر الذي يدفعه الرجل (العريس).

أما الكسوة أو جهاز العروس ففي عهد حمورابي: 1728-1686 ق. م كان من مظاهر الخطبة أن يرسل العريس إلى بيت والد العروس إضافة إلى المهر بعض قطع الأثاث⁽⁷⁾.

وعند المصريين القدماء كانت الكسوة تتضمن جهاز العروس، وكان عقد الزواج ينص عليها، ففي نموذج لأحد العقود، من بردية تورين 152 ق.م "اليوم الخامس، الشهر الرابع من فصل الصيف السنة التاسعة من حكم الملك بطليموس وأخته كيلوباترا.

يظهر أن العقد قد تضمن بيانات عن التاريخ، وطرفي العقد، والمهر، والتسوية المالية بتعهدات الزوج بما يدفعه للزوجة إذا طلقها، كما يتضمن قائمة مفصلة بالأشياء التي أحضرتها الزوجة، وقد سجلت قيمة كل قطعة بقيمتها الفضية، ثم أعقب ذلك مجموع قيمتها⁽¹⁾ ومنها:

(1) مقابلة شخصية، السيدة زهور، أبو شخيدم، 54 سنة. 2007/2/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) سليم، تاريخ وحضارة العراق، ص 183.

(4) الماجدي، الدين السومري، ص 174.

(5) سليم، تاريخ وحضارة العراق، ص 183.

(6) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 185.

(7) سليم، تاريخ وحضارة العراق القديم، ص 183.

(1) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 140، 141.

1	قطعة فضية
175	"غطاء للرأس من الشعر المستعار
40	صندوق
100	رداء
70	سوار
20	سوار
35	" 2 حلى من الأحجار الكريمة"
الخ	2 خاتم..... وغيرها
910 قطع ⁽¹⁾	المجموع

من طقوس كسوة العروس طقس صندوق العروس:

تقول الحاجة جديّة (سنجل)⁽²⁾: أهلها كانوا ايجيبوا الذهب قبل، وعيالها الكسوة وصندوق كبير اتحط فيه الكسوة أكبر وحدة اتجيب أربع، خمس اثياب.

وتخبرنا الحاجة صفية⁽³⁾، (عين قينيا): صندوقي خشب أصلي مرسّم، بقينا انحط الكسوة فيه والله (هيوته)⁽⁴⁾ موجود لليوم، وزى مّهو. صاري عمر 82 سنه وهالصندوق موجود لما كسيت جبّت معاه (نمليه)⁽⁵⁾ وثياب ووطاه⁽¹⁾ ووقاة ذهب، ساقا الله عهّديك الأيام بقينا مبسوطين".

أما الحاجة حسنية (بيت دقو) فتقول: لما كسيت جبّت صندوق خشب (وأواعي)⁽²⁾ وذهب ونملية " تعالي شوفها بعدها زي ما هي، استني بدي أطعميكي ملابس ع قظامه".

لقد لاحظت أن الصندوق والنملية والملبس ع قظامه الأبيض والزهر موجودة عند معظم النساء كبار السن، فقد وجدتها في بيت عور وسنجل وسردا، وبيت دقو، وعين قينا، وكوبر.

(1) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 140.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 77 سنة. 2007/8/3.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 82 سنة. 2007/7/20

(4) هيوته: عامية وتعني هذا هو.

(5) نملية: عامية، خزانه صغيرة.

(1) وطاة: عامية بمعنى حذاء.

(2) أواعي: عامية بمعنى ملابس.

دخل صندوق العروس (الكسوة) من أوسع أبوابها فقد كان من أهم أركان جهاز العروس أو متاعها وسُجل في عقود الزواج. وقد عُثِرَ على أحد هذه الصناديق المزخرفة الجميلة في مقبرة توت عنخ أمون وكان يستعمل لحفظ الملابس⁽¹⁾.

وقد استخدم قدماء المصريين الصناديق الخشبية لحفظ الملابس والحلى، وأدوات الزينة كالعطور والأمشاط وكان لهذه الصناديق أرجل، وهي عادة مستطيلة الشكل، ولها غطاء مُقَبَّب من أحد طرفيه ومسحوب من الطرف الآخر، كان للصندوق عادة مزلاجان (اكرتان) أحدهما في الجزء المُقَبَّب من الغطاء، والآخر على حافة الصندوق العليا، وكان يُشد إليهما حبل أو خيط يلف ثم يُختم عند قفل الصندوق⁽²⁾.

طقس زفة الكسوة على صواني القش (الأطباق):

ذكرنا هذا الطقس سابقاً، والذي يبدو أن له جذوراً تعود إلى عمق التاريخ، عندما كان "المهر والهدايا عند السومريين المسماة (نكدي nig-de-a) والتي تتضمن موادَ غذائية كالحبوب، واللحوم، والتمر، وزبدة، وفاكهة تُحمَلُ إلى بيت العروس على أطباق⁽³⁾.

كما يشبه هذا الطقس (طقس حمل المولود بعد ولادته في صينية القش)، ويبدو أن كلا الطقسين يمثلان مرحلة المخاض مرحلة الطوفان التي تسبق الميلاد، فكل ولادة جديدة كانت تمثل في رأي البدائيين، تخليصاً رمزياً لخلق الكون⁽⁴⁾. إنها العودة للبدايات الأصل ما قبل ولادة الكون المخاض، أنها مرحلة تحرك المياه الأولى قبل الولادة، إنها كوخ القصب الذي سينجو من الطوفان ويعبر إلى الميلاد الجديد⁽¹⁾.

من طقوس الحنة والعرس:

طقس العزومة:

"لما أبو العريس بده ايجوز ابنه بيروحوا ع رام الله تيشتروا مناديل، ومخامل (قماش) وكاسات.

(1) انظر: فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 63 و 140.

(2) غريبال، الحضارة المصرية القديمة، م 1، ص 148.

(3) سليم، تاريخ وحضارة العراق القديم، ص 183.

(4) إلياد، ملاحم من الأسطورة، ص 46.

(1) الماجدي، متون سومر، ص 327.

(اليوم العروس والعريس يختاروا علب حلوات) ويحطوا فيهن ثلاث حبات بيض الحمام⁽¹⁾ وحبّة توفي⁽²⁾ حسب قدرة الواحد، في ناس يحطوا غالي (ماكنتوش)⁽³⁾ ويربطوهن بِشَبْرٍ حَلَوٍ، ويجيبوا (طُقش)⁽⁴⁾ ومناديل ويكونوا عاملين كروته (بطاقات) للعرس، ويعزموا الناس بَلْفُوا على كل الدور ويوزّعوا كرت ومنديلة طُقش، وكاستين ملابس، وكيس حنة صغير. من زمان كانوا يعملوا الخطبة والعرس في الدار اليوم في القاعة⁽⁵⁾.

"الصباح بِحَظَرُوا المناديل والطُقش والكاسات والملبس والحنة والمغرب بعزموا على القربات في دار العريس قبل الحنة بليلة، ويبصرن ايغنين وبحطين في كل كاسة ثلاث حبات بيض الحمام وحبّة توفي ويحطن الطُقش في المنديل، "قبل أسبوعين اجوز ابن اخوي ابراهيم وزعوا طُقش وبيض الحمام، من زمان كانوا يحطوا الطُقش في المناديل، اليوم في كيس بلاستيك شفاف وجنبه المنديل أو الشال بيحي أرتب وانظف. وابن بنتي اتجوز من مدة شهر وكذلك الأمر وزعوا طُقش ثَمَنِينَ كيلو والمناديل جابوهن من أمريكا مُخَصَّصَ عشان العرس وزعوا على كل دار منديلة أو ثنتين حسب عدد النسوان المَجَوَّزَات فيها، وكاستين ملابس وكيس حنة صغير⁽⁶⁾.

وتقول رشا من بيت لقا "بعدهم عنا بيوزّعوا مَلَبَسَ أبيض، (بيض حمام) ثلاث حبات وحبّة توفي، ومناديل فيها طُقش⁽¹⁾.

ويبدو واضحاً للعيان علاقة بيض الحمام، بمرحلة العبور الثانية (الزواج) والتي تمثل هنا العودة للأصول الأولى (العود الأبدي عند السومريين)⁽²⁾ إيذاناً بمرحلة ميلاد وخلق جديد فهذه البيضة هي بيضة الكون الأولى " البيضة الأصلية" التي انبعثت منها الحياة بيضة بتاح الإله الفخراني

(1) بيض الحمام: من أنواع الحلوى يشبه البيضة.

(2) توفي: toffee كلمة أجنبية، من أنواع الحلوى.

(3) ماكنتوش: من أفخر أنواع الحلوى أجنبية الأصل.

(4) طُقش: فستق، من أنواع المكسرات يشبه شكل الجنين، كما أنه يحتوي على بذور تنام بداخله على شكل جنين، كما أننا نجد لكلمة طُقش علاقة مباشرة بالفعل طَقَشَ، والذي يُطْلَقُ على صوت البيضة عند ضربها لنزع قشرتها.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة زينب شحادة، عين بيروت، 69 سنة. 2007/7/9

(6) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2008/8/8

(1) مقابلة شخصية، رشا، بيت لقا، 23 سنة. 2007/8/6

(2) وافي، عبد الواحد، من غرائب العادات والتقاليد، ص 208.

رمز البعث الأولي (البيضة الأولية)⁽¹⁾ التي تشكلت بعد حركة الماء الأولى الطوفان الأول، فبعد حمل الكسوة على صواني، ومن ثم حمل العريس على الأكف في الزفة والرقص والدوران بشكل طواف حول سيارة العروسين ثم صمدتهما في مكان أعلى من الحضور بشكل يذكّرنا بكوخ القصب الذي ارتفع بسبب الطوفان فوق المياه يمثل بشكل واضح مرحلة ما قبل ولادة الكون البدئي الأول ثم ميلاد البيضة الكونية الأولى، بما يمثله هنا بيض الحمام. أما الطُقش الذي يوجد بداخله البذور التي تعيد دورة الحياة، عنوان الخصب والتي تمثل إنانا (عشتار) إلهة الخصب والجنس⁽²⁾ وهي تشبه هنا شكل الجنين في رحم أمه، مرحلة العبور والتأهب للولادة، مرحلة الحمل والانتفاخ.

إن البيض والطُقش في تزامنها يمثلان الكون الأول عندما تحركت المياه، ثم امتزجت لتكون بيضة الكون الأولى التي انفصلت سماؤها عن أرضها لتخلق لحظة الانبعاث والخلق الجديد، الجنين الذي هو نتيجة تزواج الرجل والمرأة، السماء والأرض، الزواج المقدس، إعادة انبعاث الخصب من جديد وهي في حقيقتها عملية تمثيل العودة للأصول والبدايات التي كانت تجري في أعياد القدماء واحتفالاتهم ففي عيد الكيتو السومري (عيد رأس السنة والذي كان في فترة بذر البذور، كان الكهنة يمثلون العود البدئي الأول على شكل الزواج المقدس وفي بابل كان الكهنة أيضاً في أعياد رأس السنة يقومون بتلاوة أسطورة التكوين البابلية كاملة حيث كان يجري تمثيلها درامياً وذلك من أجل العودة للأصول، عن طريق استحضار القوى الإلهية الخالقة التي أبدعت الكون في الأزمان الأولى⁽¹⁾، لهذا نجد في كل مرحلة عبور (حمل على صواني القش) الطوفان ثم ميلاد جديد.

من طقوس العرس المشاعل:

تبدأ مراسم الاحتفال بالعرس قبل موعد الزفاف بسبعة أيام ويُطلق عليها الفلسطينيون (السهرات)، لذا ينشغل شباب القرية في التحضير لذلك⁽²⁾. "قبل يوم الزفة، يلّم العريس رفاقه

(1) انظر: الماجدي، الدين المصري، ص 96.

(2) الماجدي، متون سومر، ص 336-338.

(1) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 77.

(2) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 41.

وَبِكُشُوا⁽¹⁾ نَتَش⁽²⁾، بَذَكُرْ قَبْلَ زَوَاجِ أَخَوِي بِخَمِيسٍ طَعَشَرُ يَوْمَ غَنَوا لَهُ، وَبَقُوا مُحَضَّرِينَ نَتَشَ وَيُظَلُّوا لِلصَّبْحِ، تَبَقَى النَّارَ مُوَلَّعةً وَالْقَهْوَةَ وَالطَّبْلَ، وَالنِّسْوانَ يَجْبِينُ حَامِلَاتٍ مَعَاهُنَّ مِشاعِلَ وَيَهَاهِينَ حَتَّى يَصِلْنَ الدَّارَ⁽³⁾. "كَانُوا يَحْمِلُوا مِشاعِلَ، بَقَاشَ فِي فَوَانِيسَ أَوْ كَهْرَبَهَ، كَانُوا يَعْمَلُوا مِشاعِلَ، شَرَايِطَ، خَلَقَاتٍ بِفَوَهْنٍ عَلَى عَصَايَةٍ وَبَحَطُوا عَلَيْهَا زَيْتَ، وَكُلَّ مَا انْطَفَتْ وَحَدَهَ يَظُورُوا وَحَدَهَ⁽⁴⁾".

وَمِنْ أَغَانِي المِشاعِلِ:

هَنْوَنِي يَحْبَابِي بِمِشاعِلِ زَيْتٍ وَاحْسَنَ مِنْ هَالِطَلَّةٍ وَاللَّهُ مَا رَيْتَ
هَنْوَنِي يَحْبَابِي بِمِشاعِلِ نَارٍ وَاحْسَنَ مِنْ هَالِطَلَّةٍ وَاللَّهُ مَا صَارَ

"نَقُولُ الْيَوْمَ الْحِنَةَ، يَحْوشُوا شَرَايِطَ، اللَّيْلَةَ السَّهْرَةَ انْجِيبْ عِيدَانِ وَكَازَ وَأَنْهَوْذَ عَلَى الْعُرْسِ، اَيْكُونُ الْعُرْسُ فِي آخِرِ الْبَلَدِ، نَسْهَرُ وَنَغْنِي، الزَّلَامَ يَعْمَلُوا تَمَثِيلِيَّةَ (شَنْيَعَةَ وَامْلِيحَةَ)، (مَدْنِي وَحَرَاثَ، فَلَاحَ) وَيُصَيِّرُوا النَّاسَ يَضْحَكُوا⁽⁵⁾".

وَمِنْ أَغَانِي المِشاعِلِ أَيْضاً:

مَسْكِينُ بِالْخَيْرِ يَلِّيَ مَاشِيَاتٍ فِي اللَّيْلِ وَاللِّي جَابَتْ مِشْعَلَةٌ تَجِيبُ مَعَهَا مِشْعَلَتَيْنِ⁽¹⁾
"يَا مَوْقِدَ النَّارِ أَوْقِدْهَا وَعَلَيْهَا وَالنَّارَ مَا تُصْمُطُ إِلَّا الْيَ وَقَعَ فِيهَا"⁽²⁾
صُبُّوا مِنْ جِرَارِ الزَّيْتِ تَتَظَوِّي مِشاعِلُنَا اللَّهُ مَعَ أَبُو مَشْهُورٍ رَدَّادُ الْجَوَابِ عَنَّا
صُبُّوا مِنْ جِرَارِ الزَّيْتِ تَتَظَوِّي الرِّوَاقَاتِ اللَّهُ مَعَ أَبُو مَشْهُورٍ رَدَّادُ الْجَوَابَاتِ⁽³⁾

(1) يَكُشُوا مِنْ كَشٍّ، عَامِيَّةٌ وَهِيَ بِالْفَصْحَى قَشٌّ: جَمْعٌ. انْظُرْ: الْمَنْجَدُ، ص 629.

(2) النَّتَشُ: الْعُشْبُ النَّاشِفُ.

(3) مَقَابِلَةٌ شَخْصِيَّةٌ، الْحَاجَةُ فَاطِمَةُ، أَبُو قَشٍّ، 77 سَنَةِ. 2007/8/8.

(4) مَقَابِلَةٌ شَخْصِيَّةٌ، الْحَاجَةُ تَمَامُ، بَيْتُ دَقْوٍ، 67 سَنَةِ. 2007/8/5.

(5) مَقَابِلَةٌ شَخْصِيَّةٌ، الْحَاجَةُ فَاطِمَةُ، عَيْنُ يَبْرُودَ. 63 سَنَةِ. 2007/7/29.

(1) مَقَابِلَةٌ شَخْصِيَّةٌ، الْحَاجَةُ صَفِيَّةٌ، أُمُّ وَجِيهِ، عَيْنُ قَيْنِيَا، 84 سَنَةِ. 2007/7/20.

(2) مَقَابِلَةٌ شَخْصِيَّةٌ، السَّيِّدَةُ زَهْرُورُ، أَبُو شَخِيْدِمَ، 58 سَنَةِ. 2007/7/29.

(3) مَقَابِلَةٌ شَخْصِيَّةٌ، بَدِيْعَةُ قَنْدَحَ، أَبُو شَخِيْدِمَ، 60 سَنَةِ. 2007/7/29.

وحديثاً هناك فرقة للدبكة من قرية الجديرة تُسمي نفسها فرقة المشاعل، وهي محاولة للعودة للماضي البعيد وإحياء التراث، لذا تقوم الفرقة بعروضٍ تشارك في الأعراس والاحتفالات التراثية مُستخدمةً مشاعل الزيت والكاكز وهي تلقى نجاحاً رائعاً.

إن فكرة الدين التي تستند إلى جوهر واحد هو (وجود المقدس) يمكن أن تكون قد بدأت من النار، لأنها تحمل نمطاً خاصاً تختلف فيه عن بقية ما يراه الإنسان في عالمه، لقد كانت أول مقدس احتك به، لكنه مقدس غائر في القدم والبعد، وهو كذلك مقدس غفل لأنه لا يستدعي فصلاً بين عالمين، معروف ومجهول، إنساني وإلهي، لقد شكلت النار أول إشارة للخوف والرهبة والدهشة والجمال والمنفعة، ولم يكن الإنسان يلحمها أو يراها عن بعد فحسب (كالشمس والقمر)، بل كان يستعملها ويقترب منها وكان من النادر أن تجود الطبيعة في تلك الأزمان بشيء ما يشبهها، ولعل الإنسان القوي هو الذي يستطيع إيقاد النار واستعمالها والسيطرة عليها.

لقد اقترب الإنسان من المقدس الأول النار، فرَوَّضَهَا وجعل من تدجينها طريقاً لعبادتها⁽¹⁾. "كانت النار آية الإنسان البدائي، ويبدو أن حمم البراكين الحارة هي التي علمت الإنسان ما النار، ولقد كان من بين آثار الإنسان النياندرتالي قطع من الفحم وقطع من العظم المحترق. إذن فالنار التي صنعها الإنسان تذهب في القدم إلى أربعين ألف عام مضت، وقد أعد الإنسان لنفسه آنية خاصة تمسك الشحم الذي كان يشعله ليستضيء بضوئه، لقد اتقى الإنسان البرد وقهر الظلام بها"⁽¹⁾، ثم عبد الإنسان القديم النار واستخدمها "وقد توافق الباعث التطهيري للنار في جميع الحضارات، فالبابلون حرقوا الجثث بالنار"⁽²⁾، أما الفراعنة فإنهم حرقوا — بالنار — البخور أثناء طقوس الظهيرة⁽³⁾.

وتتحدث الأساطير عن سر اكتشاف النار، ويعيد بعضها هذا الاكتشاف إلى عشتار، "فقد كانت هي أول من استخرجها من مكنها من أغصان الشجرة وحافظت عليها اتقادها"⁽⁴⁾. ويحكي

(1) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص36.

(1) ديورانت، قصة الحضارة، ج1، م1، ص164.

(2) انظر: المنصوري، جريري، النار في الشعر وطقوس الثقافة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. ط1، 2002 ص29.

(3) المرجع السابق، ص31.

(4) السواح، مأساة عشتار، ص128.

بعضها عن شعلة النار الأولى وكيف جاءت بها إلى الأرض امرأة سرقته من القمر ثم قامت بحراستها والإبقاء على اشتعالها في البيوت والمعابد⁽¹⁾.

"وفي بعض الأساطير البدائية تتبعث شعلة النار الأولى من قيام إلهة القمر بتمرير يدها ما بين ساقها مما يُذكر بالأم الكبرى في الهند، التي باعدت بين ساقها ومن رحمها نبتت الشجرة"⁽²⁾.

"وعند الإغريق تروي أسطورة بروميثيوس اليونانية، أنه كان إلهاً مضاداً تمرد على الآلهة فذهب ذات يوم إلى جبال الأوليمب متكئاً على عصا، ولم يُلْقِ أي من الآلهة بالاً لتلك العصا، لكن العصا كانت فارغة من الداخل ودون أن يلاحظه أحد، أخذ بروميثيوس جمرات من الموقد الإلهي ووضعها في قلب العصا، ثم حملها للإنسان الأول على الأرض فلم يعد هؤلاء يخافون البرد والظلام"⁽³⁾.

"وقديماً كان حملة المشاعل يتقدمون الأعراس السومرية والبابلية والمصرية والكنعانية والإغريقية والرومانية"⁽¹⁾.

وعند الإغريق أيضاً، صَوَّرَت الأعمال التشكيلية الأم الكبرى وبيدها مشعل، كما في رسوم الإلهة، ديمتر⁽²⁾ وغيرها الكثير من⁽³⁾ الآلهة، وفي ديانة الأسرار الإليوسية⁽⁴⁾ (Eleusinian Eleusian Mysteies)، كانت تجري احتفالات في شهر أيلول، حيث يحمل الكهنة تمثال ديونسيوس⁽⁵⁾ مع رموز الإلهة ديمتر إضافة للمشاعل وسنابل الحنطة من معبدها

(1) السواح، ماساة عشتار، ص128.

(2) Campbell.Joseph. **The Masks of God**. Oriental Mythology. Penguin Books New Yourk. 1976. PP.166

(3) Campbell. Joseph. **The Masks of God**. Primitve Mythology. The Vinkling. Press.New York. 1995.p.359.

(1) انظر: عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص17 و 30.

(2) ديمتر: (أم الأرض): إلهة الخصب والزراعة والبذور عند اليونان، انظر: الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص222.

(3).Frazer. **The golden pough**. Pp.191.

(4) الإليوسية: أقدم الديانات السرية الإغريقية، تعود جذورها إلى حوالي القرن السادس عشر ق.م. انظر: الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص120.

(5) ديونسيوس، (باخوس): إله النبيذ، ويبدو أن أصله فينيقي يعود إلى أدونيس (إله مشرقى). المصدر السابق ص286. وانظر: عكاشه، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ص93.

ثم يذهبون بها عبر الطريق المقدس إلى أثينا في موكب حافل ليضعوها في معبدها هناك⁽¹⁾. وعند الرومان تظهر الشعلة أكثر التصاقاً بالإلهة (ديانا) من غيرها، فلا تظهر في رسم ونحت إلا وفي يدها مشعلها المضيء، واسمها إذا أعيد إلى جذره القديم يعني (المضيئة)⁽²⁾.

طقس الحناء:

يتم طقس حناء العروس في الليلة السابقة للزفاف، وهي آخر ليالي السهرة وتُشتري الحنة مع الكسوة⁽³⁾، "بتجيب إم العريس الحنة خمسة كيلو أو أحيان عشرة كيلو حسب قدرتها، بتعزم القربات وبقولوا: تَفْطَلُوا يَلَّه بِنَا نَجِبِل الحنة للعروس (بُكرة حنة وُغدا)"⁽⁴⁾ وعند الظهر تقوم إحدى قريبات العريس بعجن الحنة بالماء مع وضع قليل من الخميرة (حتى تختمر العجينة)⁽⁵⁾ ويرددن في أثناء العجن أغاني كثيرة منها:

هالحننة اللي جبلناها	تيجي رطلين ووقية
كله في عُرس فلان	ياريت منه الذرية
هالحننة اللي جبلناها	تيجي رطلين وحفنة
كله في عُرس فلان	ياريت منه الخلفة
منين جببت الحنة	يا طيب الأصل
من كل عطار شوية	تقرت ⁽¹⁾ انا السبع ومصر ⁽²⁾
"وانا جبلت الحنة تيجي رطلين ووقية	بستحمد ربي العالي اللي عاد عليّه
وانا جبلت الحنة تيجي رطلين وقبة	الحمد لله يا ربي فرحت انا في الشمعة
"حنا ولك يا جالب الحنة	محمد عريس وعروسته منا

(1) الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص 121.

(2) Frazer. The galden pouch. Pp.191.

(3) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 41.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، عين ببرود، 63 سنة. 2007/7/9.

(5) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 41.

(1) تقرت: حتى لفيت وبحثت.

(2) المرجع السابق، ص 41. وانظر: المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 411.

ريحه وَلَكِ يا جَالِبِ الرِّيحَة	محمد عريس وعروسته مَليحة ⁽¹⁾
حِنَّاكِ هِيا لَـة بِيالِه ⁽²⁾	ونقوشِك مَـلا الكِيا لَـة ⁽³⁾
واللي أَخَذَك راح مِسْـعَد	اللي فاتِك بِقَشـيْلِه
"حِنَّاكِ هِيا لَـة بِيالِه	ونقوشِك مَـلا الفَنجـان
واللي أَخَذَك راح مِسْـعَد	اللي فاتِك راح نـدِمان ⁽⁴⁾
حِنَّاكِ خَطُّ القَلَم	واللي فاتِك راح في النـدم ⁽⁵⁾
"طايح محمد يشترى حنا	في عروسته ربي يَـتْـهـنا
طايح محمد يشترى عَ السوق	لَـعـروسُـتَـه إِم الـسـوق
طايح محمد يشترى رِيحَه	لَـعـروسُـتَـه المايحـة ⁽¹⁾

"بعدا انخلص جبل الحنة بنزينها بالورد وبنغني:

قَطَفْنا الـورد من الجـناين	تَـحْطَـه على رووس الكـناين
قَطَفْنا الـورد من الحـصيرة	تَـحْطَـه على رووس الغـندورة ⁽²⁾

"ثاني يوم بِجَمَلوا الحنة وبروحوا على دار العروس وبِغْنين وهن رايات:

وين دار الأمارَة وين دار الأمير	وين دار أبو محمد مَفروشة بحريـر
وين دار الأمارَة وين دار الشـيوخ	وين دار أبو محمد مَفروشة بالـجوخ ⁽³⁾
"لما يُعْبَروا، أبوها وخالها بقولولها:	

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(2) هيلة بيلة: عامية، تعبير عن الكثرة، وكأنها اختصار لكلمة (بالهبل) وهي عامية تعني كثيراً جداً دون حساب.

(3) الكيلة: وعاء يكال به (يوزن به) المنجد، ص706.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة صفية (أم وجيه)، عين قينيا، 84 سنة. 2007/7/20.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(1) مقابلة شخصية، إنعام عصفور، سنجل، 47 سنة. 2007/8/3.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيرود، 69 سنة. 2007/7/29.

"اتحني، اتحني ومرحبا بك واحنا اجمالك"

وبنصير احنا نقول:

قولي لي من هو بيك يا مريم يا بدوية

قولي لي من هو بيك يا مريم يا فلاحه

وهي تتحنى:

واتخظلي يا مليحه

واتخظلي يا دلالي

وأثناء عملية وضع الحنة:

وانا بيي أبو محمود يا ذهب انجادية

وانا بيي أبو محمود يا ذهب لواحده⁽¹⁾

يَمَّ الرجال الشَّجِيعَة

يَمَّ الرجال الشَّجِيعان⁽²⁾

تَمَّني ايديك مديديا

والنَّجم حيايط فيهما⁽¹⁾

واحنا حطينا حقوق أبوك وخالك

واحنا حطينا حقوق أبوك وجِدك

في دار أبو محمود حنيننا الملاح

في دار أبو محمود حنيننا السراري

في دار أبو محمود حنيننا المزيون

عينك عين الشُّنارة والكُحل أمحاليها والكُحل أمحاليها

عينك عين الشُّنارة والكُحل مكوسها والكُحل مكوسها⁽²⁾

واليوم انت عند اهلك، وامبكره⁽³⁾ ع عريسك، وبكره ع عريس

"مديدي ايديك مديديا

والوجده ديرة قمرة

"قومي اتحني قومي اتحني بشمالك

قومي اتحني قومي اتحني ويش بدك

خايك عالميل يا عود التفاح

خايك عالميل يا عود الدوالي

خايك عالميل يا عود الليمون

مدي ايدي مديديا لحننا تحانيها، لحننا تحانيها

مدي ايدي مديديا لحننا تانقشها للحنة تانقشها

يم وشامه بالحنة، رشي الحنة قميصك، رشي الحنة قميصك

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(2) مقابلة شخصية، أنعام عصفور، سنجل، 47 سنة. 2007/8/3.

(1) ربيع، ولید، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص42. تلفظ ال (ك) (ch) في اللهجة الفلاحية.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(3) المصدر السابق. 2007/7/29.

يَمُ وَشَامَةٌ بِالْحِنَةِ رُشِي الْحِنَةِ بَدَلَاتُكَ، رُشِي الْحِنَةِ بَدَلَاتُكَ
يَمُ وَشَامَةٌ بِالْحِنَةِ رُشِي الْحِنَةِ عَذْيَالُكَ، رُشِي الْحِنَةِ عَذْيَالُكَ
يَمُ وَشَامَةٌ بِالْحِنَةِ، رُشِي الْحِنَةِ جُوكِيَتُكَ، رُشِي الْحِنَةِ جُوكِيَتُكَ
واليوم انتِ عند اهلك، ومُبَكَّرَةٌ عَ حَمَاتِكَ، ومُبَكَّرَةٌ عَ حَمَاتِكَ
واليوم انتِ عِنْدِينَا، ومُبَكَّرَةٌ عِنْدِ اَعْيَالِكَ، ومُبَكَّرَةٌ عِنْدِ اَعْيَالِكَ
واليوم انتِ عند اهلك، ومُبَكَّرَةٌ عِنْدِ بَيْتِكَ ومُبَكَّرَةٌ عِنْدِ بَيْتِكَ⁽¹⁾

"بَقْتُ وَحْدَةٌ هِيَ الَّتِي تَحْنِي الْعُرُوسَ انْقَلَبَتْ (نَقَاشَةٌ)⁽²⁾ يَغْنُولُهَا:

وَاعْطُوا مَحْنِيَةَ الْعُرُوسِ اقْرَاهَا
وَاعْطُوا مَحْنِيَةَ الْعُرُوسِ قَرَوْتَهَا
تَقُولُ النِّسَاءُ عَلَى لِسَانِ الْعَرِيسِ:

"وَصِيَتُكَ يَا مُنْقَشَهُ عَرُوسَتِي
وَصِيَتُكَ يَا مُنْقَشَةَ عَمِّ الْحَلْقِ
مَا خَذْتُهَا إِلَّا تَكْتَبُ فُلُوسَتِي
مَا خَذْتُهَا إِلَّا تَكْتَبُ الْوَرَقَ⁽¹⁾"

وبعد الانتهاء من نقش العروس يأتي دور العريس:

"يَا زُرَيْفَ الطُّوْلِ وَاللَّيْلَةِ حِنَاكَ
يَا زُرَيْفَ الطُّوْلِ طَالَعِ سِلْمَهُ
مُنِينَ جَبْتَ الْحَنَّا مُحَمَّدُ يَا بُو النَّامُوسِ
مُنِينَ جَبْتَ الْحَنَّا مُحَمَّدُ يَا بُو الْهَيْبَاتِ
مُنِينَ جَبْتَ الْحَنَّا مُحَمَّدُ يَا بُو الرِّبَابِ
ثم يغني للعروس:

حِنَاةُ الشَّامِ شَرِيَّتَا
حِنَاةُ الشَّامِ مَشَرِيَّةُ
عَلَى إِيْدَيْنِ الْبَيْظِ حَطِيَّتَا
عَلَى إِيْدَيْنِ الْبَيْظِ إِلَوْ غِيَّه

(1) مقابلة شخصية، الحاجة لوزية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16. امبكره: لفظة عامية تعني غداً وتلفظ بالفلاحيّة (Imbochra).

(2) يسمى يوم الحنة، (يوم النقش)، انظر: المبيض، ملاحح الشخصية الفلسطينية، ص411.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة لوزية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

حنّة حنّة يا جابل الحنّة
ريحّة ريحّة يا جابل الريحّة
والليلة حنا العرايس يا سلام سلّم
والليلة حنا العرايس يا لطيف ألطف
وعند العودة من الحناء تغني النسوة:
حنّينا وجينّا يا خليلي
محمد عريس يا ريت يتّنها
محمد عريس يتّنها في المليحة⁽¹⁾
واستوى عنب الدوالي يّمحمد كلّم
واستوى عنب الدوالي يّمحمد أقطف⁽²⁾
عُبال الصّدقا⁽³⁾ والمحبّين⁽⁴⁾

"بقينا نُقعد قُدام العروس إنْحني إجريها"⁽¹⁾ حتى الرُكبة وإيديها لَلْكَتِفْ، اليوم بنقشوا اسم العروس أول حرف فقط على كف العريس واسم العروس أول حرف على كف العريس"⁽²⁾ ويصف المثل الشعبي جمال الحنّة على المرأة فيقول: "اصابعها زي الرُطب"⁽³⁾ وقد تكون الرُطبُ هنا بمعنى البلح الناضج.

ويرمز الحناء حديثاً وقديماً إلى الدم، تلك الطاقة الكامنة، في الحياة فقد عثر في منطقة لوسيل Layssel بجنوب فرنسا، وتحت سقف صخري، وفي الوسط من الحائط الصخري الرئيسي نحت بارز يمثل هيئة أنثوية ترفع بيدها اليمنى وعلى مستوى الكتف قرناً لثور البيسون، أما اليد اليسرى فترتكز في كفها على البطن الممتلئة وعلى النحت بقايا من مغرة حمراء كانت تلونه منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة"⁽⁴⁾. وتحتاج العروس للحناء في مرحلة الزواج عند معظم الشعوب القديمة ففي العراق القديم كان من أمور المرأة الاعتيادية صبغ باطن اليد والأرجل بالحناء⁽⁵⁾.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(2) مقابلة شخصية، ربيحة، دير ديوان، 52 سنة. 2007/8/16.

(3) الصّدقا: عامية أي الأصدقاء.

(4) ربيع، ولید، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص42.

(1) إجريها: عامية أي أرجلها.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص411.

(4) السواح، دين الانسان، ص139.

(5) القيم، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، ص77.

وقد اهتمت المرأة بالحناء فكانت تصبغ به شعرها ويديها وقدميها للتجميل⁽¹⁾، كما كانت تصنع من مسحوق أوراق الحناء عجينة تستعملها في خضاب يديها وقدميها، وقد وجدت أصابع اليدين والقدمين في بعض الموميات التي عثر عليها في أحد قبور الشيخ عبد القرنة بالدير البحري بطيبة من الأسرة العشرين في مصر القديمة مخضبة بالحناء، وقد وصف العالم ألبرت سميث شعر مومياء إحدى النساء (حتسنون) من الأسرة الثامنة عشر بأنه مخضب بلون مائل للإحمرار بسبب صبغة بالحناء⁽²⁾.

وتعتقد النساء حتى يومنا هذا أنه يمكن لأعداء العروس أخذ فضلات معجون الحناء، كي يعملوا لها عملاً سحرياً، لذا يحرص أهل العروس على وضع هذه الفضلات في منديل، يُعطى للعروس في يديها حتى تطمئن⁽¹⁾. ويرجع هذا الى معتقد أن الحناء إذا مكثت على يدي العروس وقدميها وقتاً طويلاً، ووفقاً لمبدأ الاتصال أو التأثير بالعدوى فإنها صالحة للأعمال السحرية فالأشياء التي اتصلت ببعضها حتى عن بعد، حكمها في ذلك حكم الأثر تماماً⁽²⁾.

من طقوس ملابس العروس:

تلبس الفلسطينية الثوب المطرز بالحريز أو القصب، وتتعدد أنواع الثياب وأسمائها، وتخبئنا الحاجة مهدية صرصور⁽³⁾ من البيرة: "الثياب أنواع منها: جلّلي، رومي، ملك، اخطارى، رهباني، جنة ونار (شقفة حمرة وشقفة خضراء)، شركسي على النول، خرز حديث جداً. والمناجل (عروق الثياب)، برّظه أنواع منها عرق الحية، عرق الدالية، عرق الحمام، عرق موج البحر عرق الوز، عرق السمكة، عرق الغزال، عرق النخل، عرق الشجرة، عرق الزغاليل، عرق وردة و وردتين، عرق الساعة عرق الحماة والكنة"، وتمتلك الحاجة مهدية في خزانها مجموعة نادرة ومتنوعة من الثياب المطرزة الجميلة والتي يبلغ ثمنها آلاف الدورات، ومع أنها قد

(1) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص90. وانظر: عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص317.

(2) علي، ثريا، (العروس)، ص91. وانظر: نظير، وليم، العادات المصرية بين الأمس واليوم، دار الكتاب العربي، للطباعة ط1. ص19.

(1) المرجع السابق، ص93.

(2) المرجع السابق، ص94.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة، 86 سنة. 2007/7/25.

تجاوزت السادسة والثمانين سنة، إلا أنها لا تزال ممشوقة القوام جميلة، ذات بشرة خالية من التجاعيد، وتفخر بذلك فتقول: "اليوم بصلي الخمس صلوات في المسجد حتى صلاة الفجر، وبشارك في كل المناسبات، شافيه هذول الثياب، كل ثوب إله مناسبة عندي من الثوب اللي عليه شوية مناجل للثوب المدبوز⁽¹⁾ حرير دبز، هاظا عرق الحية، وهاظا عرق الكنة والحماة (طلع (طلع جديد) وهاظا عرق السمكة، وهاظا ملك مطرز حرير، وهاظا ملك مقصب...."⁽²⁾.

"بقت الوحدة تلبس على راسها وقاه⁽³⁾ وبقولولها شطوه مطرزة ورُفَافه⁽⁴⁾ عليها من وره وره (من الخلف) ريات و إله قذله⁽⁵⁾ من قدام ومن الجنين نازلة ريات فضة"⁽¹⁾.
"من زمان كانت العروس تلبس كبر (Chiber) أحمر محرز وغميمة⁽²⁾ وتلبس وقاه على رأسها فيها مجيديات فطة غاليات"⁽³⁾.

"على زمني كانت العروس تلبس ملك وشال حرير، وتحت الملك قميص إنيظ مكشكش، وفوق الملك بتيجي التقصيرة، وعلى راسها بتلبس شطوة كلها ذهب وعشاري فطة، واليوم رجع قماش الملك من جديد"⁽⁴⁾.

"من زمان كانت الوحدة تلبس عصبة خظرا على راسها بقولولها (روسية)"⁽⁵⁾.
أما العريس فكان "لما انزفه بتلبسه خلفة بيظه وحطة واعقال وديماية تحتها سروال وعليه عباءة مقصبة"⁽⁶⁾.

(1) مدبوز: عامية اي ملئ جداً لدرجة الازدحام.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة. 86 سنة. 2007/7/25.

(3) وقاه أو شطوه: قطعة مطرزة تلبس على الرأس، ويخاط على أطرافها قطع ذهبية أو فضية لها أسماء عدة منها شكة، شطوه، صفة.

(4) رُفَافه: قطعة من الوقاه تنزل فوق الأذنين فتغطيها.

(5) قذله: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس، المنجد، ص 615.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2008/8/3.

(2) غميمة: قطعة من القماش، يلف بها الرأس وقد تغطي الوجه عدا العينين.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريما، 84 سنة. 2007/8/2.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/7. مكشكش: (فارسية): وهو عند الخياطات من شرائط وغيرها للزينة، المنجد، ص 636.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم سردا، 71 سنة. 2007/8/8. والروسية: هي عصبة خضراء، كانت تضعها العروس على رأسها قديماً.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2008/8/3.

وتقول الحاجة مريم⁽¹⁾ من سردا: "على زماني كنت أنا وبديلتي (نظيرة) أول عرايس بلبسن بدلات بيظ، وعرساناً برظو أول عرسان لبسوا بدلات في بلدنا، إجت وحدة لبستنا الطرحتين عليهن تاجين لونهن زي الفظه".

أما عبير قاسم فتقول: "اليوم البنات بلبسن فستان على الخطبة، وملك على الحنة، لازم يلبسن ملك عنا، في الجديرة وبيرنبالا والجيب وكل القرى اللي حوالينا كل البنات اللي بذهن يتجوزن بيخيطن ثوب أو ثوبين حلوات كثير للمناسبات، وملك للحنة، وعلى العرس الفستان الأبيض وعلى راسها بتحط الواحدة تاج بتعمل تسريحه وبتحطه، وعلى خصرها اشداد عريض"⁽²⁾. وقد شاهدت الكثير من الأعراس، حيث ترتدي الفتاة فيها الملك أو الخطاري وهو ثوب جميل جداً مطرز بالحريز الذي يغطي كل قماش الثوب بشكل عام.

ومن الأغاني التي تذكر الثياب وأنواعها:

"قطع الكسا ثوب رهباني	في دار ابو محمد نفرش وانام" ⁽¹⁾
"لوما شباب اهلي ما وردت عالعين	ولا البست الثوب أبو العرقين
لوما شباب أهلي ما اوقفت أغني	ولا البست الثوب مع عثملي
لوما شباب أهلي ما طحت الحارة	ولا لبست الثوب مع الإسوارة
جبن الفلسطينيات بثياب الحبر	يرجالهن قدامهن زي الوزر" ⁽²⁾

أعتقد أننا أمام مشهد من مشاهد الزواج المقدس الذي كان يجري عند كافة الشعوب القديمة من سومريين وبابليين ومصريين وكنعانيين وإغريق...

ففي أعياد الاكيتو السومرية والزكمك البابلية، أقيمت أعراس الإله دموزي والإلهة إنانا في طقوس الزواج المقدس، الذي يكون الملك والكاينة مركزه الأساسي وفق استعادة دورية منظمة لحدث أسطوري اعتُقد أنه كان وراء إخصاب الطبيعة والنباتات والحيوانات، ووراء تكاثر البشر

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2008/8/8. سروال: (فارسية): لباس يستر الجزء الأسفل من الجسم، المنجد، ص 332.

(2) مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/8.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2008/8/6.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، 74 سنة. 2008/8/3.

وازدهار الحضارة⁽¹⁾، وأوضح ما يدل على أن طقس الزواج الحالي عند الفلسطينيين تعود جذوره إلى عمق التاريخ البشري، هو ثوب الملك أو الملكة الذي ترتديه العروس وهو ثوب مطرز بالقصب ومن المعروف أن القصب ذهبي اللون مما يوضح أنه إنما يعني ثوب الملكة الإلهة الأولى عشتار أما الرجل فإن العباءة التي يرتديها هي أيضاً مطرزة بالقصب، مما يوحي أن هذا الزواج إنما هو زواج الملوك الذي كان يجري قديماً في تمثيل واضح للزواج الأسطوري لإنانا ودموزي.

"وتكاد تكون عصابة الرأس الخضراء القديمة التي ترتديها العجائز الفلسطينات "الروسية"⁽²⁾، وكن يرتدينها يوم العرس هي نفسها تلك العلامة الخاصة بمراسم الزواج منذ الألف الثاني قبل الميلاد في وادي الرافدين قديماً، والتي كانت عبارة عن جزء من نبات أخضر يوضع على الرأس"⁽¹⁾. كما أن الشكة أو الشطوة أو الوقاة الفلسطينية، هي نفسها طريقة الملوك البابليين والآشوريين عندما يعقصون شعرهم إلى الخلف ويشدون به بعضاً مزينة بقطع ذهبية ومعدنية⁽²⁾. أما التاج الذي (تضعه المرأة حالياً) فقديماً كان يقارن بلمعان وإشعاع الآلهة، وكان الإله سن هو إله القمر، وهو إله التاج وضيأؤه نابع منه، وهو يرمز إلى تاج الملك والملوكية. وفي العصر الإغريقي كان رأس العريس يتوج بإكليل من الغار⁽³⁾، أما العروس الرومانية فكانت تخرج ملثمة إلى موكب عرسها وتلبس تاجاً⁽⁴⁾.

حزام المرأة الفلسطينية:

لا تزال المرأة الفلسطينية ترتدي الثوب التقليدي، وتضع على خصرها الحزام أو ما يسمى (الشِّداد)، وهو عادة ما يكون عريضاً بعض الشيء مكوناً من عدة طبقات أو ثنيات بحيث تستطيع أن تضع فيه النقود وغيرها. ومن أغانيه:

(1) الماجدي، الدين السومري، ص 158-159.

(2) الروسية: عصابة خضراء اللون مزينة بالدوائر والأشكال تستخدمها الجدات اليوم.

(1) الجادر، حضارة العراق، ج 4، ص 348.

(2) المرجع السابق، ص 358.

(3) المرجع السابق، ص 379.

(4) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 18.

"ويش هالغزال الذي عن دارنا عَدّه خصرًا رَقِيق وبالكشمير مشتهه⁽¹⁾".

كان الحزام في العراق القديم يستخدم لشدّ القميص إلى الجسم من وسطه ولكنه استخدم أيضاً لحمل لوازم معينة وأدوات حربية، وقد كان الحزام رمزاً لأول قطعة ملابس على الجسم، واعتبر حزام الإلهة عشتار لباساً مقدساً، وكان يقدم قرباناً للإلهة، ومعظم الأحزمة التي نجدها في المنحوتات في وادي الرافدين التي تزين المظهر الخارجي الخاص بالآلهة والملوك، كانت مجملتها بوحدة زخرفية وأحياناً نجدها مصنوعة من مواد أولية متنوعة كما تشير إلى ذلك النصوص المكتوبة، حيث ذكرت:

"الكتان والصوف لصنع الأحزمة بالدرجة الرئيسية كما استخدمت الأحزمة الجلدية"⁽¹⁾.

من طقوس يوم الزفاف الزينة:

"إزالة الشعر غير المرغوب فيه (الزائد)، الحمام، الكحل، ومساحيق (الودرة) و(الحومرة)، الميك أب"⁽²⁾ وتصفيف الشعر وتثبيت الوقاة (الشكة أو الطرحة).

كانت العروس في فلسطين قديماً تنتظر الماشطة كي تساعد من الصباح الباكر في إزالة الشعر (الزائد) عن جسمها، وربما تقوم الأم بهذا الدور "قبل الزفة بليلة عَمِلْتَلِي إمي عقيدة"⁽³⁾ عشان الشعر الزايد، ولا⁽⁴⁾ لازم تكون الوحدة نظيفة وحلوة عشان جوزها يستحليها، كل البنات ببسوين عقيدة أحسن من السكر اللي طالع في السوق اليوم، لليوم البنات بفظلن العقيدة، بطول الشعر تَيَطْلَعُ — إصحي تقولي اسمي عيب! —⁽⁵⁾ وتكمل الماشطة دَوْرَهَا فتضع للعروس العديد من المساحيق منها الكحل العربي والحومرة والبودرة، والسركون⁽⁶⁾، ثم تثبت لها الشكة أو الطرحة.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) انظر: القيم، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، ص 17.

(2) الميك أب: كلمة إنجليزية دخيلة تعني MAKE UP: powder, paint, worn of the face. Look-: Proctor, paul, Longman Dictionary, Charles Mc Gregor. Birut, 1990, pp 659.

(3) العقيدة: من عَدَّ وانعَدَّ: أي اختلطت أجزاءه حتى غلط واشتد وعَدَّ كالديس. انظر: المنجد، ص 519. والعقيدة هنا سكر وماء وعصير ليمون توضع على النار حتى تشتد وتستعمل لإزالة الشعر الزائد عن الجسم.

(4) ولا: عامية بمعنى طبعاً.

(5) مقابلة شخصية، سيدة، الجديرة، 63 سنة، 2007/8/6.

(6) وَرَق ناعم ملون فيه قابلية الالتصاق بالجسم، يوضع على وجه العروس، يُعطي الوجه لمعاناً وبريقاً. انظر: ربيع، دراسة في المجتمع، ص 46.

"وتقول الحاجة مريم⁽¹⁾ من سردا: أجت واحدة بقولولها الماشطة حطت لنا حومرة وبودرة يوم العرس. أما اليوم وفي الوقت الحالي، فتحجز العروس دوراً لها عند مصففة الشعر (الكوافيرة)، قبل موعد الزفاف بعدة أيام وقد يتطلب هذا دفع مبلغ من المال (كعربون)⁽²⁾، وفي يوم الزفة تذهب العروس مبكرة لمصففة الشعر (الكوافيرة) التي تجاوزت ووظيفتها تصفيف الشعر، فهي تساعد العروس على إزالة الشعر الزائد بواسطة مساحيق حديثة سريعة المفعول، ثم تُجملها بوضع مساحيق أخرى كالحومرة والبودرة والكحل، وهو ما يسمى في وقتنا الحاضر (الميك - أب) وهو صناعة أجنبية، ثم ترتدي العروس فستانها الأبيض، وأخيراً تعمل لها الكوافيرة تسريحة جميلة تثبت بها طرحتها وقد تضع لها تاجاً على رأسها.

أما عن الكحل اليدوي (العربي) فنقول الحاجة فاطمة من اللين، "نِشْتَرِيهِ رَبْدَ إِسْمَرٍ وَبِنَجِيبِ الْهَوْنِ وَبِنَحْطُ الْكَحْلَ فِيهِ وَبِنَطْحَنهُ عِلْشَانِ يَنْعَمْ، وَبِنِشْوِي حَبَّ زَيْتُونٍ وَبِنُدْقُهُ مَعَ الْكَحْلِ بِنَحْطُ عَلِيْهِنَّ مَيِّ الْمَغْرَبِ وَبِنَخْلِيْهِنَّ فِي النِّجْمِ، أَحْسَنُ عِلْشَانِ الْعَيْنِ تَظَلُّ مَلِيْحَةٌ، الصَّبْحُ بِيَطِيْشِ الْقَشِيرِ بِنِزْمِيهِ وَبِعِيْدِيْنَ بِنِطْحَنهُ بِالْهَوْنِ، وَبِنِسْتَعْمَلُهُ"⁽¹⁾.

ومن الأغاني التي تذكر الزينة والكحل:

ذِيبْ عَيْنِ الذِّيبِ مَكْحُولَةٌ	وَمَنْ لِّلذِّيبِ كُحْلٌ تَيَكَّحِلْ عَيْنُونَا
كُحْلُكَ رَشَاشِي وَصَبْرَنِي وَأَنَا مَاشِي	يَعْمِي دَرْبِ الظَّحَى فَطَى عَلَى الْمَاشِي ⁽²⁾
طَالَعَةُ مَنْ بَيْتِ أَبُوْهَا	عَابِرَةُ بَيْتِ الْجَوَادِ
لَابِسَةُ الْبُيْظِ عَالِمُوظَّة	وَالْعُيُونِ كَحْلَى سَوَادِ ⁽³⁾
طَلَعْتُ يَا هَذَا زَيْنَتِ الْبِلَادِ	يَا عَيْنَهَا كَحْلَى بَلَا مِرْوَادِ
طَلَعْتُ أَصِيلَةَ زَيْنَتِ قَبِيلَةِ	يَا عَيْنَهَا كَحْلَى زَرَّاقِ النِّيلَةِ ⁽⁴⁾

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) العربون: هو بعض الثمن أو الأجرة، المنجد، ص 495.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللين، 67 سنة. 2007/1/11.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللين، 65 سنة. 2007/1/11.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

استخدمت الألوان للترزين منذ العصر الحجري الحديث، فمن مركبات النحاس تم الحصول على المادة الخضراء التي كانوا يستخدمونها في التكحل.

كانت المرأة الغنية في العصر البابلي لا تمد يدها إلى الأعمال البيتية، بل كان يخدمها من الآخرون، وكانت تقضي معظ وقتها في العناية بنظافتها وجمالها، وكان على الوصيفة أن تقوم بغسل أرجل السيدة، وحمل كرسيها إلى المعبد، وتمشيط شعرها وتسريحه ومساعدتها دوماً⁽¹⁾. وللعناية بنظافة جسد الرجل والمرأة وشعرها، استعملت الزيوت لتكسيبها النعومة، وكانت الزيوت المعطرة غالية، إذ إنها كانت تُستورد من الخارج، وكان يفضل عادةً زيت السرو والسدر لرائحتهما الجيدة⁽¹⁾، كان التجميل واستعمال العطور من الأمور اليومية، وكن يحتفظن بأدوات التجميل داخل أوعية طينية أو حجرية أو داخل أصداف نقشت بنقوش فنية جميلة، وكن يستعملن الصبغ الأسود للحواجب والأهداب، والأخضر لظل العين، والأحمر للشفاه والخدود، ويحملن حقائبهن النسائية المغلقة بحلقة صغيرة، بشكل دائم، وكانت تحتوي على منقش وسكين وملقط لتنظيف الأذن، ومن الأمور التي كانت لا تُنسى مرآة اليد البرونزية والمشط المصنوع من الخشب والعاج⁽²⁾.

كانت المصرية تكره الشعر الزائد في الجسم وتعتبره نقصاً في النظافة، أو ضرباً من الإهمال، لذا كانت تحرص على إزالته الزائد من الأماكن غير المرغوب فيها، وكانت تستخدم لذلك الملقاط أو الشفرات، وقد عثر في مقبرة أم خوفو على شفرات من ذهب ونحاس⁽³⁾. عرفت مصر القديمة مهنة تصفيف الشعر، التي كانت تقوم بها النساء وعُرفت الواحدة منهن باسم "نشت" ويذكر التاريخ المصري أنهن كن يؤدينه خير أداء⁽⁴⁾.

وظهرت المرأة المصرية كحيلة العين وكان أن سبق لها ابتداء "تزجيج الحاجبين"، حيث تدخلت في شكلها حذفاً وإضافة، كما عثر في المقابر على ملاقط ومقصات صغيرة من الذهب والنحاس

(1) انظر: علي، ثريا، (العروس)، ص 89.

(1) القيم، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، ص 76.

(2) كلنكل ايفيلن، رحلة إلى بابل القديمة، ترجمة د. زهدي الداووي، دار الجليل، دمشق، ط 1، 1984، ص 54-58.

(3) نظير، وليم، المرأة في تاريخ مصر القديم، ص 83-84.

(4) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 322.

والبروز كانت تستخدمها المرأة في تزجيج الحاجبين⁽¹⁾، وكان هناك لوانان شائعان في عملية طلاء العيون، هما الأسود والأخضر اللذان يرجع تاريخ استخدامهما إلى 4000 سنة قبل الميلاد، حيث عثر عليهما في المقابر في صورة مواد خام، أو رقائق أو بودرة، أو معجون، وفي العصر المصري الحديث بدأت معرفة أقلام الكحل المصنوعة من الخشب أو البرونز، بعد أن كانت المرأة تضعه باليد⁽²⁾.

طقس الوشم:

الوشم⁽¹⁾ هو الغرز بالإبرة لعمل خطوط ورسوم، "بِطُّوا الإبرة على الفحم أو الجمر الساخن ويدقوا المكان بالإبرة حتى ينزل الدم، ويُصير إزرق مكانه، للحلوة حتى تصير أحمى"⁽²⁾ "يجيبوا ثلاث ولا خمس إير بدقوهن يعملوا (سيال) على اللحية، والشباب وهمه بحدقوا بدقوا نرعانهم، أختي كانت إيديها تعرق لما اتخيظ دقولها وشم. حماتي وبنت عمي إلهن سيال على اللحية... (البيظة مشان الحلوة، بتزيد حالاتها)⁽³⁾. "بقين زمان ايذفين الوشام في صباح الحلوة، يظلو يدقوا فيها تيطيح دم، وبعدين يتركوها بيصير إزرق محلها⁽⁴⁾. وعندما سألت الحاجة سبعية طه من بيت ريماء عن الوشم الذي تحت شفتها السفلى قالت: "بقولوله سيال، كنت في زمانى نقشة"، وهو على شكل +، وقد رأيته على الحاجة حسنية (أم مفيد) من بيت دقو بشكل صليب أيضاً، كما وجدته على وجه الحاجة حسنية من الجيب "على أسفل لحيتها".

ومن أغاني وشم المرأة:

يا بـيـظـيـمـاتـ الوشـام	يا سـمـر رـجـن اتـخيـبـن ⁽⁵⁾
من قفا السور دوري بيظه يمّ الوشام	صاحب البيت روّح غايب ولو زمان ⁽⁶⁾

(1) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 320.

(2) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 89.

(1) انظر: المنجد، ص 902.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جدية سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 77 سنة. 2007/8/3.

ويردد لنا الحاج أبو مشهور⁽¹⁾ (أبو شخيدم) متغزلاً بوشم حبيبته:

الناسُ تعجبُ من خالٍ بوجنته فكيف بي وحبيبي كله خالٌ

"والدار الجديدة اللي ببنوها بذبخوا على عتبتها وبنقشوها داير ما يدور بابها، (يكون أمرار نذر أو ردة عين أو في يوم العرس)"⁽²⁾ تقول الحاجة تمام⁽¹⁾ من (بيت دقو): "كانت إمي تبل الشريطة بدم الطحّية يوم العيد ويوم جَوَزَت أخوي وتنقش داير باب الدار امليح".

ولا يزال بقايا نقش الدماء يحيط بباب بيت الحاج (صقر) أبو شخيدم بعد أن ذبح ووشم البيت في عرس ابنه، ومن أغاني وشم البيت:

نِذْرُنْ عَلَيَّ يَا دَارِنَا مِنْ رَوْحَا أَصْحَابِكْ لَجِيبِ الْحَنَةِ يَا دَارِنَا وَنَقْشُ بَوَابِكْ⁽²⁾
وعن العروس:

عَبَّرَتِ الْبَيْتَ بِيْظَةَ رَشَقَّتْهُ زَعْفَرَانِ شَارِعِ الْبَيْتِ وَاعْبُرْ يَا بَنَ بَيْتِ الْكِرَامِ⁽³⁾

"تعود أول طقوس الوشم إلى الشامانيت وإلى طقوس التكريس و العبور أو التعدية التي يخضع لها الفتيان الذين يقاربون سن البلوغ، حيث كانوا يجبرون بعد دق الوشم على ظهورهم على الاضطجاع على حصير دون حركة، وهو طقس تطهيري رمزي يعود بعده الصبي بالغاً ناضجاً"⁽⁴⁾.

"وفي منطقة حسونة في العراق عُثِرَ على مجموعة من الدمى تعود إلى الألف السادس قبل

(1) مقابلة شخصية، أبو مشهور، أبو شخيدم، 81 سنة. 2007/2/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام. بيت دقو. 67 سنة. 2007/8/5.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17. انظر: علي، فاضل عبد الواحد، **العرفافة والسحر**، ج 1، المكتبة الوطنية، بغداد، 1985، ص 216. ويبدو أن وشم البيت في المناسبات هو تعويذة قديمة فقد كان الكاهن في عيد رأس السنة البابلي الزكمك يذبح كبشاً ثم يمسح جدران المعبد بدمه.

(4) الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، ص 73 وانظر: السواح، **الأسطورة والمعنى**، ص 68-80. وانظر: البيديل، **سحر الأساطير**، ص 31. وانظر: الماجدي، خزعل، **أديان ومعتقدات**، ص 51-52. المرجع السابق ص 90...

الميلاد مكسورة الرؤوس والأيدي تمثل الإلهة الأم، ويمثل رسمٌ على عنق جرة امرأة أو إلهة مرسومة بملامح مكتنزة وتظهر حدودها مخططة بثلاثة خطوط عمودية يظهر أنها وشم⁽¹⁾.
"وفي الأناضول تظهر الأم الأناضولية الإلهة ممسكة بتدبيها كواحدة من أجمل التماثيل المعبرة عن الخصوبة، وهي مصنوعة من البلور البركاني المرصع بالصلصال المرّ قبل تجفيفه على النار وقد وُجدت آثار وشم وصبغة حمراء"⁽²⁾. ويعتبر الوشم من أقدم العادات التي مارسها السومريون وقد كانوا يزينون أجسامهم به⁽³⁾. كما عرف الوشم في مصر القديمة منذ عام 2000 قبل الميلاد⁽¹⁾، خاصة على أجساد الراقصات وبشكل خاص في منطقتي الصدر والأكتاف⁽²⁾. كما كان الإغريق والجرمان وقدماء الرومان يَشُمون العبيد والمجرمين لتمييزهم عن سواهم⁽³⁾. ثم وشم الإغريق أنفسهم حتى أنهم أسلموا أنفسهم للإبرة الصابغة وتحملوا حتى وشم الشفاه⁽⁴⁾. عاد الوشم اليوم عن طريق الحنة وعن طريق الوشم المُستحدث الذي يسمى في وقتنا الحاضر (تاتو).

طقس الوشم على شكل صليب:

ذكرنا سابقاً أن المرأة والعروس كانت تضع الوشم على لحيتها بشكل صليب (سيال)، وذكرنا أيضاً أن الأم أو الداية كانت تضع على جبهة الطفل الصغير علامة سوداء بشكل صليب بعد رقيه.

كان الصليب في رسومات حضارات العراق القديمة يرمز إلى الحركة والتعاقب في الميلاد والموت وإلى عدم السكون والتوقف، وقد كان يستعمل كتعويذة. كما كان يرمز إلى اللقاء الذكري الأنثوي ومن ثم إلى الخصب والنماء، وقد زينت به الأواني الفخارية وجدران المنازل واحتل مكانة مقدسة بين رموز الحضارات القديمة⁽⁵⁾.

(1) علي، فاضل عبد الواحد، العرافة والسحر، ص 90.

(2) المرجع السابق، ص 91.

(3) علي، ثريا، (العروس)، ص 104.

(1) المرجع السابق، ص 105.

(2) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 90.

(3) علي، ثريا، (العروس)، ص 104.

(4) ديورانت، قصة الحضارة، ج 1، م 1، ص 145.

(5) أحمد، بوساحة، حقيقة الموت في نظر الديانات، الانتشار العربي، بيروت، ط 1، 2008، ص 85 - 101.

طقس الحلي:

أولاً: الذهب

يشتري العريس الذهب في الكسوة. تقول الحاجة بديعة⁽¹⁾ أبو شخيدم: "كانوا يجيبوا ذهب للعروس يقولوله مَشْخَلَع".

"يا صدرها والمَشْخَلَع زي القمـر يـومن يطلـع"

ولا يتم عقد القران قبل الاتفاق على المهر بما في ذلك الذهب. ولأهمية الذهب فهو يُزف على الصواني ويغنى له:

تلولح يا ذَهَب على الصواني	عَمِنك يا ذهب جبت الغوالي
اتلولح يا ذهب على الصينية	عَمِنك يا ذهب جبت النمشية ⁽¹⁾

وللذهب أنواع وأسماء يغنى لها:

الوادي الوادي مشيها يَمحمد	الوادي الوادي الله معك الله
ذهب رشادي لبسها يَمحمد	ذهب رشادي الله معك الله
"يابي أكثم يا ليرة عليها حصان	دقة مجيدة يا روي دقة السلطان
يابي أكثم يا ليرة فرنساوي	دقة مجيدة يا روي دقة الغاوي ⁽²⁾
"عليبة اللولو بالذهب ملوها	طلت ويا مريم تنده على بوها
يعليبة اللولو بالذهب مطايبة	طلت ويا مريم من باب العليبة ⁽³⁾ .

وكان ولا زال الأب يُنقِط ابنته ذهباً:

"يخلف عابوها وين ما رباها ميتين ليرة من الذهب أعطاها⁽⁴⁾

(1) مقابلة شخصية، الحاجة بديعة قندج، 60 سنة. 2007/2/29.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زهور قندج، 58 سنة. 2007/2/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانة، 80 سنة. 2007/1/25.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، 63 سنة. 2007/7/29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

وقديماً كان العريس يلبس العروس أساور الفضة أيضاً أما في الوقت الحالي فهي رخيصة لذا لا تدخل في المهر، ومن أساور الفضة القديمة (الحيزريات، "مفاتيح تكون هالعرضي الوحدة بقولهن حيزريات فيهن حب" (1).

"الشط الشط، مشيها يا عريس الشط الشط الله معاك الله
وأساور فيضة لبسها يا عريس أساور فيضة الله معاك الله (1)

ومن أنواع أساور الذهب المشهورة أساور الحية التي تحمل رأس أفعى وتسمى أيضاً المباريم ويغنى لها:

المية مية مشيها يا عريس المية مية الله معاك الله
أساور حية لبسها يا عريس أساور حيه الله معاك الله (2)
"تليّه يا شعر الحية على الديّه والشايخة لابو باسم والها هية
تليّه يا شعر الحية على الديات والشايخة لابو باسم والها هيات
تليّه يا شعر الحية على الذرعان والشايخة لابو باسم والها زمان"
وقد يُتَشَبَّه به في الأعراس:

واحنا لحنا ارحاص ولا انضر الناس إلا ذهب رباص (3) وانتقل اشوية (4)
يا دار بو اكثم يللي مقابلة الخواص شقة بترمي ذهب وشقة بترمي رصاص
عدنان وكنعان من دار السعد في الراس بارودنا من ذهب لنعمره برصاص (5)

ارتبطت الكواكب منذ القدم بالمعادن التي تتخذ منها (أعمالاً سحرية) فإن كان العمل منسوباً إلى الشمس فمعده الذهب، وإن كان العمل منسوباً إلى القمر فمعده الفضة".

(1) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) رباص: بقي لوقت الغلاء. انظر: المنجد ص245.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، 56 سنة. 2007/1/6.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانة، 80 سنة. 2007/1/25.

لقد نظر الإنسان البدائي إلى المعادن القوية المتألثة في باطن الأرض نظرة إعجاب. وشمل هذا ظهور عقائد سرية مدفونة باطنية، لذا فقد استعمل هذه المعادن في طقوسه الدينية، مقدساً إياها مشبهاً إياها بالجنين في رحم أمه⁽¹⁾.

"كان المعتقد الشائع أن المادة التي تتكون منها التميمة لها تأثير على قوة فعاليتها، فالذهب ذلك المعدن المقدس لدى المصريين القدماء، الذين وصفوه بأنه لحم الإله، أو شعاع الشمس المتجمد، وهو يرمز إلى الخلود والبقاء، لأنه المعدن الوحيد الذي لا يبلى ولا يفنى، ولذا كان يصنع منه مفتاح الحياة المقدس الذي يحمله كبار الكهنة والملوك وقد كان اللون الذهبي مقدساً كونه يجمع جميع ألوان الطيف، وخاصية فعالية كل منها، مع المحافظة عليها من الفناء، كما أطلق على التميمة التي تصنع من الذهب "التميمة الجامعة"، لأن فعاليتها تجلب جميع عناصر الخير، وتقاوم أو ترُدُّ جميع عناصر الشر والحسد"⁽¹⁾. وفي تعويذة قلادة الذهب، ما يساعد الميت على التخلص التخلص من لفائف موميائه تمهيداً للبعث الجديد⁽²⁾.

أساور المباريم: من أنواع الأساور التي عرفت قديماً، عبارة عن أسلاك من الفضة أو الذهب تصنع مبرومة وتُزَيَّن بها النساء زنودها. وأعتقد أنها هي نفسها التي تسمى حالياً (أساور مباريم) وغالباً ما تكون من الذهب⁽³⁾.

ثانياً: القلائد والأقراط والخلاخيل والأساور

تتزين الفلسطينية بالأساور والأقراط والخلاخيل والقلائد:

"طَلَعَتْ يَا فَطْمَةُ زينة الحارة يا ايدها بيضة بلاش اسوارة"⁽⁴⁾

"كانت الوحدة العروس اتحط عقد قرنفل وخرزة زرقاء"⁽⁵⁾

يا بَيَّ كَرِيم عَ نابلس وارد واحنا اصحاب الكَرم جاييين القلايد

(1) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 168.

(1) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 317. وانظر: تيبو، موسوعة الأساطير، ص 157.

(2) الماجدي، الدين المصري، ص 267.

(3) الجادر، من كتاب حضارة العراق، ج 4، ص 380.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 52 سنة. 2007/2/16.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 67 سنة. 2007/8/7.

ويش هالدويلة اللي حطت ع بيادرنا نصبت خيامها وفزت لمشايخنا
هوود بو أكثم هبوب الريح لاقاهم قالهم ويش تطلبوا يا رعاة الخيل يا جواد
قالوح نطلب منك بنات الجود نخطبها قال وحياة بوي لشنشلها بذهبان
يا بَيَّ أكثم يا حبة العين يا زمردة في قلادة يا ريت جابت امك اثنين⁽¹⁾
وتجمع هذه الاغنية بين الذهب والقلاند:

ياصدرها هالمعره ياصدرها هالمعره وأربع قلايد لبره أربع قلايد لبره
لوني في الشام بنا لوني في الشام بنا ما فت سبله عيونه ما فتها لا والله

يا صدرها هالفتوح يا صدرها هالفتوح وأربع قلايد تلوح وأربع قلايد تلوح
لوني ع الشام أروح لوني ع الشام أروح ما فت سبله عيونه ما فتها يا روح⁽¹⁾

كما كانت المرأة تلبس خلخالاً. "بقت الوحدة تشتري خلخال مع الكسوة، عشان تلبسه يوم
صباحيتها تتغاوى فيه"⁽²⁾.

عرف الإنسان الحلي منذ قديم الزمان، فقد كانت تستخدم لأغراض أخرى غير التزين، فكثيراً ما
كانت تستخدم كتمائم تمنع الأذى، وتجلب الحظ أو كأداة سحرية للتحصن ضد السحر والعين
والأرواح الشريرة⁽³⁾.

وفي البالوليت الأعلى⁽⁴⁾ عثر في قبور الكهوف على قطع كثيرة من المحار المثقوب، والتي يعتقد
أنها وضعت وفق أشكال تعويذية، وكانت منظومة بشكل عقود، وقد وجدت في أحد الملاجئ
الصخرية (لي إيزيس (Les Eyzies) في فرنسا وبلغت 300 قطعة. وفي (لاكروت دي
كافيلان)، في فرنسا أيضاً عثر على أكثر من 200 قطعة محار⁽⁵⁾.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/1.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2009/5/8.

(2) علي، ثريا، (العروس)، ص94.

(3) السواح، دين الانسان، ص128.

(4) البالوليت الأعلى 35000 سنة ق.م.

(5) انظر: Jame. Edwin O. Myth and Ritua in Ancient Near East. London 1958.p33

وفي العراق القديم شملت الحلي كل القطع التي اتخذ منها الإنسان موضوعاً لزينة مظهره، سواء كانت مادتها من الحجارة أو الصدف، أو المعدن، وكانت هذه الحلي ذات دلالات متنوعة عند العراقيين فهي لا تقتصر على اتخاذها عنصراً من عناصر المظهر الخارجي الجمالي، بل تعدت ذلك إلى علاقتها بمفاهيم فكرية متشعبة، بما في ذلك المتعلقة بالأبهة، والمظهر اللامع المضيء، ووصل الاهتمام بها إلى الاعتقاد باحتوائها على قدرات أسطورية خارقة⁽¹⁾. كما لبس المصريون الخلاخيل في رسغي الرجلين. وهو تقليد يرجع إلى أصل مصري قديم، كانت الخلاخيل من الخرز الأسطواني المصنوع من الأحجار شبه الكريمة، أو خزف مع ذهب⁽¹⁾.

وقد كانت المرأة المصرية تورث خلخالها لابنتها⁽²⁾. أما الخواتم فقد كانت بالغة التعقيد، يتضح هذا من خواتم الملك توت عنخ آمون، كما استخدمت الأقراط، وكانت على أشكال مختلفة، تشبه كثيراً ما نستعمله اليوم، فبعضها كان يضغط على شحمة الأذن، وبعضها الآخر فيه دبوس ينفذ منها⁽³⁾. أما الكنعانيون فكانوا يرون في الحلي بعض الفضائل السحرية باعتبارها عنوان جذوة الحب الخطرة:

"لقد ماتت الأوقاف المقدسة

حتى تنتقل جواهرها إلى المرأة"⁽⁴⁾.

وفي الهند القديمة كانت العروس تزف بعد أن تتزين وتتجمل بالحلي التي تغطي جسمها كله⁽⁵⁾. كما شاع استخدام الطوق والقلائد عند عرب الجزيرة إسلاماً ومسيحيين، ويذكر عن إبراهيم عليه السلام أنه كان يضع عباءة حمراء اللون، وعلى رأسه عمامة مربوطة برباط من الجلد وكانت

(1) الجادر، من كتاب حضارة العراق، ص 366.

(1) نظير، ولیم، المرأة في تاريخ مصر القديمة، ص 79-80. وانظر: علي، ثريا (العروس)، ص 97.

(2) المرجع السابق، ص 98.

(3) المرجع السابق، ص 80 - 83.

(4) القيم، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، ص 160.

(5) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 287.

نساؤه يحملن الأولاد على ظهورهن، ويلبسن الخلاخيل في الأرجل، والأساور في الأيدي، والأقراط في الآذان والأنوف. وفي أعناقهن قلائد متنوعة⁽¹⁾.

وفي نهاية حديثنا عن زينة العروس، لا بد لنا أن نذكر كيف استعدت إنانا ليوم عرسها، حيث زينت أنحاء جسمها بمختلف الأحجار الكريمة، والمجوهرات والحلي، فمن كنز أتى به أحد عشاقها كانت تنتقي حجر اللازورد لصدرها، وخرزاً بيضاً في الشكل لردفها ورأسها، وحجر الدرو (الدر) لضفائر شعرها، وأقراطاً برونزية لشحمة أذنيها، ومختلف أنواع الحلي لوجهها وأنفها وعجيزتها، والآيستر لامعاً لسرتها، وصفصافاً لفرجها، وخفين لقدميها⁽¹⁾:

"وعندما سأستحم من أجل الملك، من أجل الإله

وعندما من أجل الراعي دموزي

سوف استحم وبعد أن أزين ردفيّ

عندما أدهن شفتي بالمرهم العنبري

وأضع الكحل حول عيني...⁽²⁾

طقس حمام العريس:

يقول الحاج صابر الشيخ⁽³⁾ من الجيب: "في ضحى يوم العرس "بُحْطِرُ" أصدقاء العريس لبيته ويقوموا بتحميمه، وهم يغنون أثناء صب الماء، وبعد الحمام يرقصوا أمامه ويرشوا العطر والملح والشعير، ويحملوه على الأكف حتى يركبوه على الفرس، وقد يعزم أحدهم العريس كي يستحم في بيته".

من أغاني حمام العريس:

"يَعْرِيس امْبَارَك حَمَامَك	وَالْحَلَوَة تُرْقِصُ قُدَامَك
يَعْرِيس امْبَارَك هَالْبَدَلَة	وَالْحَلَوَة تُرْقِصُ فِي الزَفَة ⁽⁴⁾ .
"يَعْرِيس مَبَارَك حَمَامَه	كُل الشَّابَاب قُدَامَه

(1) الجادر، الأزياء والحلي، من كتاب حضارة العراق، ج4، ص380.

(1) انظر: كريم، طقوس الجنس المقدس، ص111-112.

(2) الماجدي، متون سومر، ص235.

(3) مقابلة شخصية، الحاج صابر الشيخ، الجيب، 82 سنة. 2007/8/2.

(4) مقابلة شخصية، الحاج وجيه أبو عبد الله، 73 سنة. 2007/8/6.

يا عين الصلاة عالنبي	يا عين الصلاة عالنبي
كرمال محمد وعلي	والورِد فتح للنبي
محمد يا كحيل العين	محمد يا زين وذكره زين
وعرسه ليأته الاثنين ⁽¹⁾	محمد خطبولة الجمعة
بهاالساعة الرُحمانية	مُبارك حمّام العريس
عرسك غالي عاليه	عُرسك والله يا عرّبي
ففي دلال أمّك وابوك	حمّامك يا ريته مبروك
بهاالساعة الرُحمانية ⁽¹⁾	كل العالم بحبوك
	وتغني النساء في حمام العريس:
باقي في الحمام والبدلة جُوحي	وين باقي وين يا فلان يا رُوحي
باقي في الحمام والبدلة غيبة ⁽²⁾	وين باقي وين يا فلان يا عينية

في تأكيد صريح لتشبيه العريس بالملك في طقوس الزواج المقدس القديمة يُغني له أصدقائه:

امبارك حمام العريس بها الساعة الرحمانية وانت الملك يا عريس واحنا عندك رعية⁽³⁾

ومن أغاني النساء قولهن أيضاً:

قُلي وين باقي يَمحمد يا مدلّ في حمام العُرس والشعر امبلّ

قُلي وين باقي يَمحمد يا مزيون في حمام العُرس والشعر مبلول⁽⁴⁾

كان الاحتفال بالزواج المقدس معروفاً في زمن سلالة لكش الثانية على وجه التحديد زمن الأمير

(1) مقابلة شخصية، الحاج صابر الشيخ، الجيب، 82 سنة. 2007/1/2.

(1) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص43.

(2) المرجع السابق، ص43.

(3) المرجع السابق ص46.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة بديعة قندح، 60 سنة. 2007/2/29.

كوديا⁽¹⁾ حيث ترد إشارات صريحة إلى قيامه بدور الزوج في المراسيم والطقوس الخاصة بهذا الزواج، كالاغتسال وتقديم الهدايا والقرابين⁽²⁾.

ومن القصائد المشهورة قصيدة "إنانا وإيدن دجان" (1954-1974)⁽¹⁾ ق.م. والتي تُظهر تفاصيل طقوس الزواج الإلهي المقدس. حيث كانت المرحلة الأولى منه تبدأ بتهيئة القصر فيتم نصب الفراش الذي سيتم عليها الطقس (الزواج) الذي تحيط به أغصان الأرز وباقات الأسل، ثم تبدأ مرحلة استحمام الإله والملك معاً، وهو نوع من التعميد أو الاغتسال قبل الزواج⁽²⁾، أو ما يسمى طقوس التطهير، ثم تنثر الطيوب بزيت الأرز المعطر⁽³⁾.

طقس الصمدة على اللوج:

بعد وصول العروس من (الصالون) تجلس على منضدة عالية نصبت خصيصاً لها ولعريسها، تسمى بالصمدة أو (اللوج)، بحيث تكون أعلى من الناس تمهيداً لانتقالها لبيت الزوجية وعند وصول العريس يجلس معها قليلاً ثم يتهاى للانتقال لبيتها، وتغني لها النسوة في لحظة جلوسها:

مكتوب عـ جبينها متطلعيش بره	"قعدت على الكرسي ومحوطة بالله
مكتوب عـ جبينها ميشوفها مخلوق ⁽⁴⁾ .	قعدت على الكرسي ينجيمة العيوق
والصامدة صامدة لاميـري	يا قاعدة عاللوج ميلي
والصامدة صامدة غزالي	يا قاعدة عاللوج لالي
والصامدة صامدة العـزي ⁽⁵⁾	يا قاعدة عاللوج هـزي
ميلي على الخزانة	ميلي على صدر البيت
يبيـه يـا غزاليـة	يا بنت الكرم والجود

(1) غوديا، كوريا، من أشهر حكام مدينة ومملكة لكش، عاش في العهد السومري، 2500 ق.م تقريباً. انظر: كونتينو، الحياة اليومية، ص174.

(2) علي، فاضل عبد الواحد، الاحتفالات والأعياد من كتاب حضارة العراق، ج1، المكتبة الوطنية، بغداد، ط1 1985. ص211.

(1) إيدن جان، ثالث ملك لمملكة إيسن التي تلت مملكة أور.

(2) الماجدي، متون سومر، ص237.

(3) انظر: كريم، طقوس الجنس المقدس، ص119.

(4) اتصال هاتفي، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2008/10/15.

(5) المصدر السابق، 2008/10/15.

ميلي على صدر البيت ميلي على الطُراحة
يا بنت الكرم والجود يَبْنِيَّه يا فلاحه⁽¹⁾

تحدثنا عن قصيدة "إنانا وإيدن جان" (1954-1974) التي وصفت مراحل الزواج الإلهي وطقوسه، وقد كانت أولى مراحل استحمام الإله الملك العريس، يأتي بعد ذلك نثر الأرز والطيب تم تنتقل العروس إلى القاعة الخاصة، حيث أمر الملك بإقامة منضدة لسيدة القصر⁽¹⁾.

"أمرَ الملك بإقامة منصة لسيدة القصر

حيث يضطجع معها العاهل الإله

من أجل ضمان حياة كامل البلاد"⁽²⁾.

يعقب الزواج إقامة الاحتفالات والولائم، وفي مقدمتها الوليمة التي يقيمها الملك تكريماً لعروسه الإلهية وكان الملك والعروس يجلسان على منصة خاصة⁽³⁾، (يبدو أنها اللوج في أيامنا هذه).

طقس وليمة العرس:

كانت الدعوة لتناول طعام الغداء — قبل انتشار استخدام بطاقات الدعوة — تتم مشافهة، أما اليوم فيعلن عن الزمان والمكان في بطاقات الزفاف الأنيقة. أما الطعام فهو المناسف المكونة من اللحم والأرز والخبز واللبن، ويدل عدد الذبائح ونوعها على مركز والد العريس.

"يا شَب محمد مَن هو قَدَّه لَرْتَكْه عَ السُّورِ هَـدَّه
صَـنَعَ المنسَف ومَدَّه شِبره شِبر أبو زيد الهلالي"⁽⁴⁾.
يا مِكرمين الظيف يا لِجِوادي لوما أبو سامر ما انزَلت الوادي
يا مِكرمين الظيف في سنين المَحَل لوما أبو سامر ما انزَلت السَّهْل"⁽⁵⁾

(1) اتصال هاتفي، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة، 2008/10/15.

(1) الماجدي، متون سومر، ص237.

(2) المرجع السابق، ص237.

(3) باقر، طه، من أدب العراق القديم، ص192.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 74 سنة. 2007/8/7.

(5) مقابلة شخصية، الحاج صابر الشيب، الجيب، 82 سنة. 2007/8/2.

"لَمِينَ هَالْمِسَفَ بِدُرْجِ عَلَى الْحِيطَانِ هَذَا لَبُو مُحَمَّدٍ يَمَصْدِرُ الظِّيفَانَ"⁽¹⁾

"يَا بِلْ"⁽¹⁾ يَلِي رِقَابَكَ رِقَابَ الْوَرِ مَنَّهُو اللَّي تَرَكَى عَلَى سَيْفِهِ وَفَزَ
وَأَبُو الْعَبْدِ تَرَكَى عَلَى سَيْفِهِ وَفَزَ اِفْرُشَلَهْ يَا عَبْدَ فِرَاشِ الْعَزْ
يَا بِيظَ يَلِي رِقَابَكَ رِقَابَ الْحَمَامِ مَنَّهُو اللَّي تَرَكَهْ عَلَى سَيْفِهِ وَقَامَ
وَأَبُو الْعَبْدِ تَرَكَهْ عَلَى سَيْفِهِ وَقَامَ اِفْرُشَلَهْ يَا عَبْدَ فِرَاشِ النَّعَامِ"⁽²⁾

قَالُوا بِنَرِيدَ مِنْكَ كِرَامِي الرُّزْ تُعْرُمُهَا"⁽³⁾ قَالَ وَحْيَاةَ بُوِي لَغَزْغَزَهَا لَحِمَ ظَانَ
يَا شَبَّ جَمَالِ يَا بَيْتَ الْحَيَا وَالذُّوقِ صَدَّرَتْ ظُيُوفَ الظَّحَى اللَّي مَارْقِينَ الشُّوكِ
وِظُيُوفَ عَبْدِ اللَّهِ مَا رَقِينَ اسْرَبَ رَيْتَكَ يَعْصَمَتِي عَلَى إِيَامِ السَّعْدِ تَرَكَبَ"⁽⁴⁾

ارتبطت الوليمة منذ القدم بيوم الزفاف عند السومريين والبابليين وبعقد القران، "اذ تنص المادة 28 من قانون أشنونا على أنه (إذا تعاقد الرجل مع أביها وأمها وأقام وليمة وتزوجها فإنها في هذه الحالة، زوجة شرعية)"⁽⁵⁾ في يوم الزفاف تقام وليمة تقدم فيها المأكولات التي جلبها العريس، وتجري هذه الطقوس تحت رعاية الكاهن وكان للمعبد دور هام بها"⁽⁶⁾.

وعند الإغريق، في وليمة العرس تتناول النساء الطعام مع الرجال في غرفة واحدة، ولكن لكل جنس مائدته الخاصة به"⁽⁷⁾.

وعند اليونان "كانت شعائر إتمام الزواج كثيرة، وبعد إتمام هذه الشعائر وانتقال العروس لمنزل

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم محمد، أبو قش، 77 سنة. 2007 /8/8.

(1) يابل: أي يا إيل، نداء للناقة.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(3) عرْم: بمعنى كَوَمَ، المنجد، ص 502.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، 80 سنة. 2007/8/3.

(5) الماجدي، الدين السومري، ص 174.

(6) الماجدي، متون سومر، ص 325.

(7) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 13.

زوجها ينصرف المدعوون إلى وليمة شهية تحوي أطيب الأطعمة والأشربة وبعد الإنتهاء منها تذهب العروس لمخدعها، وسط ترتيل للأناشيد، وإنشاد المغنيين⁽¹⁾.

وعند اليهود: "جرت العادة عندما تصل العروس إلى بيت زوجها أن تقام وليمة العرس، وهي وليمة فاخرة تضم أهل العروس وأهل العريس وأصدقاءهم، ثم تنتقل بعد ذلك إلى قاعة الزفاف"⁽¹⁾.

الزفة وطلعة العروس:

في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي: "كانت العروس لما تطلع من دار أبوها تقف على الفرس وتخط السيف بين عينيها حتى تصل لبيت عريسها، يخطوا السيف على راسها، ويقولوا في راس أبوك، في راس أخوك، في راس عمك ويردوا ويقولوا مرحبا بك"⁽²⁾.

أو "كانت العروس لما تطلع من دار أبوها يخطوا على وجهها شاش، وتغصب راسها بمنديل جلجلي، وتلبس قلادة قرنفل، ولما تركب على الفرس، اتشد المنديله جهة اليمين وأهلها يمسكوها من هان ومن هان وتقف على الفرس سبع مرات وبعدن تقعد على الفرس واتظل رافعة أيدها لدار عريسها"⁽³⁾، "وكانوا يعملوا للفرس هودج إمسكر، ويسيروا الناس مع العروس وما يشوفوها، ينزلوها أهلها ويدخلوها لبيت عريسها أو بجوز تنزف على جمل، كانت الجمال إكثار زمان"⁽⁴⁾.

يا بوهـا باري هودجها	واصحا هودجها يقع
طالعة من بيت خير	رايحة بيت الجادع
يابوهـا باري هودجها	واصحا هودجها يميل
طالعة من بيت خير	رايحة بيت الأمير" ⁽⁵⁾

(1) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 31.

(1) عبد الصمد، معتقدات قديمة ما زالت شائعة، ص 168.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين ببرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، ببرزيت، 65 سنة. 2007/1/6.

(5) المصدر السابق، 2007/1/6.

وفي هذه الأيام تبدو القرية يوم الزفاف كأنها خلية نحل نشيطة، إذ يرتدي الجميع ملابس جميلة، ويحضر الشبان فرس الزفاف ويُرْكشونها، وتبذل النساء جهدهن في تجهيز المناسيف وإعداد مكان لصمدة العروس في بيت والدها، ثم في بيت زوجها (اللوج)، فبعد الإنتهاء من حمام العريس، وعودة العروس من صالون الشعر، يدخل العريس قليلاً لبيت والد عروسه، ثم يخرج ومعه العروس وبعض أقاربها يركبون السيارات إذا كانت المسافة بعيدة والفرس إذا كانت المسافة قريبة⁽¹⁾.

ويبدأ موكب زفة العروس (بالطلعة):

"طالعة من بيت أبوها	عابرة بيت الجود
لابسة البليّظ ع الموضة	والعيون كحلة وسود ⁽²⁾ .
"قرشوا الحارة حيري	تتمرق بنيت الأميري
قرشوا الحارة أطالس	تتمرق بنيت الفوارس
قرشوا الحاره شنانير	تتمرق بنيت الأكابر
قومي اطلعي قومي اطلعي لخالك	واحنا حطينا حقوق أبوك وخالك
قومي اطلعي قومي اطلعي ما يهمك	واحنا حطينا حقوق أبوك وعمك ⁽³⁾
قومي اطلعي ينجمة العيوق	على أبو محمد ما يغلا مخلوق
"قومي اطلعي يانجمة الغرارة	على أبو محمد ما تعلا وزارة ⁽⁴⁾

ويُغنى لوالدها:

"درجها يا بوها درجها	لدار إعيالها درجها
مشيها يا بوها مشيها	لدار إعيالها وديها
مشيها يا اخوها يا بطل	لدار إعيالها تتصل
مشيها يا خوها يا الأمير	لدار إعيالها تتصّليل ⁽⁵⁾

(1) ربيع ، وليد، العرس الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، عدد 31 /ص 109.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 5/ 2007/8.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية مفيد، بيت دقو، 81 سنة. 5/ 2007/8.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2/ 2007/8.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 3/ 2007/8.

"طَلَعَت الْأَصِيلَةَ زَيَّنَّتِ الْوَادِي
طَلَعَت الْأَصِيلَةَ زَيَّنَّتِ قَبِيلَةَ
قُولِي لِي وَبَيْنَ أَرَبَيْتِي يَا عُنُقَ الْغَزَالِ
قُولِي لِي وَبَيْنَ أَرَبَيْتِي يَا عَيْنَ الْجَامُوسِ
يَا اللَّهُ ائْجِيرْ أَبُو بَاسْمِ
وَأَعْطَى يَا وَجْهَ الْعَطَا
اللَّهُ ائْجِيرْ أَبُو بَاسْمِ
وَأَعْطَى يَا وَجْهَ الْعَطَا
وعند زفة الفرس:

حُطُّوْا عَلَى الْمُهْرَةِ مَيَّه مَوْرَدِيهِ⁽³⁾
حُطُّوْا عَلَى الْمُهْرَةِ مَيَّه مِنْ الْإِبْرِيْقِ
خَوَاتِمَ الْعَرْسَانِ بِيْظِهِ وَلَمَاعَةِ
وَارْدِي يَا خَيْلَ أَهْلِنَا عَ الصَّحْنِ
وَارْدِي يَا خَيْلَ أَهْلِنَا عَ الْفَنْجَانِ
وَارْدِي يَا خَيْلَ أَهْلِنَا عَ الْبَرِيْقِ
ويغنى للعريس على ظهر الفرس:

عَدِدُوا الْمَهْرَةَ وَيَشِيدُوا عَلَيْهَا
عَدِدُوا الْمَهْرَةَ وَيَشِيدُوا لِلْجَامِ
عَدِدُوا الْمَهْرَةَ وَيَشِيدُوا رَسَنَهَا
قُلِّي وَبَيْنَ أَزْفِكَ يَا بُو عَيُونِ السُّودِ
قُلِّي وَبَيْنَ أَزْفِكَ يَا بُو عَقَالِيَّه

يَا عَيْنَهَا كَحَلَى بِلَا مِرْوَادِ
يَا عَيْنَهَا كَحَلَى زُرَّاقِ النَّيْلَةِ
وَارَبَيْتِ فِي دَارِ أَبُويَا عَ الْعَزِ وَالِدَلَالِ
وَارَبَيْتِ فِي بَيْتِ أَبُويَا عَ الْعَزِ وَالنَّامُوسِ⁽¹⁾
وَأَمْطَى مِنْ السَّيْفِ دَيَّاتَا
وَأَيَّقَ دَرْنَا عَ نَخَوَاتَا
وَأَمْطَى مِنْ السَّيْفِ يَ كُفُوفَا
وَأَيَّقَ دَرْنَا عَ مَعْرُوفَا⁽²⁾.

يا زفة العرسان قبل العصر غيبة
يا زفة العرسان بعد العصر بتليق
يا زفة العرسان بعد العصر ساعة⁽⁴⁾.
رَايَحَهُ الْمِيدَانِ وَبِتُصْهَنْ صَهْنِ
طَايِحَةِ الْمِيدَانِ وَبَطْلَبِ سَلَامِ
طَايِحَةِ الْمِيدَانِ وَبِتَطْلَبِ عُلْيَقِ⁽⁵⁾

وَهَاتُوهَا لِمَحْمَدٍ يَرْكَبُ عَالِيَهَا
هَاتُوهَا لِمَحْمَدٍ تَيْرَكَبُ قَاوَامِ
هَاتُوهَا لِمَحْمَدٍ تَعْلَى ظَهْرُهَا
فِي أَرْضِ الْوُطْنِ وَلَا عَ الْحُدُودِ؟
فِي الصَّخْرَةِ الشَّرِيفَةِ وَبَابِ الْعَلِيَّةِ

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) المصدر السابق، 2007/8/7.

(3) مَوْرَدِيَّة: أي ماء الورد

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة، 2007/8/2.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3. صهن: عامية بمعنى سهل.

قُلِّي وَين أَرْفَكَ يا بو عيون وساع
يَمَّه عِقَال الزَّين حَطَّيْتَه عَ الشَّرْبَه
يَمَّه عِقَال الزَّين لَفَّيْتَه عَ البَرِيق
يَمَّه عِقَال الزَّين لَفَّيْتَه عَ الكَعْكُوز
واندهوا لَوَلاد عمه يجوله
وَزِفُولي هذا وُصَلُوا عَ النَّبِي
وَزِفُولي اياه وُصَلُوا عَ الرَّسُول
مَرَق يَمَحَمَد مِن الحارة مَرَق
مَرَق يَمَحَمَد مِن الحارة عَرِيس
مَرَق يَمَحَمَد على ظَهر الحِصان
"خيل الصواري لَحْنِيهَا
خيل الصواري وَرَدَتْ عَ العَيْنِ
خيل الصواري وَرَدَتْ عَ الوادي
خيل الصواري وَرَدَتْ عَ حارَتنا
"شدوا لجام الخيل لا يَطْلَعْنَ في الليل
شدوا لجام الخيل ليَطْلَعْنَ عَ الوادي
شدوا لجام الخيل ليَطْلَعْنَ عَ السوق
شدوا لجام الخيل ليَطْلَعْنَ بَرَّه

ومن طقوس الزفة:

1- طقس نثر الشعير والملح:

في الصخرة الشريفة والنبي جَرَّاح⁽¹⁾
هالْحَفْلَة لمحمد، لَغِيرَه لَبَرَّه
هالْحَفْلَة لمحمد، لَغِيرَه ما بَتَلِيق
هالْحَفْلَة لمحمد، لَغِيرَه ما بَتَجُوز⁽¹⁾
بالبارود الزين في الشيل شولَه
وباريه يَخَيَّه يا بو الحظ القوي
وباريه يَبَيَّه ريت عُمره يَطُول⁽²⁾
والعُنُق شِيرِين وَهَيْذ الله.. خَلَقُ
والعُنُق شِيرِين مِن فوق القَمَيص
والعُنُق شِيرِين مِن فوق القُصَّان⁽³⁾.
وَلَرُوح لِإِمامه وَهْنِيهَا
راكبها مَحَمَد مَكْهول العَيْنِ
راكبها مَحَمَد ابْن لَجُوادِ
راكبها مَحَمَد يا شَمَعْتنا⁽⁴⁾
مَبْرُوكَة زَفْتَك يا ميري بِنِ الأمير
مَبْرُوكَة زَفْتَك يا زين يِ بِنِ الجوادِ
مَبْرُوكَة زَفْتَك يا نَجْمَة العيوقُ
مَبْرُوكَة زَفْتَك يا نَجْمَة الغَرَّة⁽⁵⁾.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة قندح، 60 سنة. 2007/7/29.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(4) مقابلة شخصية، السيدة عديلة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد كوبر، 88 سنة. 2007/3/2.

"هاظا الشعير إنهار الزفة، لما يركب العريس على الفرس بحُطين شعير ومِلح، شعير مولد مقري عليه)، وبِذُرِن يرقين فيه"(1).

"بُخَطُوا شعير ومِلح وشَبَه وبَخور، بِزَفوا العريس وهو على ظهر الفرس دَاير البلد، وبتصير وحدة إم العريس أو خالته تباريه وتُرْش عليه، بحطوا شعير عشان شروشة تصير اكنار حتى ايشْرش"(2).

عَ الميَّه الزَّلال والشعير البلدي"(3).	"واردي يا خيل اهلنا واردي
لابسوة ثوب الفلح	طُلعَت تَتَغْرِبل قَمَح
لابسوة ثوب الحريـر	طُلعَت تَتَغْرِبل شـعير
بالمأك والكُنْدر"(4).	طُلعَت تَتَغْرِبل ذُرا

تحدثنا سابقاً عن الشعير وكونه يشير إلى الخصوبة، وهو هنا طقس سحري، الغرض منه ضمان البقاء والاستمرارية وتكاثر النسل(5)، كما تحدثنا عن الملح ودوره في تطهير الأجواء من الأرواح الشريرة.

وكانت كثير من العادات تربط العروس بالقمح، فيذرونها بالقمح، أو يكللونها به(6)، إذ يعتقد أن هذا يكفل الخصوبة، ومن هنا جاء تقليد الفزاعة التي تستعمل اليوم، والتي تعود "جذورها إلى دمي عشتار المغزلية وإلى فن الكهوف الذي يعود إلى 30.000 سنة قبل الميلاد، حيث كانت هذه الدمى جزءاً من أدوات طقسية، تُغرَسُ في الأرض بوضع عمودي، ضمن سياق طقسي يستهدف خصوبة الأرض(7)" وقد كان الزواج المقدس قديماً يهدف أساساً إلى الاستزادة من أسباب الخصب والرخاء وزيادة المحاصيل، وتكاثر الحيوانات، فإننا نقرأ في نص من الملك

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانه، 80 سنة. 2007/1/ 25.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(3) مقابلة شخصية، السيدة عديلة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين ببرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(5) انظر: الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص 48.

(6) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص 276.

(7) انظر: السواح، دين الإنسان، ص 157.

"إن- دجان" أن الكاهن أخذ بيد الملك وجاء به إلى حجرٍ إنانا "عشتار" ثم بدأ بترديد دعاء يسأل فيه الإلهة الزوجة أن تمنحه شارات الملوكية، وأن تسبع نعمها وخيراتها على الناس⁽¹⁾. وفي عرس إنانا (عشتار) وبعد أن استحمت رشّت الأرض بزيت الأرز العطر، وقد مدّ فراشها من الأسل⁽²⁾، والأرز تعبيراً عن الخصب أولاً⁽³⁾.

2- طقس المذرة⁽⁴⁾:

"في الزفة يجيبوا مِذرة يحطوا على وجه المِذرة صحن بقولولها (زرافة)⁽⁵⁾، بيرقص فيها العريس بين الناس"، ولا يزال يستخدم في القرى حتى الآن، ويغنون للعريس عندما يحملها ويرقص بها:

"عددوا المهرة وشدّوا عليها	تجي محمد ويركب عليها
عددوا المهرة وجيبوا الزرافة	زفوا هالعريس لَباب المظافة ⁽⁶⁾

وتعود جذور هذا الطقس لنفس الأصول السابقة في طقس نثر الشعير التي تتناول الحبوب والخصوبة.

لكن قد يبدو واضحاً أن الطقس هنا قد تحول عن المرأة، ليصبح طقساً ذكورياً يقوم به العريس، وهو يعود بطبيعة الحال لكون المجتمع الفلسطيني مجتمعاً ذكورياً أبوياً يعطي زمام الأمور للرجل.

3- طقس موكب العرس:

ينطلق موكب العرس من بيت العروس لبيت العريس، وعندما يقترب منه، تتحلق النساء حول الموكب سواء كان خيلاً أو سيارة حديثة، فيغنين حولها، ويَطْفَنَ في حركة تشبه الأمواج، حتى

(1) علي، فاضل، الاحتفالات والأعياد، من كتاب حضارة العراق، ج1، ص 213.

(2) الأسل: نبات دقيق الأغصان، يستعمل لصنع السلاسل. المنجد، ص11.

(3) كريم، طقوس الجنس المقدس، ص116.

(4) المذرة: عامية وهي المِذْرَة بالفصحى: آلة يُذَر بها الحَب ونحوه، المنجد، ص234. وقد رأيتها في كثير من البيوت الفلسطينية، فهي لا تزال تستخدم إلى اليوم.

(5) الزرافة: منزفة الماء.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة زهور قندح، أبو شخيدم، 58 سنة. 2007/7/29.

يَكْدَنَ يَحْمَلْنَهَا، وَتَغْنِي النِّسَاءَ:

"هَوْجِي وَمَوْجِي يَا فَرَس	هَوْجِي وَمَوْجِي يَا لَا لَا
شَارِيكَ خِيَالِكَ يَا فَرَس	وَنَازِل فِي الْمَعَارِكِ يَا لَا لَا ⁽¹⁾
وَشُو هَالزَافَه الْقَوِيَّة وَي	شُو هَالزَافَه الْقَوِيَّة وَي
وَيَحْنَا الْمُلُوك مِنْ سَوْرِيَا وَي	حَنَّا الْمُلُوك مِنْ سَوْرِيَا وَي
وَشُو هَالزَافَه هَالهَوْلََّة وَي	شُو هَالزَافَه هَالهَوْلََّة وَي
وَحْنَا الْمُلُوك وَحْنَا الدَّوْلَة وَي	حَنَّا الْمُلُوك وَحْنَا الدَّوْلَة وَي ⁽²⁾

"كان موكب الزواج المقدس يُختم باحتفال كبير يشارك فيه عامة الناس، وتُعرَفُ خلاله الموسيقى وتردد الأغاني وتقدم المأكولات والمشروبات، يصف أحد النصوص السومرية زواج الملك "إدن - دجان" من عروسه التي كانت تقوم بدور الإلهة إنانا (عشتار) أن الملك كان يجلس على العرش وإلى جانبه عروسه وأنه كان يضع ذراعه حول كتفيها، وأنها كانت تبدو مثل ضوء النهار، وهي تعتلي العرش، وكانت مواكب المحتفلين تمر أمامهما وهم يرددون الأغاني العذبة على أنغام الطبل والقيثارة"⁽³⁾.

ومن أغاني العرس التي تردها العروس للعريس قديماً:

"ما رددته هذه الكاهنة أغنيته العاطفية، بعد أن استعدت لذلك فاغتسلت بالماء والصابون وطيبت جسمها بالدهان والعمود، وفمها بالعنبر، وزينت عينيها بالكحل، وارتدت أجمل ثيابها وحليها، أنشدت للملك شيو - سين (2038-2030 قبل الميلاد)"⁽⁴⁾:

أيها العريس أنت على قلبي
لذيذ "وصالك" حلّو كالشهد
أيها الأسد عزيز أنت على قلبي

(1) مقابلة شخصية، محمد نظمي فندح، أبو شخيدم، 24 سنة. 2007/4/27.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) علي، فاضل عبد الواحد، الاحتفالات والأعياد، من كتاب حضارة العراق، ج1، ص 214 - 215.

(4) المرجع السابق، ص212.

لذيذ وصالك حُلُوْ كالشهد

أيها العريس دعني أقبلك

فقبلتي حلوة ألدُّ من الشهد

دعني أتمتع بجمالك اللطيف...

فَهَلُمَّ يا عريسي إلى بيتنا وَنَم فيه إلى الفجر

يا سيدي الإله وسيدي الحامي، يا شيو سين،

يا من يَسِر قلب إنليل⁽¹⁾.

"وعند البابليين كانت نفس المراسيم في عيد الأكيتو الذي يستمر أحد عشر يوماً والذي يختتم بوصول الموكب "بيت أكيتو" الذي ربما يكون معبداً، بعد أن يمر ببوابة عشتار المزينة وعند وصوله يجري ترتيل قصة الخليفة البابلية. وهو كذلك عند الآشوريين"⁽²⁾.

أما الإغريق فكانوا يهتمون بحفلة العرس اهتماماً كبيراً: "ويرون وجوب إقامة الحفل في يوم ميمون الطالع، وليس أسعد من اليوم الذي يكتمل فيه القمر ويصبح بدرأً، وعندما تشرق الشمس يلبس العريس حلة الزفاف وَيَتَوَجُّ رأسه بإكليل من الغار، يذهب بعدها لبيت العروس. وبعد إعلان الزواج وتلاوة العبارات المقدسة، تُحْمَلُ الفتاة لبيت زوجها في موكب الزفاف يتقدمه الزامرون وحاملو المشاعل"⁽³⁾.

وعند الرومان: "كان موكب العروس أشبه بموكب العروس عند الإغريق، غير أن الزوجة الرومانية كانت تأتي إلى هذا الموكب ملثمة، وتلبس تاجاً على رأسها، في حين تتقدم الموكب شعلة الزواج، ويسير حول موكب العروس جماعة من المنشدين يرتلون الأناشيد الدينية القديمة"⁽⁴⁾.

4- طقس لصق العجينة على باب الدار:

"بتعجن أم العريس شوية هالعجين، وبتحط عليها ورقة خظرا، ورقة توت أو دوالي أو ليمون لما

(1) باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، ص192.

(2) المرجع السابق، ص217-218.

(3) عبد الصمد، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ص17-18..

(4) المرجع السابق، ص30.

تصل العروس بتوخدها وبتلزيقها على باب دار العريس بقولوا: الخميرة مشان اتخمر، (اتخلف) وورقة الليمون بتظل على باب العتبة مشان إجراها تطلع خطرا واتعمر. (اللي بتقع بقولوا: مش رايحة اتعمر)⁽¹⁾ ويجري هذا التقليد حتى اليوم، فعندما وصلت بيت الداية فاطمة عبد الرحمن في اللبن رأيت عجينة وورقة ليمون ما زالت حديثة فأخبرتني: "امبيرح دخل ابنا احنا بنحط خميرة وورقة توت أو دوالي خطرا"⁽²⁾.

وهذا الطقس موجود عند المسلمين والمسيحيين على حد سواء.

تحدثنا سابقاً عن الخميرة وذكرنا "أن هذا التقليد "الطقس" يمثل نوعاً من السحر، حيث تشكل العجينة مادة أو لحم الغلة المحصودة قديماً أو المقتولة، وهي إلهة أو إله الخصب لذلك فهي مقدسة"⁽³⁾، وكما أن الورقة الخضراء هي تعبير عن الخصوبة والخير فإن الخميرة وما يسكنها من الأرواح التي تتفخ العجينة، وتجعلها تتضاعف نوع من السحر التشابهي الذي يفترض انتفاخ الأم ومن ثم إنجابها وفي هذا النوع من الخلق يذكرنا بالديانات السحرية القديمة الفيتيشية والأرواحية والطوطمية، فكما ستدب الروح في العجينة، ستدب الروح في البيت فتعمره المرأة بخلق جديد. لهذا نجد العراقي القديم يخاطب الطحين ككائن حي يلجأ إليه، فإذا قدم شيئاً من الطحين لاسترضاء أحد الآلهة الغاضبين، خاطب الطحين قائلاً:

"سأرسلك إلى إلهي الساخط، إلهتي الساخطة

فقد امتلأ القلب من كليهما غضباً عليّ

أصلح بيني وبين إلهي الساخط، إلهتي الساخطة".

وهكذا فإن الطحين هنا ليس جماداً بل هو كائن حي ذو إرادة قوية، وهو نوع من السحر القديم"⁽⁴⁾.

5- طقس رش الماء:

1- على التكري (السيارة)

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(2) مقابلة شخصية، الداية فاطمة، اللبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(3) انظر: الخادم، سعد، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، ص44.

(4) فرانكفورت، ما قبل الفلسفة. ص152.

2- أمام وخلف العروسين، ووضع إبريق الماء على رأس العروس وتُردد النساء:

رُشُوا عَلَى التَّكْسِي مَيَّهِ مِنَ الْإِبْرِيقِ يَا زَفَةَ الْعُرْسَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ بِنْتَلِيقِ
رُشُوا عَلَى التَّكْسِي مَيَّهِ مَاوَارِدِيَّهِ يَا زَفَةَ الْعُرْسَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ غِيَّهِ⁽¹⁾

"بِنْرُشُ الْعَتَبَةَ بِالْمَيِّ قُدَامَ الْعُرْسَانِ أَوْ وَرَاهُمْ وَبِنْرُشُ عَلَيْهِمْ مِلْحَ، وَبِنْحَطُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْسِ
إِبْرِيقَ وَبَعْدِينَ بِنْسَقِيهَا هِيَ وَالْعَرِيسُ مِنَ الْمَيِّ"⁽²⁾ وَبِنْغَنِي:

دَرْجُ بِالْقَفْنَانِي الْعَشْرَةَ عَلَى صِدْرِهَا دَشَّرُ مِنْ كَلَامِ قَلَّكَ...هَذِي ظِيْفَتُكَ حَيَّيْهَا
دَرْجُ بِالْقَفْنَانِي الْعَشْرَةَ عَلَى صِدْرِهَا بِالطَّاسَةِ دَشَّرُ مِنْ كَلَامِ قَلَّكَ...هَذِي النَّاسِ حَوَاسِهِ⁽³⁾
دِيرُوا الْمَيَّهِ عَ السَّهْلِ وَاسْقُوا التَّفَاحَ وَمِبَارَكَ مَا سَوَيْتِي يَمَّ الْمَلَّاحِ
دِيرُوا الْمَيَّهِ عَ السَّهْلِ وَاسْقُوا اللَّيْمُونَ وَمِبَارَكَ مَا سَوَيْتِي يَمَّ الْمَزْيُونِ
دِيرُوا الْمَيَّهِ عَ السَّهْلِ وَاسْقُوا السَّرِيسَ وَمِبَارَكَ مَا سَوَيْتِي يَمَّ الْعَرِيسِ⁽⁴⁾

تحدثنا كثيراً عن الماء، والماء البدني، الأم الكونية الأولى، لذا سنذكر هنا دلالة الطقس فقط:
"إن صب الماء أمام العروس وخلفها وحملها لإبريق الماء، هي ممارسات سحرية تهدف إلى
إدخال البركة والخير على العروس"⁽⁵⁾، "كما أن الوسط الشعبي الفلسطيني يعتبر الماء عدواً
لدوداً، وسلاحاً ماحقاً للجن كما أنه يُغرق الشرور"⁽⁶⁾.

وعند السومريين والبابليين كان طقس سكب السوائل يقوم به الكاهن وكان يجري بصورة يومية
خاصة في حفل الزواج، حيث يسكب الكاهن على رأس العروس سائلاً لمباركتها"⁽⁷⁾.

"كما استخدم الماء عند المصريين في طقوس الصباح وطقوس المساء في المعبد، لرشه على

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/1/17.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) اتصال هاتفي، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/3/23.

(4) اتصال هاتفي، الحاجة فاطمة، أبو قش، 71 سنة. 2009/3/23.

(5) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 53.

(6) المرجع السابق، ص 53.

(7) الماجدي، الدين السومري، ص 153.

تمثال الإله وفي طقوس الزواج لرشه على العروسين لتطهيرهما⁽¹⁾.

6- طقس طقس البيض في الزفة:

"لما تُعبر العروس عَ دار عريسها بيكسروا بيضة تُفَشَّقُ عنها"⁽²⁾.

"لما تطلع العروس من دار أبوها بتفَشَّقُ⁽³⁾ ثلاث بيضات تحت إجرها بكندرة العرس وبتُطَلَع، أنا فَشَّتْ ثلاث بيضات لما اتجوزت وكل خواتي"⁽⁴⁾.

"العروس بحطولها ثلاث بيضات تفشَقُ عنهن قبل ما تفوت بيت عريسها"⁽⁵⁾.

"لما اتخش⁽⁶⁾ دار العريس بقوا يحطولها ثلاث بيضات تفشَقُهن تحت إجرها ولليوم هانظا الحكي"⁽⁷⁾.

تحدثنا سابقاً عن بيضة الكون الأولى وكونها ترمز إلى الميلاد الجديد، وفي المثل الشعبي ما يؤكد هذا، فَيُشَبَّه الوحيد لأهله بالبيضة، ويقال ("بيضة وبيضة مِدرَه"⁽⁸⁾)، "وأبو بيضة بِقَامِشِش"⁽⁹⁾⁽¹⁰⁾، ويقال أيضاً عن الجنين في بطن أمه مثل "البيضة الخداج"⁽¹¹⁾.

لذلك سنضيف فقط طقس الزواج الهندوسي القديم وله اثنان وعشرون شرطاً ويتوزع على أربعة طقوس رسمية ما يهمنها فيها الأول، وهو التقابل الزوجي على بعد سبع خطوات، ثم يسير العريسان فوق بيض ويرمي عليهما الزهور... الخ⁽¹²⁾.

7- طقس تطهير الحمام:

(1) الماجدي، الدين المصري، ص 226 - 227.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(3) فَشَّقُ البيضة: كسرها. انظر: المنجد، ص 599.

(4) مقابلة شخصية، عيبر قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/6.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، اللين، 67 سنة. 2007/1/6.

(6) اتخَش من خَش: بمعنى دَخَلَ. المنجد، ص 179.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(8) مدره: عامية، مِدرَه بالفصحى: أي فاسدة وخبيثة. المنجد، ص 753.

(9) بِقَامِشِش: عامية بمعنى لا يطاقت بالبيض. يطلق هذا المثل على الولد الوحيد الذي لا يجازف به أهله.

(10) انظر: المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 87 و 450.

(11) المصدر السابق، ص 450.

(12) شلبي، رؤوف، آلهة في الأسواق، دراسة وتحليل في النحل والأهواء القديمة، دار القلم، الكويت، ط 2، 1983،

ص 142.

"المقتدرين من المزرعة وسنجل بيزقوا حمام بمسكوه، ولما تقوت العروس بفلتوه (حمام إيبّظ). لما اخدنا بنت دار حافظ فلتوا حمام (1)

ويغنى عن الحمام:

طير الحمام لدرجَه فوق راسك يا عروس واحنا نويّنا عَ الفَرَح ما يهمنّا عدّ الفلوس
طير الحمام لدرجَه فوق راس البنيّه واحنا نويّنا عَ الفَرَح ما يهمنّا ألف وميّه
طير الحمام لدرجَه فوق راس إم الحلق واحنا نويّنا عَ الفَرَح ما يهمنّا عدّ الورق
طير الحمام لدرجَه فوق راس إم الدبوس واحنا نويّنا عَ الفَرَح ما يهمنّا حطّ الفلوس (2)

ويُغنى أيضاً:

من سبّل الغلّه ما تجيب لنا يا حمام من سبّل الغلّه يجعل قدامها ندى
عَ العمّ والعمّه وتبكري بالولد وتعمري دارنا ما تجيب لنا يا حمام (3)

وقد كان المصريون في احتفالاتهم الرئيسية يطلقون أربعة طيور، تطير في أركان الأفق الأربعة لتخبر العالم أن عهداً جديداً قد بدأ، فتقام الأفراح على إثر ذلك في المعابد (4).

كما اعتبرت الحمامة قديماً طيراً مقدساً واعتبرت من رسل السماء وتدعى بالسومرية (إياهو Iaha) ويظهر أن هذا الاسم هو مصدر الإله العبري (يهوه)، والحمامة السماوية هي شكل من أشكال إنليل الإله القومي السومري ويهوه الإله القومي اليهودي (5).

كما اعتبرت الحمامة رمزاً للإلهة الآرامية "عتر" التي أخذت مكان أمها (ور) إلهة الأرض، ثم رمزاً للإله الآرامي حدد (6).

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/8.

(3) إبراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 270.

(4) غربال، تاريخ الحضارة المصرية، ص 257.

(5) الماجدي، الدين السومري، ص 103.

(6) الماجدي، المعتقدات الآرامية، ص 55 و 129.

وفي تراث اليونان كانت الحمامة من بين الأشياء المخصصة لأفروديت⁽²⁾ ولا سيما الحمامة البيضاء". كما سميت راشيل زوجة يعقوب وأم النبي يوسف بالكاهنة الحمامة⁽³⁾.

وللحمامة دور في المعتقدات الإسلامية فهي التي حملت غصن الزيتون، في قصة نوح عليه السلام، زيوسدرا السومري وأونباشتيم البابلي⁽⁴⁾.

رشوا العروس بالورد واليانس

خلوه بمحمد يفرح بالعرايس⁽¹⁾.

ثم تنزل العروس للرقص بعد رفع الطرحة فتزبد النسوة:

طاحت تترقص سيت البنات	عدّها زابط برّبع نجمات
طاحت تترقص هالشّالّبية	عدّها ورد رابي ع الميّيه
طاحت تتسقي الورد عصريه	فتح الورد من غير اسقيّه
طاحت تتسقي سيت البنات	فتح الورد في غير أوقات
طاحت تتسقي الورد والريحة	فتح الورد كرمال المليحة ⁽²⁾
سرداوية وارقصي بالسيف	واهلك ع راسك ظلي بالكيف
سرداوية وارقصي هولّة	واهلك ع راس البلاد دولة
سرداوية وارقصي بعنبر	واهلك ع راس البلاد عسكر ⁽³⁾

وتتغنى بجمالها النساء:

يا بيظه في حمره يا كاس الحليب	لمن عبرت ع الفرشة جلست حيرت الغريب
يا بيظه في حمره يا كاس الشراب	لمن عبرت ع الفرشة جلست حيرت الشباب ⁽⁴⁾
طاحت تترقص بنت شيخ العرب	مدت السوفره والمعالق ذهب
طاحت تترقص بنت شيخ القدس	مدت السوفره والمعالق جنيس ⁽⁵⁾

ويغنى لدخولها البيت:

واحا حلفنا الليلة ما نوكل إلا زيت	يا فرحتك يمحمّد غزالك خش البيت
واحا حلفنا الليلة ما نوكل إلا خيار	يا فرحتك يمحمّد غزالك خش الدار ⁽¹⁾

(1) مقابلة شخصية، بّره لطفي قاسم، الجديرة، 55 سنة. 2007/8/6.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/8.

(4) المصدر السابق، 2009/3/24.

(5) المصدر السابق، 2009/1/16.

(1) المصدر السابق، 2009/2/23.

كان الزوج السومري يؤدي القسم، وتزف الزوجة له، ويقوم برفع قلنسوة عروسته، ويضعها على رأسه كدليل على احترامه لها⁽¹⁾.

9- طقس فك الكندرة:

"لما يطلعوا الناس من عند العروس والعريس ايقلها جوزها قومي غيري، اتقول بدي فكاك الكندرة يفعلها جوزها مثل ما بدھا"⁽²⁾.

"في بيت دقو، سلوان، في منطقة القدس، لفتا لا تقبل العروس تشلح؛ إلا إذا حط فكاك الكندرة"⁽³⁾. "ليلة الدخلة ما ترضى تشلح اتقول لجوزها بدي فكاك الكندرة، أنا دفع لي خمس دنانير"⁽⁴⁾. "وأنا دَفَعلي عشرة ما ارضيتش إلا بعشرة"⁽⁵⁾.

ويغنى في هذا على لسان العريس:

لَحُطَ الخَمْسُمِية عَ الوسادة وأوخذ هالشابية وأمشي عادة⁽⁶⁾
وتغني لها النساء:

رَنَّت الصَّيْنِية عَ الطنجرة يَحْمَد حَيَّها وراضيها
وميّت ليبرة اعطيها فكاك الكندرة⁽⁷⁾

تعود جذور هذا الطقس إلى الوقت الذي كانت فيه المرأة تُباع وتُشتري فقديماً في المجتمع البدائي الأبوي كانت الفتاة تُعرض في معرض للعرائس أمام جماعة من الرجال قد يكون منهم الخطيب، فكانوا يزينون العروس بأفخر الزينة، ويعرضونها على ظهر جواد أو ماشية على قدميها في جو يفوح بالعطور لعلها تستثير الخطاب فيدفعون فيها ثمناً أغلى. (ولا يوجد مدون واحد يدل على أن امرأة واحدة عارضت في زوجها بالشراء، بل كانت النساء يفاخرن بما يدفع

(1) الماجدي، متون سومر، ص 325.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(4) مقابلة شخصية، سيدة، الجديرة، 58 سنة. 2007/8/6.

(5) المصدر السابق، 2007/8/6.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/3/23.

(7) المصدر السابق، 2009/3/23.

لهن ثمناً ويحتقرن المرأة التي تسلم نفسها في الزواج بغير ثمن، لأنهن يعتقدن أن الزواج الذي يَعهْدُ الحب أو اصره بغير ثمن مدفوع، يكون فيه الزوج الشرير كاسباً كسباً عظيماً، لم يدفع لقاءه شيئاً⁽¹⁾.

10- طقس فض البكارة (ليلة الدخلة):

"ساعة الدخلة بِسَّتُوا بَرَّه على العرسان، وفي بقول الأب للعريس (سَبِع ولا ضَبِع)؟ فيقول العريس: باطل عليك أنا سبع، فتقوم أم العريس بِتَزْغِرِت⁽²⁾"
وقديماً "كان يَطْلُعُ شريطة بيظه على عود، يَعْنِي إِنْو عرضها إبيظ⁽³⁾".
ومن أغاني ليلة الدخلة ما يجسد عملية رفع الراية البيضاء:

أَدْخَلَ يَا سَبَاعِي ⁽⁴⁾ يَا سَبَاعِي	وَحْـذَهَا عَ الـزَّرَاعِ
أَدْخَلَ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ	وَارْجِعْ مِنْ غَيْبَتِكَ رَافِعَ الشَّرَاعِ ⁽⁵⁾
ويقال أيضاً:	

يَا سَكَاكِي ⁽⁶⁾ يَا سَكَاكِي	يَا مَسْهَلْ كُلِّ الْعَوَاقِي ⁽⁷⁾
يَا زَيْنَ مَا رَبَّيْتِ	يَا بُو فُلَانِ يَعْطِيكَ الْعَوَاقِي
شَرْفَتْنَا وَرَفَعْتَ الرَّاسَ بِنْتَ أَبُوهَا	وَمَا تَتَدَاسِ حُطَّهَا يَا أَسَدَ عَلَى الرَّاسِ ⁽⁸⁾

وحتى اليوم لا تزال تُستعمل كلمة (سَبِع ولا ضَبِع) للسؤال عن نجاح عملية ليلة الدخلة. (وقد شاهدت أماً وأباً متحضرين ومتعلمين يرسلان رسائل عبر جهاز الخليوي الحديث لابنهما الذي دخل تلك الليلة — تقول: (سَبِع ولا ضَبِع)؟

(1) ديورانت، قصة الحضارة، م1، ج1، ص76.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين بيروت، 63 سنة. 2007/7/29.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(4) سباعي: أي ابن سبعة أشهر.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة حورية، الجديرة، 84 سنة. 2007/3/27.

(6) سكاكي: عامية وتعني الفلاح الذي يعمل على السكة. ونلاحظ هنا ربط المرأة بالأرض والخصوبة بالحرارة.

(7) العواقي: لزوم الشعر، أصلها العواقب.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة حورية، الجديرة، 84 سنة. 2007/3/27.

ويرفض المجتمع الفلسطيني أن تكون الفتاة البكر غير عذراء وإلا فإنها ستعاقبها عائلتها ومجتمعها وهي في الأغلب "تُقْتَل" كقضية شرف، لمحو العار لأنها تكون غير طاهرة.

يقول المؤرخ هيرودوت 500 ق.م: "إن البغاء المقدس أو البغاء الديني كان شعيرة من شعائر الدين ووسيلة لاسترضاء الآلهة والتقرب إليها، فكان يجب على كل فتاة عذراء في بابل أن تذهب لمعبد الإلهة (مايلتا)⁽¹⁾، وأن تقدم نفسها لرجل أجنبي عن البلاد، فكانت تجلس في ساحة المعبد حتى يمر بها أجنبي، فيضع على ركبتيها قطعة فضية من النقد، داعياً في أثناء ذلك "أن تباركها الإلهة مايلتا وتشملها برعايتها"، وكانت قطعة النقود تعتبر مقدسة بمجرد وضعها على ركة الفتاة، وبعد أن تؤدي الفتاة واجبها تعود لبيتها فرحة بما ألتها الآلهة من فضلها، ثم تتلقى تهنئات أهلها وتغمرها هداياهم الثمينة"⁽²⁾.

وفي هذا يقول ديورانت: لم تكن التضحية بالبكارة في الهياكل عملاً يتقرب به إلى عشتروت وحسب، بل كان فوق ذلك مشاركة لها في التهنك الذي يُرجى منه أن يوحى الى الأرض إحياءً قوياً لا تستطيع مقاومته، وأن يضمن تكاثر النبات والحيوان⁽³⁾. لقد كان أكثر ما تخشاه الفتاة البدائية هو أن يشاع عنها أنها عقيم، فالمرأة إذا ما حملت قبل زواجها، كان ذلك معيناً لها في زواجها وأقبل الرجال على طلبها وفي حالات كثيرة كانت البكارة حائلاً دون زواجها، لأنها تلقي على الزوج عبئاً ثقيلاً هو أن يخالف أمر التحريم الذي يمنع إراقة دم أحد أعضاء القبيلة فكان الرجل إذا وجد زوجته بكراً ثارت ثورته. ولكن وبعد تحول المجتمع الأنثوي إلى مجتمع ذكوري، ظهرت غيرة الرجل على المرأة مما أدى إلى الملكية فتغيرت النظرة إلى البكارة وأصبحت العفة الجنسية ذات قيمة حين زادت قيمة البكارة لأن العروس في ظل نظام الزواج كانت تُشترى بثمن أعلى إن كانت بكراً من ثمن أختها التي ضعفت إرادتها، فالبكر يبشر ماضيها بالأمانة الزوجية مما يعني أن لا يُورَثُ الرجل أملاكه لأبناء سِفاح بل لأولاد من صلبه"⁽⁴⁾.

(1) معبد مايلتا من معابد عشتار في تلك الفترة. انظر: وافي، من غرائب العادات، ص 256.

(2) المرجع السابق، ص 261 - 263.

(3) ديورانت، قصة الحضارة، م 1، ج 2، ص 38.

(4) المرجع السابق، ص 80 - 81.

ثم ظهر نظام الزواج بالشراء وأصبحت بكاراة الفتاة تُدرّ ربحاً على أبيها، ولما تطورت الملكية تدرج الزنا فأصبح من الكبائر⁽¹⁾.

فعند السومريين كانت الأعراف تعاقب من ترتكب الزنا بقسوة فكانت المرأة تلقى في الماء ويُعطى الحق للرجل بالزواج بأخرى⁽²⁾. وفي التوراة كانت العروس تعاقب إذا بدّت في ليلة عرسها غير عذراء بالإعدام رمياً بالحجارة أمام بيت أبيها⁽³⁾.

11- طقس صباحية العروس:

"بُتلبس الصُّبح ثوب رومي أو مخمل وتنزل عالعين تُملي الجرة ويحطولها قُصْفَة زيتون أو قرنفل اخضر عَ باب الجرة"⁽⁴⁾.

أول ما تصحى الصبح بتهاهيلها حماتها أو إمها (اليوم):

أَوْهَا يَا رَافِعَهُ رَاسَ أَخُوهَا أَوْهَا يَا بَنَتَ أَبُوهَا
أَوْهَا مِنْ دَارِ الْعِزِّ جَابُوهَا أَوْهَا رَفَعَتِ الرَّايَةَ بَيْظَةً وَشَرَفَتْ عِزَّوتَهَا وَأَخُوهَا⁽⁵⁾

"كانت تعملها حماتها عسلية صغيرة وتقولها رومي ملى تلبس ثوب وشال حلو وشعرها مطبوب وامقفلط، وعليها وقاه وشكة ذهب وخرقة وثوب، يقولوا العروس رايحة اتملي (الكازة) التتكة ومعها قربات جوزها يحطولها قُصْفَة خَظرا باب التتكة وترفع طرف ثوبها شوي تَبِينْ خلخالها — يلعن أبوهن ما أحلاهن هذيك الإيام -واتمّر- كنّ العالم كُلها تقول ما شاء الله ويكون عريسها قاعد مع الجماعة باب الجامع يَنْبَسِط لما الناس تُنْظَرُ لعروسته وهي ماشية بهيبة، وتفرح حماتها لأنها جابتلها مية"⁽⁶⁾.

(1) ديورانت، قصة الحضارة، م1، ج2، ص85.

(2) الماجدي، متون سومر، ص270. وانظر: شمار، جورج بوييه، المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية، ترجمة سليم الصويص، دار الرشيد للنشر، ط1، العراق، 1981، ص206.

(3) دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ج1، ص477.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة حورية، الجديرة، 84 سنة. 2007/3/27.

(6) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيروت، 69 سنة. 2007/7/29.

"امبارح دخلت عنا وَحَدَة بنقوم حماتها بتعمل افطور وبنندق عليهم، بظلوا أسبوع في الدار، اليوم مش زي زمان"⁽¹⁾.

"يا حلو يا زين يلي معنقر الجرة بذك رفق دوم ولا رفيقي من مرة"⁽²⁾

تعود جذور هذا الطقس الى الديانات السحرية القديمة إذ يُعتبر ذهاب العروس في الصُّباح الذي يلي ليلة الدُّخلة إلى نَبْع القرية لَتَمَلَأ جرة الماء ممارسة سحرية تعني رغبة الفتاة في أن تمتلئ هي نفسها، أي تحمل جنيناً، فالماء الذي تحمله يحمل القُدرة على منح الحياة لِطِفْلٍ جديد⁽³⁾.

من الطقوس التي تتعلق بالبيضة بعد الزواج:

"لما ايجوزوا ما يطلعوش من البيت إلا بعد أسبوع ولازم يفشقوا عن بيضه"⁽⁴⁾.
وتدخل البيضة في طقوس أخرى كثيرة، كطقس لا يزال يمارس حتى اليوم، فترمي خلف أو أمام المسافرين عند سفره وعودته، تقول عبير⁽⁵⁾ من الجديرة: "ستي زهرة من شهرين لما رَوَّح عمي هاني من أمريكا وكان غايِّب من زمان، طَقَّشَتْ قُدَّامه خمسين بيضة، والله ريحتهن لليوم مش راضية اتروح".

كما تدخل في طقوس البناء، فلا تزال تنقب البيضة ويفرغ ما بداخلها و تعلق على جدار العقد الحديث، مع خرزة زرقاء وشبة.

وهي تستخدم أيضاً في تجبير الكسور على الطريقة الشعبية إذ توضع بشكل لبخه⁽⁶⁾ على الكسر ثم يتم تجبيره.

طقس النفاس وطقس الحيض (الدم):

"لما تَخَلَّف الوَحْدَة بيقولوا مَيَكْشَفِشْ إيدك بتكون الدنيا بَرْد وسَقَعَة، والحُرمة الوالدة بتكون كل اشئ مفتوح فيها وُبُعْبُرُ الهوا من تحت أظافرها، بيصرن إجريها وإيديها يوجعنها عَ كَبَر،

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيرو، 69 سنة، 2007/7/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 85 سنة. 2007/1/17.

(3) الباش، المعتقدات الشعبية، ص212.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(5) مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/6.

(6) لبخة: خرقعة يجعل فيها نخالة وأشياء أخرى وتوضع على مكان الألم لتسكينه انظر: المنجد، ص720.

(أربعين يوم ممنوع تُغسل على أيديها) صارت في صيرتُ أغسل ولليوم بوجعني⁽¹⁾.
ويقال: "المرّة قبرها بظل مفتوح ليوم الأربعين"⁽²⁾، وإذا لم تستحم على الأربعين يقال: "بسّكر
على نجاسة".

"ما تطلعش الوالدة لحد أسبوع وبقولولها إلسي في رجلك، لَفَلْفي حالك، الحرمة النفاس بعبر من
تَحِتْ ظُفْرها الهوا (خوف يصيبها البرد)"⁽³⁾.

"لما اتخلف وهي نفاس ما بتصيب إشي لأهل الدار، لما اترَبَعن تُغسل كل حوايج الدار اللي
صابتها لأنها بتكون نَجَسْتَهِن و مَمْنُوع تَعَجْن"⁽⁴⁾، ولا يزال هذا موجوداً حتى وقتنا الحاضر
فالنفاَس تعتبر غير طاهرة وعليها غسل كل شيء استخدمته بعد أن تتطهر لأن ذلك إسلامياً
مطلوب منها".

أما المثل الشعبي فقد قال عنها: "إلهنا لَسَنَة والنّفسا للأربعين"⁽⁵⁾.
"وترتبط طهارة المرأة المسلمة بأمرين نزول الدم، والمدة، حيث تتطهر شرعاً عند انقطاع نزول
الدم والاستحمام منه، أما من حيث المدة فإنها تتطهر بعد الأربعين حتى لو استمر نزول الدم، أما
المرأة النفساء المسيحية فلا تتطهر إلا بعد الأربعين حتى ولو انقطع نزول الدم"⁽⁶⁾.
وتخبرنا الحاجة مريم "أم وليد كانت نفاس طلعت في الهوا قام لَفَحْها، التَوَقَّ ثَمَّها وظلت مَلُوقَه،
ما خَلَّتْ حدا إلا راحت عليه من الأطباء في البلاد وفي أمريكا وما حدا قدر يعالجها بقت أحلى
وحدة في البلد"⁽⁷⁾.

وهناك تعويذة مصرية قديمة يتلوها الكهنة عن خطر البرد على النفساء، وقد كان القدماء
يعتبرون الريح الأولى التي حركت المياه الساكنة هي أساس الرّوح⁽⁸⁾ تقول التعويذة:

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(2) كناية، الإجاب والطفولة، ص 209.

(3) مقابلة شخصية، الداية فاطمة، اللّبن، 67 سنة. 2007/1/11.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(5) المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 419.

(6) كناية، الإجاب والطفولة، ص 231.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(8) انظر: الماجدي، إنجيل سومر، ص 14.

أُخرج أيُّها البرد يا ابن البرد، يا من تُهشَم العظم، وتُتلف الجُمجمة وتُمرَض مخارج الراس السبعة، أخرج على الأرض، وفِر، وفِر، وفِر" (1) ..

أو كهذه التعويذة "إغربوا يا شياطين المرض، لن يصيبني الهواء.. إنني حورس الذي يمضي في طريقه أمام سمخت" (2) ... أنا ابن بستيت الوحيد ولن أموت بسببك" (3).

"وهذه التعويذة كانت تُشبه دم النفاس والحيض بفيضان النيل ولإيقاف الحيض يقال: "أتى انوبيس ليمنع النيل من دخول المعبد حتى يحمي من كان بداخله" (4).

"عندما تقدمت المجتمعات البدائية قليلاً اصطنعت ما سمته بالتابو أو المحرمات المقدسة وجعلته في مكانة القوانين، فبعض الأشياء أعلن عنها أنها "مقدسة" أو "نجسة" وكان اللفظان في الواقع يعنيان نذيراً واحداً وهو "تلك الأفعال والأشياء التي لا يجوز لمسها، ويذكر ديورانت عن المصريين، أنهم أكلوا بعضهم بعضاً إبان المجاعة فذلك أثر عندهم من الاعتداء على تحريم أكل الحيوان الذي اتخذته القبيلة طوطماً لها، وأدق التحريمات البدائية كان خاصاً بالمرأة إبان حيضها وأثناء فترة الحمل والرضاعة" (5).

"اعتقد القدماء أن الطوطم يتجسم في كل فرد من أفراد القبيلة وأنه يحل في عناصره الدموية على الأخص، لذلك اعتبر دم كل واحد منهم من أهم الأشياء المقدسة وأعظمها حرمة وأحقها بالإجلال فكان لمسة وقربانه محظورين، وخطراً تاماً على جميع أفراد العشيرة" (6)، ولأن الدم يخرج دورياً من المرأة في مواقيت الطمث فقد حرم الاتصال بها لأن ذلك يعد خرقاً للمقدس الذي يكمن في الدم" (7).

"وعند السومريين والبابليين كانت العائلات يتحررن من الأعمال الصعبة في فترة العادة الشهرية، وقد عُدت المرأة غير طاهرة، كما أطلق عليهن اسم (نجيمي) وسميت (أيام العزلة) (أو

(1) www.google.com

(2) سمختت أو سمحت: الإلهة المحبة للدم عند المصريين. انظر: غليونجي، الطب عند قدماء المصريين، ص46.

(3) المرجع السابق، ص50. بستيت: إله مصري قديم.

(4) المرجع السابق، ص51. أنوبيس: إله مصري قديم.

(5) وافي، عبد الواحد، الطمومية أشهر الديانات البدائية، سلسلة إقرأ (194)، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1995، ص63.

(6) المرجع السابق، ص63.

(7) الماجدي، بخور الآلهة، ص53.

(د- (خ)) أي الأيام التي قضتها النجيمي في غير العمل⁽¹⁾. كما كانت المرأة خلال فترات الحيض والنفاس تمتنع عن صنع الطعام "إذا كان الخبز قد أعدته امرأة غير نظيفة، فإنه لن يأكل رجل منه" والمقصود بعدم النظافة هنا هو الفترة التي تكون فيها المحيض أو النفاس⁽²⁾. وعند المصريين عرف هناك ما يسمى ب (تكعيبة النفاس) وهو المكان التي كانت تقضي فيه المرأة فترة الولادة والتطهر⁽³⁾.

ونذكر هنا هذه التعويذة السحرية التي تتاجي دم إيزيس لما فيه من سحر وقوة: "يا دم إيزيس... ويا سناء إيزيس... وقوة إيزيس السحرية ويا تميمة تحمي هذا الرجل العظيم، حذار من أن تأت ضرراً يصيبه... فقد كانت "إيزيس" من دون جميع الآلهة الآخرين ربة السحر التي اشتهرت بوصفها عظيمة في كلمات السحر"⁽⁴⁾.

وعند الهنود الحمر قديماً كانت الفتاة تتعرض لطقوس التكريس منذ أول حيضة لها؛ حيث تعزل في كوخ لمدة محددة يمنع عليها أثناء ذلك رؤية الذكور خلال فترة كافية لتطهيرها⁽⁵⁾. وفي الجاهلية وفي أثناء تأدية الطقوس الدينية نحو الأصنام كانوا يُنَحَّونَ النساء الحيض عنها، فلا يجوز لهن التمسح بها أو الاقتراب منها، بل عليهن الوقوف في ناحية بعيدة حتى لا تصيب النجاسة الأصنام⁽⁶⁾.

وفي الديانات السماوية الثلاث تُمنع المرأة من دخول الأماكن الدينية حتى تنتهي فترة حيضها.

طقس الرضاعة:

"من الطبيعي أن حليب اللبا لا يتكون في الأم مباشرة بعد الولادة، بل ينزل بعد يوم أو يومين، وأحياناً يتأخر إلى اليوم الثالث، وقد تطول المدة إلى اليوم السادس وعندما ينزل حليب المرأة يُقال: "إِجِبَتْ بَرَكْتُهَا"⁽⁷⁾. ويعتقد الفلسطينيون أن تأخر إدرار الحليب عند المرأة يعود لأسباب

(1) دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ج 1، ص 353.

(2) سليم، دراسات في تاريخ والحضارة القديمة، ص 213.

(3) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص 85.

(4) عبد الصمد، عادات وتقاليد من العصور القديمة، ص 331.

(5) السواح، دين الإنسان، ص 74. وانظر: البيديل، سحر الأساطير، ص 33.

(6) ابن اللكبي، هشام بن محمد بن السائب، الأصنام، القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1995، ص 30

(7) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 74.

خارقة، لذا فإن الوالده تذهب للشيخ ليعمل لها ورقة رضاعة أو ورقة حليب⁽¹⁾، "بِتَقَطَّعِ الوَحْدَةَ ورقة ارضاعة عند الشيخ في دير بلوط، ورقة مكتوب عليها. في أولاد مكانوش يعرفوا يرضعوا إلا بورقة الرضاعة"⁽²⁾.

وقد تعلق المرأة على صدرها "خرزة درة"، "خرزة حليب" وهي خَرَزَة بيضاء فيها مشحات عَسَلِيَّة بِحَجَم حبة الفستق يُوتَى بها من بلاد الحجاز أثناء الحج"⁽³⁾. ويعتقد الفلسطينيون أيضاً أن التهاب الثدي المزمن سببه العين الحاسدة⁽⁴⁾، أما مدة الرضاعة فقد كانت قديماً تتأثر بِجِنْس المولود فيقولون: رَضَعَ البنت سنة ونص وأجرك الله، ورَضَعَ الولد سنتين ولا أجرك الله"⁽⁵⁾.

فإذا كثر حليب الأم فإن عليها أن تُسمى "بسم الله الرحمن الرحيم" عند بداية الرضاعة حتى يَضَعَ الله البركة في حليبها⁽⁶⁾ وتقوم النساء بالدققة الخفيفة على الطفل أثناء الرضاعة والهدّدة والغناء فتقول:

نامي نامي يا عين حبيبي يا ملانة نوم يا غزال مَقِيل تحت ظل الدوم
نامي نامي يا عين حبيبي يا ملانة نَعاس يا غزال مَقِيل تحت ظل الراس⁽⁷⁾
وتغني أيضاً:

يا شمس اقفيلي تَنِ اعجن عَجيني أشعرك يا مايلة قَعَدْنلي صغيري
يناعي في السـرير يا لباسـه حـريـري

يا غطاه منديلي⁽⁸⁾

وأيضاً:

(1) المرجع السابق، ص 75. وانظر: كناعنة، الإيجاب والطفولة، ص 215.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(3) كناعنة، الإيجاب والطفولة، ص 215.

(4) ربيع، ولید، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 77.

(5) كناعنة، الإيجاب والطفولة، ص 250.

(6) ربيع، ولید، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 75.

(7) المرجع السابق، ص 75.

(8) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 84 سنة. 2007/7/20.

نَنِّي يَا حَبِيبِي نَنِّي

من هيببتك يا نبي باظ الحمام في الغار قَشَّشْ وَرَيْشْ وصار له جناح وطار
من هيببتك يا نبي باظ الحمام في الهيش قَشَّشْ وَرَيْشْ وصار له جناح وريش
بحيات محمد واسمه في السما محمود وإله ثريا من ذهب يظويها للجبال السود⁽¹⁾.

وبعد أن يرضع الطفل تدشيه⁽²⁾ الأم وتقول له:

صَحَّة وَأَرْبَع عَوَافِي مَعَهَا وَاللِّي مَا تَقْلَكْ صَحَّا يَصْبِحْ قلبها يوجعها
رب السما يَفْطَحَهَا ويكون دَوَاهَا عَنَا يَضُرُّهَا مَا يَنْفَعُهَا⁽³⁾

وقد تمنع الموضع من الذهاب إلى القبور، أو حضور المآتم خوفاً من تهيج القرينة⁽⁴⁾ ويقال عنها في التراث الشعبي تحبباً: "كول مع المرضعة ولا تماشيها"⁽⁵⁾، "أي كل معها لأنها تأكل كثيراً، ولكن احذر مرافقتها في المشي لخفة حركتها وسرعة جريها إذا ما سمعت طفلها يصرخ". أما في هذه الأيام فنجد الأمهات حديثات الولادة يفضلن الرضاعة الصناعية كي تبقى أجسامهن متناسقة.

كانت المرأة ومنذ أقدم العصور تُهدِّد لطفلها فيما يعرف "بالهنهونية"⁽⁶⁾، والتي تضمنت ترانيم وتعاويذ ضد اضطراب النوم عند صغيرها. ويذكر ديورانت: أن الأم عند البدئين كانت تقوم على رضاعة طفلها من عامين إلى أربعة أعوام، بل قد تمتد فترة الرضاعة أحياناً إلى اثني عشر عاماً⁽⁷⁾.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفية، عين قينيا، 84 سنة. 2007/7/20.

(2) تدشيه: تقلبه على بطنه حتى يخرج الهواء.

(3) كناعنة، الإيجاب والطفولة، ص 250.

(4) القرينة أو التابعة: تحدثنا عنها كثيراً في الفصول السابقة.

(5) المبيض، سليم، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، ص 441. وانظر: كناعنة، الإيجاب والطفولة، ص 251.

(6) انظر: دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص 657.

(7) ديورانت، قصة الحضارة، ج 1، م 1، ص 88، 89.

كما عرف المجتمع السومري والبابلي الرضاعة والمرضعات حيث وضعت قوانين تلزم المرضعة بالتأكد من قدرتها على إرضاع طفل، وسلامة لبنها وصحتها الجيدة، لأنه إذا مات طفل على ثديها أي في فترة رضاعتها له، وتعاقدت على رضاعة طفل آخر دون أن تخبر أبويه بوفاة الطفل السابق، يعد عملها هذا جرماً وتعاقب عليه⁽¹⁾.

"وعند المصريين القدماء كانت فترة الرضاعة القديمة ثلاثة أعوام، وفقاً لتعاليم أني، في نصيحة لابنه، وهذا الأمر نجده أيضاً في نص عقد بين أب ومرضعة يرجع إلى 233 ق.م: "لقد حضرت إلى منزلك لخدمتك كمرضعة لطفلك، طالما كان لبني صحيحاً... سأكون ملزمة برضاوته وحمايته من أي ضرر، سأقيم بمنزلك مدة الرضاعة ثلاث سنوات، أي ستة وثلاثين شهراً"⁽²⁾. "ولم يمنع شغف الأم بإرضاع وليدها من وجود المرضعة منذ الدولة القديمة، حيث كان يستعان بها في القصور الملكية ومنازل الأثرياء وكانت إلى جانب الرضاعة تعمل مربية، ومنظر الأم التي ترضع طفلها يتكرر كثيراً في الفن المصري، كما يتكرر منظر الإلهة التي ترضع الملك الصغير، وابتداءً من العصر الحديث ظهرت صورة الإلهة إيزيس وهي تحمل حورس وترضعه فأصبحت هي رمز (أم الإله).

ويوجد "تمثالان من النحاس في عصر الدولة الوسطى في مصر القديمة لسيدتين تجلسان فوق الأرض، وهما تعطيان ثدييهما لطفليهما، التمثال الأول للأميرة، والثاني للإلهة إيزيس"⁽³⁾.

ومن طقوس الرضاعة عندهم كانت هناك "تمائم رقيقة من المعدن والخزف مصورة على هيئة ثدي، أو هيئة الإلهة إيزيس وهي تضع طفلها حورس، أو على هيئة الإلهة حاتور في شكل البقرة، أو في شكل الإلهة تاوت في شكل فرس النهر، وتعلق هذه التمايم على الصدر أو على الثدي، وقد وصفت بردية مصرية طريقتين لأدرا لبن المرضعة" أوصت إحداها بأن تحرق المرضعة عظام سمك الزيت وتسحقها ثم تدلك بها سلسلة ظهرها كما كانت تعويذة المرضعة

(1) الهاشمي، رضا جواد، من قانون الأحوال الشخصية، من كتاب حضارة العراق، ج2، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 1985، ص104.

(2) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص116.

(3) المرجع السابق، ص 117. وانظر: نظير، المرأة في تاريخ مصر القديمة، ص33.

(Menat) تستخدم لمنح السعادة والصحة لمن يرتديها، ولها خواص سحرية تمثل القوة والغذاء والذكورة والأنوثة والتكاثر⁽¹⁾.

(1) نظير، المرأة في تاريخ مصر القديمة، ص267.

الفصل الرابع

طقس الموت

فكرة الموت:

"كان الخوف من الموت قديماً، أول أمهات الآلهة، فقد كانت الحياة البدائية محاطة بمئات الأخطار، وقلما جاءت المنيّة عن طريق الشيخوخة الطبيعية، فقبل أن تدب الشيخوخة في الأجسام بزمان طويل، كانت كثرة الناس تقضي بعامل من عوامل الاعتداء العنيف أو بمرض غريب يفتك بها فتكاً، ومن هنا لم يصدق البدائي أن الموت ظاهرة طبيعية، وعزاه لفعل الكائنات الخارقة للطبيعة"⁽¹⁾.

كانت الأحلام هي أهم ما تعلق به البدائي واستوقف أنظاره عندما " بهت لهذه الأعاجيب التي يراها في نومه، وفزع فزعاً شديداً حين شهد في رؤاه أشخاص أولئك الذين يعلم عنهم علم اليقين أنهم فارقوا الحياة"⁽²⁾.

آمن الإنسان البدائي أن لكل كائن حي نفساً أو حياة يمكن انفصالها عن الجسد إبان المرض أو النوم أو الموت.

وقد جاء في كتب " يوبا نشاد" في الهند القديمة "لا يوقظ أحد نائماً إيقاظاً مفاجئاً عنيفاً، لأنه من أصعب الأمور علاجاً، أن تَضِلَّ الروح فلا تعرف طريقها إلى جسدها"⁽³⁾.

وفي الأساطير القديمة جاء الموت نتيجة الخطأ أو الخطيئة " أما الخطأ، فهو خطأ الآلهة، فقد قال إله الخير " كامبينا" إلى أخيه الأحق " كورفوا" أهبط إلى الناس وقل لهم أن يسلخوا جلودهم حتى يتخلصوا من الموت، ثم أنبئ الثعابين أن موتها منذ اليوم أمر محتوم" فخلط " كورفوا" بين شطري الرسالة بحيث بلغ سر الخلود للثعابين، وقضاء الموت للإنسان وهكذا ظن كثير من القبائل أن الموت مرجعه تقلص الجلد وأن الإنسان يخلد لو استطاع أن يبدل بجلده جلدًا آخر⁽⁴⁾.

وفي الميثولوجيات الأخرى أن القمر أرسل الأرنب يوماً إلى البشر وحمّله رسالة مفادها أنهم سيكونون مثله يموتون ثم يبعثون إلى الحياة من جديد، ولكن الأرنب نقل الرسالة بصورة مختلفة إما بسبب ضعف إدراكه، أو لأنه نسي النص الدقيق، أو بنيتُ مُبَيَّنَةٌ فقد قال: سوف يموت الناس

(1) ديورانت، قصة الحضارة، م 1. ج 1. ص 99.

(2) المرجع السابق، ص 100.

(3) المرجع السابق، ص 100.

(4) المرجع السابق، ص 99، 100.

كما يموت القمر ولن يعودوا إلى الحياة ثانية، ولما وصل الخبر إلى القمر غضب غضباً شديداً ورمي الأرنب بعصاً شقت شفته، فأسرع الأرنب واختبأ، ولا تزال شفته مشقوقة حتى يومنا هذا، كما لا يزال يعدوا راكضاً حتى الآن⁽¹⁾.

وعلى هذا الغرار نفسه تفسر الميثولوجيات ظهور الموت كما لو أنه مجرد سوء فهم مؤسف ارتبط بخبر كاذب.

كما أن أساطير كثيرة تفسر الموت في صندوق "باندورا"، ففي الأسطورة الإغريقية عندما وضع الإله زيوس جرة كبيرة عند الأخوين أبروميثيوس وأخيه وكان قد أهداهما المرأة "باندورا" التي فتحت الجرة، ومنها خرجت كل الأوبئة والأمراض والموت⁽²⁾.

أما الخطيئة فهي خطيئة الآلهة ومن ثم البشر، ففي الأسطورة السومرية، كان الآلهة والبشر يعيشون في "دلمون" الجنة الأولى، العصر الذهبي للإنسان قبل هبوطه إلى دنيا العبودية والعمل، حيث كان سيد نفسه وسيد الطبيعة.

ففي دلمون:

" في دلمون لا ينعب الغراب

لا يطلق طائر الاتيدو (Ittidu) صياحه

لا يفترس الأسد أحداً

ولا يفترس الذئب الحمل

ولا يُعرف الكلب المتوحش الذي يلتهم الجدي

ولا تُعرف أرملة

الطير في الأعالي لا... صغارها

اليمامة لا... رأسها

الذي يعاني من مرض في عينية لا يقول " عيني مريضة "

والذي يعاني من مرض في رأسه لا يقول " رأسي مريضة " وعجوز دلمون يقول " أنا عجوز "

والبكر العذراء لا تستحم، فليست هناك مياه رقراقة تتدفق في المدينة.

(1) البيديل، سحر الأساطير، ص275.

(2) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص248-249.

من يعبر نهر الموت لا يُطْلَق..

والكهنة لا يدورون حوله، والمغني لا ينتحب

لا يصدر عويلاً في جانب المدينة⁽¹⁾

في هذا الفردوس، كان يعيش "إنكي"، إله الماء العظيم وزوجته "نخرساج"، الأرض الأم، وقد أخرج "إنكي" ماءه وسقى تربة زوجته الأرض، فحول دلمون إلى جنة إلهية خضراء، ومن اتحاد الموت بالتربة امتلأ الفردوس بالحقول والأشجار المثمرة، كما تظهر مجموعة من إلهات النبات، يقوم "إنكي" بإغوائهن تاركاً زوجته، ثم تخلق "نخرساج" ثمانية أنواع من النباتات العجيبة، وقبل أن تفرح بعملها، يرسل "إنكي" رسوله "إيسمند" الذي يقطف له تلك النباتات فيأكلها جميعاً، وما أن تعلم الخالقة بذلك حتى تغضب غضباً شديداً، وترسل على "إنكي" لعنة مقيمة "إلى أن يوافيك الموت، لن أنظر إليك بعين الحياة"، ومن هنا وجدت الأمراض بسبب خطيئة "إنكي" ومن ثم ظهر الموت⁽²⁾.

ترجع أسطورة دلمون إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد كانت مرتعاً خصباً للعديد من الأساطير فكانت حجر الأساس لأساطير الجنة اللاحقة في منطقة الشرق الأدنى القديم، كما أسست لأسطورة سقوط الإنسان وفقدانه عالمه الذهبي⁽³⁾.

أما النماذج البابلية فتتخصر في نموذجين أحدهما هو أسطورة أدابا الإنسان الذي خسر الخلود، والآخر جلجامش وأسطورته المعروفة.

ظاهرة الموت حديثاً:

حيرت ظاهرة الموت الإنسان منذ بدء الخليقة فوقف حيالها مشدوهاً خائفاً، فهي ظاهرة غيبية عجز الإنسان عن معرفة كنهها فأصبحت جزءاً من العالم الآخر المجهول، والمجهول بطبيعته يسبب الهلع والفرع⁽¹⁾. وفي القرآن الكريم "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً

(1) عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 1999، ص148 و 149. (....) النص مفقود من المصدر.

(2) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص239.

(3) عزيز، أساطير التوراة الكبرى، ص150، 151.

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص139.

مؤجلاً⁽¹⁾ والمرء كذلك لا يعلم المكان الذي سيفارق فيه هذا العالم "وما تدري نفس بأي أرض تموت"⁽²⁾.

إن الخوف من الموت "لم يكن أبداً خوفاً من العدم، بل كان خوفاً من المجهول، من مغادرة وضع نعرفه إلى آخر نحن به جاهلون"⁽³⁾.

يأخذ الموت في التراث العربي الإسلامي والمسيحي قدراً كبيراً من الأهمية، لأنه يشكل أهم حدث في حياة الإنسان كفرد وفي حياة الناس كمجتمع، فهو كالولادة بل أكثر أهمية، كون الولادة قدوماً إلى الحياة، والموت وداعاً لها، ولهذا كثرت الأحاديث عن الموت والقبر ورهبة الدفن وألم خروج النعش، ثمّ التصورات حول الآخرة والعذاب والنعيم.

وهذا موجود لدى كافة الشعوب والحضارات القديمة⁽⁴⁾ وفي التراث الشعبي يعتبر الموت فاجعة للناس قاطعاً لحبل الرباط بين الإنسان وأهله وأصدقائه⁽⁵⁾ ونظراً لما له من الأهمية فقد كثرت المعتقدات حوله منذ اللحظة الأولى التي يشعر الناس فيها بأمر الموت وحتى بعد الدفن بأيام وأسابيع وسنين⁽⁶⁾.

"تتنوع المعتقدات المتعلقة بالموت، فمنها ما يدخل في دائرة التشاؤم، ومنها ما يدخل ضمن دائرة الأحاسيس الإنسانية. وبعضها يدخل ضمن التصورات الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) دينية وغير دينية"⁽⁷⁾.

طقس الموت عند الفلسطينيين:

"يقول المثل: "الموت رحمة"، ويقول أيضاً: "ربنا ما ساوانا إلا بالموت"، "والموت أقرب من الأسنان للسان" وأيضاً: يا ربي القناعة وافتكار الموت كل ساعة"⁽¹⁾.

(1) سورة آل عمران، آية (145).

(2) سورة لقمان، آية (34)

(3) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص219.

(4) الباش، المعتقدات الشعبية، ص139.

(5) المرجع السابق، ص 139.

(6) المرجع السابق، ص139.

(7) المرجع السابق، ص139.

(1) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص244.

"ويستعمل المسيحيون والمسلمون في فلسطين قسماً فيقولون: "وحق من أمات وقادر يميّتي"⁽¹⁾. رأي الفلسطيني -كغيرة من شعوب الأرض قديمها وحديثها- أن المرض والموت عقاب من الله للإنسان؛ لأسباب تتدرج من عدم قيامه بالواجبات الدينية إلى قيامه بأعمال محرمة وممنوعة، ولأن الإنسان في المعتقد الشعبي والديني يُحاط بملكين يسجلان له أعماله الحسنة والسيئة فهو يتضرع دائماً لله كي يجنبه عقاب أفعاله السيئة، سواء أكان هذا العقاب في الدنيا أم الآخرة فنجدّه يقول:

"كثرت ذنوبي واحترت أنا فيها بحياة ستتنا فاطمة وأمها وأبوها

تمحا ذنوبي كل ما حط القلم فيها"⁽²⁾.

وقد يطلب الشخص الغفران في وقت صلاة العصر فيقول:

"الغروب غربت والموت قربت والأرض قفلت على ما فيها يا كاتب إساءتي، إلهي يا ربي تمحيها"⁽³⁾.

وقد يستجير الشخص فيقول:

الله الله الله

يا محمد يا حبيبي

كون طيبي

وأجرني من لهبي

إن أوزاري تقال"⁽⁴⁾

يرضخ الإنسان الفلسطيني للمكتوب ويُعلن عن استسلامه في هذه الأمثال الشعبية:

"الموت عَ رقاب العباد"، "الموت كاس عَ كل الناس"، "بدنا عمرنا وعمر غيرنا؟" "الأعمار بيد الله"، ما حدا باقي إلا وجهه"⁽¹⁾.

(1) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص244.

(2) المرجع السابق، ص242.

(3) المرجع السابق، ص242.

(4) المرجع السابق، ص 240.

(1) المبيض، ملاحح الشخصية، ص 149-150.

ثم يذكرنا المثل بقصة الموت الأولى، قصة هابيل وقابيل فيقول: "هي دامت لمين يا هابيل؟"⁽¹⁾
هابيل؟"⁽¹⁾

وتتشد هذه الباكية:

"كَلَّه من الله يا حراير مكتوب ومَقْدَّر وصاير"⁽²⁾

وفي المثل الشعبي "فَشَّ عَ الموت شماتة"⁽³⁾

وفي النواح كذلك:

والله لا تعايّرني يا بنات عمي والله كَتَبَهِ عَلَيْهِ من بطين إمي
والله لا تعايّرني يا بنات خالي والله كَتَبَهِ عَلَيْهِ أنا لحالي"⁽⁴⁾

ولكن ومع إيمان الفلسطيني بحتمية الموت إلا أنه يخالف -دون وعي- تعاليم الدين الإسلامي،
تقول الحاجة مريم⁽⁵⁾ من سردا "من كثر ما ابْتَحَرَّ الوَحْدَةَ بتقول:

"واللي كَتَبَ كَتَبَتْه يا ريت أنا ريته بأيدي كسرت القلم والحبر كَبَيْتَه
واللي كَتَبَ كَتَبَتْه عليوم أنا شُفْتَه بأيدي كسرت القلم والحبر أنا شَرَبْتَه"

إن، لقد توارثت الثقافة الشعبية الفلسطينية طقوس الموت القديمة بحذافيرها، وكما التقى الإنسان
الشعبي الفلسطيني مع الإنسان القديم في فكرة الحياة بعد الموت، اتفق معه في فاعلية الطقوس
التي يُقدِّمها مصاحبة للموت، حتى وصلت عنده حدّ الدّين، رغم محاولة الكثيرين إقناعه تركها؛
لأنها بدعة أو جاهلية، إلا أنها "ترسخت في الوجدان الجمعي، وأصبحت جزءاً من التقاليد
الاجتماعية السائدة التي تتوارثها الأجيال، وتُصِرُّ على استمرارها"⁽¹⁾، وأول هذه الطقوس هو:

(1) المبيض، سليم، ملامح الشخصية الفلسطينية من أمثالها الشعبية، ص 150.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(3) المبيض، سليم، ملامح الشخصية الفلسطينية من أمثالها الشعبية، ص 154.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/7.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.

(1) الخليلي، علي، (الغول)، منشورات الرواد، القدس، ط1، 1982، ص 56.

طقس الاحتضار (النزاع الأخير)

عندما يبدأ المرء بالاحتضار (النزاع الأخير) فإنه في الغالب يغيب عن الوعي كلياً أو جزئياً، فيعرف من حول أنه يحتضر (بنازع)، وقد يمر المحتضر بآلام رهيبية أثناء فترة الاحتضار، ويُخرج "حشرات صوتية ومضايقات أثناء المنازعة، ويكون من أحياء الدنيا، لذلك فإن آخرته لا تحمد"⁽¹⁾ وفق المعتقد الشعبي الفلسطيني، "إذ يعتقد أن الشخص الذي لا يلاقي عناءً ولا يبذل ببذل جهداً كبيراً في المنازعة سيكون مرتاحاً في العالم الآخر"⁽²⁾ وقد جاء في القرآن الكريم "وجاءت سكرة الموت بالحق"⁽³⁾، وقد يلتف حول المنازع من يعز عليهم فراقه، وتتوح أمه أو زوجته التي تعلم أنه مفارق لا محالة:

"جِئْتُ الدَّوَا وَجِئْتُ الطَّبِيبَ
جِئْتُ الدَّوَا فِي رَأْسِ كَمِي
قَالُوا حَبِيبُكَ مَا يَطِيبُ
هَبِّ الْهَوَا طَيِّراً مِنِّي"⁽⁴⁾

"حَكِيمٌ حَكَمَهُمْ أَمْلِيحُ
وَأَقْعُدْ عَلَى حَيَاكَ وَاسْتَرِيحْ"⁽⁵⁾

سَلَامَتُكَ يَا كَبِيرَ هَالِدَارِ
سَلَامَتُكَ يَا بَنِي الْحَبِيبَةِ
يَا لَامَ الْعِيلَةِ كِبَارِ وَصَغَارِ
سَلَامَتُكَ مِنْ هَالْمُصْصِيَةِ
"مَنْ يَوْمَ حَطَّيْتُ الْوَسَادَةَ"⁽⁶⁾
مَنْ يَوْمَ حَلَيْتُوا السِّيُورَ"⁽¹⁾
مَا طَاحَ فِي قَلْبِي السَّعَادَةُ
مَا طَاحَ قَلْبِي سِرُورَ"⁽²⁾

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 140.

(2) المرجع السابق، ص 140.

(3) سورة ق، آية 19.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(6) حطّيت الوسادة: أي مرضت ونمت على الوسادة.

(1) السيور: عامية، بمعنى الأحزمة.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/8.

ويعتقد أن المحتضر يرى الملائكة إذا كان صالحاً، ويرى الشياطين إذا كان طالماً. يذكرنا هذا الطقس بأن "قرار الموت هو قرار إلهي مسبق من الآلهة، فيذهب المخطئ إلى العالم الأسفل، وأن المرض الذي يؤدي إلى الموت هو من أنواع الأمراض التي جعلت الشياطين لا تكتفي بتلوّث عضو من أعضاء المريض بمادة العالم الأسفل، بل تقوم بسحب جسد المريض إلى العالم الأسفل لتتلوث كلها به"⁽¹⁾.

كما يذكرنا بمأساة دموزي في أسطورة "إنانا" المشهورة "لم يكد دموزي يلتقط أنفاسه ويتناول بعض الطعام والشراب حتى تسلك الأشباح إلى بيت السيدة العجوز التي اختبأ عندها، وبدأوا بضرب الإله المنكود للمرة الثالثة، ولكنه أيضاً بمساعدة أوتو هرب إلى حظيرة أخته وهناك كانت نهايته عندما جرّته العفاريت في مشهد يخلع الأفئدة حتى وقتنا هذا.

طقس تحول المحتضر إلى نجم من نجوم السماء:

عندما يكون الشخص في النزاع الأخير يوصف بأنه: "معلق بين الحياة والموت"، ويقال في وصفه أن "نجمه غاطس"، وهذا القول يرتكز إلى معتقد وأساطير قديمة، مفادها أن لكل إنسان نجماً في السماء يخصه، فإن أفل هذا النجم (مات) صاحبه⁽²⁾، ويقسم أهل فلسطين بالنجوم فيقولون "وحياة عونىة الشمس"⁽³⁾.

ويغنون:

"الشمس أمنا

والقمر أبونا

ونجمة سهيل

تدلنا على دروبنا"⁽¹⁾

ويقولون:

الضحى ومن ضحاها والشمس من جلاها

(1) الماجدي، بخور الآلهة، ص 358.

(2) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 140.

(3) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص 141-142.

(1) المرجع السابق، ص 241. واستمع: مقابلة شخصية، الحاجة، مريم، سرداء، 71 سنة. 2008/8/7.

والقمر ومن علاها والمي ومين اجراهـ⁽¹⁾

وعند البكاء والأحزان تجعل المرأة الفلسطينية من الشمس شريكاً لها، فتطلب منها عدم الإشراق
يوم رحيل الأحبة:

يا شمس يوم رحيلهم لا تطلعي إلا بغيم أزرق وبـرق يلمع
شبهت قهوتهم لما بتطلعي مزراب كأنون لمن يشقّع
شبهت صفرتهم لما بتطلعي قلب الصنوبر ع المناسف يلمع⁽²⁾

لقد عُبِدَت الشمس منذ أقدم العصور فكانت الإله أوتو عند السومريين، وشمس عند البابليين،
وشبش عند الكنعانيين، ورع ثم أوزيريس عند المصريين، جاء في نقوش متون الأهرام ما قيل عن
أحد ملوك الفراعنة أنه صعد إلى السماء بين النجوم الثابتة وتأخى مع نجم الشعري الثمانية،
ونجم الصباح يرشده⁽³⁾، وكان ملوكهم يتحدثون بالنجوم والشمس، جاء في أحد النصوص: "مضى
الملك تحتمس الثالث فاتحد بقرص الشمس وأضاء قرص الشمس".

"وكانت روح المتوفى تسمى آخ وكان آلاخو يشاهدون في أثناء الليل في صورة نجوم في الجزء
الشمالي من السماء⁽⁴⁾، وفي الجاهلية وجدت بعض القبائل التي عبدت الشمس.

طقس الزفه في اللحظات الأخيرة (النزاع الأخير)

تقول الحاجة مريم:⁽¹⁾ لما يكون الواحد بنازع يكون شايف الناس حوله وشايف الموات، بيجوا
يؤخذوه بزفه زي كأنه عرس، طبله ودقه"، لذا تتوح النساء عليه فيقلن:

(1) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص141. واستمع: مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة.
2007/1/17.

(2) حداد، يوسف، دراسة في المجتمع والتراث الفلسطيني، قرية البصة، دار الأسوار، عكا، 1985، ص136.
يشقّع: يُصبح غزيراً

(3) غربال، الحضارة المصرية، ص219.

(4) المرجع السابق، ص216.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

يا بَنَاتِ الحورِ رَنِينِ الجَرَسِ يَمَحَمَدَ عَريسِ بَدِي إِلَهَ فَرَسِ
يا بَنَاتِ الحورِ رَنِينِ الناقوسِ يَمَحَمَدَ عَريسِ وَبَدِي إِلَهَ عَروسِ

قَلْنَا بَنَاتِ الحورِ أَهْلاً وَسَلاماً
عَريسَنا ما هُوَ عَريسَنا عَريسَنا ما هُوَ عَريسَنا
قَلْنَا بَنَاتِ الحورِ مَرحباً بِه
عَريسَنا ما هُوَ عَريسَنا عَريسَنا حَبابُ به
يا شَبيبَ انتِشَبَب ما تَهيَّأَ لَـه
طَـاحَ المَقبَـرَة والعَرسَ عَلى بالَـه⁽¹⁾

وتأكيداً لمسألة الطبلّة والأعراس التي تجري في العالم لأسفل تقول الحاجة زينب⁽²⁾: "أنا اللي بكلم فيكي كنت أنظر بجانب كرمنا، كرم ناس بينا وبينهم سنسلة صغيرة وفي بلوطه ما كنت أخاف، كان يصير في أغاني دَقّه طبلّة ومُزِيَقَه تحت الشجرة أتفرج، وأصير أسمع وأقولهم اطلعوا، وكان في أشي اتخرخش تقولي قلايد ايخرخش، أنا أقول تعالوا وين متخبين وتبقّه الدنيا الظهر النقطة، وأجا خالي مرة وشافني، وقال لي ليش قاعدة هان؟ وقلت له يا خالي في عرس هان واتخبوا- هو كان يعرف- وقال وين راحوا نادي عليهم - عشان ما أخاف. وتخبّرنا لائقة الطالبة في جامعة بيرزيت "في إلنا قرايب ساكنين في منطقة معزولة شوي، لما بروح أزورهم دائماً بنسمع أصوات عرس وناس بتوشش وبتحكي لما الواحد بيحاول يسمع بسمع أشياء كثير وكلنا بنسمع مش بس أنا، بقولوا جن - أنا بأمن بوجود الجن-".⁽¹⁾ لا أجد شكاً أن هذا الطقس إنما يعود لأسطورة جلجامش السومرية البابلية حين أوقع من يده طَبَلَيَّ (البوكو والموكو) فسقطا للعالم الأسفل ولهذا نزل صديقه أنكيديو كي يحضرهما ومات.

(1) عرنيطه، يسرى جوهريّة، الفنون الشعبيّة في فلسطين، منشورات المجمع الثقافي، عمان، 2، 1988، ص122.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين ببرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(1) مقابلة شخصية، لائقة، جامعة بيرزيت، 22 سنة. 2008/10/21.

هذا نص عن طَبلي (البوكو والموكو) اللذين أهدتهما إنانا لجلجامش مكافأة له لأنه ساعدها على استعادة شجرتها من الشياطين التي سكنتها.

"أخذهما لجلجامش وبدأ يقرع الطبل بمضربه فتحن له قلوب العذارى، وكن يأتين إلى داره ويغتصبهن، لجلجامش البطل الذي لا يدانيه أحد انفضح أمره في أوروک، وبدأ الآباء يضجرون من أفعاله لأنه كان ينتهك بنات أوروک، وكان لا بد من إغاثة العذارى، فتقدم الآباء إلى إنانا شاكين أفعال لجلجامش ببناتهم، فأمرت إنانا أن يسقط البوكو والموكو في العالم الأسفل، فسقطا من خلال ثقب في الأرض، وعلم لجلجامش بالأمر فأراد استردادهما، فأدخل يده لكنه لم يستطع أن يصل إليهما، ثم أدخل رجله ولم يستطع ذلك وحين يأس جلس على حافة العالم الأسفل يندب حظه وينوح يا بوكو ويا موكو، وسمع أنكيكو بكاء لجلجامش فأتى إليه مسرعاً وقال له: يا صديقي سأجلب لك البوكو والموكو من العالم الأسفل" وهكذا ذهب أنكيكو ولم يستطع العودة وبقي البوكو والموكو في العالم الأسفل⁽¹⁾.

ويبدو أن ساكني الأرض السفلى لا يزالون يستخدمونه فيحضرون من انتهت حياتهم على أنغامه.

طقس الوداع الأخير وإرسال الرسائل مع المحتضر لعالم الموتى:

في هذا الطقس يودع الأهل الشخص الذي يحتضر ويرسلون معه التحيات لأعزائهم في الأرض السفلى في العالم الآخر.

تقول الحاجة فاطمة⁽¹⁾: "اللي بنازع بكون شايف الشقتين أهل الأحياء والموات وبيصرن النسوان بيبعتن سلاماتهن لمواتهن معاه وايصحن وايقولن سَلَملي على أبوي، سَلَملي على إمي على امواتهن".

لاعتقادهم أن المحتضر أصبح في برزخ بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة بل إنه أقرب إلى العالم الآخر حيث تتاح له رؤية الأموات والتحدث إليهم⁽²⁾.

(1) الماجدي، إنجيل سومر، ص 225، 226.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(2) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 141.

كان الناس قديماً يبعثون رسائلهم إلى موتاهم، وهم على ثقة أن أرواحهم تسمع وترى وهذه رسالة من رجل مصري فقد زوجته في أثناء غيبته، وكان قد حزن عليها حزناً شديداً حتى أصابه المرض.

هذا نص الرسالة: "ماذا فعلت بك من سوء حتى أجد نفسي في هذه الحالة السيئة التي أنا فيها الآن؟ لقد كنت زوجتي عندما كنت في سن الشباب، وكنت عندك ولم أتخل عنك، ولم أدخل على قلبك أي هم، وعندما كنت أترأس ضباط فرعون وجنود العربات جعلتهم يحضرون سجداً بين يديك، وقد جلبوا أنواعاً وإشكالاتاً من الأشياء الجميلة لكي يضعوها أمامك، ولم أخف شيئاً عنك طوال حياتك، ولم أفعل سوءاً، ولم أخذك، وعندما مرضت استحضرت كبير الأطباء، فصنع لك دواءً، وأجاب كل طلب لك، وعندما وجب أن أرحل إلى الجنوب مع فرعون، كنت بأفكاري عندك... وعندما عدت إلى منف حضرت إليك وبكى بك كثيراً مع أهلي أمام منزلي. واستحضرت لك أقمشة لكي يلفوك بها، ولم أدع شيئاً حسناً إلا فعلته لك"⁽¹⁾.

طقس إعلان الوفاة:

ذكرنا سابقاً أن أعزاء الشخص يلتفون حوله عند احتضاره فإذا مات الشخص يقولون: "سقطت ورقته" ولهذا القول مدلول اعتقادي جذوره قديمة تعود لما يُسمى "بشجرة القدر أو شجرة العرش وهي شجرة كبيرة في السماء السابعة ذات أغصان كثيفة وأوراق خضراء، لكل إنسان فيها ورقة، خُط عليها اسمه، وقبل أن يموت بأربعين يوماً تصفر هذه الورقة، فإذا مات تقع"⁽²⁾. حينما تحدث الوفاة نهائياً يقوم بعض أقارب الميت بإخبار أهل القرية في الدواوين وأماكن التجمعات العامة، أما إذا حدثت الوفاة ليلاً فيتم إبلاغ أهل القرية عن طريق المنادي⁽¹⁾ وفي هذا هذا تقول باكية:

يامبيرح جـوا الـديوان	يومن خـبروا عَنـه
كَبَّ القهـوة مـن الفـنجان	يخـرم عَـ جماعـتـنا
وامبيرح فـي العـليـة	يومن خـبروا عَنـه

(1) غربال، الحضارة المصرية، ص 136، 138.

(2) الخليلي، علي، (الغول)، ص 90. وانظر: الباش، المعتقدات الشعبية، ص 140، 141.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/3/17.

يُحْرَمُ عَاجِئًا كان شربوا فُهِيوً⁽¹⁾

وتقول الباكية على لسان عزيزة على المتوفى لم تحضر لحظة نزاعه وموته:

جانِي الْخَبَرَ فَرِيتَ اَنَا حِيلِي وَأَثَرِي الْخَبَرَ عَنْ نَوْرِ عَيْنِي
جانِي الْخَبَرَ فَرِيتَ اَنَا أَجْرِي أَثَرِي الْخَبَرَ عَنْ نَوْرِ قَلْبِي⁽²⁾
وتقول أيضاً:

عَلَيَّوْمَ لَوْنِي حَظَرْتَهُ وَأَكُونُ بَعْنِي نَظَرْتَهُ
عَلَيَّوْمَ لَوْنِي بَقِيَّتْ وَيَكُونُ بِإِدْيَهُ اتْلَقِيَّتْ
واحْكُونَا يَلِي حَظَرْتُوا مَاتُوا بِالْعَطَشِ وَإِلَّا سَقَيْتُوهُمْ⁽³⁾

أما حديثاً فالخبر يعلن في الجامع وفي الصحف والإذاعة.

وتقول الباكية على لسان المتوفى (لأمه أو لزوجته) عن لحظة طلوع الروح:

وَإِشْ صَاحِبِ بَرِّكَ يَمَّه وَإِشْ عَمَّكَ عَ النَّوْحِ
وَإِشْ صَاحِبِ بَرِّكَ يَمَّه عِنْدَ طُلُوعِ الرُّوحِ⁽⁴⁾

وتقول أخرى سمعت لَتَوَّها بالخبر:

يَا جَايِبَ الْعِلْمِ الْجَدِيدِ حُطَّا بِصَنْدُوقِ الْحَدِيدِ

هاظا صاحبه غالي عليه

يَا جَايِبَ الْعِلْمِ اكْتُمْنَاهُ حُطَّا بِجَيْبِكَ خَيْطَانَهُ

(1) المصدر السابق. 2007/8/7.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2009/1/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2009/3/21.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

هاظا صاحبه غالي عليه⁽¹⁾

طقس النواح والبكاء والرقص الجنائزي:

وتبدأ هذه الطقوس منذ الصرخة الأولى التي تعقب إعلان الوفاة، وتكون على شكل حلقات تنقسم إلى شكلين:

1. حلقات الندب: التي تؤديها النسوة وهن واقفات حيث يرددن الندب وهو عبارة عن رقص جنائزي⁽²⁾ يكشف عما يدور في خلجات النفس من حزن يقابله في الوسط الشعبي الفلسطيني رقص الأفراح. فما يكاد يعلن عن الوفاة حتى تتجمع النساء في شكل (حلقة) تتوسطها إحدى قريبات الميت، تندبه وتقوم بحركات هستيرية، تتبعها النساء الملتفات حولها بحركات منتظمة ولا تخلو الحلقة من تلويح بالمناديل وضرب الصدور، ولطم، وتمزيق للشعر والملابس، وربما صبغها أو قلبها... وغير ذلك.⁽³⁾

2. النواح على القبر أو في البيت، تؤديه النسوة وهن جالسات حيث يردد قسم منهن، ويرد عليهن القسم الآخر.⁽⁴⁾

تقول الحاجة سبعية طه⁽¹⁾: "بقين ابقيدين ثيابهم على الواحد أول ما تطلع روحه، وبقين يدهنن وجوهن بدغام ويلبس ثيابهن بالمقلوب، ويحدين، يلبسن اسود في اسود، اخرقهن وحلقهن يغطينه وايطين الوفاة، وخصوصي إذا بقى الميت زلمه مليح ولا شب صغير".
وتقول الحاجة زهور قندح⁽²⁾ " لما مات أخوي، استشهد قعدنا أربعين يوم ما نغسل وشقينا ثيابنا عليه".

أما الحاجة فاطمة⁽³⁾ فتخبرنا عن رجل من الثوار فتقول: "محمد أبو كافييه بقى من الثوار من ترمسعيّا، جهز حاله عشان يروح يحارب في باب الواد- هاظا في الثمنيه وأربعين- إجا عليه

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 109.

(3) المرجع السابق، ص 110.

(4) المرجع السابق، ص 109.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة سبعية، بيت ريمّا، 84 سنة. 2007/8/2.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة زهور، أبو شخيم، 60 سنة. 2007/2/29.

ظيف من دير ياسين، وكانت مذبوحه في وقتها، أخذ الرجل عنده إيظيفه، وكان لابس قنابل على خصره، إجا تيشلحهن انفجرن فيه"، نفلن شعرهن، وقدين⁽²⁾ أحسن ثياب عندهن، ودهنن وجوهن بدغام⁽³⁾ ونصبن "الحلقه" سبع تيام عليه، وحدين. سنه وافيه وهن ميغسلن وميتحممنش - ريحتهن طلعت - حلفوا إنها وحده قامت وقاتها تتغسلها قبع⁽⁴⁾ جديلتها معها. وتخرنا الحاجة مريم⁽⁵⁾ عن يوم وفاة الزعيم العربي جمال عبد الناصر⁽⁶⁾ فتقول "لما وصل الخبر نزلت فلسطين على الشارع، كل نسوان سردا نفلن شعرهن ونصبن الحلقه، سبع تيام عليه وقدين ثيابهن، وصبغنها بصبغه سوده".

وتتوح النساء أثناء الحلقه فيقلن:

يا خاييه وابكي عليه في الحلقه يا شاربه خط القلم في الورقة⁽⁷⁾

واعتقد هنا أن الحلقه أشبه ما تكون بزفة العريس عندما تلتف النساء في حلقة دائرية حول التكسي أو الخيل. يحركن أيديهن ويتماوجن كالبحر، والطوفان.

ويزداد التشابه بين طقوس الموت وطقوس الخصب بالمناديل أو الخرق البيضاء التي تحركها النساء في رقصهن الجنائزي وهن يقلن:

لا تتعنيه يا زينات يمات المناديل شوبش في حارات القوم ع ظي القناديل
لا تتعنيه يا بنات يمات الشعر الأشقر شوبش في حارات القوم ع ظي القمر الأشعل
لا تتعنيه يا بنات يمات المناديل هذا في ظلام الليل كياد الرجاجيلي⁽¹⁾

ويقمن قريبات المتوفى بنفل شعورهن وتمزيقها وهن يبكين:

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/7.

(2) قد: قد الشيء: قطعه وشقه طولاً. المنجد، ص 611.

(3) الدغام: عامية بمعنى السناج أي الدخان الأسود.

(4) قيع: قيع الشيء عند العامة اقتلعه ونزعه. المنجد، ص 606.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(6) توفي الزعيم جمال عبد الناصر في 28/9/1970.

(7) مقابلة شخصية، الحاجة جديه، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

يا صاينات الشَّعرَ وأنفلنَ ليش وأنفلنَ على طَعَامين العيش
يا صاينات الشَّعرَ وأنفلنَ عاد وأنفلنَ على طَعَامين الزد⁽¹⁾

وأحياناً نقص المرأة جديلتها على فقدها لعزیزها وهي تنوح:

قُصين الشَّعرَ يا صايناته ليش قُصين الشَّعرَ على طَعَامين العيش
قُصين الشَّعرَ يا صايناته عاد قُصين الشَّعرَ على طَعَامين الزاد⁽²⁾

يا بيض رؤس شعوركن قُصَّينه ناموسكن من روسكن هُصَّينه⁽³⁾
يا بيض شعوركن كُلَّه حلق ما عاد يفرح بالدلال اللَّي مَرَق⁽⁴⁾

لا توخذوا ناموس⁽¹⁾ راسي لا تحقروني بين الناس
لا توخذوا قرمول⁽²⁾ شَعرِي لا تحقروني بين ربَّعي⁽³⁾
ويقال أيضاً:

أبو فلان طاح السرايا وداسها ومرة السبع قصَّت جدائل راسها
أبو فلان طاح السرايا وهمها ومرة السبع قصَّت سواعد كمها⁽⁴⁾

وتقدُّ المرأة ثوبها حزناً على فراق الأحباء كما تخبرنا الحاجة مريم⁽⁵⁾: "بتجيب الوحدة أغلى
وأحلى ثيابها وبتصير تلبس واحدَ واحدَ وتقده على حالها من عند القبه للآخر بتمزعه مره وحدة

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) المصدر السابق، 2007/8/7.

(3) هُصَّينه: عامية بمعنى إبعثته.

(4) علوش، الأغاني الشعبية، ص 312 - 313.

(1) الناموس: الشرف، الصيت. المنجد، ص 839.

(2) قرمول: من الشعر والصوف، ما وصلت به المرأة شعرها. المنجد، ص 625.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة أم مفيد، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.

(4) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 110.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

" وتتوح في أثناء ذلك:

مَا لِلْعَلَالِي مَسْكَرَة وَالشَّمس تَقْدَحُ بَابَهَا
نُشُوفُ بَنَاتٍ وَمَشْجَرَه شَقَّتْ عَ أَبْوْهَا ثِيَابَهَا⁽¹⁾

وتلطم المرأة الباكية وتضرب رأسها وتعفر على وجهها التراب فتقول:

هَيْلَى عَ رَاسِكَ مِنْ تَرَابِ الْحَارِ جُوزِكَ وَخَيْكَ هَالَاثْنَيْنِ أَمَارَه⁽²⁾

وتحد المرأة على فقيدتها، تقول الحاجة مهدية صرصور⁽³⁾ من البيرة "لما مات أبني عمي وكان رئيس بلدية البيرة وكان زلمة أثقل، نصبنا عليه الحلقه ولطمنا، وحديث عليه عشرين سنه، الحداد عنا عصبة سودة بتحطها الوحدَه على راسها، وبتغطي ذهبها وحلقها وعقدتها بشرية سمّره وكل الذهب داير الشكه بتقطب عليه شرايط سود". (وعندما سألتهما لما لا تخلعيه بدل أن تقطبي عليه شرايط سود وهي عملية صعبة نوعاً ما؟ أجابت إحنا بنتعب إذا شلحنا ذهبنا).

وعن الحداد تنوح المرأة:

"لا تحسبوني من سوادي مَغْبَرَة وأكثر سوادي عَلي طاحوا المقبرة
بتقول هذي يا سواد إيديّه طَلَع أَبُو هَذَا مَا رَجِعَ عَلَيّه
بتقول هذي يا سواد أكمامي طَلَع أَبُو هَذَا مَا رَجِعَ عَ داري⁽¹⁾
وتقول أيضاً:

لَلْبِسِ حَصِيرَة عَلَى حَصِيرَة واذل نفسي هـالكبيرة
لَلْبِسِ عِبَاة عَلَى عِبَاة واهمين نَفْسِي لِلوطْاة⁽²⁾
ومن مظاهر الحداد عدم وضع الكحل:

(1) مقابلة شخصية، الحاجة صفيه، عين قينيا، 84 سنة. 2007/7/20.

(2) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 111.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة، 86 سنة. 2007/7/25.

(1) علوش، الأغاني الشعبية، ص 311.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

قولوا لَـ وَاخْتَهُ لا تقولوا لغيرها الكحلِ السِّمَرِ لا تَحْطُطْهُ بعينها
قولوا لَـ وَاخْتَهُ لا تقولوا لَـ حَدَا والثوبِ الحَمَرِ لا تَحْطُطْهُ للندى
قولوا لَـ وَاخْتَهُ لا تصيح ولا تَطْلُعِ الحِسْ المَلِيح⁽¹⁾
يا بناتِ العَمِّ حَرِّمِ اللِّبْسِ حَرِّمِ جِيبَ الحَرِيرِ مِنَ القُدْسِ⁽²⁾

ويحدّ الرجال بشرب القهوة السادة وإطالة شعر اللحي وأحياناً عدم حضور الأفراح، وتخبّرنا عن حالهم النائح فتقول:

طلعوا العلالِي يشربوا قهوة يا حَرِّي عليهم والقبر حَشْرَه
طلعوا العلالِي يشربوا الفَنجَان يا حَرِّي عليهم والقبر ضيقان⁽³⁾
ويقال أيضاً:
يا عَقَابِ خَلِينَا نَجَدَدُ هَلْجِرَان إِنْتِ اصْبُغِ اثْيَابَكَ وَأَنَا اصْبُغِ ثِيَابِي⁽¹⁾

ويشمل الحداد - أيضاً - العمل، فيتوقف أقارب الميت عن العمل مدة ثلاثة أيام:

يوم أبو محمد مثل هَدَّ امْدِينَة يصْغَبُ عَلَيْنَا الحَجَرِ والطِينَة
يوم أبو هَاطَا مثل هَدَّ عِمَارَه يصْغَبُ عَلَي نَقَالَة الحَجَارَة⁽²⁾

وهذا أبو عبد الله⁽³⁾ من قرية الجديرة يتذكر أخاه فيقول وقد دمعت عيَّناه:

يا كَاتِبَ المَكْتُوبِ ابْعَثْ لِي سَلَام
طَالَتِ الغَيْبُ عَلَيْنَا يَا حَرَام

(1) مقابلة شخصية، الحاجة حلوة، عين قينيا، 75 سنة. 2007/7/20.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 110.

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، الأغاني العربية الشعبية في فلسطين والأردن، الشرق العربية، القدس، 1979، ص 118.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاج أبو عبد الله، الجديرة، 73 سنة. 2007/8/8.

لمين ألبس التقصيرة والخزام لحجار البيت ولا للخشب
دقت عليّ الدار وقالت البسي من صلاة الصبح نامي وانعسي
يا بختي يمة والله منعسي رَوْحُوا الغياب وجوزي ما حَظَر

ويبدو أن طقس الموت واحدٌ عند كافة شعوب الأرض فعند السومريين كان أهل الميت يعبرون عن حزنهم بترك الشعر شعثاً، أو بنتفه والنواح بأصوات عالية والطم على الوجه وإلقاء اليمين على الأرض وضربهما وتمزيق الثياب وربما كانت عادة تلطيخ الرؤوس بالطين وطأطأتها من ضمن هذه التقاليد⁽¹⁾.

إنها على ما يبدو ألوان من التراث الذي يدل على أصالة الأمة "فهو في محتواه، وشكله، ولونه صورة من تاريخ عريق لفن تجلت فيه المشاعر والأفكار في حركات موقعة"⁽²⁾.

ومن المراثي السومرية الخاصة بالحداد مرثية (لو دنكرا) التي يرثي فيها أباه المدعو (نانا):
"يا أبتى الذي مات في عدوان، يا نانا الذي حُمِلَ إلى العالم الأسفل بالشر المخطط ضده.

زوجتك - واعجباً: كانت من قبل زوجة والآن صارت أرملة

إنها تدور حولك كالزوبعة

ومثلَ (عاصفة) اندفعت حولك، نعم: فقد أفقدتها صوابها

وأطلقت صرخة ألم كما كانت في المخاض

لقد مزقت (ثيابها) وأخذت تئن كبقرة

وأطلقت صرخة ألم وذرفت الدمع السخي...

كاهنة الإله (نسطو) من صنف اينتو... مزقت إرباً (ثوبها)

لأجلك (ولمست) طرف ثوبك... الخ"⁽¹⁾

ونذكر جلجامش عندما قص شعره حزناً على موت أنكيو:

(1) الماجدي، متون سومر، ص 332.

(2) الإختيار، نسيب، الفلكلور الغنائي عند العرب، المطبعة والجريدة الرسمية، بيروت، 1955، ص 17.

(1) الماجدي، متون سومر، ص 332.

"ورفع صوته بصراخ كزئير الأسد

وكلبوة، سُلِبَت أشبالها

صار يروح ويجيء أمام السرير

يقطع بيده شعر رأسه ويرميه"⁽¹⁾

عندما نزلت عشتار إلى العالم الأسفل حزن عليها بابسوكال كاهن الآلهة العظام ووزيرها فلَبِسَ ملابس الحداد ونثر شعره الطويل وذهب للآلهة إيا يبكي أمامه"⁽²⁾.

وهذه إنانا توصي رسولها "ننشبور" عندما هبطت إلى العالم السفلي لتبحث عن دموزي فتقول:

فإذا ما بَلَغْتُ العالم الأسفل

املأ السماء صراخاً من أجلي

وفي حَرَم المجمع ابكِ عَلَيَّ

وفي بيت الآلهة اركض هنا وهناك من أجلي"⁽³⁾

والركض -هنا وهناك- ما هو إلا رقص جنائزي.

وكان المصريون القدماء إذا نزلت بساحتهم محنة الموت يطلقون شعر الرأس واللحية حتى تنتهي أيام الحداد، التي تبلغ أربعين يوماً، وإذا مات في بيت من بيوت المصريين القدماء رجل ذو قدر كبير لطخت نساء البيت الرأس و الوجه بالطين، ثم يتركن الجثة في الدار، ويجلسن لاطمات، وقد شمرن وكشفن عن صدورهن ومعهن كل قريباتهن والرجال كذلك يلطمون ويشمرون"⁽¹⁾.

"كانت المرأة المصرية كثيرة البكاء والنحيب والطم على الخدود، وتصبغ وجهها بالنييلة، وتلطِّخُ رأسها بالوحل حزناً على وفاة ذويها، وكانت النادبات يندبن المتوفى بأصوات عالية.

(1) السواح، جلجامش، ص 62.

(2) الماجدي، إنجيل بابل، ص 88.

(3) الماجدي، مغامرة العقل الأولى، ص 317.

(1) عبد الصمد، عادات وتقاليد من العصور القديمة، ص 308-309.

ويعود هذا التقليد القديم لتقليد أقدم إلى بكاء الإلهة إيزيس زوجها أوزوريس، فقد حزنّت عليه حزناً شديداً وأخذت ترثيه بدموع حارة غزيرة، وكان موتُ رب البيت علامة إسراف في مظاهر الحزن، فتتدفع النساء وخادماتهن إلى الشارع يصرخن بصوت عالٍ، ويُمزقن ثيابهن، ويُهلن التراب فوق رؤوسهن، ويسرن في الطرقات، وكان الزوج الحزين على فراق زوجته يلحَق بموكب النساء، ثيابه ممزقة يئن ويضرب صدره بيده⁽¹⁾.

" وكان يطلق على إحدى النادبات (الحدأة الكبيرة) والأخرى (الحدأة الصغيرة) وهما تمثّلان الإلهتين إيزيس ونفتيس اللتين حولتا نفسيهما حين وَجَدَا أخاهما أوزوريس مقتولاً إلى حدّاتين ترفرفان حول جثته، تصرخان صرخات عالية⁽²⁾.

وفي إحدى اللوحات رقم (551) في المتحف المصري نجد منظراً جنائزياً لنساء تكالي يندبن ويولولن حزناً وأسى⁽³⁾

وفي كتاب الموتى جاء عن الطقوس التي تصاحب إعلان الموت:

" الحزاني مزقوا الشعر لأجلك

يضربون على الصدور بأيدهم لأجلك

يصرخون، وينعوك ويبكوك⁽⁴⁾.

وعند الكنعانيين: كان عيد الأفانزيم Aphanirme عيد موت أدونيس، وقد كان بمثابة إعلان وتذكير بموت أدونيس فيسارع الفينيقيون بتأبينه والنواح عليه، وكان الاحتفال يتقدمه كهنة يحملون تابوتاً وضعت فيه جثته رمزية للإله أدونيس.

ويسير بجانب الكهنة، كاهنات يحملن فراش عشتار عليه تمثال عشتروت الباكية، ويسير خلف الكهنة والكاهنات جمع غفير من النساء بملابس الحداد نائحات ومولولات وعندما يصل الموكب الجنائزي إلى قبر الإله أدونيس عند مغيب الشمس يقومون بوضع الجثة المقدسة في القبر. هنا تبدأ النساء بنثر شعورهن وبالعويل والبكاء⁽¹⁾.

(1) نظير، المرأة في تاريخ مصر القديم، ص 44.

(2) المرجع السابق، ص 44-45.

(3) المرجع السابق، ص 45.

(4) الصيفي، كتاب الموتى، ص 424.

(1) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 269.

وعند الكنعانيين أيضاً عندما عَلِمَ "إيل" بموت بعل:

نزل عن العرش، وجلس على

الأرض، ذرَّ رَمَاداً

لبس الإزار، خَدَشَ (جرح) بحجر

جرح (خَدَشَ) جسده بموسٍ

ثلاث مرات، أدمى ذراعيه

خَدَشَ صدره كما يحرق الفلاح⁽¹⁾

وقد احتفل بهذا الطقس اليونانيون أيضاً⁽²⁾، ومن طقوس الموت عند الآراميين: يبدأ الطقس بنواح

عائلة الميت وعويلها، ويشارك فيه الجميع حتى الأطفال⁽³⁾

ومن طقوس الجاهليين في الموت، النياحة والبكاء والندب وشق الجيب، وعفر التراب، وحلق

الشعر، وخمش الوجه، وفي ذلك قالت الخنساء⁽⁴⁾:

فنسـاؤنا ينـدبن نـو حـا بـعد هـاديـة النـوائـح
شـعث شـواحب لا ينـين إذا ونـى لـيـل النـوائـح

وهنَّ يَلْطُمْنَ وجوههن ويضربن صُدورهن بالنعال وفي هذا يقول أبو ذؤيب الهذلي⁽¹⁾:

وَقَامَ بَنَاتِي بِالنَّعَالِ حَوَاسِراً فَأَلْصَقْنَ وَقَعَ السَّبْتِ تَحْتَ الْقَلَائِدِ

ويطلب طرفه بن العبد من النائحات أن يمزقن ثيابهن عليه إذا مات.

فإن مت فانهيني بما أنا أهْلُهُ وشُقِّي عَليَّ الجيب يا ابنة معبد⁽²⁾

وتعتزل المرأة عند عرب الجاهلية إذا مات زوجها في بيت صغير تقضي فيه مدة حدادها،

(1) فريجة، أنيس، ملامح وأساطير من أوغاريت (راس شمرا)، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص 167.

(2) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 269.

(3) الماجدي، المعتقدات الآرامية، ص 153.

(4) الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث، ديوانها، دار الكتب العلمية شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، لبنان ط1، 1988، ص 30.

(1) الهذلي، أبو ذؤيب، ديوانه، تحقيق الدكتور أنطونيوس بَطرس، دار صادر، بيروت، ط 1، 2003، ص 93.

(2) ابن العبد، طرفه، ديوانه، شرحه الدكتور سعدي الضناوي، دار الكتاب العربي، بيروت ط1، 2004، ص 45.

وهي عام، تلبس خلالها أسوأ ثيابها، ولا تمس طيباً، ولا تقلم ظفراً، ولا تنتف من وجهها شعراً، ويحمل لها الطعام، فإذا مضى العام يؤتى لها بدابة أو شاة، ثم تخرج من البيت الصغير فتعطى بعره فتزني بها، مما يعني أنها قد أنهت عدتها⁽¹⁾. وقد أنهى الإسلام هذه العادة وقضى بأن تعتد المرأة حداداً على زوجها المتوفى مدة أربعة أشهر وعشرة أيام⁽²⁾.

وقد نهى الإسلام عن النواح والبكاء والصراخ، فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان.

من صور النذب:

نذب الرجل:

فإذا كان الزوج رب العائلة، ومعيها، راعيها، وحاميها، جمل المحامل، تقول زوجته أو الندابة⁽³⁾:

واسمك حلو يا جوزي لايق على ثمي	يا حب اللولو يا روحي وأنفرط مني
واسمك حلو يا جوزي ريح على لساني	يا حب اللولو يا روحي وأنفرط قدامي
واسمك حلو يا جوزي ما سمته جارة	والله من سمته لرحل من الحارة ⁽¹⁾
وتحرص الزوجة على إظهار الدلال الذي	
تمتعت به في ظل زوجها:	

لَبَكِي عَلَى اللَّي دَلَلُونِي	نَوْمِ الظَّحَى مَا نَبْهُونِي
مَنْ بَعْدِهِمْ لَدُورْ بَهْلُول	وَارْعَى غَنَمْ وَارْعَى سَخُول

طَرِيقْ جِيْتَوْهَا لَجِيْهَا	وَاهِيْل دَمْعِ الْعَيْنِ فِيْهَا ⁽²⁾
-------------------------------	--

(1) عبد الصمد، عادات وتقاليد من العصور القديمة، ص 249.

(2) المرجع السابق، ص 249.

(3) الندابات: بعض النسوة اللواتي تخصصن في النذب والتعديد وذلك بإلقاء أشعار ومراثٍ حزينة ويقول المثل عنهن: "أهل البيت صبروا والندابات كفروا". انظر: المبيض، ملامح الشخصية الفلسطينية من أمثالها الشعبية، ص 152.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/1.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة، 2007/8/1.

وفي المقابل تُصور الذل والهوان اللذين لحقا بها جراء موت زوجها فتقول:

يا حَسْرَتِي ذَلَيْتَ مِنْ بَعْدِكُمْ ذَلَيْتَ	وَأَصْبَحْتُ زِيَّ الْفَرَّاشَةِ الْغَارِقَةِ فِي الزَّيْتِ
ذَلَيْتَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَا حَسْرَتِي وَاللَّهِ	وَأَصْبَحْتُ زِيَّ الْفَرَّاشَةِ الْغَارِقَةِ وَاللَّهِ
ذَابَتْ حَشِيشُ الْقَلْبِ يَا حَسْرَتِي ذَابَتْ	وَالشَّعْرَتَيْنِ السُّمُرُ فِي غِيَابِكُمْ شَابَتْ ⁽¹⁾

وتظهر الزوجة معزتها لزوجها الذي كان سندها:

وَالْجُوزُ يَا نِسْوَانَ غَالِي وَأَعَزُّ مِنْ عَمِّي وَخَالِي

وأعز من خيِّي ابن بيِّي

وَالْجُوزُ يَا نِسْوَانَ يَنْفَعُ	يَا قَعْدَتَهُ فِي الدَّارِ تَرْفَعُ ⁽²⁾
وَاللَّهِ لَبْكِي وَأَمْلِي الْحَوْضُ لَبَابِهِ	وَأَسْقِي خِيُولَ الْعَرَبِ وَالطَّرِشُ وَأَصْحَابِهِ
وَاللَّهِ لَبْكِي وَأَمْلِي الْحَوْضُ لِلْحَفِّهِ	وَأَسْقِي خِيُولَ الْعَرَبِ كَفَّهُ وَرَا كَفَّهُ ⁽¹⁾

وهي تحلف لغيابها كم هي صعبة الحياة بعيداً عنهم:

وَحَيَاتِكُمْ وَحَيَاةَ رَبِّي الْعَالِي	حَسْرَاتِكُمْ مَا رَاحَتْ مِنْ بَالِي
وَاللَّهِ بَحْلِفَ لَكُمْ سُورَةَ عَلَى سُورَةِ	مِنْ يَوْمِ فَارَقْتُونَا وَالشَّانُ مَكْسُورَةِ
وَاللَّهِ بَحْلِفَ لَكُمْ عَ مِصْحَفِ زَغَيْرِ	مِنْ يَوْمِ فَارَقْتُونَا وَالْحَالُ مِتْغَيْرِ ⁽²⁾
مَا تَعْلَمُوا بِحَالَتِي يَلِّي قَاعِدِينَ عِنْدِي	وَالنَّارِ اللَّيْ هَبَّيْتُ أَكَلْتُ ضَمِيرَ قَلْبِي
مَا تَعْلَمُوا بِحَالَتِي يَلِّي قَاعِدِينَ بِحَذَايْ	وَالنَّارِ اللَّيْ هَبَّيْتُ أَكَلْتُ ضَمِيرَ احْشَايِ ⁽³⁾
بَيْنِي وَبَيْنَ حَبَابِ قَلْبِي	جِبَالِ سَوْدٍ وَجَسِيرِ مَبْنِي

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1. تلفظ كلمة حشيش بصيغة الجمع.

(2) علوش، الأغاني الشعبية، ص 298.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين ببرود، 69 سنة. 2007/7/29.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

بينني وبين حباب روعي
لَدْرِي إِنَّكُمْ بِنْفَارِقُونَ
وقد تصف الزوجة الباكية حالها فتقول:

يا قاعدة في البيت مالك
ويَاكَ وَيَاكَ يَلِي ربيت أنا وياك
لا يَبْن عمي يا عَضِيدي

جوزك غدي يا ظيم حالك
في خاطري مِسْكَنًا واقْعُد أنا وياك
يا سوارتي وَقَعْتَ من إيدي⁽³⁾

ثم تطلب من النساء ومعاونتها فتقول: خلل في توزيع الحواشي

قُلْنَ مَعَايَ جَابِرني
يا بنت عمي قابليني
بِدِي اتقَابِلني حزينة
لَقْعُد على جَنَب الشريعة

وابو عِيَالِي ظَاع مني
وبدموع عينك عاويني
وتَكُون دَمْعَتَهَا رزينة
من خوف ليقولوا قَطِيعَة⁽¹⁾

يَمْعَدْلَه قومي تعالي
إِلْتَقَيْن الحبايب عَ اعراق⁽²⁾

يَمْعَدْلَه حَالِك وِحالي
يَبْكُون عَ يَوم الفراق⁽³⁾

لم يعد أحد يستقبل الضيوف بعد رحيل عماد البيت، هذا ما تقوله النائحة متحسرة على صاحب الكرم والجود:

يا ظيوفهم عَ الحيط باتوا
يا ظيوفهم عَ الحيط ظلّوا

واهل الكَرَم والجود ماتوا
واهل الكَرَم والجود ولّوا⁽¹⁾

(1) مقابلة شخصية، أنغام، سنجل، 47 سنة. 2007/8/3.

(2) علوش، الأغاني الشعبية، ص 320.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(1) عراق: عامية، بمعنى الحائط. المنجد، ص 501.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة حلوة، عين قينيا، 75 سنة. 2007/7/20.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة أم مفيد، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.

يا ظيف لا تَعْتَبْ عَلَيَّ ربيهم وارييت معهم

وفراقهم يصعب علي⁽²⁾

فإذا كان المتوفى هو الأب أو الأخ فتتوح الباكية:

قولوا لَوُخْتِي الله يَصْبِرْهَا	على فراقنا ما أقوى جبايرها ⁽³⁾
بَيِّ وَيَّي وَمَحَلَّى قَوْلِة بَيِّ	يشتد حيلي وترجع قوتي لي
بَيِّ وَيَّي وَمَحَلَّى قول بَيِّ	زي العسل وأحلى شوية
يا بو البنات لا تبنات	جيزك بناتك زايبرات
يا بَيِّنَا واحنا بناتك	ما نحلف إلا بحياتك
والبَيِّ ما مثله مثيل	شَيَّال للحمل الثقيل ⁽¹⁾

فإذا كان الرجل كبير قومه ورأس الحمولة، تستنكر النائحة موته بقولها:

لا يا بَيِّ محمد ومنين إجاك الموت	دارك عالية ومسيجة بالشوك
لا يا بَيِّ محمد ومنين إجاك البين	دارك عالية ومسيجة بقنديل ⁽²⁾
شيشوا يا حملولة وليش ذليتوا	قبرتوا أبو محمد ويش خليتوا
شيشوا يا حملولة وليش عبتوا	قبرتوا أبو محمد ويش عقتوا ⁽³⁾
ناوليني السيف واليطق عن الوجاك	تنشلوش ع الحمولة صاير عليها ذياق
ناوليني السيف واليطق عن الرفقه	تنشلوش ع الحمولة صاير عليها هدّه ⁽⁴⁾

(1) علوش، الأغاني الشعبية، ص 294.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) علوش، الأغاني الشعبية، ص 317.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جدية، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(2) المصدر السابق. 2007/8/3. قنديل من القنديل: الجنية الشائكة. المنجد، ص 656.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/8.

(4) علوش، الأغاني الشعبية، ص 288. يطق: نوع من السلاح

الوجاك: فتحة في جدار البيت تستعمل لايقاد النار وللتدفئة وطهي الطعام.

ورحيل شيخ الحمولة يعني تهدمها:

الشُّبَّاك يَقْع والبلاط ايميل	واجب عليك يا دارهم اتهيلي
الشُّبَّاك يقْع والبلاط يسود ⁽¹⁾	واجب عليك يا دارهم انتهدي
عَ سَبعِ طِلْع مِنْكَ ولا رَدَّ	وانهدي يا باب الدار وانهدي
عَ سَبعِ طِلْع مِنْكَ ولا جاني ⁽²⁾	وانهالي يا عتبة الدار وانهالي
	وهناك فخر في (الفقيد) العزيز والغالي:
يا بوز البارودة من الندى ميَّتل	طلَّت البارودة والسبع ما طَلَّ
يا بوز البارودة من الصدى مَجَلاش ⁽³⁾	طلَّت البارودة والسبع ما جاش
طالبة خيالها يوم الميعاد	هالبارودة خلَّعت جوز الوتاد
طالبة خيالها يوم الخميس ⁽¹⁾	هالبارودة خلَّت العِدَّة همِس
لولا شيوخته هَدَّوا مضايكم	قوموا فرشوا للشيوخ ضايكم
لولا شيوخته هَدَّوا علالكم ⁽²⁾	قوموا فرشوا للشيوخ جايكم
يا لامَّ العيلة كبار وزغار ⁽³⁾	سلامتك يا كبير هالدار

أما إذا كان الفقيد شاباً فميتته تأتي في الأغلب فجأة دون توقُّع لذا يقولون:
انْقَصَف، خَطَفَه الموت بقى زي عود الريحان. وتركز البكائيات على مضمون واحد يتمثل في
حرمان الشاب من الزواج ومن ثم حرمان أهله من الفرح به:

نشولش: عامية بمعنى نَحْمِي.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/8.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(3) ربيع، ولید، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 111.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.

(2) علوش، الأغاني الشعبية، ص 292.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/8.

راح بخاطره يا خاييه يَخْتَه
يا شَبَّ مِتَشَبَّب يَفْشِيْلِك يَمَّه

راح بخاطره عَروس في تَخْتَه⁽¹⁾
مات وبخاطره يُوخِذ بنت عمه

شبابنا وِرِدَتْ عَلَى النَّيَّارَه
شبابنا وِرِدَتْ عَ راس العيين

وَتَقْصِفُوا قَصْفَ الْوَرْدِ يَخْسَارَه
وَتَقْصِفُوا قَصْفَ الْوَرْدِ يا شين⁽²⁾

والله لَكْتُب عَ بِلَاطِ ارخامي
يا حِينَك شَبَّ سَالَم يا حِينَك
يا شَبَّ سَالَم وين هالغيبه
وفرسه تذل وتهان من بعده:

عُمْرَك دَنَا وِيش فيدي أنا يا غالي
يا حِينَك بنات العرب يَنْعِينَك
يا كيس الذَّهَبْ مَحْطُوط في الجيبه⁽³⁾

مُهِرَتَكْ يا شَبَّ مُحَمَّد
قَيِّدوها بَقِيد رُمَّة
مُهِرَتَكْ يا شَبَّ سَالَم
قَيِّدوها بَقِيد رُمَّة

طَيِّحُوها عَ الْعَرَبِ
مَنْ بَعْدَ قَيْدِ الذَّهَبِ
نَزَلُوها عَ الْعَبِيدِ
مَنْ بَعْدَ قَيْدِ الْحَدِيدِ⁽¹⁾

ويقال عن عروسه التي تركها صبية صغيرة:
رَمَلُوا الصَّبَايا تَشَبَّه التَفَاح
وقد تقول عن نفسها:

تَحْلِفُ ما ترمي عَ الصِّدْرِ مِطْوَاحِ⁽²⁾

يا ذَلِي ضَرَبَنِي الْبَيْنِ بِالْذَّبَّوسِ
يا ذَلِي ضَرَبَنِي الْبَيْنِ عَ اَيْدِيَه
تُفَجِّعُ الأم بموت فلذة كبدها فتتوح بالكية:

يا ذَلِي نَفَلْ شَعْرِي وانا عَروس
يا ذَلِي نَفَلْ شَعْرِي وانا بَنِيَّه⁽¹⁾

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة، 2007/8/7.

(2) علوش، الأغاني الشعبية، ص 308 - 309.

(3) المرجع السابق، ص 308.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، 71 سنة، 2007/8/7.

(2) المصدر السابق، 2007/8/7.. مطواح: عامية بمعنى عقد.

محمد ويا سِلْسِلْه لَيْه
 والبادة تَدَع عَلَيْهِ واتروح
 والبادة تَدَع عَلَيْهِ واترَوَّح
 يا بادعة قولي عليهم وابدعي
 يا بادعة بالسيف هاتي نصابه
 يا بادعة بالسيف هاتي شدته
 محمد ويا جوهرة سَقَطَتْ مِنْ اَيْدِيه
 وامه على طول الزمان تتوح
 وامه على طول الزمان اتتوح
 قولي على محمد وامه تَسْمَع
 بَيْكِي على محمد وعلى اللي صابه
 بَيْكِي على محمد وعلى كَتَبْتَه⁽²⁾

خَيْلُ طَرَدَتْ خَيْلُ فِي وادِ الصرار
 خَيْلُ طَرَدَتْ خَيْلُ فِي وادِ النحل
 يَمَحْمَدَ عَزَبَ وَلَا وراه عيال
 يَمَحْمَدَ عَزَبَ وَلَا وراه أهيل⁽³⁾
 عليوم لانك يَنْشَرِي يا الغالي
 لشريك بالذهب وكل المال⁽¹⁾

وكثيراً ما تكون العين الحاسدة سبب موت الشباب:

دَعَتْ عَلَيْهِ العدو والشعر مَبْلُول
 ندب المرأة (الزوجة، الابنه):
 إم المطر رَزَّ مَرْتَكِيَه
 دَعَتْ عَلَيْهِ وقالت عُمْرِهِم ما يطول⁽²⁾
 يا حينها ماتت صَبِيَه

خَلَّتْ زَغِيرَهَا وراها⁽³⁾

(1) علوش، الأغاني الشعبية، ص 293.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيروود، 69 سنة. 2007/7/29.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(3) علوش، الأغاني الشعبية، ص 321.

وإذا ماتت المرأة وهي لا تتجب تكون المصيبة أعظم فالمثل يقول: "اللي خَلَفَ ما مات"

مالهـاش ولد وسط الرجال شـايل	مال الوليـه نعشـها مايـل
مالهـاش ولد وسط الرجال ايشـيل	مال الوليـه نعشـها ايمـيل
ماتت حزينـه عَ لبـنـين	صـبـيـه ودلـوها ببـير
ماتت حزينـه عَ الولاد ⁽¹⁾	صـبـيـه ودلـوها ببـواد

فإذا كانت صبيبة تقول، النائحة:

والموت ما يصـلحـلـكن	يا صـاينـات عروـضـكن
اللي طالعـه بعـد العـشا ⁽²⁾	والموت يصـلح للرعـينـه

وتقول واحدة لأمها:

قومي اسمـي جـطـي ونـيـي	يميمـتي قيمـني واسـندـني
-------------------------	--------------------------

وتتعى باكية فتاة صبيبة فتقول:

جـسـمـك ما يطـيق الثوب كيف يطـيق القـبر ينـام ⁽¹⁾	يا صـبـيـة يا لبـيـه ياعويـد الخـيزـران
ينـام ⁽¹⁾	وأكثر ما يوصف حال الأبناء بعد رحيل أمهم:

يربوا ما بين العـم والخـال	يا حينـها اولاد الـدلال
وإن غابـت إمـي سـايلـي عـني	يا خـالتي كوني بـدال إمـي
قـلبـه من النـهـرات مـطـفي	يا يـتـيمـها عَ القـدر مـكـفي
قـلبـه من النـهـرات نـاطـف ⁽²⁾	يا يـتـيمـها عَ القـدر واقـف

نَدب الأطفال: تقول الباكية عنهم:

بـقـشـروا في البـيـض لـحـمـر	صـبـيان تـحت الجـوز لـخـطـر
------------------------------	-----------------------------

(1) كناعنة، الإجاب والطفولة، ص23.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7. الرعيانة: عامية بمعنى متمردة

(1) المصدر السابق، 2007/8/7. جَطَّى: عامية بمعنى ألمي.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.

يا هالصبيان يا محلاهم وأجا البين وأسرع لي طواهم

طَيَّ الحُرير على الندى⁽¹⁾

وتقول النائحة على لسان الأطفال:

يا بياع الطواقي في حارة إمي... لا تُتادي

واتجيني عَ بال إمي

يا بياع الطرابيش في حارة إمي لا تتاديش

واتجيني عَ بال إمي⁽²⁾

ويعود سبب موته وهو صغير إلى الحسد فنقول له:

واقعد واسم الله عليك عيني وعين حبابي ليك

وعين العَدُوّه تروح برة⁽¹⁾

وهناك أنواع أخرى من الندب لها طقوسها. سنتحدث عنها باقتضاب، منها ندب الرئيس، وندب الشهيد، وندب القتل وندب الغريب.

(1) علوش، الأغاني الشعبية، ص 331. القدر: قِدر الطعام.

(2) المرجع السابق، ص 331.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة، صفية، عين قينيا، 84 سنة. 2007/7/20

ندب الرئيس:

عندما نتحدث عن بكائيات القائد في الأدب الشعبي الفلسطيني يستوقنا هذا الحضور المميز للقائد العربي المصري جمال عبد الناصر، ففي يوم وفاته خرج الشعب في مدنه وقراه إلى الشوارع، وفي قرية ترمسعيا سمعت القرية الخبر فخرجت جميع نساؤها، ولأول مرة في تاريخ القرية صباح 1970/9/29 واصطففن في حلقات النعي لمدة ثلاثة أيام كن يندبن وينعين ويلطنن خدودهن وهن يرددن:

رئيسنا يَلّلي عليه المعتمد	خليتنا بين اليهود بلا سند
رئيسنا يَلّلي عليك اللوم	خليتنا بين اليهود والقوم
رئيسنا يَلّلي عليك العايله	خليتنا بين الجبال الهايله
كرسي الرئيس جَلّوه بالجوخ	بعد الرئيس ما حليلي شيوخ
كرسي الرئيس جَلّوه بسواد	بعد الرئيس ما حليلي جواد
ركبوا المدافع عَ ظهر الميّه	صارت يا قَشَلَكِنْ عَ الفدائيه
ركبوا المدافع عَ ظهر النهر	جمال يا قَشَلَكِنْ انقهر قَهَر ⁽¹⁾

ندب الشهيد:

تختلف بكائيات الشهيد عن سائر البكائيات، فلا يتخللها حلقات ندب ونواح أو أي مظهر آخر من مظاهر الموت الأخرى، فهو يدفن كما هو بملابسه ودمه حيث يُزف في عرس إلى عروسه الأرض:

زفوا الشهيد وخلوا الزفه عَ السُنّه	زفوا الشهيد إلبيتو الثاني في الجّنه
زفوا الشهيد بجروحه بِدْمُه	عَقَر جبينه إياكم تنفضوا ترابه
سَبَل عيونُه ومَدّ ايْدُه يحنّونه	خَصَرُه رَقِيق بالمنديل يَلْفُونُه
سَبَل عيونُه ومَدّ ايْدُه على راسي	خَصَرُه رَقِيق ودعني وموش ناسي ⁽²⁾

(1) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص 112 - 113.

(2) من أبيات الشعر الشائعة في المجتمع الفلسطيني.

ندب القتيل:

عندما يبلغ أهل المغدور نبأ قتله فإنهم بالإضافة إلى الصياح والبكاء يقوم الرجال بإعلان النخوات ومما يقولونه في هذا المجال: "يحرم عليّ أنام عند مرّتي إلا بعد ما استندّ ثارك"، "باطل وأنا عليك يا فلان والله غير عَشْرَه في جورتك".⁽¹⁾

وفي أثناء دفنه يردد أقاربُه النخوات المتضمنه التهديد والتصميم على الثأر ومنها:

يا قَتَّال يَقْطَع دِيَاتَكَ	وارعبتتا يرعب خواتك
قتال يا الله إقْطَع يَمِينَكَ	وارعبتتا يرعب حَرِيمَكَ ⁽²⁾

لا تَذْلُوا يا حَمُولَة	عَلِّقُوا عَ الْخَيْلِ شَعِير
واقْتُلُوا قَتَّال هَاطَا	لَنَّهُ فَالِي السَّما بِطِير
لا تَذْلُوا يا حَمُولَة	عَلِّقُوا عَ الْخَيْلِ عَسَل
واقْتُلُوا قَتَّال هَاطَا	لَنَّهُ لِّلسَّما بَصَلْ
يا رِيْت قَتَّالَكَ قَتِيل	دَمَّه عَلَى جَنْبِهِ يَسِيل ⁽³⁾

ندب الغريب:

كثرت قبور الغرباء مجهولي الهوية في فلسطين التي قُتِل أصحابها أيام الأنكليز والذين أتوا تطوعاً للدفاع عن فلسطين فسقطوا في سبيل ذلك على أرضها وظلوا مجهولي الهوية تَطْلُبُ أرواحهم العودة لموطنها فقيل عنها:

قَبْرِ الْغَرِيب عَ الطَّرِيقِ بِنُوح	بِقَوْلِ يا صاحبي عَ الدارِ تَروح
قَبْرِ الْغَرِيب عَ الطَّرِيقِ بَبْكي	بِقَوْلِ يا صاحبي عَ الدارِ بدي أمشي ⁽⁴⁾

عُزْبُ الْبِلادِ وتايهين	عَ الدَّرْبِ ما هم مِنْدَلين
--------------------------	------------------------------

(1) ربيع، وليد، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ص115.

(2) مقابلة شخصية، الحاج أبو عبد الله، الجديرة، 73 سنة. 2007/8/8.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(4) المصدر السابق، 2007/8/7..

لَنْ عَاوِدَ أَهْلَ الدَّارِ عَ الدَّارِ لَا جِيبَ لَكَ يَا دَارُ دُورِ
وَأَجِيبَ لِلْحَيْطَانِ بَنَّا⁽¹⁾

ومن البكائيات القديمة ما عرف ب (أكثر البكاء حرارة) وفيه تبكي الجموع موت دموزي زوج
"إنانا" وتتوح فتقول:

أكثر بكاء الدنيا مرارة نبذله على زوجها
من أجل إنان، أكثر البكاء مرارة نبذله على زوجها
واحسرتاه على زوجها
واحسرتاه على فتاها
واحسرتاه على زوجها الأسير
على فتاها الحبيس
على زوجها الميت
على فتاها الراقد

ثم تبكي إنانا زوجها:

اليوم قد قضى زوجي الحلو
زوجي قد قضى اليوم
قضى فتاي الحلو
فتاي قد قضى⁽²⁾....

طقس غسيل الميت وتكفينه:

تقول الحاجة فاطمة: "لازم المي تكون فاترة اللي يقبلها الجسم لا هي باردة ولا هي سخنة"⁽³⁾

وأثناء الغسيل تتوح النسوة:

لا إله إلا الله ومحمد رسول الله

(1) علوش، الأغاني الشعبية، ص 328.

(2) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 165، 166.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 87 سنة. 2007/8/8.

لا إله إلا الله ويش ألهاك يا عبدي

ويش ألهاك عن ذكري

ألهاني شقى الدنيا والدنيا مبتنعش⁽¹⁾

ويقلن أيضا على لسان المتوفي:

يا الله، يا الله توّسنني وأنا وحدي

يا الله، يا الله، لا إله إلا الله

ينزل علي لحدي

لا إله إلا الله بعدد ورق الزيتون

أنزل في الجنة وأعوم⁽²⁾.

ثم يكفن الجسد، وفي هذا تنوح الباكية:

زَرِّروا الخيمة⁽³⁾ عليه واحفظوها من الندى يا حَسْرَتِي يا أبو محمد راح وما وَدَّعَ حَدَا

زَرِّروا الخيمة عليه واحفظوها من النسيم يا حَسْرَتِي يا أبو محمد وانتَ علينا عَزِيز⁽⁴⁾

يتم غسل الميت بالماء الطاهر لتطهير الجسد، وكان تطهير الميت عند السومريين (ومن ثم عند

البابليين والآشوريين) يجري بطريقتين إما الغسل بالماء أو بالحرق⁽⁵⁾.

وقد كان الجثمان يغسل ثم يضمخ بأنواع من الروائح العطرية الطيارة ويدهن بالزيت الخاص،

ثم يعرض لضوء الشمس لآخر مرة حيث يودع قبل دفنه⁽⁶⁾.

كان طقس غسل جسد الميت يجري وفق شعيرة دينية للتقرب من الإله إنكي الذي هو إله الماء

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) المصدر السابق، 2007/8/7..

(3) الخيمة: هنا تعني الكفن.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(5) الماجدي، متون سومر، ص 319.

(6) كونتينو، الحياة اليومية في بلاد آشور وبابل، ص 294.

والحكمة وخالق الإنسان، وكان مَسُّ مياهُه لَجَسَدِ الإنسان يعني إعادة خلق مُطهر لهذا الجسد⁽¹⁾ وعند المصريين كان طقس غسل الميت بماء النيل يستيق عملية التحنيط، وكان هذا الغسل عملاً طقسياً إلى أبعد مدى، لأن المصري رأى فيه رمزاً لأسطورة خلق الشمس من ماء النيل وانحسار مياه الفيضان، ومن الصور الشائعة في هذا الطقس منظر يوجد على مقابر الدولة الحديثة أو توابعها، ويمثل المتوفى جالساً على جرة كبيرة وهو يستحم في تيار من الماء يصب فوقه⁽²⁾.

وفي ترتيلة على لسان المتوفى من بردية هونفر نجده يقول:

"هب لي أن أسير على نسق جلالتك تماماً كما كنت على الأرض، دع روحي تدخل (في الحضرة)، ودعها تكون إلى جانب سادة الحق والحقيقة، ها قد أتيت إلى مدينة الله إلى الإقليم الذي وجد في الزمن البدئي، أتيت مع نفسي وقرينتي وشكلي شبه الشفاف كي أسكن في هذه الأرض... والرب الذي هناك هو سيد الحق والحقيقة... الخ⁽³⁾

وهناك العديد من التراتيل التي كانت تقال بلسان الكاهن على لسان المتوفى، وكان الكنعانيون والآراميون "يغسلون الميت ثم يلبسونه ثوباً أو كفناً ويوضع في تابوت، ثم يدفن. وفي الجاهلية كانوا يعمدون إلى الميت فيغسلونه وفي ذلك قال الأفوه الأودي⁽⁴⁾:

وجاؤوا بماء بارد وبغسلة فيالك من غسلٍ سَيَتْبَعُهُ عَيْرُ

طقس دق العدة:

"قبل ما تموت حماتي قالت لابنها وصاتي يمه "اطلعي بعدة وجيب الشيخ من دوره".
"اليوم الشيوخ بطلعوا بعدة الشيخ عبد الغافر، شيخ معروف من دوره إلو متوفي بيجي أربع سنين طلعتْه عدة كبيرة، يوصلوه القبر وهم يطبلوا ويغنوا أغاني دينية حزينة بتشبه أغاني

المولد النبوي، بس حزينة"⁽¹⁾.

(1) الماجدي، متون سومر، ص 321.

(2) الماجدي، الدين المصري، ص 279.

(3) انظر: بدج، والس، الديانة الفرعونية، ترجمة يوسف سامي اليوسف، دار منارات، عمان، ط1، 1985، ص 156.

(4) الأفوه، الأودي، ديوانه الطرائف الأدبية، صححه عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط1،

1937، ص 15.

ويرتبط حجم العدة بمكانة الشخص في المجتمع، وكان الكثيرون يوصون أبناءهم أن يخرجوهم من بيوتهم مع (العدة)، ويشبه خروج النعش مع العدة زفة العريس، فقد أشارت البكائيات الفلسطينية إلى العدة في هذين البيتين من العتابا:

يا حسّ طُبُول حسّ زَمور دَقّين مَراسي عَ صدور البين لَجّين
ألا يا حاملين النعش عَ وين أقفوا تا أودع ها لأحباب
وتقول باكية:

قولي عليه يا إم الحلق واسواره حامي ظعننا يُوم كُون وغارة
بارودته يا إم الحلق والعدة ما تطلع إلا يُوم كُون وهده⁽²⁾

وطلعت كالزفة:

واطلعوا العريس من خلوة عروسه واطلعوا محمد خلي اخته تشوفه
واطلعوا العريس من خلوة خلاه واطلعوا محمدت إمه تراه⁽³⁾

كان هذا الطقس شائعاً عند القدماء، ففي أسطورة "إنانا" عندما خرجت من العالم السفلي ومعها العفاريث لتأخذ البديل عنها، صادفت وزيرها (ننشور) فأرادت العفاريث أخذه لكن "إنانا" رفضت؛ لأنه كما تقول:

أتأخذون رسولي ذي الكلمات الطيبة
من أقام المناحة عليّ في الخرائب؟
من ملأ السماء تشكياً من أجلي؟
وقرع الطبل من أجلي في قاعة المعبد

وبكى عليّ في المصلّى⁽¹⁾

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7. دوره: من قرى رام الله.

(2) علوش، الأغاني الشعبية، ص 310.

(3) المرجع السابق، ص 333.

وتشترك نسوة دموزي (أمه والزوجة وأخته) في ترنيمة تقول:

على نايِّ القَصَب

قلبي يعزف ترنيمة على ناي القصب

لأجل ذلك الشريد في الصحراء⁽²⁾

"وعند السومريين والبابليين كانت هناك طقوس جنازية تقام بعد الوفاة مباشرة، وفي أوقات محددة ومختلفة ولفترة طويلة بعد موت الشخص، وكان هناك عدد من الكهنة الذي يؤديون شعائر الندب وهم كهنة (كالا - ماخ) أي الكاهن العظيم، وكان كاهن الكالا يعزف إما على طبل هلهلاتو (Halhallatu) أو على القيثارة أثناء الندب والأناشيد الحزينة⁽³⁾، والكاهنات كذلك كن يؤديين هذه الشعائر وهن من نوع (الوكر و (اينتو)⁽⁴⁾.

تتكرر هذه الطقوس في الأعياد كعيد زاموء الذي يصادف 2 أيلول حيث تقام طقوس الحزن الجماعي على موت دموزي وذهابه إلى العالم الأسفل⁽⁵⁾.

وعند المصريين كانت مراسم التشييع الأخير "تبدأ في الشاطئ الغربي من النيل حيث يسير الرجال في المقدمة وتتبعهم النساء، وكان الكهنة يحرقون البخور، ويرتلون التراتيل الحزينة، وغالباً ما يتقدمهم طائفة من الراقصين الذين يحملون اسم (مود) حيث يقومون برقصة دينية للمتوفي بملابس خاصة مع نِدَابَتَيْن تمثلان إيزيس ونفتيس⁽⁶⁾.

وعند الكنعانيين كان عيد الأفانزيم، وهو عيد موت أدونيس، بمثابة إعلان وتذكير بموته حيث ينوحون عليه في طقوس جنازية يتقدمها الكهنة يحملون تابوتاً فيه جثة رمزية له ويسير الكهنة وخلفهم الكاهنات وهن يُؤلّلْنَ في موكب واحتفال كبيرين، حيث تُدقُّ الطبول لطرد الأرواح الشريرة⁽¹⁾.

(1) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 168.

(2) المرجع السابق، ص 168.

(3) الماجدي، متون سومر، ص 331.

(4) المرجع السابق، ص 331.

(5) السواح، الأسطورة والمعنى، ص 336.

(6) الماجدي، الدين المصري، ص 241، 242.

(1) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 269-270.

طقس دفن الجسد عارياً:

يدفن جسد المتوفي عارياً إلا من قطعة قماش بيضاء يلف بها تسمى الكفن⁽¹⁾ وتتوح الباكية فتقول:

يا شَبَّ يا حَلو الشباب	ما حَلَّ جسمك للتراب ⁽²⁾
صدرك يهاظا يا بلاط اللوح	سلامتك من هالقبر يا روعي
صدرك يا هاظا يا بلاط ارخامي	سلامتك من هالقبر يا غالي ⁽³⁾

ويعيدنا هذا إلى أسطورة هبوط "إنانا" إلى الأرض السفلى، حيث كان عليها الالتزام بطقوس العالم الأسفل، التي جعلتها تصل عارية تماماً إلى اختها أرشيكال إلهه العالم الأسفل⁽⁴⁾. يقول نيتي لها حارس بوابات⁽⁵⁾ العالم الأسفل في النسخة السومرية: "يا "إنانا" لا تدعي فمك يستهجن طقوس العالم الأسفل وخلع عنها ثوب (بالا) ثوب السيدات والسادة -أرجوك ما هذا؟

-أسكتي يا "إنانا" (لا بد من) نواميس العالم الأسفل كاملة.

-يا "إنانا" لا تدعي فمك يستهجن طقوس العالم الأسفل⁽⁶⁾

وفي نفس الأسطورة تصل الشياطين لدموزي كي يكون بديل "إنانا" في العالم الأسفل، فتجره عارياً.

"اخلع تاجك المقدس من رأسك

اخلع رداء ال (مي) من جسدك

دع صولجانك المقدس يسقط على الأرض

أخلع نعليك المقدسين من قدميك

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 143.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) علوش، الأغاني الشعبية، ص 310.

(4) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص 193.

(5) علي، فاضل، مأساة عشتار وتموز، ص 189.

(6) انظر: المرجع السابق، ص 193.

عرباناً تمضي معنا"⁽¹⁾

طقس الكفن الأبيض:

ذكرنا سابقاً أن الجسد يكفن بكفن أبيض عند الفلسطينيين خاصة المسلمين، وقد كان يكفن بهذا الرداء عند الكنعانيين والآراميين، ولكن لم أجد نصاً واحداً يظهر لون الكفن، وعند المصريين "كان اللون الأبيض شعار مصر العليا، وقد اعتبر رمزاً للنقاء والطهارة الروحانية، وكان يضمّد جثمان المتوفين بالضمادات البيضاء اللون الكثانية تطابقاً بما يرتديه الإله أوزيريس"⁽²⁾. وعند الجاهليين كان الميت يكفن أيضاً بقماش أبيض رقيق مصنوع من كتان وفي ذلك قال المهلهل بن ربيعة:

فابكينَ سيدَ قومِهِ وانْدُبْتَهُ شُدْتُ عَلَيْهِ قِباطِيَّ الأكْفانِ"⁽³⁾

طقس وضع الأشياء الثمينة مع الميت:

تقول الحاجة فاطمة⁽⁴⁾: "هاظا اشي والله حَظرتَه وشفته بعيني مرة صبية ماتت وهي صغيرة كانت مخلفة ولد واحد وإمها وخواتها لما روحوها من المستشفى جبن ثيابها واحد ابيض واحد اخضر ولَبَسَها ثيابها، ولَبَسَها خرقة بيضة، وقالتها أمها "مسعدة، مسعدة يمه، هَيَّيْ لِبَسْتِكْ ثوبك البيّظ وثوبك لِخَظَرَ اللي ما اللَّبْسِيَّهِن والخرقة البيّظة". وتقول الحاجة مريم⁽¹⁾ "لَمَّا يَكُون زِلْمَة كَبِير إلو قِيمَتَه ما يَشْلُحُوا الخواتم وإذا كان ولد أو بنت، يعني لما يكون عزيز أغلب الأوقات ما بقيموش إشي، وإذا كان شهيد بدفنوه زي ما هو، بَلِّي عليه شو ما بَقِيَ لابس".

وفي البكائيات الفلسطينية نجد الوالدة تحتفظ بثياب مَيِّتِها العزيز كأثر له، لذا فهي تقول:

يا رايحين مع السلامة بدلاتكم عندي علامة"⁽²⁾

(1) الماجدي، متون سومر، ص229.

(2) تيبو، موسوعة الأساطير، ص15.

(3) المهلهل، بن ربيعة، ديوانه، شرحه طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، ط1، 1993، ص84. القباطي: جمع قبطة وهي قماش من الكتان، أبيض رقيق.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

وتقول أيضاً:

حُطِّي بدلاته في الخزانة من اليوم لَيوم القيامة
حُطُّوا بدلاته في الصندوق ممنوع عليهن لا يطحن السوق⁽²⁾

وفي الحالة التي يَمْنَعُ فيها الدين دَفَنَ ممتلكات الميت مَعَه، "يبحث الإنسان عن طريقة لتوصيلها إليه عن طريق كسرهما وبذلك تكون الأشياء قد ماتت ويمكن للميت استعمالها"⁽³⁾.

ومثل هذا الاعتقاد دَفَعَ الباكية الفلسطينية إلى القول:

كَسَرُوا صَدُوقَهَا وارمُوا الحديد واطلّعوا جُوز الأساور الجَديد
كَسَرُوا صَدُوقَهَا وارمُوا الخَشَبَ واطلّعوا جُوز الأساور الذَّهَبَ
كَسَرُوا صَدُوقَهَا وارمُوا اللِّوَحَ واطلّعوا جُوز الأساور المِلاح⁽⁴⁾
وتعز بارودته على زوجته فتقول:
بارودة في إيد الدَّلال أريتها يا الله عَلَيَّ ليش ما شريتها⁽⁵⁾

"حرص السومريون على تزويد الميت بحاجاته الشخصية، وهذه كانت توضع بجانب الجثة أو تلف معها في الحصير، كما زودوه بقارب صغير مملوء بأوان فخارية تحوي أنواعاً شتى من القرابين، إذ اعتقدوا أن الميت سوف يضطر في رحلته إلى العالم السفلي إلى استخدام قارب مزود بأنواع الأكل"⁽¹⁾.

"ومن أهم المقابر التي عثر عليها مقبرة (أور) الخاصة بالملك، والمقبرة الخاصة بالملكة زوجته، وقد امتلأت كل منهما بأفخر وأثمن الحلي والمجوهرات بجانب الأدوات المصنوعة من الذهب الخالص، رغم عدم وجود الذهب في بلاد السومريين، فقد كان يُستورد من الخارج، كما تكدست

(1) علوش، الأغاني الشعبية، ص 300.

(2) مقابلة شخصية، مع الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(3) البيديل، سحر الأساطير، ص 300.

(4) السلحوت، جميل، البكائيات في أدبنا الشعبي، مجلة الكاتب، الحلقة الرابعة، ص 77.

(5) مقابلة شخصية، مع الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) عبد الصمد، عادات وتقاليد من العصور القديمة، ص 227.

في كل من المقبرتين جثث أفراد الحاشية الذين ربما سَمَوْا أنفسهم عمداً لينالوا فخر الانضمام إلى ملكهم وزوجته في الحياة الأخرى، وأغرب ما في الأمر أنه اتَّبَعَ نظام دقيق في ترتيب وضع كل جثة، بحيث يقرب صاحبها أو يبعد عن جثة الملك، طبقاً للوظيفة التي كان يشغلها في حياته الأولى⁽¹⁾.

وفي مدينة (آشور) كشفت التنقيبات التي أجريت، عن العديد من ملوك الآشوريين الذين دفنوا في منطقة واحدة، وكان الكنز الذي دفن مع الملك يمثل تهديداً دائماً للضريح الملكي (بسبب احتمال سرقة)⁽²⁾.

أما قدماء المصريين، فقد أثبتت الاكتشافات أنهم "لم يكونوا يهتمون بمبانيهم السكنية بقدر اهتمامهم بمقابر الموت، فقد كانت جنازة أصحاب النفوذ والأغنياء تحمل ما سيحتاج إليه الميت في قبره من الأثاث الجنائزي، والمصاغ والمجوهرات والحلي والملابس وأدوات الزينة، إضافة إلى الغذاء"⁽³⁾.

"لقد كانت مقابر وادي الملوك ووادي الملكات في مصر القديمة، تبعث في النفس عند زيارتها مشاعر التفاؤل وحب الحياة..... وما في داخل المقابر من متاع وأثاث يمثل قيمة فنية وجمالية منقطعة النظير فقد كانت المقبرة تجهز بكل ما سيحتاجه الميت...سواء لجسده أو لروحه"⁽⁴⁾.

طقس سير الجنازة والصلاة على المتوفى:

بعد الغسيل والتكفين يوضع الجسد المسجى على الأرض كي يتسنى للأهل أن يلقوا عليه نظرة الوداع الأخيرة وفي هذا تقول باكية:

واتودَعُوا يا عيلة البيت	وأناع السَفر نويت
واتودَعِي يا عيلة الدار	واتودَعُوا كبار وازغار ⁽¹⁾

(1) المرجع السابق، ص228.

(2) كونتينو، الحياة اليومية في بلاد آشور، ص294-295.

(3) عبد الصمد، عادات وتقاليد من العصور القديمة، ص150-151.

(4) فياض، المرأة المصرية القديمة، ص33-34.

ثم يُحمل على نعش من الخشب، وتسير الجنازة سيراً على الأقدام أو في سيارة الموتى أو الإسعاف حالياً، وفي هذا تقول الباكية على لسان المتوفى لحظة خروجه من البيت:

وَأَنَا حَمَلُونِي حِمْلٌ وَاثْقِيلٌ يَا حَسْرَتِي مَشَ قَادِرَ أَشِيلِ
وَأَنَا حَمَلُونِي وَوَتَقُونِي وَأَنَا ثَقَلُوا حِمْلِي عَلَيَّهِ⁽²⁾

وقد ترفض عتبة الدار أن يخرج فتقول الباكية:

يَا عَتَبَةُ الدَّارِ صُدِّهِمْ وَرَدِّهِمْ وَانْكَانُوا حَرَابَا نَرَاظِيهِمْ⁽³⁾
لَا يَا دَارِهِمْ لَقَعْدُ عَلَيْكَ بَوَابٌ وَاصْبِرْ عَلَى الْجَفَا تَيَّرَوْحُوا الْغِيَابَ⁽⁴⁾

ثم يصل إلى الجامع فيصلى عليه و يحمل مرة أخرى إلى المقبرة كي يدفن بجانب أفراد عائلته السابقين، وعند المقبرة تولول عليه النساء مرة أخرى، وإذا كان شيخاً كما ذكرنا ترافقه (الفرقة أو العدة في طقس بكاء جنازتي حتى يدفن. وتتدبه النساء قائلات:

وَاللَّهِ مَا عَاتَبَكَ قَلْبِي عَلَيْكَ جَا حِدْ قَلْبِي وَقَلْبُكَ سَوَا مَفْتَاحِهِن وَاحِدِ⁽⁵⁾
خَذُونِي مَعَاكُم بِفَطْرٍ عَلَى دُقَّهِ بَصْبُرٍ عَلَى الْجَوْعِ مَا بَصْرٍ عَلَى الْفُرْقَةِ
خَذُونِي مَعَاكُم بِفَطْرٍ عَ لِبِّ اخِيَارِ بَصْبُرٍ عَلَى الْجَوْعِ مَا بَصْرٍ عَلَى الْمَعْيَارِ
يَا حَسْرَتِي قَلْبِي مُحَسَّرٌ وَلَّى طَلَبَتَهُ مَا تَيَّسَّرَ
هَبِّ الْهَوَى شَرْقِي وَغَرْبِي فَتَشَّ عَلَيَّ جُروح قَلْبِي
هَبِّ الْهَوَى غَرْبِي شَمَالِ فَتَحَّ عَلَيَّ جُروح زَمَانِ⁽¹⁾

(1) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(2) المصدر السابق. 2007/8/8

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(4) علوش، الأغاني الشعبية، ص305.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/1/17.

وتكاد تكون مراسم تشييع الجنازات قديماً هي نفسها اليوم، ففي إحدى رسائل الملوك إلى آشور بانيبال يطمئنه فيها أنه قام بواجب سلفه الملك السابق، يذكر " أنه قد سجي جثمان الملك لكي يودعه الشعب، وقد فتح باب المدينة، وسمح للناس بالمرور ليظهروا حزنهم، وكانت قد رافقتُه جوقة من الباكين، وبدأت أيام الحداد الرسمي⁽¹⁾.

أما طقوس الدفن عند المصريين فقد كانت تجري وسط نوع من الرقص الديني الجنائزي وقرع الدفوف، وكان الكهنة يحملون التابوت، والنسوة من أقارب الميت يندبن ويولولن، وتبدأ طقوس التشييع الأخير، حيث يسير الرجال في المقدمة، وتتبعهم النساء، وفي أثناء سير الجنازة يقوم الكهنة بقراءة التعاويذ وحرق البخور وترتيل التراتيل الحزينة، ثم يُودع الميت ويدفن⁽²⁾.

وفي الجاهلية يُذهب به إلى الصلاة، فقد ورد أن رجلاً من قبيلة كلب قال لابنه أنه يُكثّر من الصلاة عليه إذا هلك قبله بقوله:

اعْمُرْ إِنْ هَلَكْتَ وَكُنْتَ حَيًّا فَإِنِّي مَكْثَرٌ لَكَ فِي صَلَاتِي⁽³⁾

وبعد الصلاة يكون طقس توديع الميت، إذ يقفون به ساعة قبيل الدفن يستمتعون برؤيته، ثم يودعون بالذكر والدعاء.

وفي ذلك قول الأفوه الأودي:

قَفُوا سَاعَةً فَاسْتَمْتَعُوا مِنْ أُخَيْكُمْ بِقَرَبٍ وَذِكْرِ صَالِحٍ حِينَ يُذَكَّرُ⁽⁴⁾

ثم يبدأ بسير الجنازة فيوضع الميت على "شرج" أي السرير وهو شبيه بالتابوت، ثم يسير الرجال أمام السرير وخلفه، وتسير النساء من الخلف وفي ذلك قال عبدة بن الطيب يندب نفسه: ولقد علّمت بأن قصري حُفَرَةٌ غبراءَ يَحْمِلُنِي إِلَيْهَا شَرْجُ⁽¹⁾

طقس مكان الدفن:

(1) كونتينو، الحياة اليومية في بلاد آشور، ص 294.

(2) الماجدي، الدين المصري، ص 241-242.

(3) المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ط 1، 1970، ص 320.

(4) الأفوه، الأودي، ديوانه، الطرائف الأدبية، ص 15.

(1) عبده، بن الطيب، (ديوانه)، شرح بحى الجبوري، دار التربية، بغداد، ط 1، 1971، ص 50.

يدفن الفلسطينيون موتاهم في مقابر خاصة، ولكل عائلة في القرية أو في المدينة مقبرتها الخاصة بها، ومع أن الدين الإسلامي يحبذ إبعاد المقابر عن البيوت، إلا أن المعتقدات الشعبية التي لا تزال منتشرة بقوة لا تؤيد ذلك ففي قرية سردا كما تخبرنا الحاجة مريم "لما يكون عزيز بـدفنوه جنب الدار، كثير من أهل البلد دافنين ولادهم الصغار جنب دورهم، وفي عيلة محارب هذول عادتهم كل مواتهم مدفونين جنب دورهم، في مغارة جنب (دار إسعد) كل ما يموت حدا بـدفنوه فيها (حسن) مرت المختار لما ماتت وصت يحطوها جنب عمتها في نفس المغارة"⁽¹⁾.

وفي قرية أبو قش يدفنون موتاهم بجانب البيوت حتى إن بعض البيوت قد بنيت فوق القبور القديمة⁽²⁾. وفي البكائيات الشعبية ما يظهر دفن الأعراف بجانب البيوت:

واقبروني باب الدار وازرعولي دالية كل ما مروا الشباب عيطي يا خايبة
واقبروني باب الدار وازرعولي شجرة كل ما مروا الشباب عيطي يا محسرة⁽³⁾
محسرة⁽³⁾

وقد كان الموتى يدفنون قديماً تحت أراضي المساكين والمعابد، ففي العراق وسوريا وفلسطين ومصر دفن الموتى تحت أراضي المنازل، كما في قرية أم الدباغية وقرية حسونة وفي الأناضول في (شتال حيوك)، دفن الموتى تحت أراضي المساكين⁽⁴⁾

طقس اتجاه الدفن:

يدفن الموتى المسلمون خاصة في فلسطين باتجاه واحد وهو القبلة رمز (الكعبة المشرفة)، ويحدد وُضْعُ الرأس من جهة الغرب والقدمين من جهة الشرق ويدفن على جانبه الأيمن ليكون باتجاه

(1) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2009/3/21.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(4) الماجدي، أديان ومعتقدات، ص 118-119.

القبلة فإذا ما قام الإنسان حسب اعتقادهم بالبعث فسيكون وجهه مقابلاً للقبلة⁽¹⁾.

وعن اتجاه الدفن نجد في هذه البكائية:

ديروا المخدة على نسيم الهوى الغربي بيعوا ارزاقى واشتروا دوا قلبي
ديروا المخدة على نسيم الهوا يا ناس بيعوا ارزاقى واشتروا دوا للراس⁽²⁾

وفي المعتقدات الشعبية الفلسطينية أن الشخص يُسجى في القبر، ثم كما تقول الحاجة مريم⁽³⁾ "يسمع الناس اللي حو اليه لما يقولوا يا الله فيقول يا الله ويبجي تَيَقوم بتُظَرُّبُه البلاطة ويتقوله "نام يا ما غيرك نام" بيرجع عالقبر وبنام". وقد ورد عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن الشخص يسمع حتى آخر قدم تفارقه. قال صلى الله عليه وسلم: "وإنه ليسمع قرع نعالهم"⁽⁴⁾.

وفي البكائيات الشعبية ينادي المتوفى (الابن) أمه:

يا قبري.. يا قبري حسّ امي تَتَاديني وافتح لها يا قَبْر تيجي تَقْبَلني
قبري.. يا قبري حسّ امي تجوح وانتوح وافتح لها يا قَبْر تيجي عَلَيّ واتروح⁽⁵⁾
وتبكيه أمه وتَحَسَّر على شبابه وجماله:
يا رَقَبَتَه يومَنه شيرين حَطوها يا حَسْرَتِي يَمّه في القبر مَدوها⁽⁶⁾

إن وضع الجثمان في القبر ليس كوضع أي شيء ما، فهناك قواعد معينة يجب مراعاتها، فكل المجتمعات حديثها وقديمها اختارت وضعيات خاصة لأمواتها، انعكاساً لاعتقاد الإنسان بالبعث والميلاد في عالم آخر، وقد اتخذ الإنسان في كثير من المجتمعات مغرب الشمس ومشرقها أساساً لدفن الموتى، ولا يزال الفلسطيني يصف الموت بالغروب.

(1) أحمد بوساحة، حقيقة الموت في نظر الديانات، الانتشار العربي، ص 115.

(2) علوش، الأغاني الشعبية، ص 301.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(4) البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برزبه، الصحيح، دار الفكر، ج 2، م 1، رقم الحديث 1838، بيروت، 1998، ص 114.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(6) المصدر السابق، 2007/8/7.

فيقول:

يوم فلان ما طُلعت شمس يا وجوه الزُّلم غاشيها العَيس
يوم فلان ما طُلِع نهار يا وجوه الزُّلم غاشيها الغبار⁽¹⁾

ويحلف الفلسطيني فيقول: "وحق عويّنة الشمس المغربة لطاعة ربها"⁽²⁾

وهكذا فالإنسان منذ القدم آمن بالبعث ولهذا فقد "دفن موتاه عند السومريين والبابليين والآشوريين والمصريين بوضعية الجنين، هذه الوضعية التي مارسها معظم شعوب الأرض، فالمتوفى هو عبارة عن الجنين في بطن أمه في بطن الأرض"⁽³⁾

وكثيراً ما نعتت الأرض بالأم خاصة عند الفلسطينيين الذين يستشهدون كل يوم على ترابها ونداءً لها.

طقس التذكير بالاسم (التلقين):

عندما يموت الإنسان تخبرنا الحاجة مريم "بخطوا معه ورقة عليها اسمه الكامل بكتبوا أنا فلان الفلاني ابن فلان، ديني الإسلام، وكتابي في يميني القرآن، عشان لما يسألوه الملائكة يعرف ايجاب"⁽⁴⁾

ويسمى هذا الطقس أيضاً "التلقين"، تقول عبير من الجديرة: "لما مات أخوي ظل عمي عنده على القبر ساعتين يقرأ قرآن ويسأله عن اسمه ودينه، وهيك بعملوا عنا لازم يظل حدى على القبر مع الميت، عمي وصى ولاده يلقنوه لما يموت وطلب من الكبير إنه يلقنه وإذا مات -لا سمح الله- يلقنه ابنه اللي أصغر".

ويعرف هذا الطقس عند السومريين والبابليين باسم الشومازكارو (ذكر الاسم) والمقصود منه قديماً تطمين الميت بأن ذكره ما زالت قائمة بين الأحياء، وأن نوعاً من البقاء من خلال الاسم يتحقق له.⁽⁵⁾

(1) حداد، دراسة في المجتمع والتراث الفلسطيني، ص 136.

(2) كنعان، الكتابات الفلكلورية، ص 238.

(3) بوساحة، أحمد، حقيقة الموت في نظر الديانات، ص 112.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا 71 سنة. 2007/8/7.

(5) الماجدي، متون سومر، ص 330.

كما كان موجوداً عند المصريين فقد جاء في كتاب الموتى:

"لم أمت ولم يمت اسمي"⁽¹⁾

طقس الأربعاء:

يحد الناس في فلسطين لمدة طويلة خاصة إذا كان المتوفى عزيزاً جداً، وذكرنا سابقاً أن الحاجة مهيديّة صرصور من البيرة، قد حدثت عشرين سنة على رئيس بلدية البيرة وابن عمها. وفي الغالب يحد الناس أربعين يوماً ثم يقومون بذبح ذبيحة على الأربعاء وإطعام الأقارب والفقراء (وهذا ليس من الإسلام بصلّة) إلا أنه متبع في مدن فلسطين وقراها. وقد كان من أهم ما يحتفل به المصريون القدماء ذكرى أربعين الميت، وقد انحدرت هذه العادة من ذكرى أسطورة "أوزوريس" عندما قتله أخوه ست ومزق جثته أربعين جزءاً وطرحها في أربعين مقاطعة، لذا فقد أقام المصريون القدماء للاله "أوزوريس" قبراً لكل جزء من جسمه، وبقيت في التحنيط لمدة أربعين يوماً ومنذ ذلك الحين والفراعنة يحنطون جثث موتاهم ويبقونها أربعين يوماً بعد معالجتها بمختلف أنواع العقاقير، ثم يشيعونها لمثواها الأخير في احتفال مهيب⁽²⁾.

طقس حناء الميت:

بعد أن تسجى جثة المتوفى ترش عليها الحناء على الرجل والمرأة سواء.

ويكثر ذكر الحناء في البكائيات تفاؤلاً بالعودة والبعث:

خيمة الشهيد خضره مَخْضَبَةٌ حَنَا وان ما أخذنا بثاره ما تُصلح حياة إلنا⁽³⁾
ويقال أيضاً:

في القبر ما فشِ اشجار حنا ولا عروس امْلَبَسِي بتستتا
في القبر ما فشِ اشجار ريجا ولا عروس امْلَبَسِي وامليحا⁽⁴⁾

(1) كوننينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص 277.

(2) عبد الصمد، عادات وتقاليد من العصور القديمة، ص 309.

(3) السلحوت، جميل، البكائيات في أدبنا الشعبي، مجلة الكاتب، عدد (49)، 1982 / ص 100.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

وقد ذكرنا سابقاً أن هذا الطقس قد مورس من أقدم العصور عندما وجدت بقايا مغرة حمراء منذ ثلاثين ألف سنة في منطقة لوسيل في فرنسا وكانت تلون بقايا جثة أنثوية إشارة إلى القوى الحيوية الكامنة في الدم وتمنياً ببعث قريب⁽¹⁾.

وقد سمي نبات الحناء بعشب الحياة عند المصريين القدماء، وكان يستخدم في التحنيط حيث كانت توضع كرتان صغيرتان من الحنة في الأذن اليمنى، وبين لفائف التحنيط⁽²⁾.

طقس فك الوحدة:

"يعتقد الفلسطينيون أن زيارة القبر في الصباح الباكر من اليوم الذي يلي الوفاة، من شأنها أن تسلي الميت وتؤنس وحدته"⁽³⁾ وهم يطلقون عليها (فك الوحدة)، إذ تكون هذه أولى ليلاته في القبر.

وفي هذا تبكيه الندابة قائلة على لسان أمه التي كانت قد دفنته في الليلة السابقة وعادت:

يا ترى يبجوا يمّـه ولا أسدّ الحوش	وامسي المّسا يمّـه واحبابنا ماجوش
مّـدري يبجوا يمّـه ولا أسدّ الباب ⁽⁴⁾	وامسي المّسا يمّـه واحبابنا غياب
	وعندما تزوره والدته أو زوجته باكياً:
بلكيش ردتّ بلاطة من بلاطاته	لنزل على القبر واتعلّق بشُباكـه
	وتقول أيضاً:

بلّق السيل والمطر عنكم	خـذوني سـياج لمقبرتكم
ولا قهيوة تشربوا يمّـلاح	والقبر ما فش هوا ولا ارياح
ولا قهيوة تشربوا يا زين ⁽⁵⁾	والقبر ما فش هوا ياعيني

وقد اعتقد السومريون والبابليون والآشوريون والمصريون بأن الميت يعيش في القبر كما يعيش

(1) السواح، دين الإنسان، ص 139 - 153.

(2) الصيفي، الخروج في النهار، ص 458.

(3) الباش، المعتقدات الشعبية، ص 145.

(4) مقابلة شخصية الحاجة جديّة، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

في دنياه لذا زودوه بكل مستلزماته الدنيوية داخل القبر"⁽¹⁾.

طقس زواج الأخ من زوجة أخيه المتوفى:

ينتشر هذا الطقس في فلسطين بشكل كبير، إذ يفضل الرجل (لَمَّ لحمه) كما يقول المثل الفلسطيني، كي تبقى العائلة والأسرة موحدة ومتماسكة وعادة "بنتزل المرأة خصوصي إذا كانت حامل تحت نعش جوزها وبنقول إلي هالقد وهالقد حامل يقوم أخو الزلمة الميت برمي عباته عليها يعني إنه رايد ايتجوزها عشان يقوم فيها وفي ولادها"⁽²⁾.

وفي البكائيات الشعبية ما يحمل هذا المعنى:

وصـانـي المـرحـوم وقـال خـذي سـلفـك عـ العـيال⁽³⁾

ويجري هذا الطقس بشكل كبير في وقتنا الحاضر بسبب استشهاد الشباب الفلسطيني حديثي الزواج على أيدي جيش الاحتلال، مما يضطر أخو الشهيد وحرصاً على تماسك العائلة أن يتزوج من زوجة أخيه كي يقوم على رعايتها وأولادها.

"وقد كان هذا الطقس موجوداً في الجاهلية وبنفس الطريقة إذ كان الرجل عادةً يطرح ثوبه على أرملة أخيه بعد وفاته لإثبات حقه في أنه يرثها، وهو ما عرف بزواج الميراث"⁽⁴⁾ كما انتشر في الجاهلية ما عرف بزواج (الضيزن)⁽⁵⁾ أي الزواج من زوجة الأب "فكان الرجل إذا مات وترك زوجة وله أولاد منها ورث نكاحها أكبر أولاده من ضمن ما يرثه من إرث أبيه"⁽⁶⁾ وقد أشار الإسلام إلى هذا فقال "يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن"⁽⁷⁾

(1) انظر الماجدي، الدين المصري، ص 230.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/6.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(4) عبد الصمد، عادات وتقاليد في العصور القديمة، ص 342.

(5) الضيزن: الشريك وهو يطلق على من يزاحم أباه في امرأته، المرجع السابق، ص 344.

(6) عبد الصمد، محمد كامل، مفاهيم وعادات ما زالت قائمة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ج 2، ط1، 1985، ص 44.

(7) سورة النساء من الآية (19).

طقس سقاية الميت:

لا يزال الفلسطينيون يحرصون على "ترك إبريق ماء عند القبر لاعتقادهم أن شخصاً أو طيراً قد يشرب منه، فيخفف الله عن الميت صاحب القبر عذابه"⁽¹⁾ وربما كان لأسباب أخرى يجهلون بها فهذا الطقس قديم جداً فهو عند السومريين (المي نقو) وهو طقس سكب الماء لإرواء ظمأ الميت، وكان هذا يتم برش الماء على تراب الميت أو عن طريق أنبوب فخاري ينزل إلى القبر"⁽²⁾.

"وقد عثر في أحد الأبنية العائدة للملك السومري "شولكي" ثاني ملوك سلالة أور الثالثة، على أنابيب فخارية تحت الأرض إلى الأسفل في صورة عمودية، كذلك عثر في الأضرحة الخاصة بالملوك على منافذ خاصة لهذا الغرض"⁽³⁾

أما المصريون فكانوا يدفنون مع الميت جراراً مليئة بالماء، وقد كان لازماً على الابن الأكبر أن يقوم بمهمة تقديم الماء والطعام يومياً للميت"⁽⁴⁾.

وقد كان الأمر كذلك عند الكنعانيين "إذ يدفن مع الميت بعض المياه والطعام"⁽⁵⁾.

وفي الجاهلية كانوا يقومون بطقس "زيارة الموتى والسلام عليهم والدعاء لهم، إذ يعتمد الأحياء إلى الدعاء بالسقيا للقبر بقولهم "سقاك الغيث"، داعين السماء بإنزال الماء لترطيب القبر". وفي ذلك قول المتلمس الضبعي"⁽⁶⁾:

مناياكم ما فيما يُزَحْرُجُه الدهرُ	خَلِيلِي إِمَامٌ يَوْمًا وَزُحْرِحَتْ
وقولا سَقَاكَ الْغَيْثُ وَالْقَطَرُ يَا قَبْرَ	فَمُرَا عَلَى قَبْرِي فَقُومَا فَسَلِّمَا

طقس الشاهد على القبر:

يضع الفلسطينيون شواهد على قبور موتاهم يكتب عليها اسم الشخص الميت وتاريخ وفاته.

(1) الباش، المعتقدات الشعبية، ص144.

(2) الماجدي، الدين السومري، ص162.

(3) الماجدي، متون سومر، ص330.

(4) الماجدي، الدين المصري، ص230.

(5) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص251.

(6) الضبعي، المتلمس، ديوانه، تحقيق كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، ط1، 1970، ص256.

"اشتهر السومريون والبابليون والآشوريون والمصريون بالمسلات التي تشبه شواهد القبر حيث يكتب عليها معلومات عن أصحابها الذين غالباً ما يكونون ملوكاً. منها مسلة الملك السومري نرام-سين، النصف الثاني للقرن 23 ق. م كذلك وضع الكنعانيون شواهد على قبورهم، وألواحاً جنائزية كان بعضها بصور الميت من ناحية الوجه وهو في وضع صلاة"⁽¹⁾.
وأيضاً مارس الأراميون هذا الطقس. فكانوا يضعون على قبر الميت شهادة (سلم) يكتب عليها اسم الميت.

أما عند الملوك فقد كانت الشهادة تتضمن معلومات عن الملك"⁽²⁾ ومن هذه الشواهد مسلة محفوظة في متحف اللوفر تقول: "لِ أَجْبَر" أكبر كاهن شهر بالنيرب هذه صلمته (شاهدته) لصدقي قدامه أسماني طيباً.. وأطال (حياتي) وبيوم مماتي، فمي لم ينقطع عن الكلام، وبعيتي رأيتُ أنا أبناء الربع يبيكونني... الخ"⁽³⁾

طقس تقديم القرابين:

يقدم الفلسطينيون أنواعاً مختلفة من الطعام وهم يقولون: "عن روح فلان"، سواء أكانت ذبائح وأضاحي حيوانية أو نباتية وتخبزنا الحاجة مريم"⁽⁴⁾ "كنا نعمل زلابية وملتوت نؤخذها على القبور في أول خميس وعلى الأربعين وأيام العياد".

ونجد هذا واضحاً في عيد خميس البيض وتخبزنا الحاجة تمام "تكون الواحدة محوشة كيس قشر بصل وتحطه مع البيض يصير لونه أحمر، ييجوا الولاد ايقولو اعطينا بيظه وكعكة ايدوروا ايلفوا على الدور، بنقله خميس البيض أو خميس الموات"⁽⁵⁾ ومن نصوص البكائيات الشعبية:

يا هاليلة يا هاليلة وضويوف عزاز هاليلة
ويا فلان اذبح ذبيحة لبيك زايـر الليلة⁽⁶⁾

(1) دياكونوف، تاريخ الشرق القديم، ص322.

(2) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص266.

(3) الماجدي، المعتقدات الآرامية، ص159.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/7.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(6) حداد، التراث والمجتمع، ص258.

يا ظيوف الظحى مَلُوا على الحيطان عشاكم على هذا لحم خرفان⁽¹⁾

"ويطابق هذا اليوم "احتفال المصريين والمسيحيين والمسلمين⁽²⁾ بعيد شم النسيم وعيد الفصح وخميس الأموات". "كان طقس تقديم الطعام عن روح الميت عند السومريين يسمى (الكسبا) حيث تذبح الخراف ويقدم الزيت والطور والبخور، والنبذ الأبيض والفاكهة"⁽³⁾. "وعند المصريين القدماء كان يذبح ثور أو بقرة أو ذبيحة النعش ويوزع لحمها على المشيعين في الجنازة، ويتولى عادة أبن المتوفى الأكبر مهمة وضع القرايين الحيوانية والنباتية من خبز وكعك، لكي يخفف عن والده العذاب في الحياة الأخرى"⁽⁴⁾. وعند الكنعانيين كانوا يضعون الموتى في قبور مزينة بأنصاب جنائزية، والانصاب ذبيحة بشرية أو حيوانية. وتوضع بقايا الذبيحة داخل جرة تدفن تحت النصب الذي يحمل في أغلب الأحيان نقشاً مهدى للآلهة⁽⁵⁾. "وفي عيد الأفانزيم (Aphanisme) الكنعاني تقام مواكب جنائزية لذكرى موت أدونيس وتحمل الفتيات اللواتي يسرن خلف الكاهنات سلالاً مملوءة بالكعك"⁽⁶⁾.

"كما كانت القرايين، النذور من غير الذبائح توضع مع الميت"⁽⁷⁾.

وفي الآرامية يسمى القريان (قريناً) وكان يقدم بشكل حيوان وصور أخرى نباتية⁽⁸⁾.

وفي الجاهلية من طقوسهم (العقرُ على القبور) أي الذبح⁽⁹⁾.

طقوس الشؤم من الميت:

تقول الحاجة حسنية "إذا مرت جنازة من جنب الدار نقول للوحده متكنشيش مش امليح"⁽¹⁰⁾.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة جملات، بيرزيت، 59 سنة، 2009/3/9.

(2) الصيفي، الخروج في النهار، ص 457.

(3) الماجدي، الدين السومري، ص 162.

(4) الماجدي، الدين المصري، ص 243.

(5) الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص 263.

(6) المرجع السابق، ص 269.

(7) المرجع السابق، ص 263.

(8) الماجدي، المعتقدات الآرامية، ص 158.

(9) المبرد محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ج 2، ص 366.

(10) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة، 2007/8/1.

وقد صورت البكائيات الشعبية الإيمان الشعبي الفلسطيني بقدرة الروح، فتقول الباكية:
يا أهل المقابر كلُّكم أسيادي ما حدا منكم يرُدلي جواب⁽¹⁾.

وتقول الحاجة فاطمة⁽²⁾: "مش مليح الوحدة تَقْرُظْ غربال لحدا بعد العصر".
وتخبرنا الحاجة تمام⁽³⁾ "إحنا عنا فِشِ حدا يعطي حدا سلم بعد العصريات بقولوا: مش مليح، قال
بشبه نعش الميت يعني حدا بموت".

أما الحاجة مريم⁽⁴⁾ فتقول: "إذا الواحد حِلِم في لحمة ومناسف وإنه يَقْطَع في اللحمة وبوكل يعني
في حدا رايح يموت، وإذا حلم إنّه أجا عليه الميت وأخذ إشي مِنْهُ مَعْنَاه رايح يُوخِذ حدا، بِصَبَح
حدا ميت في الدار، أما إذا أجا عليه الميتْ أعطاه إشي هاضا طولة عُمُر وخير".
وتقول أيضاً "بقولوا: إذا بَقِيَ نعش الميت خفيف يعني إنه قليل الذنوب، أما إذا بَقِيَ ثقيل، هاضا
يعني إنه حسابه عسير وذنوبه ثقال".

وتذكر لنا رشا⁽⁵⁾ "بقولوا لما يموت واحد اكسروا وراه فُخارة خصوصي إذا بقى اختيار عشان
ما يرجع يُوخِذ حدا، حتى الطيف ثقيل الدم بكسروا وراه جرّه عشان ما يرجع عليهم".
ويبدو أن الشؤم رافق الميت منذ أقدم العصور فقد "كان الإنسان البدائي يترك للميت الدار إذا
مات فيها، وقد يخرج الجثة من الدار خلال ثقب في الحائط لا من بابها، ثم يدور بها حول الدار
ثلاث دورات سريعة، لكي تنسى الروح أين المدخل إلى تلك الدار فلا تعاودها أبداً"⁽⁶⁾.
لقد خاف الإنسان البدائي من الأموات "فقد كان يُقدِّم الطعام مرة كل شهر للراحل انتقاءً لأذاه أكثر
منه تكريماً له"⁽⁷⁾.

(1) مقابلة شخصية، الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/1.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.

(4) مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.

(5) مقابلة شخصية، رشا، بيت لقيا، 23 سنة. 2007/8/5.

(6) ديورانت، قصة الحضارة، ج1، م1، ص100.

(7) ديلاپورت، ل، بلاد ما بين النهرين، الحضارتان البابلية والآشورية، ترجمة محرم كمال، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، مكتبة الآداب، ط1، ص205.

لقد استوقفت الإنسان البدائي الأحلام، فقد دُهِش عندما رأى الموتى الذين يعلم علم اليقين أنهم ماتوا في أحلامه فقدس الروح وعبد الموتى⁽¹⁾.

ومن المعتقدات البابلية، "أن روح الإنسان بعد أن تفارق الجسد، تبقى في جَوْ البيت الذي كان يَسكنه، تأكل مما يأكل أهل البيت وتشرب مما يشربون"⁽²⁾، لذلك "كان البابليون يُكثرون من الخيرات لإله الموت، خوفاً من عودة الروح الشريرة -التي يطلقون عليها (أوتوكو)- إلى العالم"⁽³⁾.

أما كسرُ جرة الفخار فهي "آخر طقوس الموت عند المصريين القدماء، وقد كان الغرض منها عدم عودة الموتى إلى بيت الأحياء ومضايقتهم"⁽⁴⁾.

طقس النواح على الطاحونة:

تقول الحاجة أم مفيد⁽⁵⁾: "مِش مليح الواحد ايحط طاحونة عند المريض كثير، بقولوا: هاظا فال مِش املح يعني إنها الوحدة بتتوح على المريض، والنواح وداع وموت". كانت الأم الفلسطينية قديماً جداً تتوح على زوجها وأختها وأبنائها عندما كانوا يذهبون قسراً للقتال في تركيا ولا يعودون ولا يعرف مصيرهم في كثير من الأحيان. ثم أصبحت تتوح عليهم عندما يسافرون لبلاد الغربية، أو لاستشهادهم أو اعتقالهم خلف قضبان سجون الاحتلال الإسرائيلي وهي تجلس لهذا عند الطاحونة في طقس حزين تطحن فيه وتبكي وتتوح ومن ذلك ما تقوله:

وَأَنَا حَزِينَةٌ مِنْ زَمَان	جَانِي احْزَانِ عَلَى احْزَانِ
يَا عَيْنِ قَوْلِي اسْتَغْفِرِ اللَّه	لَصُبْرٌ عَلَى مَا حَكَمَ اللَّه ⁽⁶⁾
يَا قَلْبَ لَقَدْ أَطْوَلَك	لَقَطَعَكِ وَأَرَمِيكَ
وَأَعْلَقَكِ فِي الْهَوَا	وَأَعْمَلْ خَلَاصِي فِيكَ

(1) ديورانت، قصة الحضارة، ج1، م1، ص100.

(2) يوسف، شريف، في العادات والتقاليد السومرية والبابلية، مجلة التراث الشعبي، ع5، م7، 1976/ص23.

(3) المرجع السابق، ص24.

(4) الماجدي، الدين المصري، ص243.

(5) مقابلة شخصية، الحاجة أم مفيد، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.

(6) مقابلة شخصية، محمد نظمي، أبو شخيدم، 24 سنة، 2008/1/15.

يا قَلْبُ لَقْدَرِ أَطُولِكَ بِبِرِّيمِهِ وَاَعْطِيكَ لَنَاسٍ مَا يَنْسُوا الرِّفَقَ دِيمِهِ⁽¹⁾
يَمِيمَتِي عَيْطِي يَمِيمَتِي وَابْكِي عَلَى زَمَانٍ مَظَى بَقِيْبِ اَنَا وَأَنْتِ⁽²⁾
مَرَيْتَ عَنْ دَارِهِمْ لَا أَحْكِي وَلَا أَتَكَلَّمُ يَدْمَعُ عَيْنِي سَبَقَ عَ الْحَجَرِ عَلَّمُ⁽³⁾

(1) مقابلة شخصية، الحاجة أم عيسى، دير دبوان، 2007/7/26.

(2) مقابلة شخصية، الحاجة نظيرة، سردا، 84 سنة، 2009/3/21.

(3) مقابلة شخصية، الحاجة عفيفة، سردا، 2009/3/21.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في فضاء الطقوس وجذورها والوقوف على الأدب الشعبي الذي يتضمنها، فإنني قد وصلت إلى مجموعة من النتائج وهي:

أولاً: إن مفهوم الطقس هو حالة خاصة تميز بين السلك والحركة والصورة الذهنية التي تنشأ في أثناء التفكير فيما هو قدسي ودنيوي.

ثانياً: إن مراحل حياة الإنسان بشكل عام عبارة عن مراحل عبور ثلاثة، هي الميلاد والزواج والموت، وهي تتشاكل مع الطبيعة ودورة الزراعة مما يعني وحدة الكون وهذا موجود في طقوسنا الاجتماعية وأدبنا الشعبي.

ثالثاً: إن الطقس هو ذلك الجزء من التراث الشعبي الذي يعبر عنه بواسطة الجسد وهو حالة انفعالية تُترجم إلى سلوك معين.

رابعاً: إن الطقس هو شعور فردي وجمعي ذو قواعد وأصول مرسومة بدقة متناهية، فعلى تلك المرأة - على سبيل المثال - التي تستخرج العين الحاسدة أن تشهق أثناء حرق الشبة والملح والشعير، وعليها أن تصمت وهي تسير في القرية فلا ترد السلام بينما تمسك بين أصابع قدمها "شرايط" سوداء وزرقاء وبيضاء في عملية طرد للعين الحاسدة التي سببت مرض الصغير.

خامساً: أن الطقس الموجود في محافظة رام الله يؤكد على وحدة التاريخ ووحدة الأرض ووحدة المشاعر والسلوك النفسي.

سادساً: أن الشعب الفلسطيني لا يزال يتمسك بهذه الطقوس، رغم معارضة الدين لها في أغلب الأحيان، فهي حركات وانفعالات لا إرادية تظهر دون وعي أو قصد، فهي مكتسبة وراسخة في أعماق النفس، تظهر فجأة ودون إنذار.

سابعاً: أن فكرة تجذير الطقوس واندماجها أمرٌ ملح للشعب الفلسطيني يعمل على تعميق شعوره بالاعتزاز، وبقيمة الإرث القادم من أعماق التاريخ.

ثامناً: أن هذه الطقوس تستحق منا الدراسة، ثم نشر النتائج لتوعية الناس بأهميتها.

تاسعاً: إن دراسة الطقوس بأسلوب واعٍ ودقيق تجعل الجيل الجديد يُجيب عن أسئلة كثيرة تخطر في باله ولا يجد لها جواباً مقنعاً.

عاشراً: أن الطقوس في التراث الشعبي لن تضيع بسبب الاحتلال، بل بسبب إغفال أبناء الشعب لأهميتها والتوقف عند تدوينها فقط، دون محاولة إحيائها في رموز كثيرة كجعلها مادة تدرس في مختلف المراحل العمرية، ثم علينا إحياء الثوب الفلسطيني المطرز بشكل متطور، وكذلك الحطة الفلسطينية بلونها الفلسطيني الأصل، لا كما نجدها اليوم بألوان مختلفة تجعلها تحيد عن رمزيتها.

أخيراً: إن ردم الفجوة بين الماضي والحاضر يكون بنشر الوعي، وبخاصة أن أبناء الشعب الفلسطيني أصبحوا كما يقول توفيق زياد "معاقنين ثقافياً" بالنسبة لجوهر الثقافة الفلسطينية وهذه الإعاقات تزيد مع مطلع شمس كل يوم سواء بين الفلسطينيين في الشتات أو بين المقيمين على أرض الوطن ونحن بحاجة إلى برنامج "إعادة تأهيل" لهؤلاء الناس وإذا نجحنا في تنفيذ هذا المشروع فقد نأمل ببقاء الشعب الفلسطيني واحداً له هوية وثقافة موحدة.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

القرآن الكريم

العهد القديم

- إبراهيم، سلوى، دراسات في العقلية العربية، الخرافة، دار الحقيقة، بيروت، 1979.
- إبراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، مصر، ط2، د.ت.
- أحمد، بوساحه، حقيقة الموت في نظر الديانات، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008.
- الإختيار، نسيب، الفلكلور الغنائي عند العرب، المطبعة والجريدة الرسمية، بيروت، د.ط، 1955.
- الأفوه، الأودي، ديوانه، الطرائف الأدبية، صححه عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط1، 1937.
- إلباد، ميرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، د.ط، 1986.
- _____، من ملامح الأسطورة، ترجمة حسيب كاسوكة، منشورات وزارة الثقافة، د.ط، 1995.
- أنيس، حسن، وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، د.ت.
- الباش، حسن، المعتقدات الشعبية في التراث العربي، دار الجليل، ط1، د.ت.
- باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية، بغداد، ط1، 1976.
- البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برزبه، الصحيح، ج 2، م 1، دار الفكر، بيروت، 1998.
- بدج، والس، الديانة الفرعونية، ترجمة يوسف سامي اليوسف، دار منارات، عمان، ط1، 1985.
- _____، آلهة المصريين، ترجمة محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 1998.

- بدران، سلوى إبراهيم خمّاش، دراسات في العقلية العربية، الخرافة، دار الحقيقة، بيروت، 1979.
- البرغوثي، عبد اللطيف، الأغاني العربية الشعبية في فلسطين والأردن، الشرق العربية، القدس، د.ط، 1976.
- البستاني، بطرس، المعلم، محيط المحيط، مطبعة نيويورك، لبنان، ط2، 1987.
- البديلي، م. ق، سحر الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل اسحق، منشورات دار علاء الدين، ط1، 2005.
- تيبو، جاك روبير، موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، ط1، 2004.
- الجوهري، الصحاح في اللغة العربية، تحقيق نديم مرعشلي، د.ط، د.ت.
- الجوهري، محمد، الدراسات العلمية للمعتقدات، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1988.
- _____، علم الفلكلور، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1988.
- حداد، يوسف، دراسة في المجتمع والتراث الفلسطيني، قرية البصة، دار الأسوار، عكا، ط1، 1985.
- حسن، حسين الحاج، الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1988.
- الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، كتاب السلام، باب41، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، حديث رقم 2187.
- ابن حمادي، صالح، دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية، بوسلامة للطبع، تونس، ط2، 1983.
- حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، 1986.

- الحوت، محمود سليم، **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، دار الكتب، بيروت، د.ط، 1955.
- الخادم، سعد، **الفن الشعبي والمعتقدات السحرية**، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، مصر، ط1، 1977.
- خان، محمد عبد المعيد، **الأساطير العربية قبل الإسلام**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، 1937.
- أبو خليل، شوقي، **الحضارة العربية الإسلامية**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994.
- الخليلي، علي، **الغول**، منشورات الرواد، القدس، ط1، 1982.
- الخنساء، تماضر بنت عمر بن الحارث، **ديوانها**، شرحه وحققه عبد السلام الحرفي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1988.
- د. م، **قاموس الكتاب المقدس**، مكتبة مشعل، بيروت، ط6، 1981.
- دياكونوف. ي. م، **تاريخ الشرق القديم**، ج1، مراجعة محمد العلامي، دار إسامة للنشر والتوزيع، فلسطين، لحول، ط1، د.ت.
- ديرلاين، فريدرش فون، **الحكاية الخرافية**، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت، ط1، 1973.
- ديلاورت، ل، **بلاد ما بين النهرين**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، د.ت.
- ديورانت، ول، **قصة الحضارة** ج1. م1، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3، 1965.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1922.
- ربيع، وليد وآخرون، **دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني قرية ترمسعيا**، لجنة الأبحاث في جمعية انعاش الأسرة، البيرة، ط1، 1987.
- روست، يانا جاكوب، **صلوات وحكايات وأساطير حثية**، تعريب، قاسم طوير، مطبعة عكرمة، دمشق، ط1، 1986.

- زكي، أحمد كمال، الأساطير، د.ط، د.ت.
- زيّاد، توفيق، صور من الأدب الشعبي، مطبعة أبو رحمون، الناصرة، ط1، 1994.
- زيعور، علي، العقلية الصوفية ونفسانية التصوف، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1979.
- سرحان، نمر، موسوعة الفلكلور الفلسطيني، الطبعة الكاملة من الألف إلى الياء، عمان، ط2، 1989.
- سليم، أحمد أمين، تاريخ وحضارة العراق القديم، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004.
- سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ وحضارة العراق القديم، مكتبة البستان، الإسكندرية، ط1، 2004.
- السواح، فراس، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1997.
- _____، دين الإنسان، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1994.
- _____، جلجامش، العربي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1987.
- _____، لغز عشتار، دار علاء الدين، دمشق، ط5، 1993.
- _____، مغامرة العقل الأول، دار علاء الدين، ط15، د.ت.
- سونيرون، سريج، الكهان في مصر القديمة، الأهالي للطباعة والنشر، ط1، 1994.
- شلبي، رؤوف، آلهة في الأسواق، دراسة وتحليل في النحل والأهواء القديمة، دار القلم، الكويت، ط2، 1983.
- شمار، جورج بوين، المسؤولية الجزائية، في الآداب الآشورية والبابلية، ترجمة سليم الصوصي، دار المرشد، بغداد، د.ط، 1981.
- الشواف، قاسم، ديوان الأساطير، دار الساقى، بيروت، ط1، 1996.
- صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مصر، 1971، والعراق، مكتبة الانجلو، القاهرة، ط4، 1987.
- صالح، رشدي أحمد، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1971.
- صدقة، حسان، طقوس ورموز، رياض السريس للنشر، بريطانيا، د.ط، 1989.

- الطبري، محمد بن جرير، **المجتمع الكبير**، م22، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، حديث رقم 949.
- _____، **تفسير القرآن**، (د.ط)، (د.ت).
- الضبي، المتلمس، ديوانه، تحقيق كامل، الصيرني، جامعة الدول العربية، ط1، 1970.
- عباس، إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية**، دار الجليل للنشر والدراسات الفلسطينية، عمان، ط1، 1998.
- عبد الحكيم، شوقي، **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير**، دار ابن خلدون، ط1، 1978.
- _____، **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، دار العودة، بيروت، ط1، 1988.
- عبد الصمد، محمد كامل، **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ج1، مكتبة الدار العربي للكتاب، القاهرة، ط1، 1995.
- _____، **مفاهيم وعادات غربية ما زالت قائمة**، ج2، دار العربي للكتاب، ط1، 1995.
- أبو عبد الله، أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي الوائلي، **مسنده**، ج2، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن العبد، طرفه، ديوانه، شرحه الدكتور سعدي الضناوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2004، ص45.
- عبده، الطيب، ديوانه، شرح يحيى الجبوري، دار الثريه، بغداد، ط1، 1991.
- عرّاف، شكري، **طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض المقدسة**، مكتبة ترشيحا، ط1، 1993.
- عرينطه، يسرى جوهريه، **الفنون الشعبية في فلسطين**، منشورات المجمع الثقافي، عمان، ط2، 1988.
- عزيز، كارم محمود، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، دار الحضارة، دمشق، ط1، 1999.

- عكاشة، ثروت، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1977.
- علوش، موسى الأغاني الشعبية الفلسطينية، دار موسى علوش للنشر، البيرة، ط2، 2001.
- علي، ثريا، (العروس)، دم، د.ط، 1993.
- علي، جواد، المفصل في أديان العرب قبل الإسلام، دار شعاع، القاهرة، ط1، 2004.
- علي، فاضل عبد الواحد، طرق المعرفة في النصوص السماوية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد 25، 1979.
- العنتيل، فوزي، الفلكلور ما هو، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط1، 1977.
- غربال، محمد شفيق وآخرين، تاريخ الحضارة المصرية، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، د. ت.
- غليونجي، بول، الطب عند قدماء المصريين، مؤسسة المعارف والنشر، بيروت، ط2، د. ت.
- فرانكفورت، هـ، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، منشورات دار مكتبة الحياة، بغداد، ط4، 1960.
- فردليش رج، من ديانات الأرواح الوثنية في إفريقيا والسودان، ترجمة يوسف شلب، دار المنار للدراسة والترجمة، الشام، ط1، 1998.
- فرويد، سيجموند، موسى والتوحيد، ترجمة جورج طرابيش، دار الطليعة، ط3، 1979.
- فريزر جيمس، أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1982.
- _____، الفلكلور في العهد القديم، ج2، ترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1972.
- فريجه، أنيس، ملاحم وأساطير من أوغاريت راس شمرا، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1980.
- فياض، د. محمد، المرأة المصرية القديمة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1995.

- الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس الميخبط**، ج2، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، دار الجليل، لبنان د.ط، د.ت.
- القمني، سيد، **الأسطورة، التراث، سينا للنشر**، القاهرة، ط2، 1993.
- القيم، علي، **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، الهالي للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط2، 1997.
- كراب، الكزاندر هجرتي، **علم الفلكلور**، ترجمة رشدي صالح، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي، القاهرة، د. ط، 1967.
- كرامي، حسان، **المغني الأكبر**، مطبعة لبنان، بيروت، ط1، 1988.
- كريم، صمويل نوح، **أساطير العالم القديم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1974.
- _____، **طقوس الجنس المقدس**، ترجمة مها خياطة، دار علاء الدين للنشر، دمشق، ط2، 1993.
- كلنكل إفيلين، **رحلة إلى بابل القديمة**، ترجمة د. زهدي الداوي، دار الجليل، دمشق، ط1، 1984.
- كناعنه، شريف، **الإنتاج والطفولة**، لجنة الأبحاث، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، ط1، 1984.
- كنعان، توفيق، **الكتابات الفلكلورية**، دار علوش للطباعة، بيروت، ط1، 1998.
- كونتينو، جورج، **الحياة اليومية في آشور وبابل**، ترجمة سليم طه التركيني، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، ط2، 1986.
- ابن اللكبي، هشام بن محمد بن السائب، **الأصنام**، القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1995.
- الماجدي، خزعل، **الآلهة الكنعانية**، أزمنة للنشر والتوزيع، ط1، 1999.
- _____، **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط1، 1997.
- _____، **إنجيل بابل**، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998.

- _____، إنجيل سومر، الأهلوية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998.
- _____، بخور الآلهة، الأهلوية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998.
- _____، الدين السومري، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط1، 1998.
- _____، الدين المصري، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، (د. ط)، 1999.
- _____، متون سومر، الأهلوية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1998.
- _____، المعتقدات الآرامية، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط1، 2000.
- _____، المعتقدات الإغريقية، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط1، 2004.
- _____، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، عمان، ط1، 2000.
- المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ج1، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 1970.
- المبيض، سليم عرفات، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، الهيئة المصرية العامة، مصر، ط1، 1990.
- مظهر، سليمان، قصة الديانات، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، ط2، 2002.
- المنصوري، جريدي، النار في الشعر وطقوس الثقافة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، لبنان، د. ط، 1994.
- المهلهل، بن ربيعة، ديوانه، شرحه طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، ط1، 1993.
- موري، نقولا موري، كتاب الأحياء مطاري، مطبعة القبر المقدس، القدس، د. ط، 1934.

- موسكاني سبينينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1957.
- ميديكو، هـ، ي، اللآلي من النصوص الكنعانية، ترجمة مفيد عرنوف، دار أمواج للنشر، ط2. 1988.
- نخبة من الباحثين، حضارة العراق، ج1-2-3-4، دار الحرية، بغداد، ط1، 1985.
- نظير، ولیم، العادات المصرية بين الأمس واليوم، دار الكتاب العربي، القاهرة. ط1، د.ت.
- _____، المرأة في تاريخ مصر القديم، مطابع دار القلم، القاهرة، ط1، 1965.
- نمر، عمر، الملحمة الشعبية الفلسطينية، نابلس، منشورات الدار الوطنية للطباعة، نابلس، 2000.
- نور الدين، عبد الحليم، دور المرأة في المجتمع المصري، وزارة الثقافة، القاهرة، ط1، 1995.
- الهاشمي، رضا جواد، حضارة العراق، ج2، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 1985.
- وافي، عبد الواحد، الطوطمية أشهر الديانات البدائية، سلسلة اقرأ (194)، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د.ت.
- _____، من غرائب العادات والتقاليد، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د. ط، د. ت.
- وهبه، مجدي، معجم المصطلحات العربية والآداب، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984.
- يوحنا، ثابت، الجنازات المسيحية، منشورات سلم الميثولوجيا، جامعة الروح القدس، لبنان، د. ط، 1990.

المجلات:

- جبر، محمد سعيد، أفرأنا الشعبية تقاليدها ودلالاتها، مجلة التراث والمجتمع، لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني، البيرة، ع 16، نيسان، 1982.

- ربيع، وليد، *العرس الفلسطيني*، مجلة التراث والمجتمع، لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني، البيرة، ع31، نيسان 1998.
- السلحوت، جميل، *البكائيات في أدبنا الشعبي*، مجلة الكاتب، ع49، 1982.
- عثمان، علي، *المرأة من خلال المثل الشعبي الفلسطيني*، مجلة التراث والمجتمع، لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني، البيرة، ع7، م2، أيار 1977.
- يوسف، شريف، *في العادات والتقاليد السومرية والبابلية*، مجلة التراث الشعبي، ع5، م7، 1976.

المراجع الأجنبية:

- Campbell. Joseph. The Masks of Gods. Oriental Mythology, Penguin Books New York 1976.
- Campble. Joseph. The Masks of Gods. Primitve Methology. The Vinkling press New York 1995.
- Frazer James. The Golden Bough. Perguin Books England. 1996.
- Proctor, Paul , Longman Pictionary, chales Mc. Gragor, Birut, 1990.
- Jame. Edwin O. Myth an Ritua in Ancient Near Eeast London. 1958.
- Kramer, Samuel Noah, History Begins at Sumer, University of Pen Sylvania press, 1990.
- Spence. Lewis, Anicent Egypton G. Harrap. London 1990.

المقابلات الشخصية:

- مقابلة شخصية، الحاجة سميحة، اللين، 56 سنة. 2007/1/6.
- مقابلة شخصية، الحاجة سلمى (أم سليمان)، اللّبن الغربي، 59 سنة. 2007/1/6.
- مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيرزيت، 63 سنة. 2007/1/6.

- مقابلة شخصية، ليلي جميل عبد الرحمن، اللين الغربي، 52 سنة. 2007/1/6.
- مقابلة شخصية، الحاجة زهرة، قرية الجديرة، 82 سنة. 2007/1/9.
- مقابلة شخصية، الحاجة أنغام، بيرزيت، 63 سنة. 2007/1/11.
- مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الرحمن، قرية اللين الغربي، 67 سنة. 2007/1/11.
- مقابلة شخصية، الحاجة تمام، بيرزيت، 65 سنة. 2007/1/11.
- مقابلة شخصية، أم سليمان، بيت عور، 80 سنة. 2007/1/17.
- مقابلة شخصية، الحاجة أم عزمي، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.
- مقابلة شخصية، سلوى، بيت عور، 56 سنة. 2007/1/17.
- مقابلة شخصية، الحاجة صفية سمور، بيت عور، 92 سنة. 2007/1/17.
- مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح، دير غسانة، 80 سنة. 2007/1/25.
- مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/2/16.
- مقابلة شخصية، أبو مشهور، أبو شخيدم، 81 سنة. 2007/2/29.
- مقابلة شخصية، الحاجة بديعة قندح، أبو شخيدم، 60 سنة. 2007/2/29.
- مقابلة شخصية، الحاج يونس قندح أبو مشهور، أبو شخيدم، 81 سنة. 2007/2/29.
- مقابلة شخصية، الحاجة حورية، الجديرة، 84 سنة. 2007/3/27.
- مقابلة شخصية، محمد نظمي قندح، أبو شخيدم، 24 سنة. 2007/4/27.
- مقابلة خاصة، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين يبرود، 63 سنة. 2007/7/9.
- مقابلة شخصية، الحاجة حلوة سمور، عين قينيا 75 سنة. 2007/7/16.
- مقابلة شخصية، الحاجة حلوة سمور، عين قينيا 75 سنة. 2007/7/20.
- مقابلة شخصية، الحاجة صفية عبد الفتاح (أم وجيه)، عين قينيا، 84 سنة. 2007/7/20.
- مقابلة شخصية، الحاجة مهدية صرصور، البيرة. 86 سنة. 2007/7/25.
- مقابلة شخصية، الحاجة أم عيسى، دير دبوان، 2007/7/26.
- مقابلة شخصية، الحاجة أميرة، عين قينيا، 80 سنة. 2007/7/28.
- مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/7/28.

- مقابلة شخصية، بديعة قندح، أبو شخيدم، 60 سنة. 2007/7/29.
- مقابلة شخصية، الحاجة زهور قندح، أبو شخيدم، 58 سنة. 2007/7/29
- مقابلة شخصية، الحاجة زينب، عين بيرود، 69 سنة. 2007/7/29.
- مقابلة شخصية، الحاجة زينب، دير دبوان، 69 سنة. 2007/7/29.
- مقابلة شخصية الحاج صقر عبد الله، أبو شخيدم، 90 سنة. 2007/7/29.
- مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة عبد الفتاح، عين بيرود، 63 سنة، 2007/7/29
- مقابلة شخصية، السيدة عزيزة، بيت دقو، 52 سنة. 2007/8/5م
- مقابلة شخصية، الحاجة أم فهد، كوبر، 88 سنة. 2007/8/1.
- مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سرداء، 71 سنة. 2007/8/1.
- مقابلة شخصية الحاجة حسنية، الجيب، 81 سنة. 2007/8/2.
- مقابلة شخصية، سبعة طه، بيت ريما، 84 سنة. 2007/8/2.
- مقابلة شخصية، الحاجة جديّة جبر حنون عصفور، سنجل، 74 سنة. 2007/8/3.
- مقابلة شخصية، الحاجة عديلة، سنجل، 52 سنة. 2007/8/3.
- مقابلة شخصية، إنعام عصفور، سنجل، 47 سنة. 2007/8/3.
- مقابلة شخصية، محمد عصفور، سنجل، 29 سنة. 2007/8/3.
- مقابلة شخصية، الحاجة أم مفيد، بيت دقو، 82 سنة. 2007/8/5.
- مقابلة شخصية، الحاجة تمام حسن، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/5.
- مقابلة شخصية، الحاجة حسنية مفيد، بيت دقو، 81 سنة. 2007/8/5.
- مقابلة شخصية، رشا، بيت لقيا، 24 سنة. 2007/8/5.
- مقابلة شخصية، السيدة عزيزة، بيت دقو، 52 سنة. 2007/8/5م
- مقابلة شخصية، الحاجة أم زياد، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/6.
- مقابلة شخصية، بَدْرَه لطفي قاسم، الجديرة، 55 سنة. 2007/8/6.
- مقابلة شخصية، الحاجة تمام حسن، بيت دقو، 67 سنة. 2007/8/6.
- مقابلة شخصية، الحاج تيسير الهندي، الجديرة، 69 سنة. 2007/8/6.

- مقابلة شخصية، سيدة، الجديرة، 55 سنة. 2007/8/6.
- مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/6.
- مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/7.
- مقابلة شخصية، الحاجة مريم يونس، سردا، 71 سنة. 2007/8/7.
- مقابلة شخصية، الحاج أبو عبد الله، الجديرة، 73 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة انشراح، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة إنشراح لطفي قاسم، الجديرة، 68 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة رويدة لطفي قاسم، الجديدة، 56 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، عبير قاسم، الجديرة، 24 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2007/8/8.
- مقابلة شخصية، الحاجة ربحية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.
- مقابلة شخصية، الحاجة لوزية، دير دبوان، 54 سنة. 2007/8/16.
- مقابلة شخصية، الحاجة عفيفة أسعد، سردا، 87 سنة. 2008/1/14.
- مقابلة شخصية، السيدة ميسون أسعد، سردا، 47 سنة. 2008/1/14.
- مقابلة شخصية، الحاجة نظيرة يونس، سردا، 84 سنة. 2008/1/15.
- مقابلة شخصية، الحاجة زينب شحادة، سنجل، 69 سنة. 2008/7/29.
- اتصال هاتفي، الحاجة فاطمة، أبو قش، 77 سنة، 2008/8/6.
- اتصال هاتفي، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة، 2008/8/6.
- مقابلة شخصية، الحاج أحمد علي طه 87 سنة. 2008/8/7.
- مقابلة شخصية، الحاج حسين أبو درويش، سردا، 90 سنة. 2008/8/7.
- مقابلة شخصية، الحاجة أم محمد، أبو قش، 77 سنة. 2008/8/7.
- مقابلة شخصية، لائقة، جامعة بير زيت، 22 سنة. 2008/10/21.
- مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/1/17.

- مقابلة شخصية، الحاجة جملات، بيرزيت، 59 سنة، 2009/3/9.
- مقابلة شخصية، الحاجة عفيفة، سردا، 2009/3/21.
- مقابلة شخصية، الحاجة نظيرة، سردا، 84 سنة، 2009/3/21.
- مقابلة شخصية، الحاجة مريم، سردا، 71 سنة. 2009/3/23.

**Social & Popular Rituals & Beliefs
in the Palestinian Literature
in Ramallah District**

**Prepared by:
Nidal Fakhri Taha**

**Supervised by:
Dr. Ihsan Al-Deek**

**A Thesis submitted in Partial Fulfillment of the
Requirements for the Degree of Master of Arts in Arabic
Language , Faculty of Graduate Studies, at An-Najah
National University, Nablus, Palestine**

May/2009

Abstract

The social rituals represent an important part of the Palestinian folklore and literature, and the memorized oral literature which exists in the hearts and consciences of the people off spring's establishes and forms an essential core of support which preserves and keeps such rituals for long. This matter was certain for a recent time. However; today the risk of loosing this inheritance and this treasure of gold threatens our popular folklore and literature. So, the way to save our popular literature is by recording it.

Some kind of connotations and moves which accompany these rituals are hard to record, but such events are recorded in the hearts of elderly grandmothers. Thus such events will be exposed to be become extinct along with the death of grandmothers. And they are, in reality, vanishing slowly over the passing days. Eventually, this was an important stage during the study to save, record, document, and study this great inheritance. So, the study in the beginning was established by analyzing the rituals and behavior of humans. Therefore it unfolds and reveals the ambiguity of this terminology. Then, it manifested its binding through an unseen out side force, and its main cause was to seek the Creator help. The rituals and norms were flowing in a sequence from the specific moment at which human wishes to deliver. And so, this was the field of my research in its first chapter.

So, I mentioned the related sorcery traditions of rituals into which woman adopt in order to reproduce (bear a baby) or to keep her infant safe if she ever becomes pregnant. One of her rituals is to stand before a holy man

grave to offer her vows and supplication near the grave of man who was killed by oppression. Another ritual is to swallow the left over of the process of circumcising a woman. Then, I manifested the information about the killing attempts and the trials to cause apportion, which a pregnant woman believed that she may become exposed to through her pregnancy, from her evil companion. I mentioned the sorcery rituals that a woman may use to get rid of the evil companion harm or to cast her out such as, uttering strange words, sorcery made barriers of protection, superstitions, and trials of illusionary protection.

In the second chapter, the chapter of delivering, I mentioned the rituals of begotten children as, what a woman may do to facilitate this process and the accompanied sorcery superstitious traditions. I deduced that the used bath-water, through bathing the child, looks similar to holy water, the water which is used in baptisms in other religions, or as the flood water which baptize the earth to prepare it for new fertility and new production. Then I moved to describing the stages and phases of rearing up the child and what it may include out of rituals as, having a hair cut and offering a sacrifice and a dough. Also I mentioned the used popular superstitious chanting and superstitions which cast the envied eye and the evil female companion, the one that causes disease and harm. Then I mentioned the accompanied rituals for the appearance of the child teeth and the related rituals to the child walking. Finally I mentioned the circumcising stage, assured and supported by examples and popular traditional chanting.

In the third chapter, I stated the consecutive rituals that accompany the process of looking for and seeking a bride, and so I mentioned the traditions of asking her for marriage, and the description of her wedding, her hair-dying, and her sought clothing. I even reached to the stage of describing her marriage party and the sprinkle of water and the grains of barely. I was stating each ritual or norm including its related popular folklore, then I would go back to its old tales-roots which begins at the (tendrill-human), at sometimes (two hundred thousands years ago_200000 B.C.), then the Roman era, and the famous Ignorance era at several times. I have used the same method in the rituals that describes death, too. Thus I mentioned the last moments of dying and the transition of a dying person between the world of life and death up to the final moment when he is declared dead. Also, I mentioned the process of washing the dead, covering him, and laying him in a coffin, then his funeral and the accompanied prayer and then laying him in the grave in a certain direction and rehearsing to him what he is suppose to say whenever he is raised up again. Furthermore, I mentioned the offered sacrifices to his grave, the watering of the grave, and the pessimism and created fear_ by the living humans_ from him, out of his supposed harm.

In all of these rituals, I mentioned them according to their related times and prior to their existence in the popular literature, then I compared them with the ancient rituals and I was able to reach a lot of conclusions that assures the following:

Up to this day, human still practice old rituals that belongs to hundreds of thousands of years ago, and the late new human keeps going back to his first origins and his first models , un deliberately.